

يَهُودُ مِصْرَ

منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م

عرفه عبده على



المهنة المصرية
العامّة للكتاب

تاريخ المصريين

(١٨٩)

● تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة:

د. سمير سرهان

رئيس التحرير:

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

تصدر من

الهيئة المصرية العامة للكتاب

محمود الجزار

يهود مصر

منذ عصر الفراعنة

عرفه عبده على



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٠

الإشراف الفني

محمود الجزار

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب عن « يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ » للباحث عرفة عبده على .

وهو يتتبع حياة اليهود في مصر عبر العصور التاريخية ، فيبدأ باليهود في مصر الفرعونية ، ويتعرض لحادثة الخروج وأهميتها في التاريخ اليهودي ، وينتقل الى عصر البطالة ، فالعصر الروماني ، ثم الاسلامي . ويتناول حياة اليهود الادارية والسياسية في العصر الاسلامي ، وتنظيمهم الطائفي ، وزعمائهم ، وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

كذلك تناول الكتاب أثر الثقافة العربية في ثقافة الجماعات اليهودية ، وتحدث عن وثائق جنيزة القاهرة ، وانتقل الى يهود مصر الحديثة ، ومؤسساتهم الاجتماعية والثقافية والرياضية ومدارسهم ومحافلهم ، ومعابدهم ، وتقاليدهم ، وأعيادهم .

كذلك تحدثت عن عصر الهيمنة اليهودية على الاقتصاد المصري ، ومؤسساتهم التجارية والمالية ونشاطهم السياسي ، وعلاقتهم بالقصر الملكي في عهود عباس الاول واسماعيل وتوفيق وعباس حلمي ، ودورهم في الصحافة والأدب والفن .

كما تعرض للنشاط الصهيونى فى مصر ، وتنظيماتهم
الشبوعية ، ومنظمات التجسس ، وفضيحة Lafon . وتناول يهود
الاسكندرية ، ومؤسساتهم الاجتماعية ، ومعابدهم ، ودورهم فى
الفن .

وقد اخنم الكتاب ببحث عن المصطلحات اليهودية ، وعن
مصادر دراسة تاريخ يهود مصر فى القرن التاسع عشر ، وتناول
خروج اليهود من مصر فى عصر عبد الناصر ، ووضعهم الحالى فى
مصر ، كما ألحق بالكتاب عدد مهم من الصور والأشكال التى تصور
حياة اليهود فى مصر .

والكتاب على هذا النحو يقدم عرضا شاملا لحياة اليهود فى
مصر عبر العصور التاريخية حتى العصر الحاضر ، وهو يفيد القارئ
المثقف فى رسم صورة عريضة لليهود فى مصر ، وتكوين خلفية
تاريخية تصلح مدخلا للدراسات الأكاديمية المتخصصة .

والله الموفق

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

مقدمة

قبيل تأسيس « الكيان الصهيوني » بخمس سنوات ، وقف « دافيد بن جوريون » أمام حشد من اليهود في القدس ليعلن « أن يهود العالم يكونوا شعبا واحدا في العالم ، شعبا لا وطن ولا خلاص له الا بالعودة الى ارض الميعاد » ! ..

وبعد أن تم اعلان الدولة ، اعتقد الكثيرون أن العمل السياسي للحركة الصهيونية قد انتهى باعلان قيام : دولة اسرائيل « وأن تتوقف بالتالى عن الادعاء بوجود أى علاقة سياسية أو قانونية بين يهود العالم واسرائيل اذ أن هؤلاء اليهود يعتبرون فى نظر - القانون الدولى - رعايا ومواطنين دولهم الأصلية ويحملون جنسياتها .

وجاء اعلان قيام الدولة صدمة للكثيرين ، عندما تضمن أن يهود العالم يشكلون شعبا متميزا له قوميته الخاصة وأن ... « رسالة الدولة هي العمل على ضم جميع أبناء هذه القومية ! ... ونسب الاعلان الى « وعد بلفور » وصك الانتداب التأكيد على وجود « الشعب اليهودى » ويعتبر الاسرائيليون أن هذا الوعد هو أول - اعتراف دولى - فى التاريخ الحديث بوجود « الشعب اليهودى » ، ... ويذكر الاعلان أيضا أن « دولة اسرائيل سوف تفتح أبوابها أمام الهجرة اليهودية لتجمع شمل المنفيين » ! ... أى أن الدولة الصهيونية تنظر الى يهود العالم باعتبارهم « اسرائيليون فى المنفى » !!

واستغل الصهاينة فكرة « العودة » التي نسبوها للدين اليهودي كوسيلة لدعم يهود العالم للأهداف الصهيونية ، وإثارة حميتهم الدينية بالزعم أن « إسرائيل ليست دولة مثل باقي دول العالم » .. بل لها رسالة خاصة تهدف الى « خلاص الشعب اليهودي » !! .. لتتحول اليهودية على أيدي زعماء الصهيونية من دين الى حركة سياسية قومية ! .

وعندما تردد الصهيونية واسرائيل أن اليهود في العالم يشكلون كيانا متميزا وشعبا منفصلا له خصائصه ، إنما تجعل من نظرية الجنس أو العرق أساسا جوهريا لها ، والنظرية العنصرية ليست غريبة على الحركة الصهيونية بل هي متأصلة فيها منذ قيامها . فتيدور هرتزل (الأب الروحي للصهيونية) يردد في كتابه الشهير « الدولة اليهودية » أن أصل اليهود يختلف عن سائر الأصول البشرية وأنهم يشكلون شعبا واحدا وجنسا متميزا .. وأن عليهم أن ينمسكوا بهذه الفوارق التي تميزهم عن الآخرين من أجل الحفاظ على عنصرهم ، فهل يوجد من الناحية العلمية جنسا أو عنصرا يمكن تسميته عنصرا يهوديا (Jewish Race) .

إذا نظرنا الى الواقع نجد أن يهود العالم لا يكونون « شعبا واحدا » أو « أمة واحدة » أو وحدة جنسية منسجمة بالمعنى السليم استنادا الى آراء علماء الأجناس والسلالات البشرية . وإذا كان بعض المتعصبين من اليهود يعتقدون بأنهم سلالة عناصر سامية نقية ممتازة ، فإن هذا الاعتقاد لا تؤيده الأبحاث الأنثروبولوجية ، فمن الثابت وجود فوارق وتباين واضح في المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة في جميع دول العالم فهم ينحدرون من شعوب وسلالات متعددة ومتباينة ويؤكد ذلك جوان كوماس Juan Comas أستاذ التاريخ التطبيقى للأجناس البشرية في

الجامعة الوطنية بمكسيكو فقد أعد بحثا بعنوان « أسطورة الجنس اليهودي » The Mythez of Jewish Race رد فيه انثروبولوجيا على المزاعم الصهيونية والاسرائيلية القائلة بانتماء يهود العالم الى كيان عنصرى واحد تسميه « الشعب اليهودي » ونظرا لأهمية هذا البحث فأننا سنعرض لبعض الآراء الواردة به .

ففى مستهل بحث جوان كوماس نجد أنه يؤكد الحقيفة التى يظهرها تاريخ الأجناس البشرية والتى توضح أن اليهود غير متجانسين كعنصر وأنه ليس هناك أى أساس للادعاء القائل بوجود جنس يهودى « انثروبولوجيا » فهجرة اليهود المستمرة خلال التاريخ وعلاقتهم بمختلف الأمم والشعوب قد أوجدت شيئا من التهجين .

ثم يضيف جوان كوماس أن التحليل العام لليهود وتصنيفهم تبعاً لأصلهم ينتهى بنا الى المجموعة الآتية :

(أ) المنحدرون من اليهود المهاجرين من فلسطين وهم قلة .

(ب) المنحدرون من الاندماج بين يهود من أصل أسبوى مختلط أو بين اليهود ومجموعات بشرية أخرى ، وهم ما يمكن تسميتهم بسلالة نهجين انتهجين .

(ج) اليهود من الناحية الدينية فقط حيث أنهم من ناحية التاريخ الطبيعى للأجناس البشرية ليس لهم أى صلة بيهود فلسطين ، وهم عبارة عن أفراد من أصول بشرية أخرى اعتنقوا اليهودية ، والمثال الواضح لهذه الفئة « بولان » ملك الخزر الذى اعتنق اليهودية عام ٢٤٠ م مع كثرين من نبلاته وأتباعه ، كما أن هناك عددا كبيرا من اليهود فى بولندا وجنوب روسيا يمكن نسبتهم الى هذه الفئة .

وهناك شواهد تاريخية عديدة تؤيد حقيقة اختلاط وامتزاج العناصر اليهودية بالشعوب التى عاشوا بينها منذ زمن بعيد ، فقد

صدرت عدة قوانين فى فجر المسيحية كانت تحرم الزواج بين المسيحيين واليهود ، مثل دستور ثيودوسيدس الثانى فى القرن السادس الميلادى والقوانين التى أصدرتها السلطات المسيحية فى توليد عام ٥٨٩ وفى روما عام ٤٧٣ الميلادى ، وكذلك القوانين التى أصدرها لاديسلاس الثانى ملك المجر عام ١٠٩٢ ، وضرورة التحريم فى هذه القوانين توحى بأن الزواج بين اليهود والمسيحيين كان أمرا شائعا ومألوفاً كما قدرت نسبة الزيجات اليهودية فى ألمانيا التى تجمع بين شريكين يهوديين فى الفترة ما بين عامى ١٩٢١ ، ١٩٢٥ بـ ٥٨٪ ، وتلك التى تجمع بين شريك يهودى وآخر غير يهودى قدرت بـ ٤٢٪ وقد عقدت عام ١٩٢٦ (٨٦١ زيجة يهودية كاملة) و ٥٥٤ زيجة مختلطة ، وهذه الأرقام لها دلالة خاصة اذا أخذنا فى اعتبارنا العدد الكبير من الأزواج الذين أصبحوا يهودا دون أن يكون لهم أى صلة باليهودية .

والادعاء بوجود قومية أو أمة يهودية أو شعب يهودى على أساس دينى وادعاء دولة من الدول حق الولاية على أتباع دين معين يعتبر خطوة انتكاسية انتهى أوانها ! . . . فضلا عن أن وصف إسرائيل « بالدولة اليهودية » يعتبر جزءا من التضليل الصهيونى المرتبط بادعاء « الجنسية اليهودية » التى براد فرضها على يهود العالم !!

ومحاولة إسرائيل ربط مفهومها للشعب اليهودى بالدين ، لا تتماشى مع الاتجاه السائد فى العالم ، فلقد تعدت الأديان الرئيسية فى العالم حدود جنسها ولم تعد أية ديانة مقتصرة على عنصر أو جنس معين ! .

ولعل خير رد على الادعاء الاسرائيلى والصهيونى القائل بأن الدين اليهودى يؤكد وجود « الشعب اليهودى » ما جاء بكتاب المجلس الأبركى الميهودية وعنوانه « اليهودية دين لا قومية » فهو

يؤكد أن « الشعب اليهودي » ليس له وجود بالمعنى الطائفي والسياسي ، ففي الماضي كانت تستعمل عبارات مثل « الشعب اليهودي » وشعب اسرائيل ، ولكنها دائما كانت ترمز الى تعميمات نفسية تمثل استمرار وجود هذه الجماعة في التاريخ ، وذلك لأنها جماعة تتعلق بالناحية الروحانية ، أما في الأعوام الأخيرة فقد كان هناك من رغبوا في تحويل هذه الصفة الروحانية الى جماعة طائفية قائمة بذاتها ، أي بتحويلها الى قومية ، أو الى أمة لها مميزاتها الجنسية أي التي تتعلق بالأجناس ، ولذلك قام هؤلاء بتغيير نفس الألفاظ ، فباطلاقهم اسم « اسرائيل » على دولة سياسية غيروا معنى « شعب اسرائيل » وأن عبارة « الشعب اليهودي » ما هي الا تلفيق سياسي ، فليست لها وجود في اليهودية ، كما أنها لا توجد في أي نص من نصوص اليهود المقدسة . وتعد تحريفا مبتذلا لعبارة « شعب اسرائيل » وهذه العبارة هي المرادف الذي وضعه الصهيونية لأمة اليهود والسنار الذي عملت على اخفائها به ، فقبل انشاء اسرائيل كان اصطلاح « اسرائيل » له معنى دينيا صرفا ، فعبارة « شعب اسرائيل » الواردة في التوراة ، كانت تشير الى الأشخاص الذين يعبدون الها واحدا ويعتقدون الديانة اليهودية .

كما أن المجلس الأميركي لليهودية عارض اعتبار اسرائيل وطنيا قوميا لجميع يهود العالم استنادا الى أن غالبية اليهود في العالم لم يقيموا فيها على الاطلاق ، ولا يرغبون في هذه الإقامة مستقبلا ، كما أن غالبية يهود العالم لا يدينون لها بالولاء السياسي !!

وبينما الفيلسوف اليهودي « مندلسون » رائد حركة السنوبر اليهودية « الهسكالاة » قد حدد رؤية جديدة في الفكر اليهودي ، عندما طالب اليهود بنبذ « عقلية الجينو » وأن يندمجوا في الشعوب التي يعيشون بينها . . . كان زعماء الحركة الصهيونية أشد حرصا وأكثر حذرا من « الخطر الأكبر » : اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها و « ضياع الصفات اليهودية المميزة » !!

ومن الملاحظ ، أن ظاهرة « الجيتو » التي عاشها قسرا يهود أوروبا ، لم تعرفها الجماعات اليهودية التي عاشت في محيط ثقافى عربى اسلامى . . وبينما يهود الحضارة الاسلامية ، كانوا مندمجين فى نسيج هذه الحضارة : لغويا وفكريا واجتماعيا وسياسيا . . كان أقرانهم فى أوروبا - فى العصور الوسطى والحديثة - يتعرضون لأبشع أنواع الاضطهاد . . وان كان اليهود قد بالغوا فى مسألة المحارق النازية « الهولوكست » والتي أثبت بعض المؤرخين اليهود - زيف هذه الأسطورة التي اخترعتها الصهيونية وأنها كانت نوع من « تجارة الآلام الكاذبة » . ١١ .

وعلاقة اليهود بمصر ، هى علاقة قديمة ، يعود الى زمن نزول أولاد « يعقوب فيها » ، ثم الى بقاء البعض منهم فى منطقة الفيوم ، عقب خروج « موسى » من مصر ، فى حدث تاريخى هام ، يحيطه قدر هائل من الغموض . ١٢ .

وقد أثبت المؤرخون وجود طائفة يهودية فى مصر ، فى القرن السادس قبل الميلاد حيث اسنقر بعضهم فى مدن الدلتا ، والبعض الآخر فى جزيرة « اليفانتين » بمصر العليا ، ثم جاءت جماعة أخرى ، بعد فتح الاسكندر الأكبر لفلسطين عام ٣٢٢ ق م وقد شجع بطليموس الأول اليهود على الاستقرار بالاسكندرية ، وبعد سقوط القدس فى يد « تيتوس » عام ٦٦ م . أرسل الآلاف من الأسرى اليهود الى مصر . وتعرضوا لتقلبات عديدة ، حتى كان الفتح العربى لمصر ، فتحسنت أوضاعهم ، وشهدت الطائفة نوعا من الازدهار ، وانتقل كثير منهم الى الفسطاط ، التي أصبحت عاصمة لمصر ، ولتصبح أيضا مركزا روحيا كبيرا لليهود .

وتشير المصادر التاريخية ، الى أن يهود مصر لم يعيشوا فى معزل أو داخل جيتو ، ولم يعتبرهم المجتمع - جالية أجنبية - بل

مصريون اعتنقوا الدين اليهودي ، والسلوك الإجتماعي لم يميزهم عن بقية أبناء المجتمع المصري ، التسامح الفطري وعلاقات الود تسود الجميع : مسلمين ويهود وأقباط ، معايشة مجردة من كل تعصب ديني .

وفي عصر الدولة الفاطمية ، والدولة الأيوبية ، وعصر سلاطين المماليك عاش يهود مصر ازدهارا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، مماثل لما شهدته الطوائف اليهودية في الأندلس والمغرب العربي ، تحت ظلال الحكم الإسلامي .

ثم كان الفتح العثماني لمصر عام ١٥١٧ ، وقد حافظ النظام المالي « في ذلك العهد ، على حقوق والتزامات الطوائف الدينية ، وتمتع كثير من اليهود بنظام الامتيازات ، وتحقق للطائفة نوع من « الاستقلال الذاتي » من الناحية الدينية والادارية . . . وكان « الحاخام باشي » في استانبول ، يمثل كل يهود الامبراطورية أمام « الباب العالي » . . . ولرؤساء الطوائف المحلية مكانتهم في الهيئة الدينية الرسمية للدولة .

وبدأت موجات من الهجرة اليهودية ، من مختلف أرجاء الامبراطورية العثمانية تنضم الى الناصر اليهودي الوطني . . . تزامنت مع بداية هجرات مماثلة من بعض دول أوروبا . . . وتبلغ هذه الهجرات ذروتها ، بحلول عام ١٨٤٠ ، بفضل تشجيع محمد علي باشا وأسرته والجاليات الأجنبية في مصر ، فتزايد توافد يهود أوروبا الذين وجدوا مع سائر الأقليات والجاليات الأجنبية « مناخا ملائما » لاغتنام الفرص في عالم المال والتجارة والسمسرة ، وبسقوط البلاد « فريسة للديون الأجنبية » وسيطرة الأوربيين على مالية مصر ، تمتع اليهود بالامتيازات وحماية القناصل الأجانب ، وكان افتتاح السويس عام ١٨٦٩ ، إيذانا بتوالي المزيد من المهاجرين

اليهود ، وشهد عهد الخديو اسماعيل توسعا في استخدام اليهود في وظائف الدولة ، وتوجهت الطائفة الى تشييد المدارس والمعابد والمستشفيات والمراكز الاجتماعية واصدار الصحف والمجلات ، ولم يكن في القوانين القائمة ما يعوق حريتهم ونشاطهم في التجارة وأعمال الصيارفة والبورصة والوظائف الحكومية .

ومما لا شك فيه ، أن الاحتلال البريطاني قد هيا لليهود - ظروفًا مناسبة - للازدهار المالي والنمو الاقتصادي والسياسي ، فالاحتلال الأوربي - بصفة عامة - ارتكز في محاولته لتوسيع مساحة نفوذه في العالم العربي الاسلامي ، على فرض « الحماية » والرعاية لأبناء الأقليات ، ومنحهم حقوقا وامتيازات ، لم تكن متاحة للأغلبية ، بحيث تتحول الأقلية الى « جيب سكاني » ترتبط مصالحه وطموحاته بالقوى الاستعمارية صاحبة الحماية . بمعنى آخر ، أقلية محلية مندمجة في المجتمع ، تتحول الى عنصر سكاني « غريب » يدين بالولاء لقوة خارجية ! .

وقد أسهم التركيب الوظيفي الاقتصادي للطائفة اليهودية - خاصة بين المهاجرين الأوربيين - في تعميق الاتجاه نحو « التغريب » . حيث نشاطهم في مجالات مرتبطة أساسيا بالقوى الأجنبية المهيمنة ، مثل التجارة الدولية والبنوك وأعمال البورصة .

أيضا يرجع ازدهار المجتمع اليهودي في مصر ، ليس فقط للانفتاح الاقتصادي على أوروبا ، بل الى اعتقاد راسخ في عقيدة اليهود المصريين ، بأن مصر هي « أرض الميعاد » !

وقد لعبت المؤسسات اليهودية العالمية دورا بارزا في توجيه يهود مصر ، وكان على رأسها « الاتحاد الاسرائيلي العالمي - « الاليانس » الذي اضطلع بمهمة انشاء المدارس اليهودية في جميع

أنحاء العالم العربى والاسلامى ، ضمت أبناء الطوائف اليهودية - المحلية والوافدة - وتركز اهتمام هذه المدارس على مناهج تختلق جذورا ثقافية ودينية وتاريخية للأفكار الصهيونية ، وحياء اللغة العبرية ، كأساس لخلق شخصية قومية مشتركة بين الطوائف اليهودية ، بعد أن كانت العبرية قاصرة على المعابد ويطون الكتب !

كذلك أسهمت هذه المدارس فى عملية المسخ الحضارى « الاستلاب الثقافى » من خلال تدريس تاريخ الاضطهادات الأوروبية للجماعات اليهودية ، فى اطار صياغة « تاريخ موحد مزيف لجميع اليهودى ! » جوهره الحقذ النابع من المعاناة التاريخية الطويلة - الشتات - والحنين الى الحياة فى ظل مجتمع يهودى آمن فى « ارض الاجداد » !

وفد نجحت تلك المدارس - بتعميق هذه الأفسكار وتطوير أهدافها - فى انتزاع يهود مصر والبلاد العربية ، من بيئاتهم وحضارتهم وقوميتهم .. ووضعتهم أداة طيعة فى يد الغرب ، ليصوغ منهم مادة المشروع الاستيطانى فى فلسطين ! مع تزايد نشاط الحركة الصهيونية ، التى سعت الى استئصال اليهود العرب من تقاليد مجتمعاتهم ، وجردتهم من انتماءهم ، ليكون ولائهم فقط للشعب اليهودى والدولة الصهيونية !

وقد حمل المهاجرون اليهود من أوروبا معهم ، عقدة الازال عن البشر ، وادعاء التمايز والاستعلاء على شعوب الأرض ، وهم الذين وجدوا أنفسهم - فى مجتمعاتهم الأوروبية - عرضة لكراهية الأمم الأخرى ، ووجدت هذه العقدة طريقها بسهولة الى الشخصية اليهودية ، وأصبحت - عوامل أساسية - فى تكوين هذه الشخصية ، سواء عن طريق الانسبان أو الذكريات الدينية والسياسية ، التى تضخمت مع الزمن .. مما يؤكد مدى أهمية

الخرافة والأسطورة ، في خلق الاطار النفسى العنصرى اليهودى ،
وبشكل يتجاوز الحقيقة التاريخية !

وظاهرة العزلة الاجتماعية داخل « الجيتو » . . . التى ميزت
الوجود اليهودى عبر التاريخ ، عبر عنها « ناحوم جولدمان » بقوله :

« ان الجينو يعتبر اكتشافا يهوديا من الناحية التاريخية ! . .
ومن الخطأ القول بأن - الجوييم - قد أرغموا اليهود على الانفصال
عن بقية المجتمع ، هناك فرق بين أن يختار بحريته جيرانه ، أو أن
يكون مرغما على السكن فى مكان معين . . ان الجيتو ، لم يكن
مجرد مجموعة من المنازل والمؤسسات اليهودية المحاطة بسور ،
سواء كان هذا السور مبنيا أو سورا نفسيا ، لم يكن - سجن
جماعى - لليهود ، فرضه الآخرون عليهم ، وإنما كان سور دفاعى
داخلى ، حقيقى ورمزى فى آن واحد ، شكل حصنا ، شيده اليهود
لأنفسهم ضد - عدا - غير اليهود » !

وإذا كانت الطائفة اليهودية فى مصر ، قد حققت ازدهارا على
المستوى الاجتماعى والاقتصادى ، أتاح لزعمائها نفوذا سياسيا
وماليا ، وعلاقات قوية بالقصر الملكى ، فقد حققوا أيضا ازدهارا
ثقافيا ، تمثل فى حربة التعبير المطلقة من خلال الصحف والمجلات ،
التى كانت أبرز الوسائل فى التعريف بالفكرة الصهيونية والترويج
له ! . . وقد امتد النشاط الثقافى الى مجالات الأدب والمسرح
والموسيقى والسينما .

فيهود مصر الحديثة - ويهود الشرق عموما - لم يرد فى تفكيرهم
أية مشاعر للتمايز أو الايمان بـ « أشياء مقدسة » ولم يشيروا
مطلقا الى « اله اسرائيل » أو الانتماء الى « الشعب المختار » . .
فقط كانوا يسعون الى الاندماج فى المجتمعات التى تضمهم دون أية

رغبة أو يسيى ملبوس من أجل « إعادة بناء هيكل سليمان » ١٠٠
أو التفكير فى « مصير دولة اسرائيل » !

ان يهود مصر كانوا جزءا من النسيج المصرى العام ، يفضلون
البقاء فى مصر ، طالما أن الظروف الخارجية لا تضغط عليهم من أجل
الانسلاخ عن هذا النسيج ، وإذا ما أجبرتهم الظروف على ذلك ،
فانهم كانوا يفضلون الحياة فى أى عاصمة أوروبية ، وإذا ما تفاعلت
يهودية - البعض منهم - مع الدوافع الصهيونية ، وذهبوا الى
اسرائيل ، فقد كان ذلك بدافع الأمل فى العثور على وجود يهودى
حقيقى فى هذه الدولة التى لا ترحب بأمثالهم كيهود شرقيين
الا ليمارسوا « دور الخادم للأسياذ من يهود الغرب » !!

واليهود المصريون لا يتحدثون عن حياتهم فى مصر بعد مغادرتهم
لها بصيغة اللعنة على هذه الحياة ، ولكنهم يتحدثون بصيغة « الندم »
شأنهم فى ذلك شأن أسلافهم من « بنى اسرائيل » عندما خرجوا من
مصر بقيادة موسى عليه السلام ١٠١

والحقيقة الثابتة تاريخيا ، أن يهود مصر لم يعانون أى نوع من
الاضطهاد ، وأنهم عوملوا بروح من التسامح والمودة وحتتن الجوار
بين المصريين ، دون أى تفرقة بسبب عامل الدين ، وتشهد على ذلك
الباحثة اليهودية التى أطلقت على نفسها « بنت النيل » - بت هيثور -
فى مقدمة دراستها عن يهود مصر ، بأنهم لم يعانون الاضطهاد الذى
عانوا منه فى سائر البلاد ١٠٢ « فمصر هى بلد الحضارة القديمة ،
وكانت لفترات طويلة مركزا لحكمة الأقدمين وبؤرة للحضارات ،
لقد كانت منفتحة على العالم الخارجى ، ومنحت الشعوب الأجنبية
بسخاء من ارثها الروحى كما أنها هى الأخرى ازدادت ثراء من علوم
الآخرين ١٠٣ وعلاوة على ذلك ، فإن حب السلام المغروس فى طابع
الشعب المصرى حال بينه وبين الأحداث العنيفة والوحشية على غرار

أنفسهم !! ٠٠ فالهدف محدد : « تأصيل ذاكرة مزيفة لتاريخ اليهود » !!

وهذه الدراسة هي اسهام أقسمه بكل تواضع ، لاستكمال نقص هائل في المكتبة العربية ، ولأن الدراسات العربية - على قدرتها - والتي تناولت جوانب من هذا الموضوع الهام ، افتقرت الى الرؤية الشاملة الفاحصة المدققة ٠٠ كما تأثرت بالوضع السياسى الراهن فى المنطقة العربية ٠٠ وهو ما ينطبق - أيضا - على الدراسات اليهودية ، التى اهتمت بمعالجة هذا الموضوع ، فى اطار « التوظيف السياسى للتاريخ » ! ٠

ولعل هذه الدراسة ، تلحظ مزاعم المؤرخين الاسرائيليين ، وادعائهم بأن الطائفة اليهودية فى مصر ، كانت متميزة : دينيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وقوميا ، وأنها كانت تشكل جزءا مما يسمى بـ « الشعب اليهودى » ! ٠٠ الذى اختلقوه من ظلمات الأوهام وضباب الأساطير استنادا الى تلك « الصلات الدقيقة التى تربط بين يهود العالم على الرغم من تباين العادات والتقاليد ٠٠ !!

ان اختلاف الدين بين أبناء المجتمع الواحد ، ليس مبررا لادعاء الاستقلال الحضارى والتمايز الاجتماعى والثقافى ٠٠ !!

وأتمنى أن تقدم هذه الدراسة ، مادة جديدة ، للباحثين فى تاريخ الطائفة اليهودية فى مصر - عبر العصور - بشكل صورة موضوعية ، دقيقة ، بمختلف أنساقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية .

عرفه عبده على

اليهود فى مصر الفرعونية

أجمع المؤرخون على أنه ليس لليهود - مراحىل استيطان تاريخى طويلة - فى بقعة من الأرض ، أقاموا فيها مجتمعا حضاريا على أساس من قيم الاستقرار والأمن الاجتماعى .. وهى سسمة بارزة فى التاريخ اليهودى بوجه عام !

فلم يزل اليهود فى هجرتهم الدائمة ما بين بلاد العراق وحران وكنعان - يعيشون بجوار القبائل - ولم يكن فى استطاعتهم التغلب على واحدة من هذه القبائل حتى لجأوا الى مصر وخرجوا منها بعد قرون الى الأرض التى ادعوا أنها « أرض الميعاد » .. بمقتضى ارث سماوى مزعوم !!

ولم يستفد اليهود من هجرة فى تاريخهم كله - كما استفادوا من هجرتهم الى مصر - ومع ذلك نجد أن « سفر الخروج - Exode » الذى يعرض تاريخهم فى مصر القديمة وخروجهم مع « موسى » .. وتاريخهم أثناء مرحلة « التيه » التى قضوها فى صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاما .. نجد أن سفر الخروج يقطر حقدا ومرارة على المصريين !! .. بالرغم من أنهم لم يعرفوا الاستقرار والحياة الرغدة الا على ضفاف نيل مصر ، حيث نهلوا من مياهل الحضارة المصرية ، مما زاد فى خبرتهم بتدبير شئونهم والدفاع عن أنفسهم .. فأصبحوا يمارسون فنون الزراعة ، كما أحسنوا

حمل السلاح حتى أصبحوا قادرين على منازلة قبائل البادية التي عجزوا عن مقاومتها طوال خمسة قرون ٠

وقد ذهب المؤرخون الى أن هجرة أبناء « يعقوب » كانت بداية التواجد اليهودي في مصر ، لتبدأ قصتهم الطويلة مع التاريخ الذي شوهوا معالمة بالزيف ، كما كان بداية قصة الصراع الذي - لفقت - له جذور مصطنعة وميراث أوهم مدعاة تعلق بها الأبناء بعد الآباء في عنصرية فريدة من نوعها ٠٠ فنسبة يهود اليوم الى « بنى اسرائيل » ليست سوى احدى محاولات الحركة الصهيونية لاختلاق جذور لما يسمى بـ « الشعب اليهودي » ٠٠ ثم ليست هناك دلالات تاريخية كما يقول عالم المصريات د ٠ « رمضان عبده » تؤكد أن « يعقوب » هو نفسه « اسرائيل » ٠٠ سوى التواراة « المحرفة » ومزاعم صهيونية غير مقبولة لاختلاق « تاريخ موحد مزيف لجميع اليهود » ٠٠ فلم يكن لليهود تاريخ يذكر في مصر القديمة الا بعض التجمعات في جزيرة الفنتين - كما سيرد فيما بعد - وبالتالي تسقط كل دعاوى نسبة الحضارة المصرية القديمة الى اليهود ٠٠

وقد اختلفت علاقة اليهود بمصر القديمة ، تبعاً لاختلاف وضع فلسطين بالنسبة لمصر ، والصلات التي قامت بين مصر وفلسطين من ناحية ، وشعوب الشرق الأدنى المجاورة من ناحية أخرى ٠٠ فعندما آلت فلسطين الى الآشوريين ، نزح كثير من اليهود الى مصر ، غير مبالين بتحذير نبيهم « ارميا » وانهاره لهم بعدم الهجرة اليها (١) ٠

وحين ورثت بابل آشور ، ووفد نبوخذ نصر (Nebughadnezzar) على رأس جيوش أبيه ملك بابل ، وأنزل الهزيمة بالملك تخاو الثاني ملك مصر (٦٠٩ - ٥٩٣ ق.م) في موقعة قرقيش عام ٦٠٥ ق.م وأجلاه عن فلسطين ، آل ملكها الى بابل ٠ وفي عام ٥٩٧ ق.م : ثارت مملكة يهوذا ، فبادر نبوخذ نصر - وقد صار ملكاً على بابل -

الى اخماد هذه الثورة ، واحتلت جيوشه اورشليم ونهبت الهيكل .
وقد عادت يهوذا الى الثورة مرة ثانية (٢) (٥٨٨ - ٥٨٦ ق م)
مؤملة أن يسارع ملك مصر « أبريس » (وهو خفرع فى التوراة (٣)
٥٨٩ - ٥٦٩ ق م) الى نجدها . وفى هذه المرة اخمد ملك بابل
الثورة بكل عنف ودمر اورشليم وهيكلها تدميرا تاما شاملا ، فقضى
بذلك على ما تبقى ليهوذا من استقلال ووجه ضربة قاضية لحياة
اليهود بهبا .

وقد فتح أبريس صدره لليهود الذين نجسوا من السبى
البابلى . فكانت تلك الموجة الجديدة من هجرة الى مصر . وقد عرفنا
أنباءها من سفر ارميا ومن الخطاب المنسوب الى ارستياس ، ومن
وثائق الفنتين الآرامية .

وتحدثنا مصادرنا بأن أبريس أنزل اليهود فى تل الدفنة (٤)
(تحفنجيس فى التوراة) وكانت تقع على بعد اثنى عشر ميلا غربى
القنطرة وتنحكم فى مدخل الدلتا من جهة الشرق . ولكن لما كانت
هذه المدينة ذات موقع استراتيجى هام وكانت فى العصر الصاوى
المركز الرئيسى للجند المرتزقة فأنها كانت أبعد من أن تصلح معسكرا
للاجئين ، ولذلك يبدو أن أبريس لم يبق بها من لاجئى اليهود غير
أولئك الذين انخرطوا فى سلك الجيش ولاسيما أننا نسمع أن
كثيرا من أولئك اللاجئين تفرقوا بين تانيس ومنف وأرض باثروس
(Parthos) أو أرض الصعيد .

وقد صادف قدوم اليهود قبولا لدى ملوك العصر الصاوى ،
اذ كانوا يشجعون الأجانب على المجئ الى مصر للاشتغال بالتجارة
والجندية (٥) وقبل أبريس ، استخدم الملك ابسماتيك الأول
(٦٦٤ - ٦٠٩ ق م) كثيرا من اليهود جندا مرتزقة ولا يبعد أن
ابسماتيك الثانى (٥٩٣ - ٥٨٩ ق م) كان قد استعان بهم فى
حملة على بلاد النوبة فى عام ٥٩١ ق م .

وعلى أى حال فإن المصادر القديمة تحدثنا بأن اليهود انتشروا
فى العصر الصاوى وبعده فى مختلف أرجاء مصر : منف والفيوم
ودهشور والبهنسا والأشمونين وأخميم وطيبة وأبيدوس وأدفو
الفتين وأسوان ، وبأن جاليات اليهود فى هذه الأرجاء كانت على
اتصال وثيق فيما بينها .

ومن بين المناطق التى استقر بها اليهود ، وتهبنا بصفة خاصة
جزيرة الفتين عند حدود مصر الجنوبية ، حيث قامت مستعمرة
عسكرية كان اليهود يؤلفون أحد عناصرها (٦) . وترجع أهمية هذه
المنطقة الى ما عثر فيها من البرديات الآرامية (٧) . وهذه البرديات
تعطينا صورة واضحة مفصلة عن حياة الجالية اليهودية فى الفتين
من كافة النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية ،
كما تمدنا ببعض المعلومات عن أماكن أخرى ، استقر بها اليهود ،
وذلك بفضل الرسائل التى كان أولئك اليهود يتبادلونها مع اخوانهم
فى الفتين . فضلا عن ذلك فإن هذه البرديات تعتبر بمثابة سجل
حافل بالأحداث التاريخية التى كانت الفتين بل مصر كلها الى
حد ما مسرحا لها فى العصر الفارسى .

وتكاد تتفق الآراء على أن يهود الفتين كانوا من سلالة الجند
المرتزقة الذين عملوا فى جيش ابسماتيك الثانى أو من سلالة الذين
نجسوا من السبى البابلى بعد تدمير هيكل أورشليم فى
عام ٥٨٦ ق.م (٨) .

ومما يجدر بالملاحظة أن اليهود ، الذين كانوا يؤلفون جانبا
من الحامية العسكرية (Haila) التى أقيمت فى الفتين ،
لم يكونوا الا جزءا من الجالية اليهودية التى استقرت فى تلك
المنطقة وكانت تضم الى جانب أولئك الجنود أسرا يمتلك بعضها
المنازل فى الفتين والبعض الآخر فى أسوان (٩) .

وقد سمح لليهود بإقامة معبد ليهوه. الى جوار معبد خنوم الاله
المصرى الرسمى لهذه المنطقة وقد تجمعت منازل يهود الفنتين حول
هذا المعبد فنشأ هناك حي خاص باليهود أخذ يتسع تدريجيا حتى
بلغت حدوده مشارف الحي المصرى الذى كان يقع جنوبي معبد
اليهود ولما كانت احدى الوثائق الآرامية التى عثر عليها فى الفنتين
تشير الى أن المعبد الذى أقامته المستعمرة اليهودية فى الفنتين يرجع
الى عهد ملوك مصر فان رأى السائد اليوم هو أن قيام تلك الجالية
يرجع الى ما قبل الفتح الفارسى سنة ٥٢٥ ق م .

وقد استمر يهود تلك المستعمرة يقومون بمهمتهم فى خدمة مصر
وصد الهجمات التى تتعرض لها من جهة الجنوب . ولم يتدخل ملوك
العصر الصاوى فى شئون الجالية الداخلية وسمحوا لأفرادها بقسط
وافر من الحرية الدينية . وبالرغم من وجود معبد يهوه فى الفنتين
الى جانب معبد خنوم فانه لم يحدث طوال العصر الصاوى أى صدام
بين اليهود والمصريين بسبب التعصب الدينى أو اختلاف العقائد بين
الفريقين . ولم يكن اليهود العنصر الأجنبى الوحيد فى الفنتين
وأسوان . كما أن يهوه لم يكن الاله الأجنبى الوحيد فى هذه المنطقة
من أرض مصر التى ألف أهلها كثرة العناصر الأجنبية العاملة فى
الجيش والقائمة على حراسة الحدود . وكيف نفسر إذن الصدام
الذى وقع بين اليهود والمصريين فى العصر الفارسى (١٠) !

ينهب « G. Ricciotti » (١١) الى أن اليهود سارعوا الى تقديم
فروض الولاء للملك الفارسى وفى الوقت نفسه وجد الفرس فيهم
أداة طيبة يستطيعون استخدامها فى السيطرة على بلاد لم تكن
فقط بعيدة عن مقر الحكم فى الامبراطورية بل كانت أيضا قوية
فى شعورها بذاتيتها وحريصة على استرجاع استقلالها . وقد
تعزى مبادرة اليهود بالاعلان عن ولائهم للملك الفارسى الى أنهم كانوا
بوخه عام يدينون للملك قورش الثانى (٥٥٩ - ٥٣٠ ق م)

بانقاذهم من السبي البابلي وردهم الى ديارهم . . . وعندما جاء قمبيز الى مصر اظهر عطفه على اليهود ، ولم يمس معبد اليهود بأى سوء فى حين أن كثيرا من معابد المصريين تعرضت للتدمير والتخريب . وتكشف إحدى البرديات الآرامية عن حقيقتين (١٢) ، أحدهما أنه حين ثار المصريون على الفرس عقب ارتفاع دارا الثانى العرش فى سنة ٤٢٤ ق.م . بقي اليهود على ولائهم للإدارة الفارسية . والأخرى أنه استدعى والى مصر الفارسى فى عام ٤١٠ ق.م . لمقابلة الملك الفارسى فى العاصمة تأمر كهنة خنوم مع ويدرانج Widrang الفارسى (وكان يشغل منصب Pitrk) حاكم الاقليم وهو مركز سام فى الادارة الفارسية المحلية وأعطوه مالا وأشياء أخرى ذات قيمة ، وبذلك تمكنوا من العاق الأذى باليهود وعطلوا لهم بئرا وعاقوهم عن عبادة يهوه . . .

ولها تين الحقيقتين دلالة بينة اذ أنهما تشيران الى وقوف اليهود موقفا سلبيا من المصريين حين ثاروا على أعدائهم ، والى تحين المصريين فرصة غياب الوالى الفارسى للاحاق الأذى باليهود . وهذا فى حد ذاته يدل على تمتع اليهود برعاية الفرس ، وعلى رغبة المصريين فى الانتقام منهم ، ولا نستبعد أن مبعث هذه الرغبة لم يكن مجرد التزام اليهود الحياد بين المصريين والفرس وإنما مساهمة اليهود فى اخماد الثورة . فلا بد من أنه قد ألم المصريين وحز فى نفوسهم أن يقف اليهود منهم هذا الموقف بعد أن أفسحوا لهم صدرهم وأكرموا غربتهم !! .

ويمكن التعرف على مصير يهود الفنينين بعد هذا التاريخ فى ضوء تطورات الحوادث فى مصر بصفة عامة فى هذه الفترة من كفاحها للتحرر من حكم الفرس . اذ أن مصر تمكنت فى عام ٤٠٤ ق.م من أن تحرر نفسها من حكم الفرس وكون آمون حر (Amyrtaeus)

أحد مواطني سايس ، الأسرة الثامنة والعشرين ودام بحكمة ست سنوات (٤٠٤ - ٣٩٩ ق م) . ويبدو أن حكمه لم يشمل مصر بأكملها ، اذ تشير القرائن الى أن جالية الفنتين اليهودية كانت لا تزال تعترف بالحكم الفارسي ، فقد وصلتنا بردية مؤرخة في العام الرابع (١٣) من حكم الملك الفارسي أرتاخشاسير شاه الثاني (Artaxerxes II) في ١٢ ديسمبر ٤٠٢ ق م ووصلتنا بردية أخرى مؤرخة في العام الخامس من حكم ملك أغفل ذكر اسمه . ويميل البعض الى تأريخ هذه البردية باليوم الثباني من شهر يونيو ٤٠٠ ق م . ، والى القول بأن الملك المقصود هنا هو الملك آمون حر وأن اغفال اسمه كان أمرا متعمدا ، لأن هوى يهود الفنتين كان لا يزال مع الحكم الفارسي ولأنهم لا يزالون يسللون النفس بعودة هذا الحكم . وتؤكد إحدى البرديات أنه حوالى هذا التاريخ كانت جالية الفنتين اليهودية قد اعترفت بحكم الملك المصرى (١٤) فلم يجد أفرادها بدا من اظهار ولائهم له . وعلى أى حال لم يكن اليهود يتوقعون أن يلقوا عطفا من ملوك هذه الأسرة التى حررت مصر من حكم حماتهم الفرس .

ولم يعمر حكم الأسرة الثامنة والعشرين طويلا : اذ قام على أثره حكم الأسرة التاسعة والعشرين التى أسسها الملك نايف عاورود الأول (Nepherites I) (٣٩٨ - ٣٦٦ ق م) وأصله من تل الربع (منديس) فى الدلتا حيث كان مركز عبادة الاله الكبش . وقد كان طبيعيا أن تولى هذه الأسرة اهتمامها للاله خنوم فى الفنتين مما أكسب كهنته قوة ونفوذا كانا نذيرا بخطر جسيم يهدد اليهود ومعبد يهوه : فلا عجب أن أفضى عصر هذه الأسرة الى اضمحلال جالية اليهود فى الفنتين وتدهورها . وربما ترك اليهود تحت رحمة المصريين وكهنة خنوم الذين وجدوا الفرصة سانحة ليشفوا ما فى قلوبهم من كراهية ضد اليهود وتكرر حينئذ ما حدث لليهود سنة ٤١٠ ق م . ولكن كان هذه المرة بطريقة أشد عنفا بحيث لم تعد

نسمع عن تلك الجالية • ويرجع الأستاذ كرايلنج ناشر برديات متحف بروكلين أن عهد الملك نايف عاورود الأول قد شهد نهاية جالية الفنتين اليهودية وذلك لأن آخر بردية مؤرخة وصلت لنا من الفنتين تحدثت عن توليه هذا الملك عرش مصر (١٥) •

وهكذا قدر لهذه الجالية أن تختفى بعد عدة سنوات من توارى الحكم الفارسي عن مصر • ولعل نكبة يهود الفنتين ترجع الى أن أكثرهم كانوا أعضاء جالية عسكرية فبادروا الى اظهار ولائهم للملك الفارسي وشاركوا في اخماد ثورات المصريين في حين كان باقي يهود مصر من المدنيين ولم تكن لهم يد في مناهضة الثورات المصرية ومن ثم لم يتعرضوا لما تعرض له يهود الفنتين ، بل أن هؤلاء استطاعوا أن يجدوا لديهم ملجأ وملاذا •

• ومن أجل استكمال الصورة العامة عن جالية يهود الفنتين بقي أن نعرض في شيء من الإيجاز الجوانب الأخرى المتعلقة بحياة هذه الجالية بقدر ما يمكن استخلاصه من البرديات الآرامية • وهي المرجع الأساسي لدراسة النواحي الاقتصادية والدينية والقانونية لتلك الجالية •

ولا تكاد البرديات تفصح عن نوع التنظيم الذي كانت عليه الجالية اليهودية ، وإن كان يتبين من بعض البرديات أن شخصا بعينه يدعى يدونيا بن جماريا (Yedoniah B. Gemariah) (١٦) كان ينوب عن اليهود في مفاوضة السلطات الفارسية ويقوم أيضا بجمع المال الذي كان يهود الجزيرة يساهمون به من أجل المعبد اذ كانوا يدفعون ضريبة ليهوه • مقدارها شاقلان من الفضة يؤديها للمعبد الرجال والنساء على السواء • وتذكرنا هذه الضريبة بالضريبة التي فرضتها الشريعة اليهودية على يهود فلسطين اذ كانوا يدفعون على عهد نحميا ثلث شاقل لمعبد اورشليم ، ثم زيدت الضريبة

الى نصف الشاقل . ولما كان يهود الفنتين يدفعون شاقلين ، فإن هذا معناه أن الأمر كان أكثر من ضريبة حددتها الشريعة ويقصد به كذلك مواجهة مطالب الجالية فيما يبدو . لكننا لا نعرف مدى التزام يهود الفنتين بصفة خاصة ويهود مصر بصفة عامة بدفع ضريبة نصف الشاقل لهيكل اورشليم . ويرجح بعض المؤرخين (١٧) أن يدونيا بن جماريا كان يشغل منصب رئيس الطائفة وهو يقابل منصب الاثنارخيس (Ethnarches) في العصرين الاغريقي والروماني . وسواء قبلنا هذا الرأي أم رفضناه فإنه مما لا شك فيه أنه كان يسود الجالية نظام معين يسمح بتخصيل ضريبة خاصة بمعبدها ، وأن هذه الأموال كان ينبغي أن يعهد بها إلى هيئة معينة تقوم بالإشراف على شئون المعبد والجالية ، ومن الجائز أن هذه الهيئة كانت تتألف من الأحرار . وعلى كل حال يبدو أن هذه الهيئة كانت تقوم بدور هام وقت الأزمات ومثل ذلك أنه عندما دمر معبد الفنتين بادرت بالكتابة إلى أحرار اورشليم وحاكمها وحاكم السامرة الفارسيين على نحو ما أسلفنا . وأغلب الظن أنه كان يأتي في مقدمة اختصاصات هذه الهيئة مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث وكافة الأمور التي يراعى فيها تطبيق أحكام الشريعة الموسوية .

ويبدو أن جالية الفنتين كانت تتمتع من الناحية الاقتصادية بقدر من الاستقرار الاقتصادي والرخاء المادي فقد كانت بعض أسرها تمتلك العبيد والمنازل ، وكان بعض أفرادها يقترضون الأموال بمقتضى صكوك يثبتون فيها سعر الفائدة (١٨) ، وتقرأ كذلك في أكثر من بردية عن بيع أو شراء منازل أو حصص فيها أو تنازل عنها . وترينا البرديات أيضا قيام معاملات بين اليهود وغير اليهود من المقيمين في الفنتين ويسجل عدد من البرديات (١٩) أن بعض أفراد الجالية حققوا نوعا من الترف في معيشتهم فقد كانوا يلبسون الملابس الصوفية ، ويستعملون زيت الزيتون ، والدهون

والبلسم ، ولا نتصور أن الاشتغال بالجندية هو الذى أتاح لليهود كل ذلك .

ولما كانت طبيعة تربة الفنتين تمنع أهلها من ممارسة الزراعة ، فلا بد إذن من أن المدنيين منهم كانوا يشتغلون بالتجارة مع اثيوبيا والنوبة والسودان ، وفى النقل النهري وجباية المكوس الجمركية على السلع الواردة الى مصر .

وتساعدنا البرديات الآرامية أيضا فى استجلاء بعض المظاهر الاجتماعية ، وكان من أبرزها الأمور المتعلقة بالأسرة من زواج وطلاق وميراث وما الى ذلك . وتبين من الوثائق أن الزوج كان يهرم العقد مع وكيل عن الزوجة ، كان فى الغالب والدها ، وأن الزوج كان يقدم الصداق (المهر) Mohar الى هذا الوكيل ، وأن الزوجة كانت تذهب الى بيت الزوجية ومعها منقولاتها ، وأنه فى حالة الطلاق كان من حق الزوجة استعادة هذه المنقولات وأن الزوج يفقد ما دفعه من صداق ، بل انه اذا طرد الزوجة دون مسوغ قانونى فانه كانت تفرض عليه غرامة جزاء سوء تصرفه . ويرجح أن أحبار المعبد كانوا يفضلون مثل هذه المنازعات . وتوضح البرديات كذلك أنه كان يحق للزوجة طلب الطلاق وكانت فى هذه الحالة تدفع لزوجهـا تعويضا مناسباً مع احتفاظها بحقها فى منقولاتها .

ولما كانت المرأة اليهودية فى الفنتين تباشر بنفسها ادارة شئونها الخاصة واستثمار أموالها ، وتساهم مثل الرجل سواء بسواء فى دفع الضريبة الخاصة بالمعبد ، ويحق لها طلب الطلاق من زوجها ، فإن ذلك كله يدل على سمو مكانتها فى المجتمع اليهودى (٢٠) .

ولا يقلد يكون من الطريف أن تشير الى أن بعض البرديات تبين أنه كان من الممكن أن يقوم زواج بين مصرى ويهودية ، وبين يهودى

وأمة مصرية (٢١) . ونظراً لاختلاط الأسماء المصرية بالأسماء السامية يمكن القول بأنه كان هناك قدر معين من اندماج اليهود بالمجتمع المصري أو على الأقل التأثير به .

وإذا انتقلنا إلى الناحية الدينية فأننا نجد أن اليهود لم يكونوا على درجة كبيرة من الدقة في مراعاة تعاليم شريعتهم . إذ تلاحظ عدة أمور جديرة بالاهتمام وهي :

أولاً : كانت إقامة معبد الفنتين في حد ذاتها مخالفة صريحة لهذه الشريعة إذ أن سفر التثنية ينص على ألا يكون لليهود غير هيكل واحد هو هيكل أورشليم ولا يجوز أن تقدم القرابين إلا على مذبحه .

ثانياً : كان اليهود يقدسون بعض الآلهة الوثنية مثل اششم بيتاءل (Eshembethel) وعنات بيتاءل (Anathbethel) ويعبدونها إلى جانب ربهم يهوه . ويمدونها بالمال هيل ما كانوا يمدون يهوه ولعل هذا الانحراف يرجع إلى تأثيرات أجنبية . العلمهم تعرضوا لها أثناء فترة السبي البابلي . أو لعلهم خضعوا لمؤثرات البيئة المصرية المحلية ، أو أنهم لم ينزلوا هذه الآلهة نفس المنزلة التي كانت ليهوه بل اعتبروها تابعة له وتقتصر في فلكها ، أو لعل ذلك كان نوعاً من التسامح الديني . اضطرتهم إليه ظروف قيام الجالية وسط خليط من الشعوب الوثنية مثل المصريين والفريسيين والبابليين كما سبق القول . وتسماعل . هل كان مزد هذا التسامح الرغبة في التعايش السلمي دون أن يخطر على بال اليهود أنه ينطوي على أي قدر من الشرك أو الانحراف . (٢٢) .

وثمة ناحية أخرى يبدو فيها واضحاً أن اليهود أغفلوا أوامر شريعتهم : ذلك أنهم كانوا يباشرون اقراض الأموال بفوائد فاحشة قد تصل أحياناً إلى ٦٠٪ في السنة وإذا عجز المدين عن سداد دينه

فإن الفائدة التي لم تدفع كانت تضاف إلى أصل الدين وفي هذه الحالة كان على المدين أن يدفع ربعا مركبا . ولم تقتصر الفوائد على المال المقرض فحسب بل كانت تؤدي أيضا إلى الدائن في حالة اقراض الحبوب (٢٣) .

ومع ذلك فإن القسراتن تدل على أن اليهود كانوا يهتمون بمراعاة بعض العادات والتقاليد الدينية عندهم إذ من المحتمل أنهم كانوا يراعون أيام السبت ، وأنهم كانوا يحتفلون بعيد الفطير (Mazoth) بعيد الفصح . ولما كان العيد الأخير عيدا رعويا قديما عند اليهود ومرتبطا بعادة نحر الضأن والماعز ، وكان ذلك - كما رأينا - يثير غضب كهنة خنوم فإن بعض المؤرخين يرى أن الاحتفال بهذا العيد كان يتخذ شكلا يغاير ما اعتاده يهود فلسطين .

أما عن العلاقة الدينية بين اورشليم والفنتين فإن يهود اورشليم لم يرحبوا بقيام هيكل ليهوه في غير مدينتهم (٢٤) وتحدثنا بردية آرامية بأن الملك الفارسي دارا الثاني حدد لليهود الفنتين موعد الاحتفال بعيد الفطير والملة التي يستغرقها هذا العيد . وقد حدا هذا ببعض المؤرخين إلى القول بأن يهود الفنتين لم يعتادوا الاحتفال به فرغب يهود اورشليم وبابل إلى الملك الفارسي أن يجعلهم على الاحتفال به حتى تسود الوحدة الدينية في تلك الاقطار من ناحية المظهر الديني على الأقل (٢٥) ولا نستطيع أن نؤكد أو ننفي أن يهود الفنتين كانوا يدفعون ضريبة نصف الشاقل إلى هيكل اورشليم ، وربما كان أحبار اورشليم غير راضين بوجه عام عن يهود الفنتين إذ كانت يهوديتهم تجافي الروح اليهودية الصحيحة كما ينبغي أن تكون .

ونما لاشك فيه أن معظم الوثائق القانونية ضمن البرديات الآرامية قد كتبت بأسلوب قانوني راق ، وأن يهود الفنتين شغفوا

يرفع الدعاوى شغفهم بتسجيل ما يبرمون من عقود واتفاقات .
ولاشك أنه من الأهمية بمكان في ضوء هذه الحقائق أن نتبين
الاستقلال الذاتى الذى كانت تتمتع به الجالية اليهودية من حيث
تطبيق الأسس القانونية التى نص عليها التشريع اليهودى ، ومدى
خضوع الجالية اليهودية لقضاء الدولة فى إطار نظام الحكم
الفارسى بمصر ، ونوع المحاكم التى كانت تفصل فى قضايا يكون
طرفا النزاع فيها أو أحدهما من اليهود .

وبذلك تكون برديات الفنتين الآرامية قد أمدتنا بمعلومات لها
قيمتها عن كثير من جوانب حياة الجالية اليهودية . ولسوء الحظ
أننا نفتقر الى المعلومات التى تمكننا من دراسة أحوال بقية يهود
مصر وهكذا يصعب تكوين فكرة شاملة عن كل يهود مصر قبل
الفتح المقدونى ومن العسير كذلك أن نتخذ مما نعرفه عن يهود
الفنتين أساسا لتوضيح أوضاع اليهود فى مصر كلها .

وأين ذهب يهود الفنتين ؟ هل عادت الى أرض يهوذا تلك الفلة
التي نجت ؟ يستبعد بعض المؤرخين أن يكون ذلك قد حدث ، ويرجع
آخرون أن نفرا من تلك الجالية اتجهوا الى ادفو شمالا اذ عثر على
شواهد قبور تحمل كتابة آرامية ترجع الى القرنين الثالث والثانى
ق.م . وسنعرف فيما بعد أن اليهود فى العصرين البطلمى
والرومانى اختصوا بالحى الرابع من أحياء هذه المدينة .

ونتساءل كذلك عما حل باليهود فى الأماكن الأخرى مثل
طيبة والأشمونين ومنف التى كانت تتبادل الرسائل مع الفنتين .
هل تحققت نبوءة النبى ارميا وما أئذر به يهود مصر من نقمة وعذاب
وتقتيل وتشريد .. !!

حادثة الخروج .. والقرصنة التاريخية !

حادثة الخروج « La Sortie » — « Exodus » هي محور تاريخ اليهود ، وهي اللحظة التي ولد فيها بني اسرائيل كجماعة دينية ، وهي النموذج الذي يؤكد قدرة الأساطير اليهودية على الدمج الوثيق بين العناصر القومية والدينية والتاريخية التي تشير الى العلاقة بين العهد القديم والأرض المقدسة و « الشعب المختار » .. في توافق يشكل في النهاية المنطق الروحي لليهودية السياسية !

وتبرز أهمية الخرافة والأسطورة في خلق الاطوار التي تفسى العنصرى اليهودى ، وبشكل يتجاوز الحقيقة التاريخية .. من خلال الفكر الصهيونى الذى يثير دائما فى تفسيراته وتوجهاته : مشاعر التفوق وادعاء التميز والاستعلاء على شعوب الأرض لديمومة البقاء اليهودى ، وتتضمن الذكريات الدينية والسياسية بتوالى الأزمان وتعاقب الأجيال ، ويجعل الفكر الحاخامى العنصرى من هذا البقاء : « اختيار الهى » و « ارادة الهية لا قدرة للبشر على مقاومتها » .. وبأن الله قد « اختار اليهود كى يطهروا العالم كله من الشوائب والظلمات » .. ومثل هذه الآراء ، لابد أن تؤثر على الجماعات اليهودية ، فكرا وسلوكا ، بانتمائها الى « الشعب المقدس » و « الشعب المعجزة » وتصبح الدولة اليهودية وسيلة لتحقيق « الرسالة الخاصة » لليهود !

ويصف العالم اليهودى « س . فرويد » فى كتابه « اليهودية - موسى والتوحيد » ادعاءات اليهود بالتمايز والقداسة بأنها خرافة

و « . . » تلك حالة لانظير لها على الاطلاق فى تاريخ العقائد الدينية ، فلم يحدث قط أن اختار الله عابديه « !!

ولا يمكننا دراسة التأثير المصرى على العقيدة اليهودية ، دون الرجوع الى آراء « فرويد » (١) التى تتلخص فى أن موسى - عليه السلام - مصرى الدم والعقيدة ، وليس يهوديا كما يزعم اليهود ، وأهم الأسس التى اعتمدها فرويد : اسم موسى ونشأته وتعلمه وأعماله قبل خروجه من مصر ، ثم أثر ذلك بعد الخروج ، وزعامته للطوائف التى خرج بها ، واسلوبه فى سياستها والزامها بعقيدته ، وانقطاع الصلة بينه وبين الأصول الإسرائيلية التى يدعى اليهود نسبته اليها .

ويشير المؤرخ اليهودى « فلافيوس يوسيفوس » الذى عاش فى القرن الأول الميلادى ، فى كتابه « تاريخ اليهود القديم » الى أن موسى كان حاكما وكاهنا مصريا ، وكان أيضا من كبار قادة الجيش المصرى و « . . لا صلة فى دم أو فى نشأة أو ثقافة أو زواج بينه وبين بنى اسرائيل الذين سبقوا عصره بنحو ستمائة عام . . ولا صلة فى الدم أو فى الثقافة كذلك بين جماعته الذين خرج بهم من مصر ، وبنى اسرائيل الذين كانوا عند هجرتهم من فلسطين الى مصر أسرة واحدة ، عدد أفرادها نحو السبعين ، فلابد أنهم - خلال تلك القرون الستة - قد ذابوا فى المصريين والهكسوس الذين فتحوا مصر خلال ذلك وظلوا يحكمونها ، الى أن طردهم أمراء مصر . . »

وقصة الخروج ، مازال يحيط بها قدر هائل من الغموض ، فالوثائق المصرية لا تتضمن مجرد اشارة عابرة لهذا الحدث التاريخى الهام ، وكان لعلماء المصريات والدراسات الشرقية آراء متباينة فى هذا الموضوع ، فيقول عالم المصريات الألمانى الشهير « هنريك برجش » فى محاضرة عام ١٨٧٩ : « قضيت من عمرى ثلاثين عاما فى

دراسة تاريخ وآثار مصر القديمة ، وقد استنحوذ على تفكيرى بداية أن أربط بين ما جاء فى التوراه عن خروج بنى اسرائيل من مصر ، وبين ما يمكن أن نجده مذكورا فى بعض النقوش أو الوثائق ، ومع تقديرى لما ورد فى الكتب المقدسة ، أرى نفسى مقصرا اذا تغاضيت عما هو ثابت منها فى المجال الأثرى ، حتى تتكون لدى قناعة بصحة ما ورد فى الكتاب الثانى من أسفار موسى . . وخروج بنى اسرائيل من مصر هو أهم أحداث هذا الشعب .

ويشير عالم المصريات الكبير د . . « رمضان عبده » فى كتابه « تاريخ مصر القديمة » أن بعض علماء الدراسات المصرية القديمة قد اتجهوا - دون الاعتماد على نصوص أثرية مصرية - الى أن خروج بنى اسرائيل من مصر قد حدث فى عصر الهكسوس ، ورأى بأنهم خرجوا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، وبالتحديد فى عهد الملك تحوتمس الثالث ، بينما يذهب البعض الى أن الخروج قد حدث فى عهد ابنه امنحتب الثانى ، وعلى رأسهم المؤرخ « مانيتون » (٢) . . ورأى آخر بحدوثه فى عهد امنحتب الثالث .

أما عالمة المصريات الشهيرة « نوبلكور » (٣) فى كتابها « Ramses le grand » فتذهب الى رأى مخالف ، فتقول بأن حادثة الطرد أو الخروج ، قد تمت فيما بين العام العاشر والعام الثامن عشر من حكم رمسيس الثانى ، على الرغم من أنه ليس هناك أية وثيقة تشير الى ذلك ، وأن اسم موسى هو اسم من أصل مصرى ، ونشأ فى بلاط الملك ، وكان بعض اليهود قد تلقوا علومهم فى المدارس المصرية ، وكان سيدنا موسى يتمتع بحماية خاصة من الملك حور محب الذى كان مشغولا بمشكلات الآسيويين فى مصر ، وقام الملك سبتى الأول بتشبيد الحصون فى شرق الدلتا ، وشيد قصره فى « قنطير » التى أصبحت العاصمة فى عهد رمسيس الثانى . .

وكان سبتى الأول يضطهد اليهود في « بيتوم » وهرب موسى الى « مدين » بعد مقتل أحد زبانية الاضطهاد وتزوج من ابنة كاهن مدين في غرب وادى عربة - ايلات ، ثم عاد موسى الى مصر ، عقب تولى رمسيس الثانى عرش مصر ، وطلب منه أن يذهب مع شعبه لعمل تضحية في الصحراء ، ولكن الملك رفض طلبه ، فكان ذلك سببا في بداية الصراع ، وحدث هذا الطلب بين السنة الخامسة والسنة السابعة من حكم رمسيس الثانى ، وخلال تلك السنوات ، شاعت القلاقل على الحدود الشرقية لمصر ، وتمادى الملك فى اضطهاد اليهود . . وبدأ الخروج من مدينة رمسيس واتجه اليهود الى وادى الطميلات ، جنوب خليج السويس ، وهو طريق خال من التحصينات، ويبدو أن الصدام مع جيش فرعون قد حدث فى المناطق الضحلة فى « كليسما - Clysma » على البحر الأحمر ، وهنا حدثت معجزة انشقاق مياه البحر ، ثم اتجه موسى عقب ذلك الى صحراء النقب فى سيناء .

والرأى الوحيد الذى يعتمد على نص أثرى « مشكوك فى صحة قراءته وتفسيره ، فهو القائل بأن خروج بنى اسرائيل من مصر كان فى عهد الملك مرنبتاح - ابن رمسيس الثانى - اعتمادا على الفقرة التى وردت فى السطر ٣٧ من لوحة مرنبتاح ، وتقول : « . . وسهل يزربل أقفر ولم يعد له بذور » وقد قرأ معظم العلماء اسم « يزربل » / « اسرائيل » ! وقد اعتمد أكثرهم هذه الفقرة للتحديث عن الخروج فى عهد هذا الملك !

وبالتحليل العلمى لهذه الفقرة ، يسهب د . رمضان عبده (٤) فى تفنيد هذا الرأى ، مؤكدا على أن « تسجيل أحداث الخروج ، بما فيها من وقائع وتفاصيل ومعجزات ، يحتاج الى مئات الأسطر وربما الى أكثر من نقش على لوحة واحدة ، ومن المحتمل أيضا أن أحداث الخروج قد حُزفت عن عمد من النصوص ، لأنها تمس

العقيدة ، ولهذا فلا يجب الاعتماد على فقرة قصيرة في نص مرئيات
للادلاء بآراء كبيرة ، والربط بينها وبين حدث ديني هام مثل حادث
الخروج ، وتخيل قيام مملكة اسرائيل قبل قيامها الفعلي بأربعة
قرون تقريبا ، يتعارض مع حقائق التاريخ .

وفي الواقع ، أن كل هذه الآراء لا تعتمد على مصادر أو شواهد
أثرية مؤكدة لكن تدعمها ، بل على العكس ، ظلت المصادر الأثرية
والتصوص المختلفة حتى يومنا هذا على صمتها ازاء هذا الموضوع ،
الذي أصبح يمثل مشكلة من مشاكل تاريخ مصر القديمة .

في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول من السنة العبرية
(نيسان - ابريل) يحتفل اليهود بعيد الفصح : ذكرى نجات موسى
وقومه من فرعون وخروجهم من مصر ، وذكرى الخروج هي في وعي
اليهودي دائما ، وعندما يجتاز عتبة بيته ويضع يده في مستوى معين
من العتبة العليا للباب ، حيث وضعت مخطوطة تحتوي أربعة نصوص
من التوراة تذكر بـ « جذوره التاريخية » . . . فهذه العتبة مثبتة
في الحقيقة عند « باب التاريخ البشري » كما زعم المؤرخ « رافائيل
دراي » (٥) أستاذ التاريخ والدراسات اليهودية بجامعة
أكس بروفانس ومؤلف كتاب « La Sortie » الذي حاول أن يؤكد
بان الخروج من مصر : لم يكن مجرد عبور للبحر في عملية هروب
عشوائية ، ولكنه كان مسيرة واعية واضحة / لم يكن فقط خروج
جغرافي ، بل هو خروج فكري ونفسي / عبور من العبودية الى
الحرية / مفتتح الحرية / تحطيم للسجن / أساس التاريخ / خروج
عن مذاهب الدولة والأفكار والشعارات الرسمية / خروج عن الأنظمة
الاقتصادية والايديولوجيات الميثولوجية / خروج الى الذات . . نحو
المكان والزمان !!

وقد بذل المؤلف جهداً ملحوظاً في التحليل اللغوي ، وتفسير الممارسات الشعائرية والكوارث العشر التي أصابت المصريين ، والظواهر الطبيعية والاصطلاحات الفلكية التي ارتبطت بالتعبير عن ظواهر طلوع القمر ومساره ، وارجاع آيات سفر الخروج الى أصولها اللغوية العبرية .

الا أننا نسجل تحفظاتنا تجاه بعض الآراء الغير مقبولة منطقياً ، منها على سبيل المثال : ادعائه بأن « موسى هو الذي فرق البحر وليس الله ! » . . . ومسألة بحر الرمال أو الرمال المتحركة نقلاً عن نيودور الصقلي وسترابون ، بالرغم من ورود لفظة البحر صريحة في التوراة وفي القرآن الكريم . . . ووصفه لملك اله باسم « بوزيريس » بأنه كان آكلًا للحوم البشر ! في حين لم يذكر لنا التاريخ أن واحداً من فراعنة مصر القديمة كان من أكلة لحوم البشر . . . ليس الا الطعن في أول من أبدعوا علماً وفكراً انسانياً حضارياً ، فضلاً عن أنه لم ترد اشارة في مصدر تاريخي عن اله من آلهة المصريين القدماء بهذا الاسم !

وقصة الخروج تستعرضها التوراة في « سفر الخروج » . ووقائع الحدث نفسه في الفصل الثاني عشر من هذا السفر ، الذي يفيض حقدا رهيبا على الشعب المصري ، وفيه جعلوا الههم يهواه ينكل بالمصريين في صورة عمليات انتقامية دامية ، رداً على جميل الاقامة لدحر خمسة قرون نعموا خلالها بخيرات مصر ، وهي الخيرات التي ندموا على تركها عندما عانوا الأهوال والجوع والتشرد في التيه . وقرارهم في كتابهم المقدس بأنهم كانوا عبيداً وخداماً للمصريين . . . لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية » . . . « ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر ، حيث كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام شبعنا فلم أخرجنا الى هذه البرية لتقتلنا هذا الجمهور كله بالجوع » ! والحديث موجه الى موسى

وأخيه هارون ٠٠ وأخلاق القوم المتوارثة تدل عليهم ٠٠ وصنع بنو إسرائيل - كما أمر موسى - فطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وآتى الرب الشعب حظوة فى عيون المصريين فأعاروها لهم وسلبوا المصريين ١

وقصة موسى وقومه تحدث عنها القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، وإشارات لوقائع الحدث : عندما أوحى الله الى موسى أن يضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، ونجاته ومن معه ، وغرق فرعون وجيشه ٠٠ فى سورة البقرة ، الآيتين ٤٩ ، ٥٠ والآيات ٩٠ - ٩٢ من سورة يونس ، والآيات ٧٧ - ٨٠ من سورة طه ، والآيات ٦٠ - ٦٦ من سورة الشعراء ٠٠

لقد أضفى اليهود على أمانتهم ورغباتهم « قدسية الهية » تستر ما يخفونه من تأمر وحقد دفين ضد الشعب المصرى خاصة ، وشعوب الأرض جميعا ، والفكر الصهيونى المغرق فى عداوه للتاريخ وتسخيره لخدمة الأهداف الصهيونية ، مازال يعمل على بث مفاهيم وادعاءات زائفة باستخراج نصوص توراتيه يبرر بها جرائمه ، و « التوظيف السياسى للتاريخ » قاعدة ثابتة فى الفكر الاسرائيلى المعاصر ٠٠ يؤكدها المؤلف بقوله : « مصر التى تركوها تؤسس نفسها مرة أخرى فى قلب مملكة إسرائيل » !! ٠٠ كما وصفها بأنها « مقبرة التاريخ البشرى » ٠٠ « ماذا فيها حاليا من ديانات توحيدية أخرى : المسيحية ، الاسلام وممارسات استعبادية وتبريرات لاهوتية » !!

والكيان الاسرائيلى يعيش تعاليم وأفكار صهيونية ، فيقول آشير جنزيرج : « سيسود شعبنا كل الشعوب الأخرى ، ان إسرائيل هى الأمة العليا التى تملك القدرة على التوسع وعلى أن تصبح سيد العالم ، وما خلقت الأمم الأخرى الا لتخدم هذه النخبة المختارة » ١

أما الفيلسوف هربرت شيفي لا يكتفى بهذا الفكر المتواضع ..
فيذهب الى القول بأن « إسرائيل هي الخالق الثاني للعالم ، الا أن
الإسرائيليين يعملون بصورة جوهريّة وبسرعة أكبر من سرعة الإله
عند الخلق الأول للعالم » .. الى هذا الحد يعتقد البهسود أن
قدرتهم تفوق قدرة الله .. كما صورت لهم شياطينهم !

وتستمر القرصنة التاريخية لحساب الايديولوجية المنصرية
الصهيونية لافتعال تاريخ لما يسمى بـ « الشعب الإسرائيلي » ..
واصطناع « حضارة اسرائيلية » .. فأحلام الصهاينة المدمرة
التوسعية الاجرامية .. تنلام مع أحلامهم في غزو التاريخ !

الهوامش

أولا : هوامش اليهود في مصر الفرعونية

(١) سفر د ارميا ، اصحاح ٤٢ ، آيات ١٥ - ١٧ : اصحاح ٤٢ ، آيات ٢ - ٧ .

G. Ricciotti : The History of Israel, Vol 1, p. 403 (٢)
Milwauke 1955.

(٣) سفر د ارميا ، اصحاح ٤٤ آية ٣٠ .

G. Ricciotti : op. cit., p. 32. (٤)

(٥) د ابراهيم نصحي : « تاريخ مصر في عصر البطالة » ، ج ٢ ، ص ١٥٦ - ١٥٨ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

R. Weill : Un Document Oraméen de la Moyenne Egypte (٦)
Rev. Et. Juiv. 65, pp. 16-23.

E. Kraeling : Brooklyn Aramic Papyri, new Haven, (٧)
1953, p. 42-47.

G. Ricciotti : Op. cit., p. 128. (٨)

E. Kraeling : Op. cit., p. 23. (٩)

Idem, p. 84. (١٠)

G. Ricciotti : Op. cit., p. 159. (١١)

E. Kraeling : Op. cit., pp. 103-109. (١٢)

Idem., p. 112. (١٣)

Idem, p. 113. (١٤)

Idem, p. 115.	(١٥)
Idem., p. 87.	(١٦)
Idem, p. 222.	(١٧)
Idem., p. 41.	(١٨)
Idem, pp. ٤5-59.	(١٩)
E. Bickerman : Beitrage Zur antiken Urkundgeschichte, Arch. pap. VIII, P. 216-233.	(٢٠)
E. Kraeling : op. cit., p. 52-53.	(٢١)
Idem, p. 84.	(٢٢)
Idem, p. 56.	(٢٣)
Idem, p. 107.	(٢٤)
Idem, p. 92.	(٢٥)

ثانيا : هوامش حادثة الخروج • • والقرضة التاريخية

- (١) س • فرويد : « اليهودية في ضوء التحليل النفسي » ترجمة : عبد المنعم الحنفي - القاهرة ١٩٧٢ •
- (٢) De Wit : The Data and Route of the Exodus, p. 20, 1960.
- (٣) Descroches-Niblecourt : Ramses le grand, p. xxviti-xlv. 1976.
- (٤) لمزيد من التفاصيل ، راجع : « تاريخ مصر القديمة » ، د • رمضان عبده ، ج ٢ ، ص ١٧٥ - ١٨٥ ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٩٣ •
- Rafaël Draie : la Sortie, Paris, 1990. (٥)

يهود مصر في عصر البطالمة

عن دراسته القيمة « اليهود في مصر في عصر البطالمة »

يقول : د. مصطفى كمال عيد العليم

كانت مصر تحت حكم البطالمة من بين الدول الهيلينية التي استوعبت عددا كبيرا من يهود الشتات (١) الذين هاجروا من يهوذا وانتشروا على نطاق واسع في تلك الدول ، وقد أسلفنا أن اليهود كثيرا ما هبطوا مصر في فترات من تاريخها القديم فوجدوا فيها الحياة الرغدة الآمنة التي كانوا ينشدونها ، ولم تكن مصر لتخلو تماما من اليهود في بداية العصر البطلمي ، ومن المرجح أنه كانت لا تزال بها بقايا بعض الجاليات اليهودية من العصر الفارسي (٢) ، وأن هجرة اليهود الجديدة دفعتها وبعثت فيها الحياة من جديد ، وعلى أي حال فإن اليهود انتشروا في شتى أرجاء مصر وقامت لهم بها جاليات منظمة ، كان أبرزها جالية الاسكندرية دون شك ، وقد نقل اليهود الى تلك المدينة - التي أصبحت في وقت وجيز من أهم مدن العالم الهيلينستي - نشاطهم الفكري والاقتصادي مما جعل منها مركزا من أهم مراكز اليهودية حتى أنه كان لا يقل خطورة وأهميه عن اورشليم أو بابل يوم أن كانتا من أهم تلك المراكز في العالم القديم (٣) ، ويكفي أن نذكر أن جالية الاسكندرية أخرجت ليهود العالم المنتشرين في كثير من أنحاء

الترجمة الاغريقية للنوراة ، أو بعبارة أخرى التوراة فى صورتها
الاغريقية ، ومن الاسكندرية انساب اليهود الى كثير من أقطار البحر
الأبيض المتوسط وأصبحوا عنصرا هاما من عناصر سكانه .

ويشير المؤرخ اليهودى « يوسفيا » (٤) (أو يوسفوس)
الى أن الاسكندر عندما كان يحاصر صور ، بعث الى الحبر الأعظم
فى اورشليم يطلب اليه أن يمدد بجند يمينونه على حصارها ، فأبى
عليه الحبر ذلك تعبيرا عن ولائه للملك ديارا الثالث ، وعندئذ ثارت
ثائرة الاسكندر واقسم أنه سيعطى يهود اورشليم ، فى شخص
حبرهم ، درسا لن ينسوه . وعندما تقدم الاسكندر الى اورشليم
بعد استيلائه على غزة أوجس الحبر الأعظم منه خيفة ، ولكن أوحى
اليه أن يتخذ زملاؤه الاحبار ملابس بيضاء وأن يكونوا فى استقبال
الاسكندر خارج المدينة ، وما أن رأى الاسكندر الحبر الأعظم حتى
هرع الى تحيته ، وقد فسر الاسكندر لمرافقيه سبب تصرفه على هذا
النحو الذى أدهشهم ، بأن هذا الحبر تراءى له فى منامه فى مقدونيا
مبشرا بأباه بالنصر على الفرس ! . . . وبعد ذلك ذهب الاسكندر مع
الحبر الأعظم الى هيكل اورشليم حيث قدم القرابين الى رب اليهود ،
وعرض عليه اليهود سفر دانيال الذى تنبأ فيه هذا النبى بأن أحد
الأغارقة سيقضى على امبراطورية الفرس (انظر سفر دانيال ٧ - ٦)
ورحب اليهود بالخدمة فى جيشه عندما عرض عليهم ذلك وأقطع
الجند البباشرين الذين صعدوا الى مصر أرضا فى اقليم طيبة ،
وعهد اليهم كذلك بأعمال الخراطة فى هذا الاقليم . وقد أضاف
اليهود فى العصر الهلنيسى الى سيرة الاسكندر المنسوبة الى
كاليستينيس PS Callisthenes قصة أخرى عن زيارة الاسكندر
اورشليم ، وهى وإن كانت تختلف عن رواية يوسفيا فى التفاصيل
ألا أنها تنتهى الى نفس النهاية .

وإذا قارنا بين ما يرويهِ يوسفيا عن خلعة اليهود في جيش الاسكندر وبين ما يذكره أريانوس (Arrianos) (٥) من أن بعض اليهود انضموا الى جيش الاسكندر وذهبوا معه الى مصر ثم غادروها الى آسيا ، فإن هذا يعنى أنهم جاءوا اليها وخرجوا منها ، ولكنهم لم يستقروا بها .

ينبغي ألا نغول كثيرا على ما ذكره يوسفيا ، اذ أن ذلك لا يعدو أن يكون ضربا من ضروب الدعاية التي حذقها اليهود في العصور الهيلنيسية والرومانية وعملوا على ترويعها دون أى اهتمام بالحقائق التاريخية . وكانت هذه الدعاية تهدف ، بين ما تهدف اليه الى أن تنشر بين الناس أن اليهود كانوا موضع عطف الاسكندر وحبه وأنهم كانوا يقيمون في الاسكندرية منذ اللحظة الأولى التي أنشئت فيها هذه المدينة ، ليتخذ اليهود من هذه المزاعم دعامة قوية يرتكز عليها ما ادعوه لأنفسهم من حقوق وامتيازات كان مصدرها الاسكندر نفسه (٦) .

وكان من بين العبيد الذين جلبهم معه بطليموس الأول الى مصر - بعض اليهود بمحض رغبتهم - بعد أن لمسوا عطف الملك ، الذى أدرك من ناحيته امكانية استخدام اليهود في جيشه ، فنقل أعدادا منهم ومنحهم اقطاعات ليستقروا في مصر كالاغريق والمقدونيين ! ... وكان أن اجتذبت الحياة الجديدة في مصر هجرات يهودية وفدت لتتعم بخبرات البلاد .

وبصفة عامة لم يكن المهاجرون الأوائل الذين أتوا الى مصر في الفترة الأولى من الطبقات الممتازة في « مملكة يهوذا » أو من الطبقات التي كانت قد تأغرقت بشكل واضح ، بل كانوا فلاحين بسطاء وأسرى حرب وجندا مرتزقة وأجراء يعملون في الزراعة

أو رعى الماشية ، وقد عمل الأسرى منهم فى الخدمة العسكرية أو أقطعوا أرضا زراعية كما فعل بطليموس الثالث عندما أنزل فى نواحي الفيوم التى استصلحت حديثا من أسرى اليهود الذين أتى بهم بعد انتهاء حملته فى سوريا . ولا تتوقع لقوم على هذه الشاكلة أن يكون لهم أى نفوذ أو تأثير فى مجريات الأمور فى البلاد . ولذلك فإن هذه الفترة تمتاز بأن اليهود كانوا يعيشون فى هدوء وسلام ولم يحدث شيء من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بينهم وبين جيرانهم من الاغريق أو المصريين - بل أنهم عملوا على اكتساب ثقة البطالمة الذين فتحوا أمامهم أبواب العمل فى الوظائف الحكومية وفى الجيش وفى مختلف المهن والحرف ، وتعتبر هذه الفترة أيضا هامة جدا بالنسبة لتاريخ اليهود فى مصر لأنها كانت بالنسبة لهم فترة استقرار بطيء فى أرض جديدة وفى بيئة غريبة عنهم بعض الشيء ، فنشطوا الى اقامة البيع (المعابد) وتشكيل الجاليات وتوفير البيئة المناسبة لحياتهم طبقا لتعاليم التوراة . وكانت البيع وبصفة خاصة بيعة الاسكندرية (المعبد الكبير) بمثابة المراكز التى يتجمعون حولها ويدبرون منها شئون دينهم ودنياهم ، وإذا تحدثت مضادرا عن معبد لليهود فى مكان ما ، فإن هذا معناه أنه كانت تقوم لليهود فى هذا المكان جالية منظمة ، ونسب الى هذه الفترة ترجمة التوراة الى اللغة الاغريقية . وفى هذا دلالة على أن اللغة الاغريقية حلت محل اللغة العبرية أو الآرامية فى معاملات اليهود (٧) فيما بينهم وفى النفاهم مع جيرانهم بحيث استلغى الأمر ضرورة التعجيل بترجمة التوراة الى اللغة الاغريقية . . . وبإيجاز فقد استمر استقرار اليهود فى مصر البطلمية نحو مائة سنة نعموا فيها بالحماية والازدهار . . الى أن تدخلت الصراعات السياسية و « خياناتهم » المعتادة لتحيل حياتهم الى نوع من الاضطراب وعدم الاستقرار .

ففي سنة ٥٥ ق . م اتخذ تدخل اليهود في شئون مصر مظهرا خطيرا وذلك أنه في تلك السنة اقتحم جايينوس حاكم سوريا الروماني حدود مصر الشرقية ليعيد بطليموس الثاني عشر أوليتس الى عرشه . وبفضل حامية يلزيوم اليهودية التي أفسحت الطريق أمام الجيش الروماني اطاعة لأوامر انتيباتر (والد هيرود الأكبر) استطاع جايينوس أن ينجح في مهمته بكل سهولة . وتغلى اليهود عن برينيكي الرابعة التي كان دعاياها من الاغريق راضين عن حكمها .

وفي سنة ٤٧ ق . م عندما كان يوليوس قيصر محاصرا في الاسكندرية جاءت الى نجدته حملة رومانية كان يقودها مثراداتيس البرجامي - كما يشير د . ابراهيم نصحي (٨) - وقد كان في امكان حامية ليوتنوبوليس اليهودية أن تقف في وجه الجيش الروماني لولا أنه أبرز خطابا في اتنيباتر بأن يئذل يهود مصر المساعدات لهذا القائد . وهكذا للمرة الثانية استطاع جيش روماني الوصول الى الاسكندرية بفضل مساعدة اليهود . وقد كان من الطبيعي أن يحقد الاسكندريون على اليهود والا يغفروا لهم هذه الخيانة المتعمدة في المرتين !! .

ويخبرنا يوسف بعد ذلك بأن كليوباترة السابعة - آخر ملوك البيت البطلمي - عندما قامت بتوزيع القمح على مواطني الاسكندرية في احدى المجاعات التي آلت بها استتبعات اليهود باعتبارهم غير مواطنين وقد حمل عليها يوسف بسبب ذلك . ولا يبعد أن تكون كليوباترة قد لمست بنفسها من الشواهد ما يدل على أن اليهود كانوا يقفون في صف خصومها وعلى كل حال فانهم وقفوا منها مؤقفا سلبيا في صراعها اليائس مع أوكتافيانوس ، ذلك الصراع الذي أنهى حكم البطالمة لمصر (٩) وهكذا خذل اليهود

الاسكندرية للمرة الثالثة ، وكان من الطبيعي أن تشتد روح العداء ضد اليهود وأن تتوتر العلاقات بينهم وبين الاغريق ، وأن تنطوى صدور الاسكندريين على حقد دفين لليهود بسبب تلك الخيانات المتتالية !! .

واذا جاز القول أن نأييد اليهود للجانب الذى تؤيده روما فى الصراع الأسرى فى البيت البطلمى كان بمحض الصدفة فكيف نفسر الخدمة التى أسندوها لقيصر والترحيب الذى استقبلوا به أوكتافيانوس ، قاهر كليوباترة وسليلا البيت الذى طالما أسبغ النعم عليهم ؟ فى رأينا أن الأمر لم يكن صدفة بل ان اليهود ، وقد فطنوا الى أن حكم البطالة آخذ فى الضعف والتدهور وأن الأمر سيؤول فى النهاية الى روما عاجلا أو آجلا ، رأوا مصلحتهم فى المسارعة الى كسب ود حاكم الشرق الجديد . ولا عبرة عندنا بنوايا الرومان وانما العبرة بتلك الخيانة التى ارتكبتها اليهود وهم الذين وكل اليهم البطالة مهمة الدفاع عن الحدود الشرقية !! .

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

كان اليهود أحد العناصر التى شجعها البطالة على الوفود الى مصر ، والاعتماد عليهم لتثبيت دعائم حكمهم ، وليكونوا سندا لهم فى استغلال ثروات البلاد وتنمية مواردها . ولنتتبع جوانب من نشاط اليهود فى مصر البطلمية .

١ - الخدمة فى الجيش والشرطة .

كانت الخدمة فى الجيش من أبرز الأعمال التى مارسها اليهود عقب مجيئهم الى مصر (١٠) ، اذ أن وضعهم كإسرى لم يحل دون استخدام عدد منهم فى حاميات الحدود ، أو إرسالهم فى عهد

بطليموس الأول الى « بزقة » لتقوية قبضته على تلك البلاد ، وقد خدم اليهود في فرق المشاة والفرسان على حد سواء ، ووصل بعضهم الى رتبة الضباط ، ومنهم من تولى مناصب قيادية بالجيش البطلمي مثل « خلكياس » و « أنانياس » .

وتشير بعض المصادر التاريخية الى احتمال أن رئيس الشرطة في « أثريب » كان يهوديا ، ولا تستبعد أن فئة رجال الشرطة الذين كانوا تحت امرته كانت تضم بعض اليهود وتنص إحدى البرديات على أن أحد اليهود كان يعمل شرطيا *Phylakites* في قرية *Hephaistios* (في اقليم الفيوم) وأن يهوديا آخر كان حارسا *Phylax* يقوم بحراسة مخازن الغلال فيلادلفيا (١١) .

وكان لليهود نصيب في أعمال الحراسة على النيل (*Potmophylakia*) وربما كانت هذه المهمة تشمل تحصيل المكوس الجمركية . وفي رأى « فلكن » أن الموظفين الذين يدعون « حراس النهر » كانوا موظفين من قبل الادارة المالية ولا شأن لهم بأعمال الحراسة (١٢) .

مناصب كبرى :

ولم يقتصر نشاط اليهود في خدمة الحكومة البطلمية على النواحي العسكرية والشبيهة بالعسكرية فقد كان منهم بعض كبار رجال البلاط الملكي في العاصمة وكذلك بعض كبار الموظفين في مختلف فروع الادارة الحكومية وخاصة في الادارة المالية .

ومن أمثلة الشخصيات اليهودية البارزة دوسيتيوس *Dositheos* ابن دريمولوس *Drimylos* كان يمثل مكان بارزة في بلاط الملك بطليموس الثالث وبطليموس الرابع ، فقد كان في

عام ٢٤٠ ق.م سكرتيرا للملك ، كما كان هاهنا لـ « الملوك المؤلهين »
الاسكندر وبطليموس الثالث ٠٠٠ ! ٠

ويبرز يهودى آخر يدعى أونياس كان موظفا كبيرا فى الادارة
البطلمية ويرجح أنه كان قائدا Strategos فى اقليم هليوبوليس
وقد سجلت احدى البرديات خطابا رقيقا موجهة اليه من هيروودس
(Herodes) وزير مالية بطليموس السادس فيلومتور الذى عرف
عنه الميل الى اليهود ويستلقت النظر بوجه خاص أن يتحدث الوزير
الى أونياس عن صحة الملك والملكة وأطفالهما ٠٠٠ حتى أن بعض
المؤرخين يذهب الى أنه لم يكن مجرد موظف كبير بل لابد أنه كان
أيضا أحد أفراد البلاط الملكى !

النشاط المالى :

وتبدنا الأوستراكا (١٣) من مصر العليا بمعلومات كثيرة عن
دور اليهود فى الشئون المالية ويلاحظ أن غالبيتها ترجع الى عصر
بطليموس السادس (١٨٠ - ١٤٥ ق.م) وبطلميوس الثامن
يوجتيس (١٤٥ - ١١٦ ق.م) .

وتنبئنا هذه الأوستراكا بأن بعض اليهود كانوا يشغلون
منصب مديرى البنوك Trapezitai اذا كان منهم مدير بنك
(Diospolis Magna) فى طيبة . ومدير بنك فى قفط . كما تنبئنا
بأن بعضهم كان يتولى الاشراف على مخازن التبن achurothekai
ونتبين من هذه الأوستراكا أيضا أن بعض اليهود كانوا يعملون
ملتزمين لجباية بعض الضرائب مثل : ضريبة النقل فى النيل ،
وصيد الأسماك ، وزراعة الكروم والنخيل ، والمراعى ، وصناعة
النعال !

ويرى « تشيريكوفو » (١٤) أن العمل في التزام الضرائب كان يجلب على مزاولية كراهية الأهالي فضلا عن أنه لم يكن عملا مربحا بالقدر الذي كان يفرض اليهود بالاشتغال به نظرا للرقابة الدقيقة التي كانت مفروضة على الملتزمين لأن الدولة كانت لا تسمح لأى فرد بأن يشرى عن طريق غير قانونى . ويفسر هذا المؤرخ السبب الذى حدا بثرة اليهود مثل سيمون بن العازار ، الذى رددت اسمه الاستراكا من طيبة ، الى القيام بهذا العمل بأن ممارسته كانت تتيح للملتزمين اليهود نوعا من النفوذ يديهم من المكانة التى كان الاغريق يتمتعون بها فى المجتمع فى القرى والأقاليم بفضل تلك المناصب الكبرى فى الادارة المحلية التى سبقوا اليهود الى شغلها .

اشتغالهم بالربا :

ولما كنا نقرأ فى بردية من العصر الرومانى ، أن تاجرا اغريقيا حذر زميلا له فى الاسكندرية من اليهود ، ولعله يقصد تحذيره من المرابين اليهود . فانه يبدو بجلاء أن بعض يهود الاسكندرية على الأقل كانوا يعملون مرابين ويجنون أرباحا طائلة من وراء استثمار أموالهم باقراضها بفوائد باهظة لمن كانوا فى حاجة اليها من رجل الأعمال !! .

النشاط الحرفى

يؤكد « جوستر » (١٥) على أن التلمود قد أشار الى وجود ما يمكن أن نسميه بلغة العصر « نقابات مهنية » خاصة بالصناع والحرفيين اليهود فى الاسكندرية . . منها صناعة النسيج ، والنجارة والفخار ، وصناعة النبيذ .

النشاط الزراعى

كان هناك أيضا يهود يعملون فى شئون الزراعة (١٦) .
ويأتى فى مقدمتهم أرباب الاقطاعات من الجند اليهود الذين استوطنوا
ريف مصر وكانوا أبرز العناصر اليهودية فى القرى وأوسعها ثراء ،
وكغيرهم من أرباب الاقطاعات من الأجانب كانوا يجمعون بين صفتهم
العسكرية وبين عملهم فى الزراعة وقد تحولت أقطاعاتهم بمرضى
الزمن الى ملكية خاصة يتوارثها أبناؤهم . وكانوا يقومون باستغلال
أراضيهم بأنفسهم أو يعرضونها للايجار مقابل ايجار ثابت يؤدى
لهم .

والى جانب أرباب الاقطاعات نجد كثيرين من الفلاحين اليهود
العاديين ممن يقومون على زراعة الأرض فى اقليم الفيوم ومصر العليا
اذ أننا نجد فى الفيوم يهودا كان بعضهم يستأجرون أرضا
يزرعونها لحسابهم وبعضهم يعملون لحساب غيرهم بوصفهم اجراء
georgoi ومنهم من عمل كذلك فى تربية وتجارة الماشية .

مما سبق يتضح لنا أن اليهود فى مصر البطلمية كانوا مندمجين
فى المجتمع . . . ومارسوا حياتهم فى حرية تامة فى مختلف المجالات
والأنشطة . . حتى تبوأوا المكانة الثانية بعد الاغريق فى ذلك
العصر .

التنظيم الطائفى والقضاء

سمح البطالمة لليهود بنكوبين جاليات قومية
(politeuma) (١٧) مثل غيرهم من العناصر الأجنبية ونعرف أن
الملك البطلمى كان يصدر مراسيم تنظيم قيام تلك الجماعات وتحديد
عضويتها وحقوق أفرادها حتى نالت الصفة الشرعية التى تمكنها

من مباشرة نشاطها وحياتها القومية . ويمكن أن تتصور أن أهم الحقوق التي حصل اليهود عليها كانت الحق في أن يعيشوا طبقا لشرائعهم المتوارثة وقوانين آبائهم *Tois patrio's nomois chresthai* وبعبارة أخرى قوانين موسى أي أن التوراة كانت القانون الأساسي الذي التزمته الجاليات اليهودية في مصر .

ويشير المؤرخ « سترابون » (١٨) بأنه كان على رأس الجالية اليهودية رئيس *Ethnarches* يباشر سلطات ادارية وقضائية واسعة كما يرجح بعض المؤرخين أن هذه الجالية كانت تضم مجلسا يسمى : *synedrion* على غرار ما عرفتته التنظيمات اليهودية في أروشلليم .

ونخلص الى القول بأن هذه الجالية كانت تباشر اختصاصات قضائية وادارية ومالية ودينية ومن حقها أن تتولى ادارة ممتلكاتها وهذا يعنى أنها اكتسبت الصفة القانونية وأن الدولة قد اعترفت بشخصيتها المعنوية (١٩) ، ويعنى هذا أن اليهود كانوا يتمتعون داخل جالياتهم تلك بقدر كبير من الحرية والاستقلال الذاتى فهل كانوا يطمعون بعد ذلك الى أن تكون لهم حقوق المواطنة في الاسكندرية ؟ .

ولقد أثار المؤرخ « يوسفيا » الجدل بين المؤرخين المحدثين عندما زعم أن اليهود كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة في الاسكندرية . . . !

وهذا الزعم كان يستتبع اما أن يكون اليهود قد خرجوا عن دينهم أو أنهم على الأقل قبلوا أن يشركوا عبادة آلهة المدينة مع عبادة يهوه . ونحن نشك في أن اليهود ساءوا

المتحرر منهم أو المتزمت . كانوا يقبلون التخلي بسهولة عن شريعتهم في مقابل أن يصبحوا مواطنين في المدينة ، ومما يقوى هذا الشك أننا لم نعثر على أية وثيقة من العصر البطلمي ذكر فيها اسم يهودى من الإسكندرية مقرونا باسم حى من أحيائها (٢٠) . ومن الطريف أن كاتب السفر الثالث من كتاب المكابيين ذكر أن بطلميوس الرابع فيلوپاتور عرض على اليهود أن يصبحوا مواطنين في الإسكندرية بشرط قيامهم بعبادة الاله ديونيسوس ولكنهم رفضوا . فسلط عليهم نقمته وفتنهم في دينهم وشاء الرب أن يشوب الملك الى رشده فأذن لليهود أن يقتلوا كل يهودى استجاب للاغراء وصبا عن دينه . لو كان الدين أمرا ثانويا بالنسبة لليهود ولم يروا بأسا في التضحية به في سبيل الحصول على مواطنة الاسكندرية لجاءت قصة اضطهادهم على نحو آخر هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لو كان اليهود يتمتعون بحقوق المواطنة منذ عهد الاسكندر والبطالمة الأوائل لما كان في عرض فيلوپاتور ما يغريهم بترك دينهم . والواقع أن هذا العرض يدل على أنهم كانوا لا يتمتعون بهذه الحقوق وأنهم كانوا يتحرقون شوقا الى الفوز بها !

على أية حال لم يكن نيل حقوق المواطنة في الاسكندرية يمثل أهمية كبيرة لليهود الاسكندرية في العصر البطلمي بعكس الحال في العصر الرومانى (٢١) حيث كانت هذه الحقوق هي السبيل الوحيد لرفع اليهود من الهوة التى انحدروا اليها نتيجة لخضوعهم لضريبة الرأس التى فرضت عليهم ووضعتهم فى نفس المرتبة مع المصريين وأبعدتهم عن الاغريق الذين كانوا فى نظرهم لا يفضلونهم فى شيء . والثابت لدينا أن كتاب العصر الرومانى مثل فيلون ويوسف هم الذين أثاروا الجدل الكثير حول مسألة حقوق المواطنة وحق اليهود فى الحصول عليها ولا تكاد نعثر فى المخطوطات الأدبية فى العصر البطلمي على شيء خاص بهذه الحقوق فى ذلك العصر . وإنما هم

كتاب العصر الروماني الذين أرادوا أن يثبتوا حق يهود عصرهم في التمتع بحقوق المواطنة في الاسكندرية لأنهم اكتسبوا هذا الحق منذ انشاء الاسكندر هذه المدينة . ولذلك لجأ كاتب مثل يوسف الى كل وسيلة ممكنة لاثبات أن اليهود كانوا مواطنين في الاسكندرية مثل الاغريق سواء بسواء !

كذلك انتشر اليهود داخل أقاليم وقرى مصر ، حيث أسسوا البيع أو مراكز العبادة ، وكان لهذه المراكز الدينية دور هام أيضا في حياتهم الاجتماعية هذه التجمعات كانت تتخذ شكل الجاليات وان لم يكن لها اسم « البوليتوما » . . وكان أكثر الأسماء شيوعا التي أطلقت على أماكن العبادة : *proschuche* و *synagoge* الذي يطلق على بعض المعابد اليهودية حتى يومنا هذا .

ويمكننا القول بأن اليهود في مصر كانوا من حبت الوضع القانوني على درجات ، فيهود الاسكندرية انتظموا مثل غيرهم من الاغريق غير المواطنين والأجانب في جالية ولكنهم لم يرقوا الى مرتبة المواطنين ، وسمحت الدولة لبعض جماعات منهم في الريف بتشكيل جاليات من المرجح أنها لم ترق الى مستوى جالية الاسكندرية ، لكن ليس من المستبعد أنها تمتعت بقدر من الحقوق والامتيازات ثم يأتي في المؤخرة اليهود المنتشرون بين جنبات الوادي في اعداد قليلة وكانوا في نفس الوضع الذي كان عليه المصريون .

كذلك تجدر الإشارة الى اهتمام يهود الاسكندرية بنوع من الكتب اليهودية عرفت باسم أبوكروفا (*Apocrypha*) (٢٢) وحرصوا على نقلها الى اللغة الاغريقية ، وكان واضعوها يهدفون الى نقد الأوضاع الظالمة التي يعيش فيها اليهود ، والى اشاعة الأمل في مستقبل أسعد

وقد كان اليهود يآلفون هذا النوع من الأدب عندما كانت
بابل وأشور تهددان بالقضاء عليهم قضاء مبرما ، وما لبثوا أن عادوا
إليه في الشطر الثاني من حكم البطالمة كرد فعل للضغط الذي
أحسوا به والكرهية التي أحاطت بهم عندما أثاروا حقد اغريق
الاسكندرية عليهم .

ومن المرجح أن يهود مصر البطلمية كانوا قبل أسلافهم يهود
الفنتين على قدر كبير من المرونة وأنهم قد تأثروا تأثرا واضحا
بالبيئة المحيطة بهم وأنهم لم يروا بأسا في التخلي عن شريعة موسى
حيث اضطرتهم الظروف الى ذلك حتى لا يقفوا بمعزل عن الحياة
المتدفقة من حولهم . واذا كانت الدولة لم تشأ أن تحرمهم من حق
تطبيق قوانينهم في مسائل الأحوال الشخصية فانهم كثيرا ما كانوا
يفضلون الاحتكام الى القانون الاغريقي . واذا كان اليهود أنفسهم
لم يستمسكوا بشريعتهم ، بمعنى أن تطبيق هذه الشريعة لم يكن
نشأئا حتى بين اليهود ، فاننا نستبعد أنه كان لهذه الشريعة من
الأثر بحيث يتأثر بها المصريون والاغريق في معاملاتهم .

واذا كان هذا الخليط الغير متجانس من اليهود الذين وفدوا
الى مصر البطلمية قد ألفوا بسرعة - البيئة الجديدة - وتحققت لهم
فيها حياة مستقرة (٢٣) ، وحقق البعض منهم حياة رغدة ، وتمكن
البعض الآخر من الوصول الى مكانة مرموقة في البلاط الملكي ،
الا أنهم كانوا على قدر كبير من التفاوت من الناحية الاجتماعية
- سمة كل عصر - واذا كانت البرديات الأرامية قد أشارت الى
سماح البطالمة لهؤلاء اليهود بتشكيل جالية كانت تتمتع بقدر لا بأس
به من الاستقلال المالى والادارى والقضائى (٢٤) ، وخصوصهم بالحى
الرابع من أحياء المدينة ، فمعنى ذلك أن اليهود كان فى امكانهم
مباشرة حياتهم الخاصة دون أى تدخل من جيرانهم أو أى اكراه

من الدولة ، وكان لديهم كل المقومات التى تمكنهم من اقامة مجتمع
يهودى متماسك . . . ونتساءل هل انطوى اليهود على أنفسهم داخل
معابدهم وفى نطاق جالياتهم ، وقصروا اقامتهم على الحى الرابع
ونأوا بأنفسهم عن المجتمع الاغريقى فى المدينة ؟ وماذا كان موقفهم
من الحضارة الهيلينستية وحياة المدينة المتأثرة فى شتى مظاهرها
بتلك الحضارة ؟ وهل كان فى امكانهم تجاهلها وهم يعيشون فى
عاصمتها ويشهدون كل يوم شتى مظاهرها مثل تلك المهرجانات
الوثنية والمواكب الصاخبة التى تخرق شوارع المدينة حاملة صور
ايزيس وسيرايس وديونيسوس ، وأفروديت وأدونيس فتشيع
البهجة وتبعث فى نفوس أهلها المرح الذى لا يعرف التقوى
أو الورع ، وحيث دار العلم والمكتبة التى طبقت شهرتها الأفاق
الزاخرة بروائع التراث الفكرى عند الاغريق . . . واذا كان كثير
من يهود مصر البطلمية أميل الى التشبه بحضارة - الاغريق -
العنصر الغالب فى البيئة التى عاشوا فيها ، فقد كان ذلك فقط
تحقيقا لمآربهم الشخصية ! .

الهوامش

- (١) G. Ricciotti : The History of Israel, Vol II, p. 169, Milwauke 1955.
- (٢) E. Bevan : History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty, p. 3, London 1927.
- (٣) G. Ricciotti : Op. cit., Vol. II, p. 170.
- (٤) R. Marcus : Josephus, Vol VI, App. C. pp. 512-532.
- (٥) J.B. Mahaffy : The Empire of the Ptolemies, p. 85, London, 1895.
- (٦) M. Launey : Recherches Sur les Armées Hellenistiques, Vol. I, p. 542, Paris 1949.
- (٧) Box, Judaism in the Greek period, p. ٤6, Oxford, 1953.
- (٨) د. ابراهيم نصحي : « تاريخ مصر في عصر البطالة » ، ص ١٦٧ القاهرة ، ١٩٦٠ .
- (٩) C.A.H. Vol X : P. Graindor, La Guerre d'Alexandrie, p. 135, le Caire, 1931.
- (١٠) Ps. Aristeeas, 13, Jos. Ant. XIV, p. 99.
- (١١) R. Reinach : La Communauté Juive d'Athribis, R. Et. J. 17 1888, pp. 235-238.
- (١٢) A. Wilcken : Ostraka I : 282-285, Wien 1924.
- (١٣) Bodl. Tait, 233-234 ; C.P. Jud I, 65-69.
- (١٤) V. Tcherikover : The Jews in Egypt, p. 9.
- راجع أيضا : د. ابراهيم نصحي « تاريخ مصر في عصر البطالة » ، ج ٢ ، ص ٦٤٢ — ٦٤٥ .

- J. Juster : les Juifs dans l'Empire Romain p. 378, (10)
Paris, 1914.
- P. Cairo Zen. 59377, C.P. Jud I, 13. (11)
- W. Tarn S. Griffith : Hellenistic Civilisation p. 147. (12)
Loadon, 1952.
- Strabo op. Jos. Ant. XIV, p. 117. (13)
- J. Juster : Op. cit., p. 718. (14)
- V. Chapot : l'Egypte Romaine, p. 264, Paris, 1933. (15)
- R. Taubenschlag : The law of Graeci-Romain Egypt, (16)
p. 9, Warsowa 1955.
- R. Charles : The Apocrypha and Psuedoepigrapha of (17)
the Old Testament, Oxford 1913.
- J. Juster : Op. cit., p. 718. (18)
- Jos. Ant. XII, pp. 125-127. (19)

اليهود في مصر الرومانية

رأينا في الفصل السابق كيف ازدهرت أحوال الطائفة اليهودية في مصر البطلمية - خاصة يهود الاسكندرية - وأنهم عندما شعروا بأفول عصر البطالمة ، وبأن حكم مصر سيصير الى الرومان ، أخذوا يعدون أنفسهم لاستقبال العهد الجديد . . . ورأينا كيف تأزمت العلاقات بين اغريق الاسكندرية واليهود في نهايات العصر البطلمي . . . وقد أشار بعض المؤرخين الى أن الادارة الرومانية قد أدركت مبكرا أنه يمكن استغلال هذا الموقف لصالحها فعملت على بث الفرقة بين الفريقين ليتسنى لها اخضاع الاسكندرية وكبح جماح الاغريق من مواطنيها الذين طالما تمردوا على الحكم البطلمي نفسه ، وأنها تمشيا مع هذه السياسة أثرت إلیهود بكثير من الحقوق والامتيازات في حين أنها لم تعبأ بإجابة الاسكندريين الى مطالبهم لتشعرهم بالمهانة مقابل المكانة الممتازة التي منحت لليهود ! .

ويشير « بيكرمان » Bikermann (١) الى أن الامبراطور أوجستوس « Augustus » قد اعترف بمكانة الاسكندرية المتميزة ، متبعا تقليدا رومانيا يجعل للمدن الاغريقية في الشرق وضعاً خاصاً يميزها عن سائر المدن ، وتمثل هذا الاتجاه في اعفاء المواطنين في المدينة من « ضريبة الرأس » . . .

كما سمح للسكندريين بتكوين مجلس للشيوخ ومزاولة حياتهم السياسية ، أما بالنسبة لليهود ، فكانت سياسته على النحو التالي (٢) : -

— أخضع يهود الاسكندرية ، جميعا لضريبة الرأس يؤدونها كاملة غير منقوصة .

— أقر الامتيازات التي اكتسبتها جالية اليهود في الاسكندرية منذ عصر البطالمة .

— أقر حق اليهود في تطبيق قوانينهم داخل جالياتهم .

— سمح لهم بتشكيل مجلس شيوخ Gerousia .

وعلى أى حال فانه لم يحدث في عصر أوجستوس أى شيء من شأنه أن يعكر على اليهود صفو حياتهم ، وقد مر كذلك عصر خلفه الإمبراطور تيبيريوس بسلام بالرغم من أن هذا الإمبراطور شن حملة اضطهاد عنيفة ضد اليهود في روما (٣) . وفجأة في صيف عام ٣٨ م في عهد الإمبراطور جايوس (كاليجولا) حدثت تلك الفتنة المروعة بين الاغريق واليهود وكانت موضوع عدة كتب وضعها « فيلون » الفيلسوف اليهودي الاسكندري بقي منها كتابان الأول Eis Flakkon والثاني Presbeia pros Gaion وقد أورد في الكتاب الأول تفصيلا دقيقا للفتنة وأحداثها بينما خصص الكتاب الثاني للحديث عن سفارة يهود الاسكندرية الى الإمبراطور جايوس في روما وكان هو نفسه على رأس هذه السفارة .

وفي هذا الجو المتوتر - كما صورده فيلون - وصل الى الاسكندرية ذات ليلة من ليالى صيف عام ٣٨ م أجريبا « (٤) حفيد هيرود الأكبر وقد عرفه الاسكندريون من قبل يهوديا مفلسا

فر من الاسكندرية هربا من دائنيه . ولكن جايوس نصبه ملكا على مملكة صغيرة على حدود يهوذا باسم الملك أجريبا ، ويبدو أن هذا الملك اليهودي كان على علم بمشاعر الاسكندرانيين نحوه ولذلك فانه كان يريد الابحار الى فلسطين عن طريق بلاد الاغريق وسوريا لولا أن الامبراطور أشار عليه بأن يسلك طريق الاسكندرية ولم يشأ أن يعارضه واحناط للأمر بأن نزل المدينة ليلا واستخفى في بيت مضيقة حتى يحين موعد استئناف رحلته الى فلسطين (٥) ولكن ما أن شاع نبأ قدومه في الأوساط اليهودية في المدينة حتى اعتبرت مجيئه في هذا الوقت بالذات دليل العناية الالهية إذ كانوا يعلمون مكانته لدى الامبراطور فبسطوا أمامه قضيتهم وشكوا اليه موقف الحاكم الروماني منهم وأقنعوه بأن يتجول في المدينة محوطا بالحراس حتى يشعروا الاغريق والحاكم بما له من نفوذ وسلطان . بيد أن زعماء الاغريق ثم يدعوا الفرصة تفلت من أيديهم فأوغروا صدر الحاكم على اليهود وأسروا اليه أن هذا الملك اليهودي تجاوز حدوده إذ أحاط نفسه بنفس المظاهر التي ينبغي أن ينفرد بها الحاكم دون غيره . ولم ينهور فلاكوس فيقدم علانية على التعرض للملك اليهودي بما يسيء اليه وآثر أن يبدى له بعض مظاهر الود حتى لا يجلب على نفسه غضب الامبراطور . وفي نفس الوقت صمم الاسكندريون على السخرية من هذا الملك اليهودي المفلس صنيعة الامبراطور فالبسبوسوا أحد الحمقى تاجا من ورق وطافوا به في الشوارع . وإمعانا في السخرية به كانوا يهتفون « مارين ... مارين » وهي كلمة سسورية تعني الملك أو السيد (٦) ، وكان الاسكندريون يدركون تماما أن أجريبا عميل المرابين في مدينتهم لن ينسى سخريتهم منه وأنه سيبلغ الامبراطور أمر تلك الالهانة التي لحقت به . وكانوا يعرفون أن كاليجولا يريد أن يحكم كملك هيلينستي مؤله ينبغي على كافة رعاياه أن يعترفوا بألوهيته وأن

اليهود لا يمكن أن يعتزقوا به ربا . ولذلك عمد الاغريق الى أيقونات Eikonas تحمل صور الامبراطور في المعابد اليهودية .

وفي هذا - كما يقول فيلون - كان الاغريق دهاة بقدر ما كانوا أشرارا ، فقد اتخذوا من الامبراطور ستارا للتنكيل باليهود وقرنوا اسمه بجرمهم لعلهم أن اليهود عندما يقاومون وضع مثل هذه الأيقونات في معابدهم يعدون عصاة وخارجين على طاعة الامبراطور (٧) وقد قاوم اليهود فعلا هذا العمل دون استعمال أسلحة ، لكن تبع ذلك حدوث أعمال العنف وحرق بعض دور عبادتهم وتدمير البعض الآخر . ويتهم فيلون فلاوكوس بأنه لم يفعل شيئا لاييقاف الاغريق عند حدهم وينعى عليه أنه تجاهل عدد اليهود الضخم في مصر وفي الاسكندرية وأنه لم يفتن الى خطورة وضع الأيقونات في بيع اليهود اذ أن في ذلك تحديا واضحا لليهود جميعا وانتهاكا لعاداتهم المتوارثة فكان لا يمكن أن يمر مثل هذا الحادث بسلام ولا سيما أنه اذا سرى خبر تلك الفتنة الى خارج مصر فان الشعوب الأخرى التي يقيم اليهود بين ظهرانيهم ستعتمد بدورها الى انزال أشد الضربات باليهود ، ولم يكتف اغريق الاسكندرية بما فعلوه بل طلبوا الى فلاكوس أن يحدد الوضع القانوني لليهود المدينة فأصدر قراره الذي أعلن فيه أنهم أجانب وغرباء عن المدينة (٨) . وبهذا القرار وجه فلاكوس ضربة قاضية الى حقهم في أن يكون أعضاء في بجالية وكانت هذه العضوية هي الضمان الوحيد لسلامتهم اذا ما تعرضوا لضروب النعمة والعذاب وزاد على ذلك بأن أمر بأن يعاقب اليهود بالطريقة التي كان يعاقب بها المصريون وليس على نحو ما كان يعاقب به اغريق الاسكندرية . وقد فسر اغريق الاسكندرية قراره بأن ليس لليهود الحق في تجاوز الحي الذي كان مخصصا أصلا لاقامتهم فحشروا في هذا الحي الذي ضاق بهم حتى التمسوا المأوى في أكوام القمامة خارج المدينة أو على

الساحل ودمر أكثر من أربعمئة مسكن من مساكن اليهود التي طردوا منها ونهبت متاجرهم وفتشت مساكنهم بحثا عن أسلحة وحرم على اليهود الخروج الى الأسواق (٩) . واستلعى فلاكوس زعماء اليهود للاجتماع به ويبدو أن هذا الاجتماع لم يسفر عن شيء أن بعض أعضاء مجلس الشيوخ اليهودي ارتكبوا أعمالا أوقعتهم تحت طائلة القانون واستلعى فلاكوس زعماء اليهود للاجتماع به ويبدو أن هذا الاجتماع لم يسفر عن شيء ، غير أن بعض أعضاء مجلس الشيوخ اليهودي ارتكبوا أعمالا أوقعتهم تحت طائلة القانون واستحقوا العقاب فجلدوا علنا في مسرح المدينة مما أدى الى وفاة بعضهم واصابة البعض الآخر بالأمراض . وبلغت الفتنة ذروتها يوم ٣١ أغسطس وهو يوم عيد ميلاد الامبراطور اذ اتسمت الأحداث بالعنف الذي بلغ حد القوضى الشاملة واستمتع اغريق الاسكندرية وهم يشاهدون العذاب ينزل باليهود ألوانا ! (١٠) . وفجأة ألقى القبض على فلاكوس بأمر من الامبراطور ورحل من فورهِ تحت حراسة مشددة الى روما حيث أسرع ايسيدوروس ولاميون من زعماء الاغريق ليتهماء بالخيانة العظمى . وقد خصص فيلون حوالى خمس كتابه (Eis Flakkon) للحديث عن المصير الحالك الذى كان ينتظر هذا الحاكم الذى اعتبره لعنة سلطت على بنى قومه ! .

ويبدو أن يهود الاسكندرية لم يخلسوا الى السكينة . . . بالرغم من أن الامبراطور الجديد « كلاوديوس » قد أقر كافة الحقوق والامتيازات التى كانت لليهود قبل سنة ٣٨ . . . فما لبثوا أن أيقظوا الفتنة من جديد بعد أن استقدموا يهودا من داخل مصر ومن سوريا ، فأصدر كلاوديوس أوامره الى حاكم مصر لقمع الفتنة بكل حزم (١١) ، وقد تطلب ذلك تدخل القوات الرومانية فوضعت حدا لسفك الدماء وأعمال العنف . . . وما يدل على عنف هذه الفتنة أن كلاوديوس استعمل كلمة « حرب » Polemos عند الحديث عنها

في رسالته المشهورة التي بعث بها الى الاسكندرية • وتدل مهاجمة اليهود لاغريق الاسكندرية على هذا النحو على أنهم لم ينتظروا النتائج التي قد تسفر عنها مقابلة وفدهم لجايوس قبل أن يلقي مصرعه في منتصف فبراير سنة ٤١ م • بل أعدوا عدتهم للانتقام من اغريق الاسكندرية • لكن الحاكم الروماني هذه المرة كان أكثر حذرا من فلاكوس فلم يسمح للفتنة أن تستشري على نحو ما حدث سنة ٣٨ م •

وما أن هدأت الأحوال حتى بادر كل من الاغريق واليهود الى ارسال وفد عنهم الى روما وكان الهدف الظاهر للبعثتين تهنئة الامبراطور بتوليته عرش الامبراطورية ومحاولة التخلص من تبعة مسئولية الحوادث التي جرت مؤخرا في الاسكندرية •

وبعد مضي نحو ثلاثة عشرة عاما على تلك الأحداث التي وقعت على عهد كلاوديوس انفجر الموقف مرة أخرى في الاسكندرية في عهد خلفه الامبراطور « نيرون » • • وبيان ذلك أنه في ١٦ مايو سنة ٦٦ اندلع لهيب الثورة في اورشليم (١٢) ، نتيجة لصراع بين الطبقات العليا التي انفقت مصالحها مع مصالح روما والطبقات الدنيا من اليهود في يهوذا وتطور الأمر الى الثورة ضد روما نفسها وظهور عدة حركات ارهابية قامت بها جماعات متطرفة كان من أبرزها « عصابة الخنجر » وازاء ذلك عدلت السلطات الرومان في مصر عن الحملة التي كانت تعد للعدة لارسالها الى بلاد النوبة وبادرت بارسال جميع الفرق الرومانية في مصر الى فلسطين فيما عدا الحامية العادية التي كان يعهد اليها بالمحافظة على الأمن في العاصمة • وفي أعقاب ذلك وقع الصدام بين اليهود الاغريق في الاسكندرية ولعله كان انعكاسا للأحداث الجارية في فلسطين • ومصدرا الوحيد عن حوادث الاسكندرية عام ٦٦ م هو

يوسفيا (١٣) ، الذى يحدثنا بأن الفتنة بدأت عندما اجتمع حشد كبير من الاغريق فى الملعب المدرج بالعاصمة للتباحث فى ارسال بعثة الى الامبراطور نيرون . وحدث أن تسلل الى الاجتماع عدد كبير من اليهود ، ما أن رأهم الاغريق حتى صاحوا : « جواسيس . . . أعداء . . . » واندفع الاسكندريون للقبض عليهم ولكن غالبية اليهود تمكنوا من الفرار وأراد الاسكندريون أن يحرقوا منازل أولئك اليهود الذين وقعوا فى أيديهم . وعندئذ سارع جمع حشد من اليهود لنجدة اخوانهم ، وأول الأمر رجموا الاغريق بالحجارة ثم حاولوا اضرار النار فى الملعب مهددين بحرق جميع من فيه من الاغريق . وكاد اليهود أن ينجحوا فى تنفيذ ما هددوا به لولا تدخل ثيبريوس يوليوس اسكندر حاكم مصر اليهودى الصابى الذى حاول أولا أن يرد اليهود الى جادة العقل والصواب حتى لا يضطر الى استخدام القوة ، ولما لم يستجيبوا الى نصحه استعان عليهم بالجند الرومان الذين كانوا فى طريقهم من برقة الى فلسطين كما استعان بالفرقتين العسكريةتين فى نيقوبوليس ، وأباح للجند الرومان نهب متاجر اليهود واستباحة مساكنهم ! .

وثورة اليهود فى عهد « تراجان » تستحق بعض الاهتمام بسبب الطابع الذى تميزت به فقد بدت كحلقة جديدة فى سلسلة الفتن Staseis العادية التى كانت تنشب بين الاغريق (١٤) واليهود الا أنها اتسعت وأضحت صداما مسلحا بين اليهود والرومان ، وفى الاسكندرية ، وخارجها خاضت القوات الرومانية معارك حقيقة ضد اليهود . وقد وصفت البرديات الصدام بين اليهود والرومان بأنه كان حربا Polemos وأطلق عليها يوزيبوس عبارته المشهورة « حرب ليست بالصغيرة » Polmos ou smikos وفضلا عن ذلك رجعت البرديات أصلاء القصص الخيالية التى كان الاغريق يتداولونها عن قسوة المحاربين اليهود وشراستهم ، فقد مر بنا كيف أن أم

أبولونيوس كانت تعتقد مخلصية أن اليهود يشوون أسراهم .
وكشفت بعض البرديات أيضا عن تداير اليهود لتدمير الطرق
والمعابد والمباني الزراعية في ريف مصر . وقياسا على ذلك لابد
من أن ضروب الوحشية التي ارتكبوها في برقة قد ارتكبوها مثلها
في الاسكندرية وخارجها من أنحاء مصر . وإذا كان المؤرخون لم
يقدرُوا عدد ضحايا الفريقين في مصر فأننا نستنتج من عنف القتال
وانتشاره في أكثر من ناحية والهزائم التي ألحقها اليهود أول الأمر
بالرومان والاغريق والمصريين ، أن عددهم كان كبيرا دون شك .
ولئن نزل بأعداء اليهود خسائر فادحة في الأرواح فقد نزل باليهود
مثلها إذ لم ينجوا في آخر الأمر من الانتقام الذي كالت له لهم القوات
الرومانية التي تعقبتهم في كل مكان وأهلكت منهم الكثيرين حتى
ليظن أن مصر أوشكت أن تنقر من اليهود عقب أحداث تلك الثورة .

ويستوقفنا وصف اليهود بالالحاد Anisoi في البرديات
التي تحدثت عن ثورتهم في عصر تراجان . ويلاحظ أن هذا الوصف
يتردد بشكل واضح في الوثائق الرسمية فضلا عن رسائل الأفراد
التي تتناول أحداث هذه الثورة ولعل إطلاق هذا الوصف على اليهود
يرجع إلى تدميرهم لمعابد أعدائهم فقد كان تدمير المعابد ظاهرة واضحة
سواء في برقة أو في مصر .

ومما يجدر بالملاحظة أن اليهود لم يتخلوا عن فكرة « ظهور
واحد منهم يحكم العالم أجمع » ! (١٥) ومن المحتمل أن سيمون
(شمعون) بن جيورا Simon ben Giora ، أحد زعماء ثورة ٦٦ -
٧٠ م ، كان يعتبر نفسه ملكا إذ كان يلبس ملابس الملوك عندما
استسلم للرومان (١٦) ، ولابد من أن لو كاس (لوقا) ملك يهود
برقة كان واحدا من هذا النوع فقد كان يعتبر نفسه منقذ بني
جليلته من حكم الرومان . وقد كان يعمد إلى إثارة الحماس الديني

فى نفوس أتباعه ولذلك كان تدمير المعابد جزءا من حركته . وهكذا فكرة الخلاص هى التى أوحى الى هذا الزعيم اليهودى بالقيام بهذه الثورة التى اختار لها وقتا مناسباً لكن تراجان كان موفقا فى حملته فى الشرق ، ولو أحسن اليهود أعمال رأيهم لربما آثروا عدم القيام بالثورة على الإطلاق . ومع ذلك استمرت فكرة الخلاص تستهوى اليهود وتسيطر على عقولهم فسنرى مخلصا آخر يظهر فى عهد هادريان ويجر الولايات على بنى قومه . ورب متساءل يقول ولم لم تكن فلسطين مهدا لهذه الحركة التى تستهدف تخليص اليهود ؟ لعل السبب هو أن التفرقة بين يهود فلسطين ويهود الشتات كانت قد زالت منذ تدمير الهيكل واخضاع يهود الامبراطور جميعا لضريبة اليهود . وربما اختيرت برقة عن عمد لبعثها عن مراكز تجمع الجيوش الرومانية التى كانت تحارب تحت قيادة تراجان ضد البارثيين . ومع هذا لا نستبعد أن يكون ابتداء قيام الثورة فى برقة بالذات كان من باب الصدفة وأن ذلك يستتبع اعتبارها شيئا أكثر من صدام عادى مع اليهود هناك على نحو ما كان يحدث فى مصر من مصادمات لا تتعدى المجال المحلى ، ولكن ظهور هذا المخلص لوكواس كان السبب فى ازدياد النار اشتعالا . وقد أعمت فكرة الخلاص اليهود عن تقدير الموقف حق قدرة وعن أنهم يحاربون قوى تفوقهم فى كل شئ ، فسيطر على عقولهم شئ واحد وهو أنهم « جند الرب الذى سيقودهم الى النصر ويعيدهم الى هيسكل أورشليم » ! . فاندفعوا مسلوبي الارادة الى قبرص وإلى مصر يقتلون ويدمرون ويبطشون بالاغريق والرومان وأهل قبرص وأهل مصر لا يفرقون بين جنس وجنس ولعلمهم بتدميرهم معابد الوثنيين كانوا ينتقمون لما لحق بهيكلهم من دمار على أيدي الرومان ! .

. ولم يكن عهد الامبراطور « هادريان » بصفة عامة عهد خير وبركة لليهود فقد شهدت بدايته اخماد ثورتهم الكبرى (١٧) .

وصدر الأمر بإبطال عادة الختان عند اليهود ، وقرب نهايته قامت في فلسطين سنة ١٣٢ م ثورة عاتية تزعمها مخلص آخر هو سيمون بار (بن) كوخفا أو بار (بن كوزيفا) وذلك عندما أمر الامبراطور بأن تشيد مستعمرة رومانية محل اورشليم وتحمل اسم (Colonia Aelia Capitolina) (١٨) وأن يقام لجوبتير معبد محل الهيكل . وقد بذل الامبراطور مجهودا ضخما حتى استطاع اخماد الثورة سنة ١٣٥ م وبعد ذلك حظر على اليهود أن تطأ أقدامهم الأرض المحيطة بأورشليم ! ، فيما عدا اليوم التاسع من شهر آب (أغسطس) في ذكرى ذلك اليوم الذي دمرت فيه أورشليم . ومن المرجح انه حدثت في مصر بعض القلاقل ولكنها لم تكن ذات أهمية تذكر . وعلى كل حال لم نعد نسمع عن اليهود كعنصر يتسبب وجوده في اثارة الفتنة الا في عام ٤٢٥ م حين قام كيرلس kyrillos أسقف الاسكندرية على رأس جماعة من المسيحيين باحتلال جميع معابد اليهود وطردهم من المدينة !! (١٩) .

المهن والحرف

الخدمة في الجيش والاسطول والشرطة :

كانت خدمة اليهود في الجيش البطلمي من أهم الأعمال التي أسهم بها اليهود في خدمة الملك البطلمي وحكومته . لكن بعد دخول الرومان مصر آلت كل المسئوليات العسكرية الى الجيش الروماني ، وسرح الجيش البطلمي بكافة تشكيلاته مما يجعلنا نرجح اختفاء جيش أونياس في ليونتوبوليس ، باعتبار أنه كان متصلا اتصالا معيناً بالجيش البطلمي . غير أن المؤرخ الفرنسي جوستيه (J. Juster) (٢٠١) يرجح أن اليهود خدموا في الجيش الروماني ، ويستدل على ذلك بأن المؤرخ اليهودي يوسف ذكر أن الحكومة

الرومانية سمحت لليهود بالاستمرار في عملهم في حراسة النهر (Fluminis custodia) ، وبأنه لم يكن في وسع أغسطس تسريح الجند اليهود نظرا لضخامة عددهم ولأن الكثيرين منهم كانوا من أرباب الاقطاعات العسكرية ، ولو أنه أقدم على ذلك فعلا لوقعت اضطرابات كثيرة في البلاد وفي رأيه أن اليهود استمروا في خدمة الجيش الروماني حتى استبعدهم الامبراطور تراجان ثم الامبراطور هادريان بعد ثورتهم الكبرى ١١٥ - ١١٧ م . لكنهم - في رأيه - ما لبثوا أن عادوا الى الخدمة العسكرية في مستهل القرن الثالث الميلادي ودليله على ذلك قائمة بأسماء جند رومان كانوا يعسكرون في أوكسيريكتور (البهنسا) ويحمل بعضهم أسماء سامية عادية ، ويقطع بأن أحدهم وهو باريوخوس (Barichius) كان يهوديا (٢١) .

وعلى النقيض من رأى هذا المؤرخ ينفي « تشيريكوفر » (٢٢) نفيا باتا أن اليهود كانوا يخدمون في الجيش الروماني ويفند رأى « جوستيه » . بأن عمل اليهود في حراسة النهر لم يكن عملا عسكريا وأن يوسف وهو يتحدث عن يهود الاسكندرية لم يخطر بباله مهام الحامية اليهودية التي كانت مكلفة بأعمال الحراسة والدفاع عن الفرع البلوزي في أواخر عصر البطالمة ، وإنما كان يدور بخلاله خدمة اليهود في أعمال الحراسة في النيل وهي المعروفة باسم (٢٣) Potamophylakia ، وأن عمل اليهود كان مقصورا على جباية المكوس الجمركية ويرجع أن الحكومة الرومانية عهدت بهذه المهمة الى الموظف المعروف باسم مدير الضرائب الجمركية (Arabarches) ونعرف أن هذا الموظف كان مختصا بجباية المكوس الجمركية على السلع الشرقية القادمة من موانئ البحر الأحمر الى موانئ البحر الأبيض مارة بالصحراء الشرقية فقط . ونعرف كذلك أن هذا الموظف كان في الوقت نفسه هو اثنارخيس اليهودي في

الاسكندرية • ويرى أن هذا الفرض تفسير للطريقة التي أبرز بها يوسف أهمية قيام اليهود بهذا العمل ! •

وقد يعين على توضيح مسألة خدمة اليهود في الجيش الرومانى الالتماس الذى رفعه فى سنة ٤٣ ق • م الحبر الأعظم هيركانوس الثانى الى دولابلا (Dolabeila) حاكم ولاية آسيا يطلب فيه اعفاء اليهود من الخدمة العسكرية لأنهم لا يستطيعون أن يطعموا من طعام الجند الرومان ولا أن يقاتلوا فى أيام السبت • وقد أكد ذلك دولابلا فى القرار الذى أصدره باعفاء اليهود من الخدمة العسكرية بآسيا بقوله « أن الجندي اليهودى لا ينبغي له السير الى القتال يوم السبت » (٢٤) وهذا يتماشى مع تعاليم الربانيين من أن اليهودى لا يستطيع أن يبعد عن مدينته أو قريته أكثر من ألفى خطوة فى يوم السبت ومع ذلك لم يحل هذا كله بين اليهود • والخدمة فى الجيش البطلمى • ولذلك فأننا نميل الى الاعتقاد بأن الحكومة الرومانية كانت لا ترحب كثيرا بخدمة اليهود فى جيشها فى مصر نظرا لتلك الاضطرابات التى اجتاحت البلاد وكان اليهود سببا فيها • وفى خدمة الشرطة يصادفنا اسم حارس يهودى هو « يعقوب Jacob ابن أخيلليوس Achilleos » فى قائمة تضم أسماء عدد من الخفراء والحراس كانوا يقومون فى أواخر القرن الثالث الميلادى بأعمال الحراسة فى أوكسير نخوس •

ويحتمل أن يكون بعض اليهود قد عملوا فى حراسة الموانى Hormo Phylakia عند أسوان •

الخدمة فى الحكومة :

إذا كان اليهود قد باشروا نشاطا ملحوظا فى خدمة الحكومة البطلمية وكان منهم بعض كبار الموظفين وكثير من ملتزمى الضرائب وجباتها فقد باشروا نشاطا مماثلا فى خدمة الحكومة الرومانية •

كان بين وظائف الادارة المالية التي شغلها اليهود وظيفة مدير الضرائب الجمركية *arabarcēs* أو *alabarcēs* كما يكتبها يوسف (٢٥) الذي يحددنا عن اثنين من أبرز شخصيات الجالية اليهودية بالاسكندرية ممن شغلوا هذه الوظيفة وقد كان كل منهما في الوقت نفسه يشغل وظيفة اثنارخيس للجالية اليهودية الاسكندرية . وهو والد شخصيتين هامتين هما تيبيريوس يوليوس الاسكندر اليهودي الصابي حاكم مصر من قبل الرومان ، والآخر هو ماركوس أحد كبار رجال الأعمال اليهود في الاسكندرية . والاراباخيس الثاني هو ديمتريوس صهر أجريبا الأول الملك اليهودي (٢٦) . وكان اختصاص هذا المنصب الاشراف على تحصيل المكوس الجمركية على السلع الشرقية في الطرق المؤدية من وادي النيل الى موانئ البحر الأحمر مثل ميوس هرموس وبرينيكي عبر الصحراء الشرقية وقد زاد من أهمية هذه الوظيفة أن شاغلها كان في الوقت نفسه حاكما لمنطقة طيبة (٢٧) ولا جدال في أن الإدارة الرومانية كانت تهتم بأن يكون الطريق الى البحر الأحمر آمنا ولذلك عهدت بإدارة المنطقة التي تخترقها طرق التجارة الى موظف واحد .

وفيما عدا وظيفة مدير الضرائب الجمركية لا نعثر في مصادرنا على شواهد تشير الى أن بعض اليهود شغلوا مناصب حكومية كبيرة أخرى ولا نستطيع أن نقيس على حالة تيبيريوس يوليوس اسكندر الذي شغل عدة مناصب هامة في الجيش والادارة حتى وصل الى منصب الحاكم العام لمصر وذلك لأنه كان يهوديا صابئا ، ولولا ذلك لما تأتي له الفوز بهذه المكانة السامية (Praefectus) .

النشاط الاقتصادي :

يشير المؤرخ « فيلون » الى جوانب من حياة اليهود الاقتصادية في صدر العصر الروماني . وقله ذكر في كتابه (In Flaccum) (٢٨) في معرض حديثه عن فتنة ٣٨ م أنه نتيجة لهذه الحوادث خسر اليهود محالهم (ergatiria) وأن توقفهم عن العمل كان أفدح من الخسائر التي لاحقتهم نتيجة لأعمال النهب التي قام بها اغريق الاسكندرية اذ فقد أصحاب رؤوس الأموال Hoi Poristai مستودعاتهم Enthekeas وحرم كل شخص سواء أكان مزارعا Georgos أو من أصحاب السفن Naukleros أو تاجرا Emporos أو صانعا Technitos من مباشرة عمله .

وتأتى طبقة أصحاب رؤوس الأموال (Hoi Poristai) في المقدمة ويسدو أن أفراد تلك الطائفة لم يستثمروا أموالهم في التجارة فحسب بل أيضا في نواح شتى كان من أبرزها اقراضها مقابل فوائد للتجار أو لغيرهم على نحو ما فعل اسكندر ليسياخوس عندما أقرض الملك أجريبا الأول اليهودي . وربما لم يكن أجريبا عميلة الوحيد . ولعل اشتغال اليهود باقراض الأموال هو الذى أثار ضدهم ذلك الشعور بالكراهية المشوبة بالحدر الذى نلمسه فى ذلك التحذير الذى وجهه تاجر اغريقى الى صديق له مقيم فى الاسكندرية سنة ٤٠ م حتى لا يتعامل مع اليهود ولعل المقصود هنا النص على تحذيره من التعامل مع المرابين اليهود .

وقد لعبت الطائفة الثانية Hoi naukleroi دورا هاما فى النشاط الاقتصادي فى الاسكندرية . وخاصة فى التجارة البحرية ونقل القمح الى ايطاليا . وكان القمح المصرى كما نعلم أحد مصادر (Annona) الرئيسية للإمبراطورية . وكان يقوم الى جانب هؤلاء

فى داخل البلاد طائفة من اليهود يعملون فى نقل القمح الى الاسكندرية كما سنرى فيما بعد .

أما الطائفة الثالثة Hoi Emporoi فكانت تضم طائفة من التجار العاديين الذين كانوا يعملون فى تجارة التجزئة .

وكانت الطائفة الرابعة (Hoi Technitai) تضم طائفة من الصناع . وقد سبق التحدث عن هذه الطائفة فى العصر البطلمى من واقع ما ذكره فيلون وما جاء فى التلمود عن صناع الاسكندرية . وقد جاء فى التلمود أن جموع الصناع كانوا يجلسون فى البيعة حسب مهنتهم مثل العاملين فى صناعة المعادن والصائغين والنساج والنجارين والحدادين ، وأن أى يهودى يريد العمل فى مهنة معينة كان يتعين عليه الاتصال بالنقابات المهنية اليهودية . واهتمام التلمود بهذه الطائفة من الصناع يدل على أهمية الدور الذى لعبته فى الحياة الاجتماعية لليهود الاسكندرية ، ولم يكن فى استطاعة هذه الطائفة من الصناع الانضمام الى النقابات المهنية العامة فى الاسكندرية وذلك لأن هذه النقابات كانت تقوم على أسس دينية ومن المرجح أن طائفة الصناع اليهود كانت تجمع بين العمل فى حرفة معينة وبين التجارة فى السلع التى كانوا يضعونها فى حوانيتهم .

.....

أما الطائفة الخامسة (Hoi Georgoi) فأغلب الظن انها كانت تتألف من المزارعين الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة فى الريف المجاور للاسكندرية . وينقلون الى العاصمة فى سفنهم الصغيرة منتجات أراضيهم . وقد ذكر فيلون أن الاغريق هاجموا فأحرقوا سفنهم وأغرقوا سلعهم .

والى جانب هذه الطوائف اليهودية كان يوجد كثير من الفقراء العاملين فى مهن متواضعة (٢٩) .

الوضع الدستورى للطائفة

سبقنا الاشارة الى أن الامبراطور « أوجستوس » قد أقر ليهود الاسكندرية بكافة الامتيازات والحقوق التى اكتسبوها فى عصر البطالمة ٠٠٠ ويحدثنا « سترابون » (٣٠) الذى زار الاسكندرية على عهد أوجستوس ، عن الطائفة اليهودية وتنظيمها الداخلى ٠٠٠ فيقول أنه « كان على رأسها الاثنارخيس Ethnarches كان يحكم الشعب Ethnaos اليهودى ويباشر اختصاصات قضائية وادارية واسعة كما لو كان أرخونا فى مدينة حرة ويمدنا كل من فيلون ويوسف ببعض المعلومات الهامة عن التنظيم الداخلى للجالية اليهودية فى الاسكندرية غير تلك التى نستمدّها من استرابون ، فيروى فيلون أنه فى عهد الحاكم الرومانى أكويلا Aquila فى عام ١١ م . توفى رئيس الجالية وكان يطلق عليه اسم جنارخيس Genarches فبعث أغسطس بتعليماته الى ماجيوس ماكسيمىوس Magius Maximius الحاكم الرومانى الجديد بأن يقيم لليهود مجلسا للمسنين أو الشيوخ Gerousia ويضيف يوسفيا الى ذلك أن كلاوديوس أرسل خطابا الى حاكم مصر فى عام ٤٢ م ذكر فيه أن لم يمنع اليهود من أن يكون لهم اثنارخيس بعد وفاة الاثنارخيس السابق على عهد أكويلا . ويذكر يوسفيا أيضا أن مجلس الشيوخ اليهودى ظل قائما حتى عصره (أى فى عصر فسباسيان) وأنه كان على رأس الجالية جماعة من الرؤساء عرفوا باسم رؤساء الشيوخ Hoi proteuntes Gerousias (٣١) .

أما عن مجلس الشيوخ فإنه لم ترد فى مصادرنا معلومات تفصيلية عن عدد أعضائه ، لكننا نرجح أنهم كانوا واحدا وسبعين

عضوا وذلك قياسا على عدد أعضاء مجلس Synedrion (٣٢) في فلسطين . واستنادا الى رأى القائل بأن الجالية بأكملها كانت مشكلة على نسق النظام المعمول به في اورشليم .

والى جانب الاثنارخيس مجلس الشيوخ كان يوجد عدد من الأراخنة أو الحكام كانوا يشغلون بعض المناصب الخاصة كما كانت توجد أيضا طائفة من الرؤساء كانوا يعرفون باسم أراخنة السيناجوج (Arhisynagogoi) (٣٣) . وفلك كشفت إحدى الوثائق البردية عن وجود دار لحفظ السجلات والوثائق الخاصة باليهود كانت تعرف باسم دار أرشيف اليهود (Arheion ton Loudaion) .

ومما تقدم يتضح أن الجالية اليهودية كانت تتمتع بكثير من مظاهر الحكم الذاتى وأنها بلغت قدرا كبيرا من التنظيم وأفادت بشكل واضح من الامتيازات التى منحت لها فى العصر البطلمى . وعندما جاء العصر الرومانى ازدادت تماسكا وتنظيما وأفادت من اعتراف القانون الرومانى بقيام هذا النوع من الجاليات أو الاتحادات وسماحه لها بعقد الاجتماعات الخاصة بأفرادها فضلا عن أنه كفل للجالية الحرية والحماية ورفع الشكاوى الى الامبراطور دفعا لظلم أو التماسا لمنفعة . وقد اعتبرت الادارة الرومانية الدين مسألة خاصة بمعنقية لا تتدخل فى الشئون المتصلة به وذلك تحقيقا لمبدأ التسامح الدينى الذين دوجت عليه الامبراطورية الرومانية .

وهكذا نرى أن الطائفة التى شكلها اليهود فى الاسكندرية فى العصر البطلمى استمرت قائمة كذلك فى العصر الرومانى ، مستمدة كيائها من استمساكها بدينها ووفرة عددها ونشاطها الاقتصادى . وقد كان فى استطاعة هذه الطائفة أن تظل بمنأى عن تدخل السلطات الرومانية اذا ما راعت الحدود التى ينبغى أن

تقف عندها . واذا كان اليهود في العصر البطلمي قد قنعوا بالحقوق والامتيازات التي ترتبت على عضويتهم لهذه الجالية دون أن يفوزوا بحقوق المواطنة في الاسكندرية فهل استمر وضعهم كذلك في العصر الروماني ؟

وزعم يوسفيا أن يهود الاسكندرية في العصر الروماني كانوا مواطنين كاملين وأنهم كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة منذ بداية العصر البطلمي ، ان لم يكن الاسكندر نفسه هو الذي منحهم هذه الحقوق . وأجهد هذا المؤرخ اليهودي نفسه لاثبات صحة دعواه . وكان « أبيون » أحد أعداء اليهود يسخر بدوره من هذه الدعوى ويدلل على زيفها (٣٤) . ولما كان يوسف قد عني بالرد على أبيون فان هذا يوحى بأن مسألة تمتع اليهود بحقوق المواطنة في الاسكندرية قد انعكست آثارها في كتابات المؤرخين المحدثين الذين تصلوا لبحث الوضع المدني لليهود في الاسكندرية فانقسم هؤلاء المؤرخون بدورهم الى فريقين فريق يقول بتمتع اليهود بحقوق المواطنة في الاسكندرية وفريق ينكر عليهم ذلك ! .

يشير بعض المؤرخين الى وثيقة هامة أعانت على تفهم الوضع القانوني لليهود الاسكندرية « بردية لندن رقم ١٩١٢ » التي تتضمن الخطاب الذي بعث به الامبراطور كلاوديوس الى الاسكندرية سنة ٤١ م : بعد إستماعه الى الوفد الاسكندري والوفد اليهودي أثر تجدد الاضطرابات في ذلك العام . وقد تناول هذا الخطاب مسائل شتى سبق أن عرضنا الى جانب منها وفيما يلي ما جاء في هذا الخطاب خاصا باليهود (٣٥) : -

« : . ولهذا أناشد ، للمرة الثانية الاسكندرانيين من ناحية أن يبدوا روح التسامح والود لليهود الذين عاشوا في المدينة نفسها

منذ سنوات طويلة ، وألا يعتدوا عليهم أثناء قيامهم بطقوس عبادتهم التقليدية ، وأن يدعوهم يمارسون عاداتهم كما كانوا يفعلون أيام المؤله أغسطس ، والتي أقررتها بعد سماع أقوال الطرفين .

وأناشد اليهود من ناحية أخرى ألا يتطلعوا الى أكثر مما حصلوا عليه حتى الآن ، وألا يرسلوا بعد اليوم بعثتين كما لو كانوا يعيشون في مدينتين ، فذلك أمر لم يحدث أبدا من قبل وألا يقحموا أنفسهم في مباريات النوادي وتدريبات الشباب ، بل عليهم أن ينتفعوا بما في حوزتهم ، ويتمتعوا في مدينة ليست بمدينتهم En Allotria Polei بوفرة من الخيرات كافة » .

وأهم النقاط التي نعنيها في هذا المقام من أمر هذا الخطاب هي : -

أولا : أن كلاوديوس حث اليهود على أن يقنعوا بما لديهم من امتيازات ولعله كان يقصد تلك الامتيازات التي كانت جاليتهم تتمتع بها من حيث أنها كانت تكفل لها الحرية الدينية النامة وقدرا لا بأس به من الاستقلال على نحو ما رأينا .

ثانيا : أن الامبراطور حظر على اليهود بكل صراحة وحزم الاشتراك في نشاط الجمنازيوم ومبارياته وهذه كما نعرف كانت جزءا لا يتجزأ من التعليم في الجمنازيوم ومعنى ذلك أنه لا يعترف لهم بأى حق بأن يكونوا أعضاء في منظمات الشباب وبالتالي ليس لهم حق الانتساب الى هيئة المواطنين .

ثالثا : ناشد الامبراطور اليهود ألا يطالبوا بمزيد من الامتيازات في مدينة لم تكن مدينتهم ، وهو في هذا يتفق كل الاتفاق مع قول فلاكوس أن اليهود أجانب وغرباء وفي هذا دليل

قاطع على أن اليهود أجانب وغرباء (Xenoi Kai Epeleudai) كانوا يملكون حق الإقامة في المدينة (Origo) دون أن يكون لهم حق الاندماج في هيئة مواطنيها ، واعتراف الرومان بالجمالية اليهودية لم يترتب عليه أكثر من حق اليهود في الإقامة الدائمة في المدينة وممارسة حقوق معينة في نطاق هذه الجمالية .

وبذلك يكون الامبراطور كلاوديوس قد أوضح وضع اليهود القانوني بأنهم يشكلون جمالية تعترف الدولة رسمياً بتكوينها وبما اكتسبته هذه الجمالية من امتيازات محددة لكنه أوضح في الوقت نفسه أنهم ليسوا مواطنين بل دليل أنه حظر عليهم الاشتراك في مباريات الجمنازيوم . وقد مر بنا مدى حرص الإدارة الرومانية على تحرى الدقة في اثبات أسماء المواطنين في سجلات الشباب وبالتالي في قوائم الجمنازيوم ، وإذا جاز لأعداء اليهود أن يصروا على اعتبارهم أجانب عن المدينة فانه ما كان يجوز لامبراطور في مثل فطنة كلاوديوس ودقته أن يلقي الكلام على عواهنه ويضيفهم على هذا النحو الا اذا كانوا رسمياً كذلك . وقد رأى من الحكمة افهام اليهود ادراكه حقيقة وضعهم في المدينة بعبارات واضحة لا لبس فيها ! .

والواقع أن الوثائق القانونية القليلة المتعلقة باليهود في العصر الروماني لم توضح الا النزر اليسير من التصرفات القانونية لليهود في الاسكندرية وخارجها (٣٦) ، وان كانت قد أطلعتنا على أن بعض اليهود في الاسكندرية كانوا يسجلون عقود زواجهم وطلاقهم أمام المكتب القانوني الذي كان يديره رجل اغريقي وأنهم كانوا يسجلون لديه أيضاً بعض الاتفاقات المالية من قروض وغيرها سواء أكانت معقودة فيما بينهم أو مع غير يهود .

وفي ضوء دراسة الأوضاع القانونية عند اليهود في
مستعمراتهم في الفنتين في القرن الخامس ق.م وفي مصر على عهد
البطالة نستطيع القول بأن اليهود في العصر الروماني لم يحجموا
عن التعامل مع جيرانهم من غير اليهود بل أنهم خضعوا في معظم
هذه المعاملات للقواعد التي رسمتها التقاليد القانونية عند الاغريق
والرومان دون أن يأخذوا في اعتبارهم أن بعض هذه القواعد
لا تتفق مع شرائعهم ومبادئ دينهم !

الحياة الاجتماعية

كان اليهود في العصر البطلمي ، بالرغم من تأثيرهم الواضح
بالبيئة المحيطة بهم ومن رغبتهم الشديدة في مسايرتها ، يؤلفون
مجتمعا منفصلا بفضل احتفاظهم بوجه عام بتقاليدهم ومراعاتهم
لتعاليم شريعتهم ، إلا حيث اضطرتهم ضرورات الحياة الى مسايرة
اتجاهات المجتمع المحيط بهم اذ كانوا لا يترددون في التخلي عن
تلك التقاليد والتعاليم أو جعلها في المقام الثاني من الأهمية اذا
تضاربت مع مصالحهم

وقد فقدوا تبعاً لذلك بعض المظاهر التي كانت تميزهم عن
غيرهم اذ اكتسبت بعض عناصرهم في الاسكندرية مسحة اغريقية
تمثلت في اصطناع اللغة الاغريقية واتخاذ الأسماء الاغريقية وارتداء
الزى الاغريقي (٣٧) ، وكيف تأثر كذلك بعض يهود الريف بالبيئة
المصرية فكانوا يتحدثون باللغة المصرية ويستخدمون الأسماء
المصرية . وبالرغم من كل ذلك ظل يهود الاسكندرية مثل ما ظل
يهود الريف في جوهرهم يهوداً لم تجرفهم البيئة التي يعيشون
فيها . فالى أي مدى تأثرت الطائفة اليهودية بالظروف الجديدة
التي سادت مصر في العصر الروماني ؟ ...

قدر « فيلون » عدد يهود الاسكندرية بنحو ٢٠٠ ألف نسمة ،
وقد ازداد عددهم حتى أنهم شغلوا حين من أحياء المدينة ، بعد
أن كان لهم حي واحد في العصر البطلمي ، وانتشرت معابدهم في
أكثر من حي من أحياء المدينة .

والى جانب ما كان يتمتع به اليهود في المدينة من أمن وطمأنينة
في الفترة السابقة لحوادث سنة ٣٨ م أطلق لهم الرومان الحرية
الدينية الكاملة واستمرت بيعتهم الكبرى قائمة (٣٨) . وقد ظفروا
من التلمود بوصف لها يفهم منه أنها بلغت من الاتساع حدا كان
لا بد معه من استخدام نظام الاشارات حتى يتسنى للمصلين متابعة
شعائر الصلاة . وكانت هذه البيعة الكبيرة المركز الذي يتجمع
حوله يهود المدينة ، فقد كانت تتيح لهم حياة دينية تمكنهم من
تدارس التوراة واقامة الصلوات في الوقت الذي لا تطلب منهم
الدولة أداء أى التزام نحو العبادات المحلية أو المشاركة في العبادة
الرسمية للدولة . وقد أوضحنا من قبل مدى الجزع الذي أصاب
جالية يهود الاسكندرية عندما استباح الاغريق بيعتهم وأصروا على
وضع تمثيل الامبراطور فيها ، وذكرنا أن ذلك التصرف لم يكن
مشروعا نظرا لتعارضه مع الامتيازات التي منحت لليهود وجرى
الاباطرة على احترامها ولذلك لم يتردد كلاوديوس في اعادة الأمور
الى نصابها فأكد من جديد حق اليهود في التمتع بالحرية الدينية
الكاملة :

وقد دأب يهود الاسكندرية على مراعاة تقاليدهم وعاداتهم
واحترام أيام السبت وسأهم أن يتدخل فلاكوس في ابطال الاحتفال
بذلك اليوم وقد أورد فيلون نص خطبته يظن أنها لفلاكوس جاء
فيها (٣٩) : « اذا ما حدث هجوم فجائي على مصر أو فاض النيل
أو شب حريق ، أو هبت عاصفة ، أو حاق بالبلاد مجاعة ، أو طاعون

أو اذا زلزلت الأرض زلزالها أو حدث أى شىء من هذا القبيل فى يوم سبت هل تلتزمون مساكنكم هادئين لا تحركون مساكننا ؟ أم تتجولون فى الشوارع طبقا لعاداتكم ، وفد خبأتكم أيديكم فى ملابسكم حتى لا تضطروا الى مد يد العون لأولئك الذين يقومون بعمليات الانقاذ ، أو تظلون فى بيعكم ، تقرأون كتبكم المقدسة ، أم هل تشاركون فى انقاذ آبائكم وأبنائكم وأموالكم وكل ما هو عزيز عليكم ، . . ولم تحل السلطات الرومانية دون اليهود والاحتفال بأعيادهم ذلك الاحتفال الذى اعتادوا اقامته كل عام بمناسبة اتمام الترجمة السبعينية للتوراة فى جزيرة فاروس . واحترمت الدولة مشاعرهم الدينية فلم تجبرهم على المساهمة فى الأعياد الوثنية أو الأعياد الامبراطورية (٤٠) ولم تعترض على حجهم الى اورشليم ولا ارسالهم الهبات والأموال الى الهيكل قبل تدميره عام ٧٠ م ولم يكن فى استطاعة اليهود مراعاة لتقاليدهم أن يطعموا على موائد الوثنيين اذا حرموا على أنفسهم أنواعا معينة من الأطعمة مما أثار فى نفوس الاغريق نوعا من الدهشة مصحوبا بالسخرية حتى أنهم ساقوا نساء اليهود الى المسرح أثناء فتنة سنة ٣٨ م وحملوهن على أكل لحم الخنزير باعتبار ذلك غاية ما يمكن أن يوقعوه باليهود من ارهاب وتعذيب (٤١) ! .

وثمة ناحية أخرى متصلة بالدين كان لها أثرها فى أن اليهود انحوا فى حياتهم ناحية خاصة بهم وقد تمثل ذلك فى ابتعادهم عن المنظمات والنقابات المهنية التى كانت تنتظم العاملين فى المهن والصناعات وذلك لأن الدين كان عنصرا أساسيا فى تشكيل هذه النقابات فقد كانت تقوم على أساس عبادة يشترك فيها أعضاؤها . ومن ثم لم يكن فى استطاعة اليهود الى تكوين نقابات خاصة بهم مثل نقابة العاملين فى نقل القمح الى روما (Navicularii) وكانت نقابة منفصلة تماما عن النقابة العامة للمدينة وكانت واحدة من

الاتحادات المهنية اليهودية الصرفة التي لم تعترف لها الدولة بشخصية معنوية (٤٢) ، وإذا كان اليهود بفضل سياسة التسامح الدينى التى درجت عليها الامبراطورية الرومانية قد استطاعوا أن يهيئوا لأنفسهم حياة دينية بعيدة عن تدخل جيرانهم أو تدخل السلطات الرومانية ، فإنهم تمكنوا كذلك من أن يهيئوا لأنفسهم حياة سياسية خاصة بهم فى ظل جاليثهم التى كانت تتمتع بقدر من الاستقلال الاجتماعى والقضائى .

وهكذا استطاعت الطائفة اليهودية أن تحقق لأفرادها كيانا اجتماعيا خاصا بهم . بيد أن هذه الطائفة لم ترق الى نفس المستوى الذى كان عليه الرومان أو الاغريق وذلك لخضوع اليهود لضريبة الرأس المهيمنة التى نزلت بهم من الناحية القانونية الى مصاف المصريين مما حدا بفلاكوس الى وصفهم بأنهم أجانب وغرباء عن الاسكندرية .

لم يكن فى استطاعة اليهود الافلات من عمليات الاحصاء المقرنة بضريبتى الرأس واليهود .

وكانت عملية الاحصاء فى حد ذاتها عملية مذلة مهينة تبرزهم كعنصر غريب عن المدينة بالفعل . وكان من المحتمل أن يترتب على وضعهم السياسى المهنى استسلامهم الى اليأس واعتزالهم المجتمع الاسكندرى غير أنه من دراستنا الحياة اليهود الاقتصادية ومختلف أوجه نشاطهم وجدنا أن نشاطهم قد زاد فى العصر الرومانى نتيجة للسياسة الاقتصادية التى اتبعتها روما فى مصر وأتاحت الفرصة أمام استغلال رأس المال الخاص .

ويمكننا أن نقسم المجتمع اليهودى بالاسكندرية الى طائفتين :

أولا : الطائفة الأولى وتضم أثرياء اليهود من أرباب الفئات الخمس التى أشرنا اليها ، وكانت هذه الطائفة تضم دون شك أعضاء مجلس الشيوخ والاثنارخيس وطائفة الزعماء (Hoi Gnoromoi) الذى وسطهم تيبيريوس يوليوس اسكندر « حاكم مصر اليهودى الصابىء لدى زملائهم يهود المدينة الثائرين لوقف القتال سنة ٦٦ م .

ثانيا : الطائفة الثانية وتضم عامة اليهود من الفقراء والعاملين فى المهن المتواضعة .

ونجاح الطائفة الأولى فى ميدان النشاط الاقتصادى يدل بجلاء على أن فكرة الانطواء على أنفسهم فى جالياتهم لم يكن أمرا مقبولا ولا مستساغا لديهم وعلى أنهم استطاعوا التوفيق بشكل واضح بين مطالب حياتهم الخاصة كما رسمتها لهم شريعتهم وبين مقتضيات الحياة النابضة من حولهم ولعل احساسهم بأنهم يبعدون عن الكيان السياسى للمدينة ومحرومون من الانتماء الى الطبقات الممتازة هو الذى دفعهم الى احراز هذا النجاح ليفوزوا فى الناحية الاقتصادية بما يعيضمهم عما افتقدوه من الناحية السياسية .

وهناك حقائق معينة يمكن أن نستعين بها فى توضيح العلاقة بين المجتمعين الاسكندري واليهودى (٤٣) : -

أولا : بالرغم من ميل بعض يهود الاسكندرية الى التحرر ، فانهم لم يتخلوا عن دينهم وتعاليم شريعتهم ولا يمكن اعتبار الأسر التى انحرفت عن اليهودية أو صبا بعض أفرادها دليلا على خضوع

جميع اليهود خضوعاً تاماً للمؤثرات الوثنية المحيطة بهم . فقد ظلت البيع نشطة في المدينة واستمرت الحفلات تقام كل عام بمناسبة اتمام الترجمة السبعينية للتوراة بل وظهر بين اليهود مذهب يهودى جديد هو مذهب المنتطسين الذى أشرنا اليه .

ثانياً : بقى فيلون ، وهو الفيلسوف المتحرر ، متأثراً بتعاليم دينه فهو عند حديثه عن المرأة اليهودية المحموده السيرة يقول إنه كان عليها أن تصرف الشطر الأعظم من يومها فى البيت ولا تختلط بالناس فى الأسواق وان تختار أهلاً ساعة فى اليوم لتذهب الى البيعة لنؤدى فرائض الصلاة ، وقد أبدى فيلون استنكاره لاقتحام الجند مخادع النساء بحثاً عن الأسلحة أثناء فتنة سنة ٣٨ م . ولكنه وهو الحريص على أن تلتزم المرأة تعاليم الشريعة ، ولا ينزعج عندما سلبت القوانين الرومانية من المرأة أهليتها القانونية . وهكذا نرى فى دعوة فيلون الجمع بين أتباع أرقى آداب السلوك فى المجتمع الاغريقى وبين أداء شعائر الدين اليهودى واحترام القوانين التى فرضتها الدولة .

ثالثاً : استمر اليهود فى العصر الرومانى مستمسكين بعادات معينة مثل اعراضهم عن أكل لحم الخنزير والاصرار على الختان الى حد أن فيلون تصدى للدفاع عن تلك العادة دفاعاً قوياً ، وأقام الدليل على فوائدها الصحية . ولم تشأ الدولة الرومانية أن تتدخل لابطال هذه العادة واعتبرتها امتيازاً خاصاً باليهود ، وذلك باستثناء تلك الفترة التى أمر فيها هادريان بتحريم اجراء عملية الختان فقد أعاد الامبراطور أنطونينوس بيوس لليهود امتيازهم القديم .

رابعاً : لا نستطيع أن ننصوّر أن اليهود كانوا يشركون الاغريق وغيرهم بالاحتفال بأعياد المدينة الدينية والمهرجانات والمواكب

التي تقام من حين الى حين واذا كان لا يسبغ من المتحررين من اليهود أو بعضهم كانوا يقبلون على مشاهدتها فان من المستبعد انهم كانوا يشاركون فيها مشاركة فعلية .

خامسا : كان لليهود مقابر خاصة بهم وذلك منذ بداية اقامتهم في المدينة .

سادسا : اعتداد اليهود بجنسهم ودينهم واعتقادهم ان يهوه هو ربهم خالصا لهم من دون العالمين وأنه تبعاً لذلك يصعب على الشعوب الأخرى أن تصل اليه وأنهم باعتبارهم شعب الله المختار أرفع منزلة من هذه الشعوب التي تعبد أرباباً متفرقة لا تسلموا الى مرتبة يهوه . وتنص تعاليم الربانيين أن الدين والجنس عنصران متلازمان لا يمكن الفصل بينهما ومن ثم لا يمكن أن يحدث تقارب بين الدين اليهودي والأديان الوثنية وقد وصف يوسف تيبيريوس يوليوس اسكندر حين صبا مرتد عن دين آبائه وأجداده ، وكان الأبحار معلمو الشريعة (التنايم - Teanaim) يرددون في صلواتهم أن جهنم مثوى الصابئين والمرتدين عن دينهم خالدين فيها **بدا !!** .

سابعا : كان الاغريق ، فيما يبدو ، يرون أن اليهود يحملون أوزار جنسهم ودينهم معا فقد اهتمت الدعاية ضد اليهود بإبراز المجتمع اليهودي في صورة مجتمع منعزل ومنفصل عن حياة المدنية .

ومعنى هذا أن اغريق الاسكندرية في العصر الروماني كانوا يعتبرون اليهود فعلا عنصرا غريبا ليس على شاكلتهم (٤٤) . واذا أضفنا الى ذلك ما كان هؤلاء الاغريق يكتونه لليهود من حقد لمؤازرتهم

للرومان فاننا نتبين بوضوح أن الاغريق كانوا ينفرون من اليهود ويضيقون بهم ذرعا في مدينتهم . فضلا عن ذلك فقد أسلفنا أن اليهود وصفوا في وثائق أعمال شهداء الاسكندرية بأنهم قوم غير متحضرين وأنه بسبب ذلك طالب الاغريق بحرمانهم من الالتحاق بالجمنازيوم وأن الامبراطور كلاوديوس أجاب الاسكندريين الى مطلبهم عندما حظر على اليهود المشاركة في الألعاب التي ينظمها الجمنازيوم والالتحاق بمنظمات الشباب ، وحرمان اليهود من هاتين المنطمتين يعنى اقصاءهم عن المجتمع الاغريقى السكندرى ودمغهم بعدم الأهلية للاندماج فى هذا المجتمع والقضاء على كل محاولة كانوا يبذلونها فى سبيل التقريب الى جيرانهم ومن ثم يعتبر ردا غير مباشر على محاولة فيلون التقريب بين ثقافة قومه وثقافة الاسكندرية ولعل فلاكوس عندما وصف اليهود فى قراره بأنهم غرباء وأجانب يقيمون فى المدينة لم يصور كيانهم السياسى ووضعهم القانونى فحسب بل صور كذلك نظرة المجتمع السكندرى اليهم وبالإضافة الى ذلك كان الاغريق يصفون اليهود بأنهم كفره ملحدون (٤٥) (Anosioi) مما يدل على احساس الاغريق العميق بأن دين اليهود دين أجنبى وقد بدأ هذا واضحا فى تنديدهم بالامبراطور تراجان لأنه بدلا من أن يناصر الاغريق الذين تربطهم به الصلات والروابط الدينية للتشابه بين دين الاغريق ودين الرومان ، كان يناصر اليهود الملحدين .

وجملة القول أن الاغريق كانوا يعتبرون اليهود غرباء فى الجنس والحضارة والدين ويرفضون ادماجهم فى مجتمعهم .

واذا كان يهود الاسكندرية بصفة عامة أخذوا بمظاهر الحضارة الاغريقية وكانت فئة قليلة منهم قد ذهبت فى ذلك الى أبعد مدى فارتدت عن دينها وقبلها المجتمع الاغريقى فى صفوفه ،

فان اليهود عامة ، المنحررين منهم والمتزمتين ، احتفظوا بدينهم وعاداتهم بدرجات متقاربة ولا سيما أن المجتمع الاغريقى أوصد دونهم منتدياته وأن الحكومة الرومانية اعتبرتهم غرباء عن المدينة ، فتابعوا حياتهم فى طائفتهم ومجتمعهم اليهودى .

واذا كانت هذه هى حالة المجتمع اليهودى فى الاسكندرية ، فماذا كان وضعهم الاجتماعى داخل البلاد ؟ .

أسلفنا أن المجتمع اليهودى فى غير الاسكندرية كان ينقسم فى العصر البطلمى الى عدة طبقات .

اولا : طبقة تضم كبار الموظفين وكبار ملتزمى الضرائب وجباتها وأرباب الاقطاعات من الضباط والجند .

ثانيا : طبقة تضم الأجراء والرعاة وأصحاب المهن الحرة .

ثالثا : طبقة تضم العاملين فى المهن المتواضعة ويلحق بهذه الطبقة العبيد والعبيد المحررون .

أما فى العصر الرومانى فقد تضاءلت الطبقة الأولى بعد أن قل اعتماد الادارة الرومانية على خدمات الموظفين وملتزمى الضرائب وجباتها من اليهود وبقيت الطبقات الأخرى تباشر حياتها التى اعتادتها من قبل . ونستطيع فى ضوء دراستنا للحياة الاقتصادية لليهود فى هذا العصر أن تقسم المجتمع اليهودى الى عدة فئات : -

اولا : ملاك الأرض وهذه طبقة تطورت عن طبقة أرباب الاقطاعات فى العصر البطلمى بعد أن تحولت اقطاعاتهم الى ملكية خاصة .

ثانيا : أصحاب المهن الحرة مثل المشتغلين بالتجارة وأعمال النقل فى النيل ومن موانئ البحر الأحمر واليهما .

ثالثا : العاملون فى المهن المتواضعة والعبيد الذين أعتقوا من الرق ونالوا حريتهم .

وماذا كان اذن نوع الحياة التى يحياها يهود الأقاليم ؟
تستطيع أن تتصور أن طبقة أثرياء اليهود حاولت أن تعيش على نمط أثرياء الاغريق فى عواصم الأقلية اذ كانوا على شساكلتهم يمتلكون الأراضى الزراعية أو يزاولون شتى أنواع النشاط الاقتصادى التى كانت تدر عليهم ربحا وفيرا وربما تابع فريق من اليهود ما بدأوه فى العصر البطلمى من تقليد حياة الاغريق وان كان الموقف قد تغير تغيرا محسوسا فى العصر الرومانى لأن دخول الجمنازيوم قصر عندئذ على الاغريق وأصبح الجمنازيوم مؤسسة تخضع خضوعا مباشرا لاشراف الادارة الرومانية . وكانت هذه الادارة شديدة الحرص فى تطبيق الأوامر الخاصة بدخول الجمنازيوم ، ولذلك أصبح من المتعذر على أى يهودى الحاق ابنه بالجمنازيوم ليصطبغ بالصبغة الاغريقية التى تمكنه من أن يبدو مثل الاغريق فى شكله ومظهره فيكتسب احتراما خاصا فى المجتمع فى عاصمة الاقليم واذا كان اغلاق الجمنازيوم فى وجه اليهود قد حرّمهم من الاندماج فى الوسط الاغريقى والحصول على أرفع أنواع الثقافة الاغريقية فانهم دون شك لم يعدوا وسيلة للفوز بقسط من التعليم الاغريقى على أيدي مدرسين خصوصيين سواء من الاغريق أو اليهود المتأغرقين (٤٦) .

واذا كان يهود الاسكندرية قد استطاعوا بفضل جالياتهم أن يحيوا حياتهم الخاصة وبؤدوا طقوس عبادتهم فى يسر وأمن وسلام ،

فإن يهود الريف كانوا أيضا ينتظمون في جاليات تتجمع حول بيعهم الكثيرة المنتشرة في أنحاء متفرقة من الوجهين البحري والقبلي وتوفر لهم كل مقومات حياتهم ، فلا عجب أنهم كانوا يستمسكون بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وفي بعض المدن كان اليهود يقيمون في أحياء خاصة إذ تشير مصادرنا إلى حي اليهود في أوكسيريڤنخوس ، وقد سبقت الإشارة إلى أنه كان لليهود حي خاص بهم في مدينة ادفو هو الحي الرابع فيها ، ولما كان هذا الحي محاطا بسور ومنفصلا عن بقية الأحياء الأخرى ، فإنه يمكن اعتباره (جيتو - Ghetto) (٤٧) لو صرح أنه فرض على يهود ادفو ألا يقيموا إلا فيه أثناء فتن العصر الروماني ما جعل اليهود يلجأون إلى الإقامة في الحي الرابع واحاطة الحي بسيج و ذلك لأنهم كانوا في العصر البطلمي يقيمون في كل أحياء المدينة دون التقييد بحي معين .

بعد أن تتبعنا تاريخ اليهود وأوضاعهم الاقتصادية القانونية والاجتماعية منذ أواخر العصر الفرعوني حتى العصر الروماني أي منذ أن عاشوا في مصر كأقلية عنصرية متميزة ذات شخصية واضحة المعالم ، وعرفنا أنهم برغم معيشتهم في وسط غريب عنهم وفي ظل حكومات أجنبية ليست على دينهم قد حافظوا إلى حد ما على مقومات حياتهم الخاصة .

وبفضل التسامح الديني الذي ساد العصور القديمة استطاع اليهود أن يباشروا شعائر دينهم في حرية تامة دون أي تدخل من الدولة أو من جيرانهم . ويلاحظ أن معابدهم وبيعهم لم تدمر أو تغلق الا عقب اضطرابات سياسية كان اليهود أنفسهم في كثير من الأحيان سببها !

ومع احتفاظ اليهود بجوهر حياتهم ، دفعهم التكالب على أمور الدنيا وتحقيق المنافع المادية إلى مجاراة البيئة التي يشارون فيها نشاطهم فتركت فيهم كل من البيئة الاغريقية والبيئة المصرية آثارا واضحة المعالم .

وقد تبينا من دراسة مهن اليهود وحرفهم ومختلف نواحي نشاطهم الاقتصادي أنهم ألفوا سريعا الظروف الجديدة التي كان عليهم أن يعيشوا بمقتضاها واندفعوا يحققون نجاحا ماديا ملحوظا يعرضهم عما كانوا يفتقرون اليه من المكانة السياسية والاجتماعية ١٠٠

ومن خلال هذه الدراسة ، لعلنا لمسنا تشابها بين العوامل التي أدت إلى معاداة اليهود في العصرين الهيلينستي والروماني وتلك التي أدت إلى مناصبتهم العداء في العصور الحديثة . ولذلك لعلنا لا نسرف في الرأي إذا اعتبرنا أن مسئولية النكبات التي كانت تجل باليهود إنما تقع عليهم بسبب سلوكهم وصفاتهم التي تاصلت فيهم ولازمتهم طول عصور التاريخ ١١

الهوامش

- Bikeimann : Une Question d'Authenticité des Privileges (١)
 Juifs, An. de l'inst. de Phil. a l'Hist. Orien. T. XIII.
 p. 396.
- J. Milne : A History of Egypt under the Roman Rule (٢)
 p. 3, London, 1924.
- Suetonius : Tiberius XXXVI. (٣)
- Ricciotti : History of Israel, Vol. II, p. 382. (٤)
- Philo, in Flacc. 25-28. (٥)
- Idem. 29. (٦)
- Abdullatif A. Ali : The Conflict between Caligula and (٧)
 Judaea, Ann. Fac. Arts, Vol II, 1953, p. 107.
- Philo, in Flacc. 54. (٨)
- Idem. 55-72. (٩)
- Idem. 78-80. (١٠)
- J. Milne : Op. Cit., p. 19. (١١)
- Ricciotti : op. cit., p. 393. (١٢)
- J. Lesquier : l'Armée Romaine d'Egypte d'Auguste à (١٣)
 Diocletien, p. 21, 1918.
- PRUM. III 26-71. (١٤)
- C. P. Jud. I p. 90. (١٥)
- C. P. Jud. I, p. 92. (١٦)
- U. Wilken : Antisemitismus, p. 815. (١٧)

- Dio Cassius : Roman History Lxix, 12-14. (١٨)
- U. Wilcken : Op. cit., p. 820. (١٩)
- J. Juster : Op. cit, p. 273. (٢٠)
- Idem. p. 274. (٢١)
- V. Tcherikover : Op. cit., p. 29. (٢٢)
- O. Theb. 36, 93 — C.P. Jud. I. p. 53. (٢٣)
- J. Juster : Op. cit., p. 146. (٢٤)
- W.O. I, II, 302. (٢٥)
- Jos. Ant. 18, 160, 259. (٢٦)
- E. Schürer : Geschicht Des Jüdischen, p. 50. Leipzig 1909. (٢٧)
- Philo, in Flacc. 35-37. (٢٨)
- BGU. 1896 - C.P. Jud. III 489. (٢٩)
- Strabo : Jos. Ant. XIV p. 117. (٣٠)
- Jos. Bel Jud. VII. p. 412. (٣١)
- Ricciatti : Op. cit. p. 179. (٣٢)
- Idem, p. 181. (٣٣)
- Jos. C.A.P. 2 p. 38. (٣٤)
- Jos. Ant., XIX, p. 282. (٣٥)
- راجع ايضا : عبد اللطيف احمد على « مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء
اوتاق البردي » ، من ١٠٣ - القاهرة ١٩٦٠ .
- J. Juster : Op. cit., p. 496. (٣٦)
- Jos. B.J. 2, p. 385. (٣٧)
- J. Juster : Op. cit., p. 358. (٣٨)
- Philo De Somnis, 123. cf. J. Juster : Op. cit., p. 355. (٣٩)
- J. Juster. : Op. cit., p. 359. (٤٠)

- Philo, Legatio, 45. (٤١)
- J. Juster Op. cit., p. 486. (٤٢)
- E. Barker : From Alexander to Constantine, p. 133-134, (٤٣)
Oxford 1956.
- J. Juster : Op. cit., p. 480. (٤٤)
- Philo, in Flacc. 26-29. (٤٥)
- L. Fuchs : Die Juden in Aegyptens, p. 69, Wien 1924. (٤٦)
- G. Manteuffel : Fouilles Franco-Polonaises, Rapports Tell (٤٧)
Edfou, Vol I, p. 145-146, Vol. III. p. 336-345.

يهود مصر الاسلامية

عقب الفتح الاسلامى لمصر ، ازدادت الهجرات اليهودية اليها نتيجة تحسن أوضاعهم الاجتماعية ، فقد صار اليهود « أهل ذمة » بعد أن كانوا أقلية منبوذة تحت الحكم البيزنطى ، وخلال القرون الثلاثة التى أعقبت الفتح الاسلامى توافدت هجرات يهودية متعددة من شرق العالم الاسلامى لتستقر فى منطقة حوض البحر المتوسط ، واستوطن معظمهم مصر ، فجو الحرية والتسامح الذى أتاحتها « دار الاسلام » على رحابتها ، وفر لليهود فرصا هائلة - لم يسبق لها مثيل - للمشاركة فى النشاط الاقتصادى المزدهر فى العالم الاسلامى .

وتشير المصادر التاريخية الى أن يهود مصر لم يعيشوا فى « جيتو » مثلما كان حال أقرانهم فى أوروبا الكاثوليكية طوال العصور الوسطى ، فالمجتمع المصرى الاسلامى لم يعزلهم باعتبارهم - أقلية منبوذة - ومارس يهود مصر أنماطا متعددة فى مجالات النشاط التجارى والادارى وفى التعليم والطب والمال والمهن الحرفية ، باختصار شديد مارس يهود مصر الاسلامية نشاطهم بدءا من الوزارة حتى أصغر المهن التى عرفها المجتمع المصرى .

وقد اعتمد الاسلام فى نظامه السياسى الأخذ بالمبدأ الشرقى القديم الذى يعتبر القانون شخصا ، أكثر منه اقليما (١) ، وعليه

فقد أتاح للأقليات الدينية ، مثل اليهود نوعا من الحكم الذاتى تمارس فى نطاقه شرائعها المتبعة ، فقد بقى التشريع والقضاء والشعائر الدينية والعادات والتعليم والمساعدات الاجتماعية ، من صلاحيات هذه الأقليات ، وكانت السلطة الإسلامية تصدر مرسومات لتعيين زعماء الطائفة ، الذين انتخبتهم الطائفة نفسها ، فى مناصبهم ، وقد أكدت هذه المرسومات من جديد الحقوق الإدارية والدينية التى بلورتها وأقرتها التقاليد المتوارثة فى حياة الطائفة اليهودية .

ونكاد لا نعرف شيئا عن نمط التنظيم الطائفى اليهودى خلال الفترة الممتدة بين الفتح العربى والقرن العاشر ، ولكننا ، من ناحية أخرى ، نجد سيلا من المعلومات التى أخذت تتدفق علينا مع بداية العهد الفاطمى فبفضل اكتشاف جنيزة القاهرة أصبحنا على معرفة تامة بأسلوب النظام الداخلى لحكم اليهود الذاتى فى مصر (٢) ، خلال القرون ١٠ - ١٣ م ، مما يفوق معلوماتنا عن أية جالية يهودية أخرى خلال تلك الفترة .

سلطة « العيشيفى » ومنصب « النجيد » رئيس اليهود فى مصر

يذكر المؤرخ اليهودى المصرى يوسف بن اسحاق السميرى ، فى القرن السابع عشر (٣) ، ان الفاطميين سرعان ما استحدثوا فى مصر سلطة مركزية مسنقلة على اليهود ، وهى منصب « النجيد » حيث يقول :

« فى سنة ٣٦٣ للهجرة » (٩٧٣ - ٩٧٤ م) تسلم الخلافة ببغداد الخليفة الطائع ، فزوج ابنته بسلطان مصر الذى كان يسمى « عصر الدولة » ووصلت الملكة الى مصر سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ -

٩٧٧ م) فسألت ان كان ليهود مصر سلطان أو أمير كما هو الحال في بابل (أي بغداد) عاصمة الخلافة العباسية . . فأخبرها السلطان بأن اليهود ليس لهم ملك أو أمير ، فلذلك قالت : ان لهم في مملكة أبي رئيسا (ناسي) يسمى الداودي لأنه من نسل داود (أي رأس الجالوت) فأبعث في طلب شخص من تلك الأسرة يأتي الى مصر ، فسر السلطان بذلك وبعث برسائل مع السعاة الى بغداد . . فبعثوا اليه بفلان الحبر العالم والحكيم من أسرة « الناسي » بالعاصمة ، فوضعه سلطان مصر في أرض مصر ومنذ ذلك الوقت وجد منصب : « النجيد » في مصر جيلا بعد جيل .

ورغم الأخبار الغريبة التي وردت في رواية السميري ، والتي اشتملت أيضا على وصف رأس الجالوت في العراق ، وهو ما اقتبس حرفيا تقريبا عن الرحالة بنيامين التطيلي ، فان معظم الباحثين يعتقدون باعتماد رواية السميري هذه على عنصر تاريخي حقيقي . ويعزز من هذا الاعتقاد ورود هذه الرواية مرة أخرى في رد كتبه الحبر داود بن أبي زمره كبير حاخامي القاهرة في القرن السادس عشر (٤) ، فضلا عن هذا ، فان هذا الاعتقاد يقوم على أساس منطقي أيضا ، ومفاده أن الفاطميين كانوا متلهفين على استحداث مؤسسة مستقلة لزعامة يهود مصر ، وذلك بغية ابطال ولاء هؤلاء اليهود لرأس الجالوت الذي كان يعينه خصومهم العباسيون في بغداد .

الا ان هذا التفسير للحقائق التاريخية لم يعد ممكنا - كما يشير البروفيسور « مارك كوهن » (٥) . . وذلك لأننا لم نعثر بين العدد الهائل من وثائق الجنيزة الخاصة بمطلع الحكم الفاطمي ، على شهادة واحدة تشير الى وجود « النجيد » في مصر ، وقيام

أي منصب رفيع. آخر عهد إليه بالسلطة العليا لإدارة اليهود في
العصر الفاطمي، بل إن وثائق الجيزة تثبت، أن الفاطميين في
أول عهدهم قد اعترفوا برئيس المعهد الديني في فلسطين رئيسا
على يهود دولتهم .

أضف إلى ذلك أن متطلبات الإدارة في الدولة الفاطمية قد
سأهت بدورها، فيما يبدو، في رفع شأن رئيس المعهد
الفلسطيني . فقد تطلع الخليفة الفاطمي، بعد قيام دولته المستقلة
في مصر وفلسطين، إلى ممارسة صلاحيات الخليفة، بما فيها العادة
التي جرى عليها العباسيون في تنصيب شخصيات مرموقة من غير
المسلمين، ومن ذوي النفوذ على طوائفهم ومعابدهم وكان من
الطبيعي أن يقع اختيار الخليفة، عند بحثه في نطاق دولته عن
سلطة تماثل سلطة رؤساء المعاهد ورؤس الجالوت ببغداد، على
رئيس معهد أورشليم بالذات، ولما كانت صلاحية إقامة المحاكم
الدينية، وتعيين القضاة الشرعيين ذوي السلطة القانونية على معظم
النواحي الداخلية للطائفة، هي العنصر الأساسي في الحكم الذاتي
الذي منحه الإسلام لغير المسلمين، فقد كان انتخاب رئيس معهد
أورشليم لهذا الغرض طبيعيا وضروريا في آن معا، لقد كان من
حقه وحده تعيين القضاة الشرعيين، كما كان ممثلا للسلطة القضائية
العليا في الطائفة اليهودية، وبناء على ذلك قام الفاطميون، بعد
دخولهم مصر بفترة وجيزة بتعيين رئيس معهد أورشليم رئيسا على
اليهود في الدولة الفاطمية، ونحن هنا لا نأخذ بالرأي القائل
بأن الفاطميين أقدموا على هذه الخطوة بغية ثني مواطنيهم اليهود
عن ولائهم لرؤس الجالوت ببغداد العباسية، وذلك بهدف تفسير
مسألة استحداث منصب « النجيد » فقد أقدم الفاطميون على ذلك،
في الواقع، رغبة منهم في ضمان مطالبتهم السياسية بالخلافة
وليس لتخوفهم من ولاء اليهود في دولتهم للزعامة اليهودية في

العراق ، واذا كان تعيينهم لرئيس معهد فلسطين قد عزز مكانة المعهد الفلسطيني فعلا بين يهود مصر ، فقد كان ذلك نتيجة عرضيه وليس هدفا خططت له السياسة الفاطمية سلفا .

وعلى الرغم من دور الفاطميين الكبير فى تحديد شخصية الرجل الذى تزعم اليهود فى دولتهم (٦) ، فان تحديد مضمون هذه الزعامة كان يتم ، الى حد بعيد ، من قبل العناصر اليهودية الداخلية وليس من قبل الفاطميين ، فقد أكد مرسوم تعيين الجءون (رئيس المعهد) حقوقا نأصلت فى تقاليد الطائفة اليهودية ، فقد أسندت اليه السلطة الدينية العليا وحق تفسير التوراة فى الخطبة الدينية ، كما كان رئيس المعهد هو المشرف على شؤون الزواج والطلاق (٧) ، وعلى سلوك اليهود الدينى والأخلاقى ، بما فى ذلك تصرفاتهم ازاء المسلمين ، ومن حقه أيضا فرض الحرمان (الحريم) وتعيين أو اقالة الخطباء الدينيين والحزانين (أئمة الصلاة فى المعبد) والجزارين الشرعيين ، وتحديد صلاحيات القضاة الشرعيين ومراقبة أعمالهم وأعمال القيمين على المحاكم الشرعية ، وكان يكنى « رئيس المثيبة » ، كما كان قراره فى أمور الدين والادارة نافذا لا رجعة فيه ، وأخيرا فان رئيس المعهد كان يستطيع تفويض صلاحياته لكل من يصطفيه محليا أو فى أى مكان من الدولة .

وكان الفاطميون يدعمون منصب رئيس المعهد بدفع هبة مالية للمعهد (٨) ، على النحو الذى اتبعوه مع المؤسسات الدينية النصرانية ، بيد أن هذه الهبة المالية توقفت حين شرع الحكم بأمر الله ، فى عشرينات القرن الحادى عشر ، بالتضييق على أهل الذمة !

ويبدو أن التراخى فى الروابط التى شددت يهود مصر الى معهد أورشليم كاد يؤدى الى شكل جديد من الاستقلال الطائفى

ليهود مصر ، وذلك فى العقود الأخيرة من القرن العاشر والرابع الأول من القرن الحادى عشر ، فقد أخذ فى هذا الوقت حاخامان تلقيا علومهما الدينية فى العراق يطبقان فى مصر أعرافا كادت تززع تماما سلطة المعهد الفلسطينى على اليهود فى الدولة الفاطمية .

وكان أول هذين الحاخامين شمريا بن الحنان ، وهو أحد « الأسرى الأربعة » الذين يعزو اليهم ابراهيم بن داود مؤلف « سيفر هقبلاه » (٩) نشر شريعة العراق فى كافة أنحاء الأندلس والمغرب ومصر . وقد أنشأ شمريا « مدراش » (مدرسة دينية) لتعليم التلمود بالفسطاط ، وكان نظام هذا المدراش شبيها بنظام مدارس الصبيان التى قامت بجوار المعاهد فى العراق ، كما قام شمريا بنشر الردود على الأسئلة الدينية باسمه ، متبنيا فى مراسلاته أسلوب رؤساء المعاهد ، ثم أنه كان يحمل لقب « أب بيت دين » (رئيس محكمة شرعية) وهو عادة من حق رئيس المحكمة الربانية فى المعهد ، ومن الجدير بالذكر أنه لا يحمل ، فى أى من الوثائق المتعلقة به ، لقب « حبر » الذى كان يمنحه رئيس المعهد الأورشليمى .

وقد ورد اللقب العربى « رئيس اليهود » منسوبا الى شمريا فى احدى رسائله (١٠) ، وربما كانت السلطة الفاطمية اعترفت به اعترافا رسميا بشكل ما ، وذلك ادراكا منها بأنه شغل فى الواقع كثيرا من المهام التى اقتضت ممارستها على رئيس المعهد ، بيد أن هذا اللقب لم يستعمل ، باعتباره لقباً رسمياً للسلطة المركزية على يهود الدولة الفاطمية ، الا فى نهاية ذلك القرن .

وقد فاق الحنان بن شمريا أباه فى امعانه بتحدى رؤساء المعهد ، فقد مارس القاء الخطبة فى الجماعة ، وكانت من حق

رئيس المعهد فقط ، بل انه عين له معيدا ينقل أقواله الى المجتمعين ، وفرض « الحرمان » الدينى ، وجمع التبرعات من طوائف فلسطين بالشام للمدراش الذى أنشأه أبوه بالفسطاط ، كما أنه تمكن أيضا من الحصول على هبة مالية من الخليفة الفاطمى لهذا المدراس ، ويستدل من احدى الرسائل فى جنيزة القاهرة على أن الحنان هذا كان ينوى المطالبة بمرسوم فاطمى يخوله السلطة على يهود مصر (١١) ، وذلك فور اعتلاء الخليفة الظاهر كرسى الحكم فى شباط ١٠٢١ . وازاء هذه التحديات السفارة لصلاحيات رئيس المعهد ، قام المعهد الفلسطينى بمعاينة الحنان بانتزاعه منه لقب « رئيس محكمة شريعة » الذى كان يحمله أبوه ، كما ألقت عليه « الحرمان » أيضا .

فى هذا الوقت بالذات حدثت فى مصر تطورات داخلية ، خلفت الظروف المواتية لاستبدال رئيس المعهد الفلسطينى بأحد الزعماء المحليين من يهود مصر ، رئيس على يهود الدولة الفاطمية ، فقد شرع الوزير بدر الجمالى ، وكان حاكم الدولة الفاطمية الفعلى فى السنوات ١٠٦٤ - ١٠٩٤ ، باتباع سياسة جديدة ألزمت الأقباط بنقل مقر بطريركيتهم الدائم من الاسكندرية الى القاهرة ، وذلك بغية حماية المصالح الفاطمية فى النوبة والحبشة اللتين اعتقدتا بوحدانية طبيعة المسيح وتبعتا فى الوقت ذاته الكنيسة القبطية فى مصر ، ويبدو أن تركيز السلطتين الدينية والعلمانية للأقباط فى القاهرة أدى الى أحداث تطور مماثل لدى اليهود أيضا ، وذلك بقيام سلطة يهودية مقرها القاهرة ، فى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر .

ورغم أن العوامل الخارجية كان لها أثر كبير فى هذا التطور ، فإن الدور الحاسم فى هذا الأمر كان من نصيب زعيم الطائفة

اليهودية في العاصمة المصرية (١٢) ، لقد شهد هؤلاء الزعماء وكانوا من مؤيدي المعهد الفلسطيني سابقا ، التطورات الهامة التي جرت داخل المعهد وخارجه ، وما كان من ضعف نفوذه في مصر نتيجة لذلك ، وازاء الفراغ الاداري نتيجة تضعف المعهد ، وانتقال مركز الزعامة القبطية الى القاهرة استجابة للتغيرات الجديدة في السياسة الفاطمية ، فقد تحول هؤلاء الزعماء بولائهم من المعهد الفلسطيني الى أسرة محلية أيضا ، وكانت هذه الأسرة ذائعة الصيت ، عمل كثيرون من أبنائها أطباء في خدمة الخليفة وعلى رأس هؤلاء الاخوان يهودا ومبوراخ (مبارك) بن سعديا ، واذ تقلد هذا الاخوان السلطة التي كانت من قبل وقفا على رئيس المعهد ، فقد حظيا بتأييد كبار رجال الطائفة اليهودية ، كما حظى المنصب الذي استحدث فيما بعد باعتراف الفاطميين حتى سنة ١٠٨٢ ، وكان صاحب هذا المنصب يلقب برئيس اليهود .

ففي ذلك العام أقيل مبارك من منصبه ، واستبدل بالرئيس (الناسي) داود بن دانيال بن عزريا - الناسي ورئيس المعهد وقد أمعن داود هذا ، الذي نولي الرئاسة في الفترة ١٠٨٢ - ١٠٩٤ ، في التفرد بمعظم المهام التي منحها الفاطميون في السابق لرئيس المعهد وذلك رغم المعارضة الشديدة التي أبدتها رؤساء المعهد في أورشليم ، وفي سنة ١٠٩٤ أعيد تنصيب (١٣) « النجيد » مبارك ابن سعديا ، طبيب الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ، وفي عهد هذا النجيد الحازم ثم استبدال رئيس المعهد برئيس اليهود الذي بسط سلطاته الادارية والدينية العليا على كافة اليهود في الدولة الفاطمية .

وكان مبارك بن سعديا ، باعتباره رئيسا رسميا ليهود مصر ، يسيطر على المهام والمناصب التي اقتصرت سابقا ، بشكل صارم ،

على رئيس المعهد الفلبطينى ، فقد كان مبارك، أعلى سيطرة قضائية فى البلاد ، قام بتعيين القضاة الشرعيين للطوائف المحلية بواسطة « المحكمة الكبرى » للقضاة فى العاصمة ، وكما كان الحال بالنسبة لرؤساء المعهد ، فقد تولى مبارك رئاسة محكمة الاستئناف الشرعية ، يتوجه اليه المتقاضون من المحاكم المحلية ، كما كان يوسع رئيس اليهود فرض رأيه بما كان له من الهيبة التى يكنها المواطنون فى الأقطار الإسلامية لحكامهم ، وكان يصلح ذات البين لدى العامة والخاصة ، كما لعب دوراً هاماً فى تنظيم الحياة الدينية ، وخصوصاً بتعميمه نصاً موحداً للصلاة ، والإشراف على الانضباط فى المعابد ، وسنة بعض القوانين المتعلقة بحياة الأسرة ، وأخيراً فإنه قام بدور الوسيط لكافة اليهود عند حكامهم الفاطميين ، ولم يكن رؤساء المعهد سابقاً قادرين على هذه المهمة نظراً للمسافة الشاسعة بينهم وبين مركز الخلافة فى القاهرة .

وفى عهد مبارك استنحال منصب رئيس اليهود ، أو النجيد كما دعى فيما بعد خير ممثل للحاكم الذاتى لليهود فى العالم الإسلامى ، وقد بقى هذا المنصب حتى بداية القرن السادس عشر الى أن ألغى فى أعقاب احتلال العثمانيين لمصر ، فى ظروف لم تتضح لنا بعد .

التنظيم الطائفى

لقد كانت أخطر المهام التى انتزعها رئيس اليهود من رئيس المعهد هى تعيين وكلاء محليين لإدارة شئون الطائفة على المستوى المحلى ، وهذه الطائفة المحلية ، كانت الخلية الأساسية فى الحياة اليهودية المنظمة خلال هذه الفترة ، ويبدو أن الأمر يحتاج الى توضيح لمعنى « التنظيم » فالمؤرخين الذين درسوا حياة الطائفة

اليهودية في القرون الوسطى أشاروا الى بلاد أوروبا الشمالية ،
أو الطوائف الاشكنازية ، باعتبارها المكان الأول الذى قامت فيه
طائفة يهودية منظمة ومستقلة ، وقد كان ذلك ، وفقا للرأى الشائع ،
فى القرن الحادى عشر تقريبا ، وفى نفس الفترة التى ظهرت فيها
الكومونات المسيحية على شكل وحدات سياسية منفصلة منحها
رجال الاقطاع أو الملوك وثيقة الحكم الذاتى ، وبناء على ذلك تجرى
المقارنة بين التنظيم اليهودى المحلى والتنظيم المحلى المسيحى ،
فتنسب بذلك للطوائف اليهودية المحلية كثير من الخواص النقابية
التي اتصفت بها الكومونة المسيحية فى القرون الوسطى (١٤) .

أما حياة الطوائف اليهودية فى الشرق الاسلامى فقد قيل
عنها أنها مفككة وغير مستقرة ، وقد جرى التأكيد بشكل خاص على
طابع المركزية والهيروقرراطية عند الطوائف اليهودية فى الدولة
الاسلامية ، حيث حال رئيس المعهد أو النجيد دون قيام طائفة
مستقلة ومنظمة بشكل « ديمقراطى » . ويرى البعض فى هذا
الشكل الهيروقرراطى للتنظيم الطائفى نوعا من الاستبداد ! ...
وتبعا لهذا الرأى ، فإن تركيز السلطة ، وغياب الحكم الذاتى
المحلى فى العالم الاسلامى قد انعكسا على حياة اليهود فى العالم
العربى القروسطى (١٥) .

ان جنيزة القاهرة ، بما فيها من فيض الرسائل المتعلقة
بحياة يهود مصر ، تقضى فى الواقع باعادة النظر فى هذا الموقف ،
ذلك أن الحياة الطائفية المحلية تظهر ، من خلال هذه المصادر ،
باعتبارها عنصرا هاما فى العلاقات الاجتماعية اليهودية (١٦) ،
ولكن الطابع التنظيمى هنا أقل شكلية ، وأكثر مرونة مما نظهره
لنا المصادر المتعلقة بحياة الطائفة اليهودية فى أوروبا الشمالية .

وبالنسبة للخدمات الاجتماعية الأساسية فقد كانت مركزية سواء في جمع الإيرادات أو في انفاق المصروفات ، وكان المصلون ، في الأماكن التي يقوم فيها كنيسان (معبدان) للربانيين ، يجتمعون تحت سقف واحد في المناسبات الخاصة ، كما كان القراؤون ينضمون اليهم في بعض الأحيان أيضا ، وتجدر الإشارة هنا اننا نقصد فترة ما قبل الانشقاق التام بين اليهود الربانيين واليهود القرائين ، والذي حدث في القرن الثالث عشر نتيجة للحملة العنيفة التي قام بها الرئيس موسى بن ميمون (رمبام) وأعلى فيها الحواجز بين الربانيين والقرائين من يهود مصر (١٧) !!

لم تقتصر عضوية الطائفة على جماعات المصلين في المعابد المختلفة وحسب ، وانما ضمت كل أبناء الطائفة بمن فيهم النساء والأطفال ، وكثيرا ما كان يجتمع أبناء برمتهم للتباحث في أمور ذات أهميات متباينة ، ونظرا لأن معظم الطوائف كانت صغيرة ، فلم يكن من العسير تجميع كل أبنائها في مكان واحد ، وقد اتفقت هذه الطوائف على الأخذ بمبدأ الاجماع في اتخاذها القرارات ، وذلك ان الجدل حول هذا المبدأ من ناحية ، ومبدأ الأخذ برأى الأغلبية من ناحية أخرى ، والذي شغل الطوائف الاشكنازية طويلا ، لم يكن قائما في الطوائف المتمثلة في الجنيزة ، وليس من الغريب أن تكون الكومونة المسيحية في أوروبا ، بكل اجراءاتها الديمقراطية المستقاه من القانون الروماني ، قد شكلت قدوة للمشرعين اليهود هناك ، بل دفعهم الأمر أيضا الى التنقيب في الشريعة اليهودية بحثا عن التبريرات التي تتيح للأغلبية فرض ارادتها على الأقلية ، أما في العالم الاسلامي فقد كان الحكم الذاتي أقل تزمنا بل أكثر تسامحا ، بالمقارنة مع أوروبا ، وهكذا فان هذه المشاكل لم تكن قائمة بالنسبة للمسلم أو جاره اليهودي ! (١٨) .

أصحاب المناصب

رغم مشاركة الطائفة في بعض من نواحي الحياة السياسية ،
فإن القسم الأكبر من شئون الحياة اليومية في الطائفة كان وقفا
على مجموعة صغيرة من الرجال ، الذين تمكنوا بفضل مركزهم
أو تعيينهم ، أو كليهما معا ، من القيام بالمهام الضرورية ، فهناك
جماعة ورد ذكرها في كل مكان ، وهي جماعة « الشيوخ » ولم تكن
مؤسسة « الشيوخ » هذه ، التي قامت بعد « كهنة » الكنيس
المذكورة في المصادر الهيلينية و « وجهاء المدينة » المذكورة في الأدب
التلمودي ، مقصورة على اليهود في العالم الاسلامي ، ولكن وثائق
الجنيزة توضح ، أكثر من أي مصدر آخر ، المهام التي مارسها
هؤلاء « الشيوخ » في الطوائف اليهودية خلال القرون الوسطى .

ويمكن القول ، بوجه عام ، أن شيوخ اليهود في مصر كانوا
نواة من الموظفين المدنيين الذين يمثل عملهم في مساعدة المسؤولين
عن مجالات معينة في حياة الطائفة .

زعيم الطائفة - « المقدم »

أشارت بعض الوثائق والمراجع التاريخية (١٩) إلى المهام
المتنوعة الواسعة التي مارسها زعماء الطائفة المحلية بأنفسهم ،
وقد كان في ذلك كثير من المرونة ، ذلك أن الزعيم الخبير بأمور
الدين مثل افرايم بن شمريا ، وكان يحمل لقب « الحبر » من
المعهد الأورشليمي ، وكان يعالج القضايا الادارية والدينية كلها ،
مثل إصدار الأحكام ، وتطبيق الفرائض اليهودية ، ومراقبة سلوك
أبناء الطائفة ، والخدمات الاجتماعية ، ولم تكن سلطة افرايم
القضائية مقصورة على يهود الفسطاط وحسب ، بل تعدتها إلى
الطوائف اليهودية المحيطة بالفسطاط أيضا . ومن ناحية أخرى

فان رؤساء الطوائف فى القرى الصغيرة كانوا ، فى الغالب ، أقل
المأما بالشرعية من زعماء المراكز الكبيرة كالفسطاط . ولذا فقد
كان لوظيفة « الشيوخ » أهمية كبيرة فى تلك الأمكنة النائية ،
ولا سيما فى إصدار الأحكام .

وقد طرأ خلال الفترة التى نحن بصددھا هنا تغيير ملموس
على مصطلح وتنظيم الزعامة اليهودية المحلية فى مصر ، فقد جرت
العادة ، حتى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر ، وكان رئيس
معهد أورشليم مازال يتمتع باعتراف الحكومة الرسمى كرئيس
لليهود فى الدولة لفاطمية ، أن يعين رئيس المعهد بنفسه رؤساء
الطائفة المحليين فى مصر ، وكان هؤلاء الرؤساء الذين يختارون
عادة ، كما هو الحال بالنسبة لأفرايم بن شمريا ، من بين « أحبار »
المعهد ، من تلامذة الحاخامين والقضاة ، ولكن هذا النموذج لم يكن
موحداً : فبالنظر الى الهيكل التنظيمى للطائفة ، آلت إدارة بعض
الطوائف الى رجال تدل صفاتهم على أن وظيفتهم الأساسية كانت
فى مجال آخر من مجالات الخدمات الطائفية ، وهكذا فأننا نجد
الحزانين والنساخ ، على سبيل المثال ، يتقلدون أحياناً هذا المنصب
الرفيع فى الطائفة (٢٠) .

وحين أدت تقلبات الدهر ، فى الثلث الأخير من القرن الحادى
عشر ، الى تفكك المعهد الأورشليمى ، وتبلور منصب جديد لرئيس
اليهود فى الوقت ذاته ، فان تغييراً دقيقاً طرأ على المصطلح الدال
على الزعامة المحلية ، وكان فى ذلك ما يشير الى تغيير فى غايات
التنصيب والتنظيم السياسى ، فقد تضمن التغيير الاصطلاحى
استحداث الكلمة العربية « مقدم » وإطلاقها على الزعماء
المحليين (٢١) ، ولفظة « مقدم » هى مصطلح شديد المرونة فى
المعجم السياسى العربى فى القرون الوسطى ، وعلى النحو ذاته

لدى اليهود الناطقين بالعربية أيضا ، وعليه فأننا نجد في وثائق
الجنيزة يدل على مهام كثيرة ومتنوعة مثل : امام الصلاة في الكنيس ،
صاحب وظيفة في الكنيس ، كبير الحزانين ، كبير الأطباء ، وحتى
رئيس المعهد ذاته .

وحوالى سنة ١١٠٠ نجد لفظة « المقدم » تستخدم بشكل ثابت
للدلالة على المسؤول عن ادارة شئون الطائفة المحلية ، ويبدو أن
هذا التجديد الاصطلاحي كان انعكاسا لعلو شأن رئيس اليهود ،
بل ان داود بن دانيال ، على وجه التحديد ، هو الذى أحدث
فيما يبدو هذا التجديد ، فقد كان نجل « الناسى » ورئيس المعهد
السابق دانيال بن عزريا ، وهو من أصل عراقي وكان يطمح في
الوصول الى « عظمة » أسلافه من رؤساء الجالوت ، كما كان أول
رئيس لليهود يقطع علاقته بالمعهد الفلسطيني علنا ، وكان من بين
الاجراءات العسبانية ، التى قام بها بن دنيال تعيين رؤساء الطائفة
المحليين ، ولما كان المعهد وحده هو المخول بمنح لقب « الحبر »
فقد لجأوا الى المصطلح العربى أى « المقدم » بدلا من اللفظ العبرى ،
ليطلق على « الزعيم » وهكذا حصل المنصبون منذ ذلك الحين ،
وكان بينهم الحزانون والنساخ ، على لقب « المقدم » بفضل المناصب
الادارية التى تقلدوها ، حتى أصبح مصطلح « المقدم » فى عهد
خلفاء داود لفظة تدل دلالة ثابتة (وأحيانا يستخدم مصطلح « نائب »
أيضا) على الذين اختيروا لادارة شئون الطائفة المحلية ، وبهذا
فقد مثل استحداث هذا اللقب انتزاع الحق بتعيين الزعماء المحليين
من أبدى رئيس المعهد .

وكانت مهام « المقدم » تختلف تبعا لمؤهلاته ومواهبه (٢٢) ،
ونستطيع استخلاص مجموعة من الواجبات المناطة بمنصب « المقدم » ،
من رسالة موجهة الى طائفة المحلة سنة ١١٠٠ تقريبا ، وتتضمن

رد كبار القضاة بالفسطاط ، باسم النجيد مبارك بن سعديا ،
وذلك أثر خلاف وقع بين زمرة من أبناء الطائفة وبين « مقدم » المحلة
وأدى الى اعتزاله منصبه . وتتجلى مهام « المقدم » بوضوح من خلال
وصف الفوضى التي عمت هناك نتيجة لاعتزاله :

(٠٠٠) ودخل عليهم الخلل بعدم من ينظر / فى أحكامهم
ومشاجراتهم وان ذلك قد انكشف الى موت / هعولام (أى : غير
اليهود) وضعف خبر الأسور والهتر (أى : الحرام والحلال)
عندهم وعدم سماع / دبرى توراه (أى : كلام التوراه) فى الفصول
والموعديم (أى الأعياد الدينية) والشبتوت (أى : أيام السبت)
على عاداتهم / وتحنيك صبيانهم ونواشتهم على التوراه والمصوت
(أى : الفرائض الدينية) وارشادهم / الى طرق الصواب وارداعهم
عن السلوك فى ضدها (٠٠٠) .

ينضح مما سبق ان « المقدم » استطاع أن يتولى القضاء ،
وفصل فى أحكام الدين ، ويشرف على السلوك العام ، ويعلم الصغار
والكبار (٢٣) ، ومن الجدير بالذكر ان « مقدم » المحلة كان ملما
بأصول الدين ، منذ حصوله على لقب « الحبر » وفى ذلك ما يفسر
عمله معلما ومربيا . ومع ذلك فانه لم يستمد سلطته الادارية فى
الطائفة المحلية من رئيس المعهد الفلسطينى وانما من رئيس اليهود
فى مصر ، ولذا فان الخلاف رفع الى مبارك بن سعديا ليبت فيه .
وقد كان القرار الذى اتخذ فيما بعد ، كما يتضح من وثائق الجنيزة
حول هذه القضية ، بإعادة « المقدم » الى منصبه ، من صلاحيات
النجيد وكبار القضاة ، اذ هم الذين كانوا عينوه فى منصبه .

وبالإضافة الى « المقدم » الذى تحدد وثائق الجنيزة مكانته
فى الطائفة بوضوح ، هناك مسئول آخر تذكره الوثائق كثيرا ،

ولكنها لا توضح ماهية مهامه على الاطلاق ، ويدعى فيها « روش هقهاال » أى رئيس الجماعة ، أو « روش هقهيلوت » أى رئيس الجماعات (٢٤) ، وينطوى هذا اللقب على ازدواجية الدلالة فى كلمة « قهاال » كما ذكرنا آنفا . ويرى « اشنور » أن « روش هقهاال » كان رئيسا على الشيوخ ، وأن مهامه لم تختلف عن المهام التى قامت بها مؤسسة الشيوخ المذكورة ، أما جويتاين فبعتفده أن هذا اللقب قد حل محل اللقب القديم « روش هكنسيت » أى رئيس الكنيس ، كما يرى ان هذا اللقب يشير فى فترة الجنيزة أساسا الى رئيس جماعة المصلين فى كنيس معين ، ولكن جويتاين يضيف قائلا : « بأنه لما جرت العادة فى القرنين العاشر والحادى عشر بتعيين « أحبار » من قبل المعهد الفلسطينى ، ثم تعيين « المقدم » فيما بعد لمنصب رئيس الطائفة ، فقد تطور « روش هقهاال » الى لقب فخري لا ينطوى على أية أهمية إدارية » (٢٥) .

القضاة الشرعيون والمحاكم الشرعية

لقد كانت المحاكم الشرعية ، بالطبع ، العمود الفقرى فى حياة الطائفة المحلية فى مصر ، وفى مجتمع تكاد تتلاشى فيه الحدود تماما بين الدين والسياسة ، ويحكمه مبدأ القانون الشخصى لا الاقليمى ، اكتسب القانون الدينى اليهودى (والقبلى أيضا) صلاحية شاملة ، مما جعل القاضى الشرعى ، تلقائيا ، شخصية ذات شأن كبير فى اطار الحكم الذاتى الا أن هذه المؤسسة المسؤولة عن التفسير اليومى للشرعية اليهودية وتطبيقها كانت مرنة بعبدة عن الصرامة (٢٦) ، شأنها فى ذلك شأن المؤسسات الأخرى للطائفة المحلية ، فقد كان عدد القضاة الذين يجلسون للقضاء ، على سبيل المثال غير موحد . صحيح ان « محكمة الثلاثة » التى يذكرها التلمود كانت قائمة ، الا ان محاكم أكبر منها كانت أيضا من عشرة قضاة أحيانا !

وكان القاضي المتخصص يتقاضى أجره من الطائفة ، ويسمى
« ديان » (قاض) أو « بيت دين » (محله) ، وهو إخصاص
« ب بيت دين » (رئيس المحكمه) لم يكن القاضي يجلس وحده
للقضاء ، وإنما يساعده رجلان على الأقل يوقعان على الأحكام ، وكانا
عادة من « الشيوخ » وقد ظل رئيس المهده الأورشليمي يقوم بتعيين
القضاة حتى أواخر القرن الحادى عشر ، ثم خافه فى هذه المهمة ،
رئيس اليهود ، كما كان على القاضى أن ينال تصديق الحكومة
الفاطمية على تعيينه ، وفى مسودة طلب مقدم للحكومة الفاطمية
للتصديق من جديد على تعيين يوسف الكاهن ، قاضى يهود
الاسكندرية ، كتبت ، على ما يبدو ، سنة ١٠٣٦ ، نجد تحديدا
لصلاحياته ، ومن بينها النظر « فى أحكامهم وعقد نكاحاتهم
وطلاقاتهم على سنن مذهبهم » وبالفعل فإن فيض الونائق القضائية
من الجنيزة ، ويقدر بالآلاف ، يؤكد أن القضاة فى مصر قد كرسوا
معظم وقتهم للنظر فى القضايا المالية التلى نشأت فى الغالب عن
الشراكات فى العمل ، والنظر فى الأحوال الشخصية ، ونحدد
الوثيقة مسئولية القاضى أيضا عن « نصب حزانين فى معاينهم
وعزل من يرى عزله » وليس من الغريب أن يقوم قاضى يهود
الاسكندرية بمهام ادارية كنعين الحزانين والاشراف على الخدمات
الاجتماعية ، ففى ذلك ما يشير الى الدمج بين المهام الدينية والادارية
من جهة ، كما يشير ، من ناحية أخرى ، الى مرونة التنظيم داخل
الطائفة اليهودية ذاتها ، وتمثل فى كثرة المهام التى اضطلع بها
موظفو الطائفة (٢٧) .

كذلك يمكن الاشارة هنا الى ظاهرة أخرى من ظواهر تداخل
الوظائف والمؤسسات المختلفة فى الطائفة ، ففى وثائق الجنيزة
من القرنين العاشر والحادى عشر ترد كلمة « هشوفيط » - أى
الحاكم وقد رأى « جويتاين » احتمال استخدام هذه اللفظة فى

الإشارة إلى من اشتغل بالقضاء بشكل جزئي فقط ، دون أن يكون قاضيا شرعيا متخصصا ، أو الإشارة إلى من اشتغل « حاكما متجولا » ينتقل من مدينة إلى أخرى أو حتى إلى القاضي المتخصص نفسه أيضا .

وقد مرت مصطلحات التنظيم القضائي ومضمونها بتغيرات طفيفة ، ولكنها باللغة الأهمية ، وذلك مع ظهور منصب رئيس اليهود كسلطة مركزية عليا بين يهود الدولة الفاطمية (٢٨) ، في أواخر القرن الحادي عشر ، ففي الفترة الأولى من نولي مبارك بن سعديا منصب رئيس اليهود (حوالي ١٠٧٨ - ١٠٨٢) ، قام بتعيين القضاة في مدينة الاسكندرية ، مبتدئا بذلك مرحلة أدت في نهايتها إلى ضعضعة السلطة القضائية لرئيس المعهد الفلسطيني . وواصل داود بن دانيال، خليفة مبارك، الذي لقبه رؤساء المعهد الأورشليمي بـ « مغتصب السلطة » نقل السلطة القضائية العليا من الشام إلى مصر ، فأنشأ أول « محكمة شرعية عليا » في عاصمة مصر الفاطمية ، بينما كان هذا الاسم مقصورا على المحكمة الشرعية العليا التابعة للمعهد أو لرئيس الجالوت ، وقد مارست هذه المحكمة العليا التي أنشأها داود صلاحيات المعهد في تعيين المندوبين للمحاكم الأخرى .

على الرغم من أن المحاكم اليهودية وقضاتها كانوا في غاية الصرامة (٢٩) ، إلا أن سلطتهم القضائية على الطائفة اليهودية لم تكن مطلقة فبرغم حظر الشريعة قديما على اليهود اللجوء إلى محاكم غير يهودية ، فقد عمدوا في مصر كثيرا إلى التقدم بشكاواهم إلى المحاكم الإسلامية أو اليهودية دونما فرق ، وذلك لتنفيذ العقود التجارية ، لقد اعترفت الشريعة اليهودية بصلاحيات أنواع كثيرة من الصكوك الموقعة في محاكم غير يهودية ، مما حدا باليهود إلى استغلال هذا الترخيص وإلى الاستعانة بالسلطة غير اليهودية في

تنفيذ الالتزامات القانونية ، وفي الأحوال التي كان فيها القانون الاسمي أجدى من الشريعة اليهودية للمصلحة الاقتصادية ، كاتفاق المضاربة على سبيل المثال ، فان الأمر لم يكن مقصورا على الازدواجية فقط ، وانما تسربت الأعراف الاسلامية أيضا الى المستندات التي صيغت في المحاكم اليهودية ، ولكن القضاة المسلمين ، من جهتهم ، كانوا يراعون نظراءهم من القضاة اليهود ، ويمتنعون عن البت في قضايا حساسة دينيا مثل قوانين الأحوال الشخصية !

وهكذا فان اليهود كانوا على حق في توقعهم العدالة في الحكم من القضاة المسلمين - كما يشير مارك كوهن نفسه (٣٠) - كما كان الشهود المسلمين موضع ثقة . أما المجال الوحيد الذي أمكن فيه الجور في الحكم - من وجهة نظر يهودية لا اسلامية - فهو المجال الخاص بقوانين الارث ، فكثيرا ما تدخل القضاة المسلمون في قانون الارث اليهودي ، اذ يجيز القاضي الشرعي الاسلامي ، على سبيل المثال ، مصادرة الممتلكات المتروكة دون وصية ولكن الأمر لم يكن موجها ضد اليهود بشكل خاص ، ولم يعتبره اليهود كذلك في تلك الفترة ، ذلك ان النصارى أيضا عانوا من هذا النوع من التدخل ، أضف الى ذلك أن الأمر لم يؤثر على ثقة اليهود الوطنية بنزاهة القضاة الاسلامي . والواقع ان تهاون اليهود في الحفاظ على الحواجز الفاصلة، كما يتمثل ذلك في موقفهم من المحاكم الاسلامية، لم يكون سوى مظهر من المظاهر الكثيرة التي تشير الى اندماج يهود مصر بالأغلبية المسلمة في الفترة الفاطمية ، وحتى في الفترات اللاحقة !

وكان ثمة نوع آخر من السلطة القضائية خرجت عن نطاق جهاز القضاء المنظم ، وان كانت متممة له ، وقد تمثلت في رجال الدين الكبار الذين قاموا بفضل سعة علمهم باصدار الأحكام

الدينية والرد على الأسئلة التي كانت توجه إليهم ، وإن لم يقوّموا
بمسور القضية بالضرورة ، كان هؤلاء يحملون اللقب العبري « زاب »
ويلعبون في المجتمع اليهودي دورا شبيها بدور « المستشار
القضائي » في الامبراطورية الرومانية والمفتي في الاسلام (٣١) ،
حتى أن اجوبة (تشويبات) كثيرة كان يطلق عليها « فتاوى » وهي
الكلمة العربية المماثلة للمصطلح .

أصحاب الوظائف الأخرى :

بالإضافة الى الشيوخ والمقدم والقضاة والكتاب ، والحاخامين
أصحاب الاجوبة - اذا وجدوا - كان هناك عدد آخر من أصحاب
الوظائف الذين خدموا الطائفة اليهودية المحلية فكان الحزانون
- وقد كان منهم كثيرون في المكان الواحد أحيانا - يحتلون المناصب
في الصلاة وينتقلون بين الوظائف الأخرى ، كما يسافرون أحيانا
خارج البلاد يديرون الصلاة مقابل الأجر ، وكان هؤلاء يقومون
خلال ذلك بمهام يوكلها اليهم النجيد المصري أحيانا فقد عمل
كثيرون منهم كتابا عموميين أو كتاب محاكم ، أو حتى قضاة ،
بالإضافة الى وظائف أخرى متنوعة .

وكان المشرف المبشّر على الكنيس أو المعبد هو
« الشماس » (٣٢) وكان يدعى بالعربية « الخادم » . وقد كان له
نفوذ كبير نظرا لمركزه الهام كمشرف على أهم مبنى عمومي . لهي
أبناء الطائفة كما كان الخادم ، نظرا لملازمته الكنيس حيث تعقد
جلسات المحكمة ، يعمل أحيانا مساعدا للمحكمة ، فيقوم باستدعاء
المتقاضين وتسجيل أقوال الأطراف المتنازعة ، وتسليم أوراق
الطلاق وغيرها .

وكان للطائفة اليهودية جزار شرعى (شوحيط) ، ومراقب على الصلاحية الشرعية للمآكل (أو « الكشروت ») سمي « الحارس » (« الشومير ») ، ولدينا وثيقة صدرت عن محكمة القاهرة ، حوالى سنة ١١٠٠ م ، تتضمن شهادة بالكشروت لشحنه من الجبن جاء بها تاجر يهودى الى القسطنطينية .

وكان من بين الوظائف الهامة فى الطائفة ، « الفرناس » ، وهو يرعى شئون الفقراء المعوزين - أشبه بموظف الشئون الاجتماعية .

ايرادات ومصروفات الطائفة :

كانت الطائفة اليهودية فى مصر ، تقدم لأبنائها الخدمات الاجتماعية المتنوعة ، فمن ذلك اعانة المحتاجين ، ومساعدة عابرى السبيل ، ودفع الجزية عن العاجزين عن الدفع ، وافتداء الأسرى ، وتعليم الصبيان الفقراء وليتامى ، ونفقات دفن الموتى ، ودفع معاشات الإحاطمين ورؤساء الطوائف ، وصيانة الكنس ، وكان لابد من مصدر دخل لتغطية هذه النفقات ، ولكن الطوائف المصرية ، بخلاف الطوائف الاشكنازية ، لم تقم بجباية الضرائب من أبنائها . وفى أوروبا ، حيث كان للطائفة اليهودية تنظيم تعاونى ، كانت جباية الضرائب من الطائفة قاعدة متبعة ، وذلك لدفع الضرائب الكثيرة التى فرضتها الحكومة على الطائفة ككل ، ولتمويل الخدمات الاجتماعية فى الطائفة ذاتها . أما فى مصر ، حيث التنظيم الطائفى أقل تعاوناً وصلابة وأكثر تفككا منه فى البلدان المسيحية ، فقد كان مصدر ايرادات الطائفة هو التبرعات (٣٣) .

كما كانت ادارة حسابات الطائفة والقيام بالخدمات تتمان عن طريق التطوع فى الغالب . وقد انيطت هذه المهام بأناس

عرفوا بالاستقامة وبأنهم موضع الثقة ، اختارهم زعماء الطائفة وأبناءؤها من بين طبقة الأثرياء ، وكان « الفرناس » من أهم أصحاب هذه الوظائف ، ويطلق هذا القب عند اليهود في أوروبا على رئيس الطائفة المحلية ، وتكمل وظيفة « الفرناس » في مصر ، أو تماثلها أحيانا ، وظيفة « نثمان بيت هدين » (أى أمين المحكمة) ، وقد تضمنت هذه الوظيفة العامة مهام مختلفة ذات طابع قضائى : مثل الحجز على ممتلكات المدينين ودفع النفقات للمطلقات لاعالة أولادهن الصغار ، واعطاء القروض للمحتاجين من الودائع التى يشرف عليها .

وخير مثال لموظف الخدمات العامة ، الذى شغل وظيفة

« الفرناس » (٣٤) ووظيفة « أمين المحكمة » فى الوقت نفسه ، هو الكاهن بن يحيى ، فقد كان شامى الأصل ، على ما يبدو ، وظل يعمل فى هاتين الوظيفتين حوالى خمسين سنة (الوثائق ١٠٥٧ - ١١٠٧) وبالإضافة الى ادارة حسابات الطائفة اليهودية فى العاصمة المصرية ، فقد ساعد أيضا فى تنظيم التبرعات لليهود اورشليم ، ولما كان ابن يحيى أحد وجهاء الطائفة المصرية وأمنائها ، فقد لعب دورا هاما فى الحياة العامة ، كما كان أحد الزعماء المحليين الذى عملوا على استحداث منصب « رئيس اليهود » خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر .

وتشهد وثائق الجنيزة ، ولا سيما قوائم المتبرعين منها ، على تنوع المصادر لتمويل الصدقات ، ففي حملات التبرعات الخاصة جمعت الأموال لغايات تعتبر من الفرائض الدينية ، مثل افتداء الأسرى ، وتصف أحدى الرسائل ، من فترة احتلال الصليبيين لأورشليم سنة ١٠٩٩ م ، كيف وجه رئيس اليهود ، النجيد مبارك ابن سعديا ، نداء صارخا الى الجمهور ، فجمع ١٢٣ ديناراً لاستقاذ

بعض أسفار التوراة وافتداء الأسرى اليهود من أيدي الغزاة
الأفرنج (٣٥) .

على أن أهم مصدر لايرادات .الطائفة المحلية (فى الفسطاط .
التي تتناولها معظم المعلومات المتوفرة لدينا) كان « الهقديش » .
أو الأوقاف من البيوت والعقارات ، ويبدو أن « القودش » أو
« الهقديش » هو وليد العادة اليهودية القديمة فى تقديم الهدايا
للكنيس أو الفقراء ، ولكن هناك ما يماثل ، « الهقديش » فى النظام -
الاسلامى وهو « الوقف » ، وهكذا فإن « الهقديش » اليهودى فى -
فترة الجنبزة كان يسمى أحيانا بمصطلح البيئة الاسلامية
« الوقف » ، أو « الحبس » . الا أن اليهود ، بخلاف المسلمين ،
لم يعرفوا الا الوقف العام ، أما الوقف الأهلى الشائع فى المجتمع
العربى فلا نجد مثيلا له عند اليهود ، وكان الوقف اليهودى يمنح ،
بشكل رسمى ، للمحكمة ، وهى تستأثر بإدارته وحدها ، وغالبا
ما كان الوقف اليهودى يكرس لغايات محددة مثل دعم جماعة معينة
من المحتاجين ، كفقراء أورشليم ، كما كان « الفرناس » فى الفترة
التي تتسملها دراستنا هذه هو القيم على ممتلكات الوقف ، ولكن
الموظفين الآخرين ساعدوا فى ذلك أيضا (٣٦) .

وكان العمل التطوعى ، الذى يعتبر المبدأ العام فى عمل
« الفرناس » ، ينطبق على ادارة الأوقاف أيضا ، بيد أن الوثائق
تشير الى أن الطوائف شرعت ، منذ خمسينيات القرن الثانى عشر
بدفع الأجور للفرناسيين مقابل عملهم ، فكان هذا الأجر يدفع
اما عن طريق السماح لهم بخصم عشر الايرادات ، أو بتحويلهم
جباية المبالغ المستحقة عن ايجار الأملاك غير المنقولة ، ولم يحظ
هذا الانتقال من العمل التطوعى الى العمل بالأجر ، بالتفسير
المناسب حتى اليوم ، وان كان ذلك يتصل بما يذكره الباحث

« موشية جيل » حين يقول أن اعداد الهكديش في القرن الحادى عشر كانت ضئيلة ، بالنسبة للفترة التى تلتها ، أما فى الإلقرن الثانى عشر فيبدو أن الفرناسيين اضطروا الى تكريس المزيد من وقتهم للقيام بمهامهم ، ولذا فقد تلقوا تعويضا ماليا عن ذلك ، وبمقارنة الايرادات من الأوقاف اليهودية مع المدفوعات التى انفتت على الادارة والصيانة والترميم والتأمين والضرائب الحكومية ، فان قانض الايرادات يبلغ ستين بالمائة حسب تقديرات جيل . ويقدر جويتاين الدخل السنوى العام من الأوقاف بعشرة آلاف درهم (حوالى سنة ١١٨٠ م) ، وقد غطى هذا المبلغ ، الذى يساوى مصروفات عشر عائلات من ذات الدخل المنخفض لمدة عام كامل ، نفقات الطائفة على الخدمات الضرورية الى حد كبير .

السياسة وأثرها على الطائفة :

مما لا شك فيه أن الطوائف اليهودية مارست خلال القرون الوسطى ، النشاط السياسى أيضا ، وفى الجنيزة سواهد كثيرة على ذلك فيما يتعلق بيهود مصر وبلدان البحر المتوسط الأخرى ، ومن مميزات هذا النشاط البارزة كانت النزعة الى الانقسام وذلك ما تعكسه المصطلحات العربية الواردة فى وثائق الجنيزة ، مثل « العصبية » « الحزب » « التحزب » ، وهى تمثل ظاهرة اجتماعية شائعة بين اليهود ، فقد كان للنزاع على الزعامة دور واضح فى حياة الطائفة (٣٧) ، اذ انعكس سيخط الجماهير على المسؤولين عادة فى مقاطعة الذهاب الى المعابد ، حيث كانت تدار شؤون الجمهور بأشراف الزعامة المحلية ، وقد استخدم التعبير العربى « لزموا بيوتهم » فى وصف هذا الشكل الشائع من النشاط السياسى الشعبى ، وهو سلوك شبيه ، أو ربما متأثر أيضا ، بالعادة الاسلامية فى مقاطعة صلاة الجمعة فى المسجد - أحيانا - كتظاهرة ضد الحكومة !

وعلى هذا النحو ، يبدو أن الطائفة اليهودية سنبارت في أعقاب المسلمين أيضا ، في إيجاد التعبير عن ولائها السياسي لزعمائها ، فقد كانت خطبة الجمعة لدى المسلمين تتضمن دعاء للخليفة ، يؤكد الولاء له ، وكذا كان من عادة اليهود أن يرفعوا في كنسهم صلاة الولاء لزعيمهم الأكبر ، أي لرئيس المعهد في الشام أو العراق ، أو لرئيس الجالوت ، وكانت هذه الصلاة المسماة « بحبي » (أو « في عهد ») المدرجة في صلاة « القديش » تدعو الله أن يأتي بالانخلاص « في عهد سيدنا رئيس المعهد » أو « رئيس الجالوت » . . . كما كانت الحال في المسجد ! .

وكان حذف هذا النص من الصلاة يعتبر « نوعا من التمرد أو إشارة إلى انتقال الولاء من زعيم لآخر » ! . ومع مرور الزمن ، جرت هذه العادة ، أو عادة أخرى شبيهة ، للتعبير عن الولاء لرئيس يهود مصر ، رغم أننا ، في الواقع ، نجهل الشكل الذي آلت إليه .

وعلى نحو ما كان في البيئة الإسلامية ، راجت لدى اليهود الظاهرة المسماة « بحوريم » أي الفتيان ، وعلى غرار « الأحداث » المسلمين في المدن الشامية ، كان « البحوريم » في الطائفة اليهودية (ويسمون في الجنيزة « الصبيان » ، « الشباب » ، « الشبان » . أو « بحوريم » في العبرية) يمثلون طبقة من الناس ظهروا في أوقات خاصة ، ليثيروا الفتن ويتمردوا على الزعامة ، أو يحالفوا إحدى الشيع في الطائفة ، ولم تكن في مصطلح « البحوريم » دلالة دقيقة على أعمارهم ، فقد يكون من بين « البحوريم » أحيانا طاعنون في السن أيضا ، ويبدو أن في هذه التسمية إشارة إلى فتنة سياسية ، لازمت فيها هذه التسمية ، من باب الهجاء ، كل الذين عارضوا السلطة المتمثلة عادة في طبقة الوجهاء والشيوخ إلى حد بعيد ، خصوصا وإن نزعة التمرد كانت تعتبر من الصفات المذمومة في الشباب (٣٨) .

الحياة العائلية :

تفوق معلوماتنا عن العائلة اليهودية ، فى دول البحر المتوسط الاسلامية خلال القرون الوسطى ، كل ما نعرفه عن هذه العائلة فى أى زمان أو مكان ، قبل العصر الحديث ، وذلك بفضل جنيزة القاهرة والدراسات التى قام بها الباحث « ش . د . جويتاين » .

وتساعدنا هذه المعلومات الوفيرة المتراكمة ، من جنيزة القاهرة ، حول العائلة - وهى المؤسسة التى تعتبر فى نظر معظم المؤرخين الاجتماعيين المعاصرين الخلية الأساسية فى المجتمعات البشرية الغابرة - على فهم المجتمع اليهودى التقليدى عامة ، وإلى أبعد الحدود ، فقد كانت العائلة الموسعة تشكل الوحدة التنظيمية الأساسية فى القرابات اليهودية (فقد كانت قرابة الدم أقوى من روابط الزواج ، كما يقول جويتاين) (٣٩) ، وما احترام الوالدين ، والاخلاص بين الاخوة حتى بعد زواجهم ، والاقتران بذوى القربى وخصوصا من أبناء العمومة ، إلا بعض التعبير عن تماسك العائلة الموسعة .

لقد حرص أبناء العائلة الواحدة على العيش متجاورين ، وفى بيوت أو شقق تضمها مساحة واسعة ومسيجة ، وكثيرا ما كانت البيوت ، أو أقسام منها ، جزءا من الأملاك العائلية ، مما أدى ، عند انتقالها بالوراثة ، إلى الحفاظ على مشاعر الوحدة عند أبناء العائلة الواحدة ، ولم تقم وحدة العائلة الموسعة على حساب وحدة الأسرة الصغرى المؤلفة من الزوجين ، كانت هذه النواة الأسرية المحدودة ، المؤلفة من الزوج والأولاد ، تتعايش فى وفاق مع العائلة الكبرى الموسعة .

وكانت الفتاة تتزوج ، عادة ، فى سن مبكرة جدا وذلك وفقا
للتقاليد اليهودية وتقاليد شعوب البحر المتوسط عامة (لم يكن
زواجها فى الثانية عشرة من عمرها أمرا شاذاً) . وكان العريس
فى الغالب أكبر من العروس سنا ، الا ان فارق السن لم يكن كبيرا
جدا . وقد شجعت التقاليد اليهودية والشريعة أهل العروس على
تزويد العروسين بالحاجات الضرورية على شكل مهر ذى شأن ،
وذلك ما سهل زواج رجال فى مقتبل العمر ، حين تكون قدرتهم
على اعادة أنفسهم وجمع الثروة مازالت محدودة .

وفى هذا المجتمع الذى تميز بكثرة التنقل فى سبيل التجارة،
تمتعت النساء بقسط من الحرية ، بالمقارنة مع مكانة المرأة المتزوجة
فى المجتمع اليهودى التقليدى ، ولعل خير مثال على ذلك ما أثبتته
الدراسة التى قام بها الباحث « فريدمان » من حق المرأة اتخاذ
اجراءات الطلاق ، اذا قام زوجها ، رغم ارادتها ، بأعمال من شأنها
فصم رباط الزوجية ، ومنها الزواج من امرأة ثانية أو إيواء جارية
فى بيته ، وقد اعتمد حق المرأة هذا ، فى الشروع باجراءات الطلاق
فى حالة تعدد الزوجات ، على حكم شرعى فلسطينى قديم طواه
النسيان مع مرور الزمن ، خلال اندماج يهود الشرق الأوسط
بالمعادات البابلية ، وقد بعث هذا الحكم الشرعى من جديد وسمى
« نهج الفسباط » ، فى أواخر القرن الحادى عشر ، وشاع ، كما
يبدو ، مع بداية القرن الثانى عشر ، حين تحددت الشروط المتعلقة
بالموضوع كجزء من عقد الزواج ، وعلى يد النجيد مبارك بن سعدبا،
فى أغلب الظن ، ويبدو ان واقع المجتمع المصرى ، الذى اتسم
بالتنقل والدينامية والانفتاح الى حد بعيد ، كان له أكبر الأثر فى
جعل « بند الزواج الأحادى » قانونا يحمى المرأة اليهودية المتزوجة
فى أواخر القرن الحادى عشر ! .

وقد كان إطلاق في هذه الفترة واسع الانتشار ، وتعود أسباب ذلك الى كثرة التنقل في المجتمع ، وبقاء الزوجات وحيدات بعيدات عن أزواجهن فترات طويلة خلال سفر الأزواج التجار الى البلدان النائية ، ولا داعي لاعتبار شيوع الطلاق مظهرا من مظاهر ضعف الأسرة ، كما هي الحال اليوم ، بل انه ، على العكس ، يعتبر دليلا على الأهمية التي أولاها المجتمع لهذه المؤسسة العائلية التي رمى الى حمايتها من الأضرار الناجمة عن الروابط الزوجية الواهية .

وثمة مظهر آخر من مظاهر تماسك الأسرة ، ويشتمل في مشاعر الود المتبادلة بين الزوج والزوجة ، التي نطالعهما ، من حين لآخر في رسائل الجنيزة ، وقد كتب هذه الرسائل أزواج يتحالفون ، عادة ، عواطفهم خلال تعبيرهم عن تلك المشاعر ، كما أن الاهتمام البالغ الذي كرس لتعليم الأولاد ، وحب الوالدين لأبنائهم ، يشكلان برهانا آخر على تماسك الأسرة واستقلالها بتأثير المجتمع المصري « الشرقي » .

التعليم :

نكاد لا نجد في هذه الحقبة التي نحن بصددھا اطارا منظما للتعليم « العالي » ، لدى الطائفة اليهودية في مصر ، وذلك باستثناء الفترة التي أقام فيها شموريا بن الحنان « مدراسا » في أواخر القرن العاشر ، ونعني بالتعليم العالي دراسة التلمود على مستوى متقدم في المعهد الديني ، وإذا ما رغب يهود مصر في طلب مثل هذه العلوم ، دون مغادرة بلادهم ، فقد كان بإمكانهم اتمام هذا النوع من الدراسة في نطاق دروس للكبار ، جرت في حلقات بالمعابد ، أو الحصول على دروس خصوصية لدى أحد الحاخامين المحليين ، وعلى كل حال ، فإن دراسة التلمود كانت تقتصر على عدد محدود جدا ، ممن أنهو دراستهم التلمودية الابتدائية (٤٠) .

أما التعليم الابتدائي ، وهو مجال لا نعرف عنه الكثير لدى الطوائف الاشكنازية في هذه الفترة ، فان وثائق الجنيزة تمدنا بمعلومات كثيرة عنه في كل ما يتعلق بمصر ، فقد كان التعليم الابتدائي ، فرضا على الأولاد الذكور ، كما تنص التقاليد اليهودية القديمة ، وبوسعنا العثور على اشارات حول تعليم البنات أيضا في المدرسة .

كان المعلمون يعلمون في بيوتهم وفي المعابد ، أو في بيوت الأسرة الغنية ، وكانت العائلات الغنية تدفع للمعلم أجرا أسبوعيا ، بينما تكفلت الطائفة بدفع أجور التعليم عن الأيتام وأبناء المعوزين ، من صندوقها الخاص ، كما كانت تقام حلقات منتظمة لتعليم الطائفة لهذا الغرض ، وفي وقت لاحق (حوالى أواخر القرن الثاني عشر) أصبح من المألوف ضم أبناء المحتاجين الى حلقات دروس مشتركة مع الصبيان الذين يدفعون أجور التعليم ، والطائفة تدفع أجور هؤلاء المحتاجين .

النشاط الثقافي :

النشاط الثقافي لليهود في مصر خلال هذه الفترة كان محكوما بحقيقة تاريخية هامة ، تمثلت في ذوبانهم في محيط الثقافة العربية الاسلامية الواسع ، فقد أدى النشاط الثقافي الهائل الذي شهدته فترة صعود الحضارة العربية الاسلامية الى تخلي اليهود في بلدان العالم العربي - ومصر من بينها بطبيعة الحال - عن اللغة الأرامية واللغة العبرية ، واتخاذهم اللغة العربية لغة للكتابة والانتاج الأدبي وهو ما جعل يهود البلاد العربية يسلكون ، بالضرورة ، دورا جديدا فتحت آفاقها الحياة الثقافية في مصر وغيرها ، وفي مصر استخلى اليهود لغتين احدهما العربية والأخرى العبرية ، والواضح أن اللغة العربية كانت هي لغة الحياة اليومية ، لأنه لم يحدث منذ

الفرون المسيحية الأولى أن كانت اللغة العبرية لغة محكية ، ولذا ظلت اللغة العبرية مرتبطة الى حد كبير بالتراث الدينى لدى اليهود، بيد أنه من المهم أن نلاحظ أن كثيرا من الكتابات الدينية للأحبار والصلحاء اليهود فى مصر كتبت باللغة العربية ٠٠٠ ويشير البروفيسور « فينكلشتاين » الى أن معظم انتاج الشعراء اليهود كتب باللغة العربية ، وكذلك معظم الانتاج النثرى ، وفيما عدا بعض التعبيرات والمفردات العبرية الخاصة البنى وجدت طريقها الى اللغة العربية ، ستخدم اليهود اللغة العربية حتى فى شروح التوراة ، وفى التعليق على التلمود ، وفى رأى بعض الباحثين أن السبب فى ذلك يرجع الى أن الكتابة باللغة العربية فى ذلك الوقت كانت هى الممارسة الطبيعية والأقل جهدا، كما أن اللغة فى المؤلفات العلمية ، لا تحمل مفهوما أيديولوجيا ، كما هو الحال فى الابداع الفنى مثل الشعر ، الا أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا أن الأسباب المباشرة لتلك الظاهرة تكمن فى حقيقة تسيد اللغة العربية فى ذلك الحين من جهة ، ورغبة المؤلف فى أن ينتشر لدى جمهور عريض من القراء من جهة أخرى ، فقد كان اليهود المصريين ، شأنهم شأن المسلمين والمسيحيين ، وكانت العربية لغتهم ، ومن ثم كان طبيعيا لمن يوجه كتاباته اليهم أن يكتبها باللغة العربية ، كما أن لدينا دليلا قويا على تسيد اللغة العربية بين يهود مصر فى ذلك الحين يتمثل فى وثائق الجنيزة التى كتبت باللغة العربية ولكن فى حروف عبرية !

ولا يوافق « د . قاسم عبده قاسم » (٤١) على عبارات مثل : « الشعر اليهودى » و « الأدب اليهودى » أو ما شابه ذلك من عبارات يستخدمها الكتاب والباحثون اليهود حاليا وهم يتحدثون عن اليهود الذين عاشوا فى رحاب الحضارة العربية الاسلامية فى مصر وغيرها ، فالشعر والأدب الذى كتبه اليهود المصريون فى ذلك

الزمان يعد شعرا وأدبا مصرياً ، سواء من حيث لغته أو من حيث مضمونه وأغراضه ، ولا يمكن أن ننسب ثقافة إلى دين ما متجاهلين حقائق التفاعل الاجتماعي والاقتصادي والفكري التي تشكل مع البيئة والتاريخ المشترك ما نسميه الثقافة العامة للمجتمع ، فقد كان اليهود المصريون يستخدمون اللغة العربية في معظم الأحوال ، وقد وجدوا الفرصة متاحة أمامهم في حيوية اللغة العربية ومفرداتها الكثيرة لكي يستخدموا التعبيرات العربية في التعبير عن المشكلات والأغراض التي فرضتها تطورات الحياة الاجتماعية في مصر خلال تلك العصور .

كذلك كان عامة اليهود لا يعرفون غير اللغة العربية، وتكشف إحدى وثائق الجنييزة عن هذه الحقيقة ، والوثيقة عبارة عن خطاب مرسل من نساخ يهودي متجول إلى زوجته وفي الخطاب الذي كتب بالعربية بحروف عبرية يذكر الرجل اسم من سيقراً الخطاب .

ومن ناحية أخرى ، كان الخلاف المذهبي الطويل بين الفرق اليهودية المختلفة حول تفسير الكتاب المقدس قد أنتج نشاطاً أدبياً واسع النطاق ، بيد أن أهم ما يلفت النظر هو أن هذه الأعمال اللاهوتية كتبت باللغة العربية في أغلب الأحوال وهكذا ، لم يكن لليهود المصريين « جيتو ثقافي » ، مثلما لم يكن لهم « جيتو يسكني » أو « جيتو حرفي » . وإنما كانوا جزءاً عضوياً في كل أكبر ، هو المجتمع المصري . وفي بعض الأحيان نجد في مصادر تلك الفترة ما يشير بوضوح إلى أن العلاقات الطيبة قد قامت بين المثقفين اليهود والمسلمين ، فقد ذكر « السخاوي » أن المؤرخ الكبير « تقي الدين المقرئ » كان ملماً بمذاهب أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى كان أفاضلهم يترددون عليه للاستفادة منه .

ولأنه لم توجد حدود صارمة تفصل اليهود ، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً عن مواطنيهم ، فانهم شاركوا في النشاط الثقافي العام ، بل انهم درسوا القرآن الكريم ، وبذلك سلكوا كل الدروب التي أتاحتها الثقافة العربية ، وباستثناء اللغة العبرية الحديثة ، فان اليهود لم ينتجوا أعمالاً ذات قيمة سوى أثناء الفترة التي سادت فيها اللغة العربية ، وكان لتلك الأعمال صداها البعيد بين كل اليهود على الرغم من أنها كتبت باللغة العربية لأنها تناولت شروح التلمود وتفسيرات دينية أخرى !!

وإذا كان ليهود مصر بعض الخصائص الثقافية التي تميزهم ، فانها كانت ثقافية فرعية - ذات أصول دينية - تصب في المجرى العام لثقافة المجتمع . والمصادر التاريخية تكشف زيف مزاعم الباحثين الاسرائيليين بأن يهود مصر « جالية أجنبية أقامت في مصر » !! ... فصلاقة الدولة باليهود المصريين كانت منضبطة ومحكومة بالوضع القانوني لأهل الذمة داخل الدولة ، ولم يكن لليهود في علاقتهم بالدول المصرية - أية خصوصية تميزهم عن غيرهم من طوائف أهل الذمة ، فالعلاقة كانت موازية لعلاقتها بغيرهم من الرعايا ولم يكن لليهود أي استثناء ... كما أن المجتمع لم يعتبر اليهود - جالية أجنبية ! ... بل اعتبرهم مصريين اعتنقوا الدين اليهودي - مارسوا سلوكيات وتفاصيل الحياة الاجتماعية المصرية ... باعتبارهم مصريين عاشوا على أرض مصر ولم يعرفوا - في ذلك الزمان - وطناً غير مصر !

يعقوب بن كلس :

يقودنا البحث حول وضع اليهود في الحياة السياسية والاقتصادية في مصر الفاطمية الى اسم يتكرر تقريبا في جميع المصادر التاريخية العربية لذلك العصر ، وهو يذكر دائما كأول

وزير الأسرة الفاطمية في مصر وهذه الشخصية هي : أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلث - أو بإيجاز يعقوب بن كلث - وتستجق هذه الشخصية أن تكون موضوع بحث خاص ، ليس بسبب أن أعمال وإنجازات رجل الدولة هذا توفر لنا رؤية فريدة لآلية العمل الإداري والاقتصادي في أيامه فحسب ، بل لأن سيرة حياته تقدم لنا تصورا هاما للدور الذي شغله رجل يهودي خلال حكم الأسرة الفاطمية في مصر (٤٢) ، ويمثل يعقوب بن كلث واحدا من الشخصيات الكبيرة ، وبرهن على قدراته وإمكاناته غير العادية التي أوصلته إلى شغل مناصب عظيمة الأهمية في دولة إسلامية أوقف على ثلثتها جميع مواهبه التي امتلكها .

ان الحقيقة الوحيدة التي بقيت لنا فيما يتعلق بحياة يعقوب ابن كلث المبكرة هي أن أبوية كانا يهوديين وذلك بالإضافة إلى أصله البغدادى .

فقد ولد من أبوين يهوديين في سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م في بغداد ، وقد أشير إليه دوما من قبل المؤرخين العرب باسم « يهودي من بغداد » أو « اليهودي البغدادى » أو « الكاتب اليهودي » (٤٣) ، وقد تلقى تعليمه الأول في بغداد وهاجر من هناك إلى بلاد الشام بمرافقة والده في سن مبكرة ، ولا نعرف بالضبط تاريخ هذه الحادثة ، ومن المؤكد أنهما استقرا في الرملة في فلسطين حيث من المحتمل أن يعقوب شرع بالعمل هناك للمرة الأولى في حياته .

وتختلف روايات المصادر حول طبيعة عمله ، فتبعاً لابن تغري بردي عمل هناك سمسارا ، وجاء في مصادر أخرى أنه عمل « وكيلا للتجار » وقد جاء وصفه بأنه كان أميناً في تعامله مع الصناع ، بيد أن البحت لم يبتسم له ، وقد أخفق ، وعندما أصبح غير قادر على الوفاء بالتزاماته هرب من الرملة إلى مصر .

ولا تسعفنا المصادر في تحديد التاريخ الصحيح لوصول يعقوب بن كلس الى مصر ، ويعتقد ابن خلكان ، أن ذلك كان سنة ٩٤٢ - ٩٤٣ م ، لكن هذا بعيد الاحتمال جدا ، وكل ما يمكن قوله بشكل مؤكد أن يعقوب بن كلس كان موجودا في بلاط كافور حاكم مصر في سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م ، ومن الممكن الافتراض أنه كان يعيش في مصر بضع سنوات من ذلك التاريخ .

ومهما يكن من أمر فقد نجح يعقوب بن كلس في توطيد مكانته في القسطنطينية بعد اقامة قصيرة فيها ، وكما هو الحال في الرملة بدأ حياته هنا كتاجر ، وبهذه الصفة تمكن من الدخول بعلاقات عمل مع كافور ، حيث قام له بعدة مهام ، وهكذا تمكن من الارتقاء بسرعة الى وضع أصبح فيه من قبيل تاجر البلاط ، ومن ثم أصبح يعرف باسم « تاجر كافور » (٤٤) !

وقد حصل على تصور ثمين للمنظيم الاقتصادي والمالي للبلاد وذلك من خلال المعلومات والمدفوعات التي قدمها كافور ثمنيا لمصنوعات وأشياء وردها يعقوب بن كلس ، فقد جاء الدفع ليس نقدا فحسب بل على صورة حوالات على قرى وممتلكات في مصر ، ونتيجة لذلك توجب على يعقوب القيام بزيارات متوالية لهذه القرى والممتلكات ولذلك ازدادت معارفه بأخبار القرى وأوضاعها ، وما لبث أن أصبح خبيرا معترفا به حول الأوضاع الزراعية ، وأصبح دوما على استعداد - حسبما قال المقرئ - لتقديم المعلومات المعتمدة عندما كان يوجه اليه سؤال حول مكان من الأمكنة أو حجم المحاصيل في منطقة من المناطق وبفضل هذه الامكانيات ازدهرت أعماله وشرع في جمع الثروة .

ثم تنامت شهرته ، وتوطئت صلاته بكافور وعمل مستشارا له ، فتنامي نفوذه حتى أن كافورا قد أصدر تعليماته الخاصة

لجميع دواوين الدولة بالامتناع عن انفاق أصغر المبالغ بدون أمر من يعقوب بن كلس ، ولقد أكد المقریزی أن كل شيء « بات يمر من بين يديه » وتتضح مكانته غير المعتادة في بلاد كافور من خلال الاحترام الذي ناله من الجميع ، حتى روى أن الحجاب والأمراء كانوا يقفون له !

التحول الى الاسلام :

ولم تشكل اليهودية عائقا لتقدمه على طريق الشهرة، والمكانة، والنفوذ ، والاحترام ، فقد كان معروفا باسم اليهودي وظل كذلك، وقد أكد هذا كله ابن « عساكر » بعدما قام بسرد أخبار حياة ابن كلس ، وأنه ظل متمسكا بدينه ولم يتزحزح عن إيمانه بيهوديته (٤٥) !

ثم حدث تغير في موقف كافور ، فبعدما جرب كافور حكمة يعقوب طويلا ، وديقن من نزاهته ، وادراكه السياسي ، بات ميالا لجعله وزيرا له، وروى واحد من المقربين من كافور أنه سمعه يبدي إعجابه بقوله « أي وزير بين جنبيه » !!

وكانت حقيقة كونه يهوديا ، على أية حال ، عائقا يقف في سبيل وصوله الى هذا المنصب ، وروت عدة مصادر قول كافور بهذا الصدد : ولو كان (يعقوب بن كلس) مسلما لصلح أن يكون وزيرا (٤٦) !

ولم تنجح هذه المغريات مع ما حملته الوزارة من معان في تأثيرها على ابن كلس ، فأعلن بنفسه عن دخوله الاسلام ، وسواء أكلف يعقوب تخليه عن دين آبائه كثيرا من الآلام أم لا ، فمن

المؤكد أن المصباح نقلت عن كافور اقراره أن تحوله جاء بسبب
مطامحه الدنيوية لا بسبب قناعاته فقد « تأقت نفسه للبسلطان »
و « تطلعت للوزارة » وقد أمن صعوده نحو ما طمح اليه باعتناقه
للإسلام !

وتضيف المصادر تفاصيل زخرفية كثيرة لقصة تحوله الى
الإسلام ، فقد قيل انه أخذ شيخا الى بيته يعلمه القرآن والفقه
وبقية العلوم الاسلام ، حتى اذا جاء يوم جمعة دخل المسجد للمرة
الأولى ، وأعلن عن اسلامه وأشهره ، ثم ركب يريد كافور وبصحبه
عدد من الناس ، وكان كافور عظيم السرور بذلك فخلع عليه عددا
من الخلع ومنحه كمية من الهدايا ، وتحدث المقرئ بأن كافور
أقام له استقبالا رسميا حضره رجال الدولة وأهلها لتقديم
التهاني له (٤٧) !

وعلى الرغم مما أضفى على يعقوب أثر اعتناقه للإسلام وما ناله
من حظوة وتقدم لدى كافور حيث رقيه الى أعلى المناصب ، فان من
النتائج الكبرى التي نجمت عن ذلك كسب العداوة الشديدة
للوزير أبى الفضل بن القرات ، وكان لهذه العداوة نتائج واسعة
جدا ، حيث أنها أرغمت يعقوب على الفرار من مصر ، مما دفعه
للاتصال بالبلاط الفاطمي بالمغرب .

وسيرتبط النجاح في الإصلاح المالي والادارة المالية بشكل
عام في تاريخ مصر دوما باسم يعقوب بن كلس ، فهو الذي أرسى
قواعده ادارة مالية سليمة وفعالة ، تمكن عليها خلفاء المعز من
تكوين الآراء في ضوء نجاحاته ، وقال ، س . ه . بيكر في
وصفه : « غبقرية مالية ومنظم من الطراز الأول » !

وزير في دولة العزيز :

وازدادت مكانة يعقوب بن كلس في الدولة ثباتا بعد وفاة المعز ووصول ابنه العزيز الى الخلافة في سنة ٩٧٦ م ، فقد توسعت أعماله كمشرف ومسؤول عن الضرائب والأموال عن طريق « وضع أعمال أخرى تحت إشرافه » (٤٨) . . .

ولم يتم تحديد هذه الأعمال الأخرى ، ونعرف هنا للمرة الأولى أن يعقوب بن كلس كان بالمناسبة يستشار في مسائل السياسة الخارجية والاستراتيجية ، والاستشارات هذه المتعلقة بالقضايا الخارجية ذات أهمية خاصة ، وتشير الى زيادة رفعة شأنه ، ولاحتلاله فيما بعد للمكانة السامية في الدولة الفاطمية بتسليمه للوزارة .

واعتمد العزيز اعتمادا مطلقا على رأي يعقوب بن كلس والتجأ الى مشورته ، وقد نصحه يعقوب باعداد حملة ضد البكتين ، وبناء عليه قاد العزيز الحملة بنفسه وعاد منتصرا والبكتين معه وهو أسير ، ونسمع أن أول أعماله أثر عودته كان تعيين يعقوب ابن كلس وزيرا .

وروت المصادر جميعا خبر تعيين يعقوب بن كلس وزيرا ، وهناك خلافات حول تحديد تاريخ التعيين ، ومرد هذه الخلافات بشكل رئيسي الى الاختلاط والمزج بين الرحلتين اللتين مرت بهما عملية تعيينه في الوزارة : تعيينه وزيرا في عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م نيله للقب « الوزير الأجل » في سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م (٤٩) .

وتظهر أهمية تعيين يعقوب من خلال حقيقة أنها كانت المرة الأولى التي جرى فيها تعيين وزير من قبل الحكم الفاطمي في مصر ،

وتلح المصادر على هذه الحقيقة من خلال قولها انه كان « أول من
وزر للدولة الفاطمية في الديار المصرية » !

ويكفي أن نذكر عن أعماله كوزير حقيقين هامتين هما :

١ - تنظيم الادارة في عدة دواوين ، وزود كل ديوان بعدد محدد
من الكتاب ، أما بالنسبة لديوان الأموال فقد زود بعدد من
الجهابذة ، وأقام هؤلاء الموظفون في قصر يعقوب بن كلس ،
وعملوا جميعا تحت اشراف « زمام » محدد .

٢ - مؤسسة الخزائن التي كانت سسمة خاصة بالادارة
الداخلية للفاطميين ولقد قيل انه وضع في داره عددا كبيرا من
الخزائن أشرف على كل منها ناظر خاص .

وعلى هذا تولى إدارة الدولة الفاطمية بأكملها التي تالفت في
تلك الأثناء من مصر وبلاد الشام والمغرب والمدينتين المقدستين مكة
والمدينة ، فقد خضع جميع الموظفين في هذه البلاد مع كل أعمال
الدولة له !

سقوط مؤقت .. والعودة !

جاء في المصادر : في سنة ٩٨٣ - ٩٨٤ م أمر العزيز باعتقال
وزيره يعقوب ابن كلس ومصادرة أملاكه ، ونقل مبلغ ٢٠٠.٠٠٠
دينار من دار الوزير الى الخزانة في دار الخلافة ، وتقرأ بعد هذا ،
أن يعقوب بن كلس أودع في الاعتقال في القلعة وأن الادارة أسندت
الى خبير بن القاسم ، وذلك دون ابداء السبب (٥٠) ، ولهذا نتساءل :
ما السبب لهذا العزل المفاجيء ؟ .

ونقرأ عند ابن الأثير وابن تفسرى بردى أن القضية ارتبطت
بتهمة الخيانة وتعلقت بالبتكين الثائر المعتقل من بلاد الشام ، فلقد
روينا كيف أعاده العزيز معه أسيرا ، وعلى عكس جميع التوقعات
لم يتم العفو عن هذا العدو الخطير للفاطمين بل أثقل بالخلع إلى حد
أنه منح مكانة في البلاط ، وأصبح من ذلك الحين من حاشية العزيز ،
وعارض يعقوب بن كلس بشدة هذه المعاملة ، وبعد سنوات من
التنافس بين الاثنين تمكن يعقوب بن كلس من دس السم إلى
خصمه ، وغضب العزيز لهذا غضبا شديدا ، ونظروا لاتهامة
وزير به ، سجنه ! (٥١) . .

وتجمع المصادر على أن سجن يعقوب قد امتد إلى أقل من
شهرين ، ولم يكتف العزيز بعد هذا بإعادة كل ما صادره من
يعقوب بن كلس إليه بل أضاف إلى ذلك هدايا كثيرة ثمينة وخلع
جديدة ، ووقع الخليفة سجلا أعلن فيه عن عودته إلى مناصبه في
إدارة الحكومة ، واستمر منذ ذلك الحين يعقوب بن كلس في تسيير
أعمال العزيز بدون انقطاع حتى وفاته في سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩١ م .

ولكن لماذا أعيد إلى مناصبه بهذه السرعة بعد اعتقاله ؟ يقول
ابن الأثير مجيبا : « ثم وقفت أمور دولة العزيز باعتزال الوزير
فخلع عليه » وأعادة إلى وزارته ، ! .

• • النهاية

تلقى العزيز نبأ وفاة يعقوب سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩١ م بعدما
خدمه ما يزيد على اثنتى عشرة سنة بحزن يعدل أهميته الحيوية
لمصر ، وتتعدد الروايات التي أوردتها المصادر فيما يتعلق بمرضه
ووفاته . .

وفي تاريخ الإسلام هنالك أمثلة قليلة مشابهة لمثل هذه العلاقة الشخصية الحميمة بين خليفة ووزير ، وسيد ومسود ، حيث أن شعوره أنه مغادر هذه الحياة لم يحل بينه وبين تقديم نصيحة ثمينة لسيدة ، وأن يبدى عواطفه نحوه ، حسبما يفعل الأصدقاء الأوفياء !

وكان س . هـ بيكر ، محققا في حديثه (٥٢) عن يعقوب بن كلس من « أن الخلافة الفاطمية لم تستطع أن تجد رجلا آخر قديرا مثله وإداريا خيرا نظيرا له في السياسة الاقتصادية للبلاد ، ذلك أن الازدهار الاقتصادي في وادي النيل في ظل الحكم الفاطمي مرتبط باسمه » . ١ .

اثر الثقافة العربية فى ثقافة الجماعات اليهودية.

[الواقع ان اليهود ، على ضوء وثائق الجنيزه ، يتجلون شريحة صغيرة ، ولكنها هامة ، من السكان المصريين ، فقد عاشوا آمنين نسبيًا .. كما انتمجوا ، على نحو رائع ، بالبيئة من حولهم]

المؤرخ اليهودى : مارك كوهن

إذا كان لليهود بعض الخصائص الثقافية التى تميزهم ، فمن المؤكد أنها كانت ثقافة فرعية - ذات أصول دينية - نمت داخل الاطار العام لثقافة المجتمع الاسلامى ، خاصة فى العصر الوسيط ، ولقد أدى النشاط الثقافى الهائل الذى شهدته فترة اشراق الحضارة العربية الاسلامية فى ذلك العصر ، الى تغلغل اليهود فى أرجاء العالم الاسلامى - خاصة فى مصر - عن اللغة الآرامية واللغة العبرية ، واتخاذهم اللغة العربية لغة للكتابة والانتاج الفكرى .

بينما يسرف الباحثون والمؤرخون الاسرائيليون فى استخدام مصطلحات مثل : الأدب اليهودى ، الشعر اليهودى ، الثقافة اليهودية ، وهم يتحدثون عن اليهود الذين عاشوا فى رحاب الحضارة

العربية الاسلامية .. فى محاولة لاختلاق جذور ثقافية وحضارية
وتاريخية ، من غيبات الأوهام والأساطير والتعصب الدينى
والعنصرى !

لذا حاولت فى هذه الدراسة ، أن ألقى الضوء على الوجود
اليهودى فى المجتمع العربى الاسلامى - فى مختلف عصوره - ومدى
تأثيره بالظواهر الاجتماعية والثقافية لهذا المجتمع .. ودحض
ادعاءات اليهود بالتمايز الحضارى والاجتماعى والثقافى !

تسامح عربى :

قبيل الفتح الاسلامى للأندلس ، لاقت طائفة اليهود الأندلسيين
عننا ورهقا ، واضطهدت اضطهاداً شديداً ، فبخست أرواحهم ،
وصودروا فى أموالهم وممتلكاتهم ، وفر الكثير منهم الى المغرب
العربى ، الذى كان ينعم بعدل المسلمين ورحمتهم ، وقد استنجد
بالعرب كثير من يهود الأندلس ، واستقبلوا هؤلاء الفاتحين العادلين ،
كما استقبل أقباط مصر - عمرو بن العاص - وما كاد يسته
للمسلمين حكم الأندلس ، حتى أمنت طائفة اليهود على حياتها
وحرياتها وأموالها ومعتقداتها .

وبلغ التسامح العربى مداه نحو هذه الطائفة ، فى عصر الناصر
والمنتصر بالله ، ولعل أبرز الأدلة على ذلك ، رعاية الخليفة الناصر
للطبيب اليهودى الشهير « حسداى بن اسحق بن عزرا بن شيروط »
حتى أنه جعله واحداً من خاصة وزرائه الذين يشاورهم فى شئونه
الخاصة ..

وكان للثقافة العربية أثر رائع فى اللغة والآداب العبرية ،
ففى ذلك العصر خاصة ، ساهمت الثقافة العربية بقدر كبير فى

تطور اللغة العبرية ، بل والمحافظة عليها من الانقراض ، وقد دأب علماء اليهود الذين عاشوا في الأقطار الإسلامية ، على وضع الكتب اللغوية على نسق المؤلفات العربية في قواعد اللغة ، وتناولت فنون الشعر العبرى ، جميع الأغراض المعروفة في الشعر العربى . وبدأ تأثر شعراء اليهود - لاسيما الأندلسيين - واضحا بالأدب العربية ، ونسجوا على منوال ما درسوه من الاتجاهات الشعرية العربية ، وصاغوا قصائدهم وفقا للأبحر الشعرية المألوفة في اللغة العربية ، كذلك انتهجوا نفس الأساليب البلاغية العربية الشائعة ، كما قلدهم في نظم الأحاجى والألغاز ، وانفرد الشعراء اليهود بفن واحد هو « الحنين الى أرض الميعاد » .

ولم يؤلف اليهود كتابا علميا في قواعد اللغة العبرية إلا بعد أن تتلمذوا للعرب ، وبعد أن نشأوا في مهد الثقافة الإسلامية ، نشأة مكنتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها .

ويأتى على رأس الأدباء اليهود ، الفيلسوف الشهير « شلومو بن جبريول » الذى وصف بأنه سيد شعراء أهل ملته في عصره ، وقد صب شعره في قوالب شعر عربية ، كما أنه درس جميع اتجاهات الفلسفة باللغة العربية ، حتى أنه وضع فيها بالعربية كتابه « ينبوع الحياة » وترجم هذا الكتاب الى اللاتينية ، وظل يدرس في معاهد أوروبا حتى القرن السادس عشر ، وينسب اليه نظمه لقصيدة بلغت نحو الأربعمائة بيت ، ضمنها كل ما كان معروفا من قواعد العبرية التى كان يجيدها ، وقد أبدى في كتاباته ألما وحسرة على ترك أبناء ملته لغتهم وتمسكهم باللغة العربية !

كما ظهر من أدباء اليهود « مناحم بن سروق الطرطوشى » الذى كتب في الأدب العبرى نظما ونثرا ، منتهجا نهج الأدباء العرب ، ومن يهود الأندلس من كتب في الرياضيات والطب وعلم الأخلاق ،

الذى برغ فيه « يحيى بن يوسف بن فاقوذا » صاحب كتاب
« الهداية » الذى يدعو فيه الى اصلاح الحكم والأخلاق ، وقد تأثر
فى هذا بكتابات الامام « أبى حامد الغزالى » . . . ومنهم سليمان بن
زقيبيل « الذى حاكى الحريرى فى مقاماته » .

ومن الشعراء العبرانيين الذين تأثروا بالشعر الأندلسى فى
تراكيبه وأغراضه ، شاعر غرناطة « موسى بن عزرا » الذى برع
فى فنون الشعر وقصص الحب ، وتناول فى شعره وصف مجالس
اللهو والخمر وتباريح الهوى والغزل ، متأثرا تماما بالبيئة الأندلسية
وشعرائها ، كما أن له عدة مؤلفات فى الفلسفة ، وهو صاحب المؤلف
المشهور « المحاضرة والذاكرة » فى تاريخ النظم والنثر فى اللسانين
العربى والعبرى ، والموازنة بينهما فى اللغتين ، كما برع موسى بن
عزرا و « الحريرى » فى فن النقد الأدبى .

و أمير الشعر العبرى هو « يهوذا هاليفى » الملقب بـ
« أبى الحسن اللاوى » ويعتد أيضا من كبار فلاسفة اليهود ، وله كتاب
مشهور فى الفلسفة الدينية بعنوان : « الخوزرى » ألفه بالعربية
ثم ترجم الى العبرية .

ومنهم « ابراهيم بن عزرا » الذى قضى شطر حياته الأول فى
قرطبة - ساحة العلم والأدب - حيث درس أصول الدين والحكمة .
ثم « يهودا بن داود حيوج » المعروف عند العرب بـ « أبى زكريا
يحيى » و « يونا بن جناح » القرطبى المعروف بأبى الوليد ، اللذين
سلكا أيضا مسلك النحاة العرب - خاصة النحوى الكبير سيبويه -
ونظرة سريعة فى كتابى « الأصول » و « اللمع » لابن جناح ،
تطلعنا على مقدار ما للعرب من فضل على اليهود .

وقد نقل اليهود الى لغتهم الكثير من العلوم الاسلامية ،
كالتوحيد والطب والفلسفة وغيرها ، مثل مؤلفات « ابن سينا »
وكتاب « تهافت التهافت » للامام الغزالي ، وكتاب « تهافت
الفلاسفة » لابن رشد ، مما كان له ابلغ الاثر في تهذيب العقيدة
اليهودية فيما يتعلق بالذات الالهية وصفاتها .

ومن المناسب أن نعرض لآراء البروفيسور « دافيد يالين »
استاذ الادب العبري في العصر الأندلسي ، بالجامعة العبرية بالقدس
في كتابه « فن الشعر الأندلس » . . . حيث يقول :

« لقد كان العصر الأندلسي - عصرا زاهرا - في الأدب العبري .
وهو العصر الذهبي الثاني للأدب العبري ، اذ كان العصر الذهبي
الأول هو عصر الكتاب المقدس . . . ومما يؤسف له ، أن ذلك الشعر
الأندلسي الجميل قد كاد يندثر ، ومنذ جلائنا عن الأندلس ، عشنا
في أقطار شتى ، وتأثرنا بأداب متنوعة ، وتبدلت أذواقنا تبديلا تاما
بالنسبة للجمال وتذوقه . . . اتخذ شعراؤنا من الشعر العربي - في
ذلك العهد - نموذجا ينسجون على منواله ، وكان الشعر العربي
قد بلغ الأوج في الازدهار والابداع ، إن جمال الطبيعة في بلاد
الأندلس ، وازدهار الأدب العربي ، والتقدم العلمي في جميع
الميادين ، كان له بالطبع تأثيره القوي على اليهود ، الذين كانوا
ينعمون آنذاك تحت ظلال الحكم العربي ، ومنذ بدء القرن العاشر
الميلادي - أي منذ انتقل مركز التوراه من العراق الى الأندلس -
كان العلماء والأدباء والشعراء اليهود ينهلون من الثقافة العربية ،
التي كانت تمثل - وقتئذ - ينبوعا للثقافة والتفكير اليهودي » .

أهمية وثائق الحنيزة :

هي عبارة عن مخطوطات عبرية ، ومخطوطات عربية كتبت
بحروف عبرية ، وأخرى بالعبرية القديمة والآرامية ، عثر عليها في

الفسطاط ، وبالتحديد في معبد « بن عزرا » ومقابر اليهود في البساتين ، وتبرز أهمية هذه الوثائق في الدلالة على أن هذه المنطقة كانت تمثل « مركزا روحيا كبيرا » لليهود ذلك العصر ، ويرجع تاريخ وثائق الجنيزه الى عصور الفاطميين والأيوبيين وعصر سلاطين المماليك .

وبالإضافة الى اعتبار هذه الوثائق : سجلا تاريخيا تلافئيا لأوضاع المجتمع اليهودي في تلك العصور ، فإنها أيضا تكشف عن جوانب التأثير التي أحدثها الفقه الاسلامي ، والفكر الاسلامي في الديانة اليهودية ، الى حد ظهور فرقة جديدة تحمل اسم « اليهود القرائين » تأثرت في نشأتها وأفكارها بفكر المعتزلة !

في فترة ما قبل عصر الدولة الفاطمية في مصر ، كان في تاريخ يهود مصر شخصيتان بارزتان ، تشهد مكانتهما العلمية على أن الطائفة اليهودية في مصر - في القرن التاسع الميلادي - قد عاشت مناخا يسوده التسامح ، وفر لها قدرا من النشاط وتحصيل العلوم ، الأول هو : الطبيب الفيلسوف « اسحق بن السموأل » الذي هاجر من مصر الى القيروان عام ٩٠٠ م ، حيث عمل طبيبا في بلاط حكام المغرب من الفاطميين .

والثاني هو الفيلسوف واللغوي الشهير « سعيد (سعديا) ابن يوسف الفيومي » الذي ولد بالفيوم ، ويعتبره اليهود أبا النحو العبري ، حيث كان أول النحاه العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبري ، على غرار قواعد اللغة العربية في كتابه : « المجموعة » كما ألف كتابين آخرين : اللغة العبرية ، وكتاب الفصاحة ، وقد أخذ الكثير من العلوم الاسلامية وتأثر بمذهب المعتزلة ، وفي كتابه « بستان العقول » نلمس بوضوح أثر الفقه الفاطمي ، كما أخذ عن الكرمانى مؤلف كتاب « راحة العقل » .

وقد عظم شأن سعيديا حتى أصبح من أشهر رؤساء معاهد العراق ، وكان قبيل رحيله الى العراق ، قد أمضى عدة سنوات في فلسطين ، وتولى رئاسة معهد « سورا » بالعراق .

عصر الدولة الفاطمية :

انزعجت القاهرة الفاطمية مكانة بغداد ، وأصبحت بفضل سياستها الاقتصادية المنفتحة والمتسامحة - كما يشير مارك كوهن - أكثر مفرقات الطرق التجارية نشاطا في العالم الاسلامي ، في هذه الظروف ، سرعان ما وجد يهود مصر أنفسهم - وقد توافد اليهم المهاجرون اليهود في أعقاب الفتح الفاطمي - في مكانة متميزة .

اسمان يهوديان برزا في العصر الفاطمي : « يعقوب بن كلس » الذي أشهر اسلامه عندما كان مستشارا لكافور الأخشيدي ، أملا في تقلد منصب الوزارة ، ثم تقرب الى الخليفة المعز لدين الله ، الى أن قلده العزيز بالله بن المعز منصب الوزارة عام ٩٧٧ م .

والثاني : « بلطيال بن شفطيا » وكان معاصرا لابن كلس ، وطبيبا في بلاط الخليفة المعز ، عظم شأنه حتى تزعم الطائفة اليهودية في مصر .

وتذهب بعض الآراء ، الى أن الفاطميين باعبارهم أقلية شيعية فرضت سلطانها على الأكثرية السنية ، فمن الجائز أنهم قد استخدموا الكتاب والأطباء اليهود لضمان ولائهم للحكم ، لكن من الواضح ، أن عصر الدولة الفاطمية كان بالنسبة لليهود في مصر « فترة اندماج حقبى في الحياة السياسية الخامة للدولة » مما حدا بالشاعر المصري « الحسن بن خاقان » الى السخرية من سياسة الفاطميين قائلا :

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم ، والمال عندهم ومنهم المستشار والمالك
يا أهل مصر انى نصحت لكم تهودوا ، قد تهود الفلك ا

الدولة الأيوبية وعصر سلاطين المماليك :

شهدت الفترة ما بين القرن الثانى عشر ومنتصف القرن
الرابع عشر ، ازدهارا ثقافيا لليهود المصريين ، كان بداية هذه النهضة
الثقافية حوالى عام ١١٦٥ م ، عندما رحل الى مصر «موسى بن ميمون»
أشهر شخصية يهودية نبغت فى ظل الحضارة الاسلامية ، حاملا معه
تراثا ثقافيا أندلسيا ، وقد تلقى علومه بجامعة القرويين فى فاس قبل
هجرته الى مصر ، وأفكاره الفلسفية تشهد بمكانته العلمية ، وقد أنشأ
فى مصر « سلاله من الأدباء والعلماء » هيمنوا أيضا على زعامة الطائفة .

تولى بن ميمون منصب « رئيس اليهود » عام ١١٧١ م مع استقلال
صلاح الدين بمصر وتأسيس الدولة الأيوبية ، وظل فى منصبه حتى
عام ١١٧٧ م ، ثم تولاها مرة أخرى فى الفترة ١١٩٥ - ١٢٠٤ م ،
كما اشتهر كطبيب خاص لصلاح الدين . وقد تأثر فى كتاباته الطبية
بمؤلفات ابن سينا والرازى ، وأشهر مؤلفاته كتاب «دلالة الحائرين»
الذى أتم تأليفه باللغة العربية عام ١١٩٥ م ، ثم ترجم الى العبرية
بعد ذلك كتاب « قواعد الشريعة اليهودية » .

وتشير كتابات بن ميمون الى ممارسة بعض اليهود للصوفية
على النمط الاسلامى ، وقد تأسست حلقة صوفية يهودية بالقاهرة ،
وأخرى بالاسكندرية ، ضمنا جماعة من ونحاء اليهود : أطباء ، قضاء ،
علماء ، موظفون .

وقد مارس « ابراهيم بن موسى بن ميمون » ورفاقه طقوسا مماثلة للتصوف الاسلامي ، وأكثروا من الصيام ، وأضافوا احناء الرؤوس والسجود في صلواتهم ، وحذا ابراهيم حذو أبيه - موسى بن ميمون - الذي اتبع سلوكا اسلاميا تقشفيا في اقامة الشعائر بالمعابد ، وقد حاول ابراهيم نشر هذه الطقوس بين الطائفة . . غير أن بعض وجهاء اليهود شكوه الى السلطات الايوبية ، لمحاولته ادخال « البدع » الى الديانة اليهودية . . . وقد رد عليهم بدفاع أدبي قوى في كتاب « الزهد » الذي ألفه باللغة العربية ، ومن مؤلفاته أيضا : « تفسير المشناه » باللغة العربية عام ١١٦٨ م و « المشناه تورا » بالعبرية عام ١١٨٠ م ، كما تضمن كتابه « كفاية العابدين » باللغة العربية ، آراؤه في التصوف اليهودي وبرنامجا للخاصة من المتصوفين اليهود !

وقد ورث ابراهيم منصب أبيه بأعتباره السلطة التلمودية الاولى ، وترأس النجيد « داود بن ابراهيم بن ميمون » معهد القسطنطين ، وتنسب اليه مجموعة من المواعظ ، وشرح لجزء « الآباء » من المشناه و « تحرير نبوة الطفل نحمان » . . كما ألف شفيقه « عوبديا بن ابراهيم بن ميمون » رسالة شبه صوفية بعنوان « المقالة الحوضية » وكانت كتاباته تحاول اصفاء الاحترام الفكري على التصوف اليهودي . . ويبدو أن ازدهار التصوف الاسلامي في مصر قد شكل محطة على طريق كثير من اليهود الى اعتناق الاسلام ، ومن بعض نصوص الجنيزه ، يتضح لنا أن اعتناق اليهود للدين الاسلامي ، لم يكن حدثا غريبا في حياة الطائفة اليهودية .

كذلك وضع النجيد « يهوشع بن ابراهيم بن داود » مجموعة « الفناوى الشرعية » كما كتب ابنه داود رسالة بالعربية عن المكاييل والمقاييس في التوراه والتنمود ، وكان الشاعر « يوسف بن تنحوم هيروشلمى » اخر من كتب الشعر باللغة العربية ، وقد عاش في رعاية

أسرة ابن ميمون ، كما كان والده عالما فى اللغة وتفسير التوراه ،
كذلك دون عدد من الأطباء اليهود المصريين - خلال القرن الثالث عشر
الميلادى - رسائل فى الطب والعقاقير .

وقد عرض « ابا ايبان » وزير الخارجية الاسرائيلى الأسبق ،
الى تجربة اليهود فى الأندلس والمغرب ، فى كتابه « My People »
الذى أقر فيه بازدهار اليهود اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا فى ظل
الحكم العربى ، فيقول :

« شهدت الطوائف اليهودية فى أسبانيا والشمال الافريقى ،
ازدهارا فى جميع مجالات الابداع على مدى قرنين من الزمان - فى أقل
تقدير - تحت ظل الوصاية العربية .. هذا الازدهار لم يتحقق من
قبل على مدار تاريخ الشتات الذى تعرض له اليهود ا » .

وثائق جنيزه القاهرة

الدراسة التاريخية ، أو الاجتماعية ، أو اللغوية ، لعصر ما ، لا بد من ان تعتمد على المخطوطات والوثائق ، فهي أصدق تعبير عن العصر الذى كتبت فيه ، فالى جانب الأهمية البالغة لوثائق الجنيزه ، بالنسبة الى تاريخ يهود العالم العربى ، فانها تشكل دورا هاما ، أيضا ، فى دراسة التاريخ الاسلامى عامة ، وفى مصر بشكل خاص .

والجنيزه مصطلح حديث أطلق على الوثائق والمخطوطات التى كنزها اليهود فى العصور الوسطى ، فى معبد « بن عزرا » بالقسطنطينية ، الخاص بطائفة اليهود اربانيين ، ومقابر اليهود فى جى البساتين . ولهذا أطلق على هذه المجموعة اسم « جنيزه القاهرة » .

وتعنى الجنيزه ، لغويا ، المخبأ ، أو مكان الدفن . فهى قريبة من الكلمة العربية التى تعنى الموكب المشيع للميت . أما فى تقاليد اليهودية ، فيطلق اسم الجنيزه على مستودع الأوراق البالية من الكتابات اليهودية المقدسة ، التى لا يجوز ابادتها ، حتى وإن لم تعد تستعمل ، وذلك لما يفترض من ورود اسم الله فى ثناياها . وعليه ، فقد جرت العادة على خزن هذه الكتب البالية وقصاصات الورق ، « مؤقتا » ، فى مكان محدد فى المعبد ، ثم يتم ، من حين الى آخر ، تفريغ هذا المكان من محتوياته ، لنقل ، عادة ، الى المقبرة ، حيث

تدفن نهائيا . ويطلق اسم « غرفة الجنيزه » على المستودع المؤقت
فى المعبد ، وكذلك على المدفن الدائم فى المقبرة .
Cohen, Mark R. ; *Jewish life in Medieval Egypt*, 641-
1382, : Tel-Aviv University, 1987, p. 91.

ومعبد « بن عزرا » ، الذى اكتشفت فيه مخطوطات الجنيزه ،
كان يعرف باسم معبد الياهو ، ويعرف ، أيضا ، بقصر الشمع .
ويزعم بعض الروايات اليهودية ان النبی الياهو (ايليا) قد نجلى
ذات مرة للمتعبدين هناك . ويعتبر اليهود المصريون موقع ذلك المعبد
مکانا مقدسا ، حيث يزعمون ان النبی موسى صلى الى الله فى هذا
المكان ، ودعاه ان يرفع عن المصريين الطاعون الذى ابتلاهم به .

وتعتبر محتويات غرفة الجنيزه فى معبد « بن عزرا » ، أخطر ،
وأهم ، مخطوطات الجنيزه على الاطلاق ، وهى ملحقة بأعلى المعبد
(فى نهاية بهو النساء) ، وتبلغ قياساتها ٥ × ٢ × ٥ × ٢٥ م ،
وليس لها مدخل سوى نافذة عالية يمكن الوصول اليها من على السلم
فقط ، حيث كان على يهود ذلك العصر الصعود لالقاء أوراقهم من تلك
النافذة الى داخل الغرفة .

وأول من علم بوجود الجنيزه فى الفسطاط ، كان الرحالة
اليهودى سيمون فون جلورن الذى زار المعبد (وكان مازال يدعى
كنيس ، أو معبد ، الياهو) فى سنة ١٧٥٢ ، وألقى نظرة على
الجنيزه ، كما ذكر فى يومياته (المصدر نفسه) .

ثم تمكن اليهودى الروسى ابراهام فيركوفتش (١٧٨٦ -
١٨٧٤) من الحصول على بضعة آلاف من تلك المخطوطات ، التى
استقرت فى المكتبة العامة فى سانت بطرسبرج (ليننغراد حاليا) .

وفى العام ١٨٨٨ ، قام اليهودى البريطانى الكان ادلر بزيارة المعبد ، ولكنه لم يتمكن من اكتشاف حجرة الجنيزه . غير أنه عاد ، مرة أخرى ، فى العام ١٨٩٦ ، حيث قاده الحاخام الاكبر للقاهرة الى حجرة الجنيزه ذاتها ، فكان أول أوروبى يمنح هذا الامتياز ، حيث سمح له بالدخول عبر النافذة ، ليقضى نحو أربع ساعات داخل الحجرة ، ثم يخرج ببضعة آلاف أخرى من وثائق الجنيزه ، لتكون مجموعات تحمل اسمه فى مكتبة السمنار اليتولوجى اليهودى فى نيويورك Cassuto, David ; « A Selection of Synagogues in Old Cairo », B.L.A.C.C., No. 10, 1988, p. 9).

بعد شهر قليلة من زيارة ادلر الثانية ، والناجحة ، عرضت على أستاذ العلوم اليهودية ، فى جامعة كمبريدج ، سالومون شختر ، بعض المخطوطات العبرية ، التى حصلت عليها شقيقتان مسيحيتان من اسكتلندا ، ابتاعتهما من تاجر عاديات بالقاهرة ، وسرعان ما اكتشف شختر ان تلك المخطوطات تحتوى على جزء من النسخة الأصلية لكتاب « حكمة ابن سيرا » الذى يضم شروحا للتوراة ، وكان معروفا من خلال ترجمته اليونانية فقط ، فقرر الرحيل الى القاهرة ، فى كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٦ ، مزودا بالدعم المالى من صديقه مدير كلية القديس جون ، فى كمبريدج ، تشارلز تايلور ، ورسائل توصية الى زعماء الطائفة اليهودية فى القاهرة من الحاخام الاكبر فى انكلترا وتمكن شختر من استخلاص مئة وأربعين ألف ورقة ، وضعت فى صناديق ، وأرسلت الى بريطانيا ، لتكون أكبر وأهم مجموعة جنيزه فى العالم ، تحت اسم « Taylor-Schechter » فى مكتبة جامعة كمبريدج . وباقي مجموعات وثائق الجنيزه موزع على مكتبات:

نيويورك ، وواشنطن ، وفيلادلفيا ، واكسفورد ، ولندن ،
ومانشستر ، وباريس ، وميونخ ، وفيينا ، وبودابست ، وليبنغراد ،
والقدس Cohen, Mark R. ; « The Geniza Documents of
Cairo a Source for Egyption History », B.L.A.C.C., No. 2,
1983, p. 5

وفى مقابر البساتين ، اكنشفت مجموعة أخرى بلغت نحو
أربعة آلاف مخطوطة ، العام ١٩١١ - ١٩١٢ ، بفضل جهود اليهودى
المصرى ، جاك موصيرى ، ودعمه لبعض الباحثين الأوروبيين ، وهى
مستقرة ، الآن ، فى الجامعة العبرية ، فى القدس ، تحت اسم
« مجموعة موصيرى » .

ومما لاشك فيه ، ان دراسة التاريخ اليهودى قد أفادت كثيرا
من وثائق الجنيزه ، التى ترجع الى الفترة الممتدة من عصر الدولة
الفاطمية حتى عصر الدولة الايوبية ، أى من نهايات القرن العاشر
الميلادى حتى أواسط القرن الثالث عشر ، وتوجد وثائق ، أيضا ،
من المصريين ، المملوكى والعثمانى ، بل ان هناك ، أيضا ، بعض
الرسائل ، والوثائق ، يرجع تاريخها الى منتصف القرن
التاسع عشر .

ونؤكد وثائق الجنيزه ان اليهود لم يختلفوا كثيرا فى مصر
والدول المجاورة لها ، فى العصور الوسطى ، عن جيرانهم المسلمين
فى أنشطتهم الاقتصادية ، وعاداتهم الاجتماعية . ولذا ، فهى تعد
مصدرا ممتازا لتاريخ العالم الاسلامى الاقتصادى ، والاجتماعى ،
فى تلك الحقبة Norman, Golb ; Sixty Years of Geniza
Research, 1957, (p. 16 ، حيث نتعرف منها على نظم التجارة
وأحوالها بين دول البحر المتوسط الاسلامية والهند ، بجانب الموارد
المالية ، والصناعية ، والبضائع ، والأسعار ، والرحلات البحرية ،

وتنقسم وثائق الجنيزه الى ثلاثة أقسام لغوية : الأول بالعبرية ،
والثانى بالعربية المكتوبة بالعبرية ، والثالث بالأرامية . وتنقسم ،
من حيث الموضوعات ، الى نوعين : المصادر الأدبية ، والمصادر
الوثائقية . المصادر الأدبية تشكل الجزء الأكبر من هذه المخطوطات ،
وتشمل : الصلوات والشعر الدينى وصفحات من التوراة على لفائف
الورق ، أو البردى ، أو ترجمات للتوراة الى اليونانية ، وقصص
نثرية ، والمسناه ، والنلمود ، ومؤلفات فى التنجيم والفلسفة
والطب ، وتعاويد ، ونصوص سحرية ، ورسائل اخوانية . أما النوع
الثانى ، الوثائقى ، فقد توسع يهود مصر كثيرا فى تفسيرهم لتحريم
إبادة الأوراق المكتوبة ، حيث اختزنوا أوراقا كثيرة ، لا تحصى
شيئا من التقديس ، فتضمنت مذكرات للمفكرين والتجار اليهود ،
حوت معلومات عن الأوضاع السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ،
عن المجتمع الإسلامى ، كما تضمنت ملفات المحاكم : عقود الزواج ،
وثائق الطلاق ، الوصايا ، صفقات بيع وشراء ، وفواتير حساب ،
وتعهدات عنق عبيد واماء ، وإبراء ، وخطابات رسمية الى السلطات ،
وتقارير ، وشكاوى ، والتماسات ، ورسائل خاصة بجمع تبرعات من
اليهود لأعمال الخير ، كعتق جارية يهودية ، أو تقديم فدية لليهود
تعرضوا للأسر فى أثناء السفر فى البحر . . كما عثر على مؤلفات
بعض المسلمين باللغة العربية ، وبعضها بالأحرف العبرية ، مما يؤكد
شغف اليهود بأدب الدولة الإسلامية التى عاشوا بين ظهرانيها ،
فظهر أثر ذلك فى كثير من إنتاجهم الأدبى ذاته ، كذلك عثر على
وثيقة يهودية عبارة عن قائمة بنجهاز عروس ، تلقى الضوء على
جانب من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بشكل عام ، حيث
أوردت هذه الوثيقة أشياء من شوار العروس بقيمتها المالية ، وترسم
صورة للملابس والحلى التى استعملتها النساء فى ذلك العصر ،

جوانب كثيرة من الحضارة المادية تتجلى من خلال هذا النوع من الوثائق .

وتشمل جنيزه القاهرة ، أيضا ، ما يسمى بـ « البيوط » ، ويعنى هذا المصطلح الشعر الدينى ، أو تلاوة التوراة بأسلوب شعرى . وقد ارتبط هذا الشعر ، أو البيوط ، بيوم التاسع من آب (أغسطس) ، الذى يصوم فيه اليهود . وتتحدث هذه الأشعار الدينية عن كائنات تشبه الملائكة تتدخل وتشن حربا شعواء لا تبقى ولا تذر أحدا من أعداء الرب . وهذه الملائكة تظهر حينما يعلن شالتييل عن قدرته على تحقيق الخلاص ، وإعادة بناء الهيكل ، فيثيرون القلاقل فى جميع الأمم ، وتحل المجاعات ، وتهب العواصف والأعاصير ، ويسيل دم الأعداء كجداول الأنهار ، وبلقى الآلاف حتفهم من هول ما يرون ! .

هذه المخططات ، أو التصورات ، اليهودية القديمة ليوم الخلاص وتدخل الرب وملائكته ضد الأمم المجاورة من أعداء الرب وإعادة بناء هيكل سليمان وقيام مملكة لليهود ، يعطينا تصورا وتحليلا لما تقوم به ، حاليا ، الدولة الصهيونية ، واستشرافا لما تنسوى القيام به مستقبلا !

وترجع أهمية هذه المخطوطات الى أمرين أساسيين :

الأول تلك السماحة الاسلامية العظيمة التى تمتع بها النسيون عامة ، واليهود منهم فى العالم الاسلامى ، الأمر الذى فتح لهم الأبواب للاشتغال بالأعمال الثقافية ، والمهن العلمية ، كالطب والصيدلة ، والاقتراب ، عن طريق ذلك ، من دوائر الحكام المسلمين ، على غرار الحاخام موسى بن ميمون الذى كان طبيبا ومستشارا خاصا لصلاح الدين الأيوبي أبان الحروب الصليبية ، مما يعنى انه قد شامد

أمورا كثيرة تتصل بتاريخ تلك الحروب من داخل خيمة البطول
الاسلامى صلاح الدين . ومن هنا تبدو أهمية المخطوطات فى الكشف
عن التاريخ الاجتماعى ، والسياسى ، للعالم العربى ، والاسلامى ،
فقد عثر فى جنيزه القاهرة على أوراق عديدة بقلم موسى بن ميمون ،
نشر بعضها ، وما زال البعض الآخر طى الكتمان فى جامعة
كمبريدج (*) .

الثانى الذى يجعل لهذه الوثائق أهمية تاريخية ، هو ان
طريق التجارة عبر شبه الجزيرة العربية الى الهند ، سواء بالبحر
أو بالبر ، كان هو الطريق الذى يسلكه التجار اليهود ضمن قوافل
التجارة الكبيرة . ومن هنا ، فان سجلاتهم التجارية ، ومذكراتهم
حول مشاهداتهم عن حياة شبه الجزيرة ومنطقة الخليج ، تمثل
سجلا تاريخيا تلقائيا للأوضاع العامة فى تلك المناطق . واذا أضفنا
الى ذلك ان هؤلاء التجار ، حين عودتهم الى مصر ، قاموا بنقل البضائع
الى المغرب وفى نطاق حوض البحر المتوسط ، فانه يمكننا ان نتصور
المدى الجغرافى الذى تغطيه هذه الوثائق ، وتكشف عن طبيعة
الحياة فيه (**).

كما ان هذه الوثائق تكشف عن جوانب التأثير التى أحدثها
الفقه الاسلامى والفكر الاسلامى فى الديانة اليهودية ، الى حد ظهور
فرقة يهودية جديدة تحمل اسم « اليهود القرائين » ، تأثرت ، فى
نشأتها وأفكارها ، بفكر المعتزلة ، بدأت فى العراق ، ثم انتقل
مركزها الى مصر .

(*) د . ابراهيم البحراوى ، « استراتيجيات الاختراق الفكرى الصهيونى فى
إطار المعاهدة المصرية الإسرائيلية » ، شئون فلسطينية ، العدد ١٨٤ ، تموز
(يوليو) ١٩٨٨ ، ص ٤٧ - ٤٨ .
(**) المصدر نفسه .

ونظرا الى أهمية هذه الوثائق ، فقد أولاها العلماء اليهود اهتماما خاصا ، وكان على رأسهم العالم الأميركي ، صاموئيل د. جويتين ، الذي كتب سلسلة طويلة من الدراسات الخاصة بتلك الوثائق ، ضمنها في مؤلف ضخيم تحت عنوان « مجتمع البحر المتوسط ، الطوائف اليهودية كما تبدو من خلال وثائق جنيزه القاهرة »

Goitein, S.D. ; *A Mediterranean Society ; The Jewish Communities as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza*, California : University of California Press, 1983, Vol. 4

وقد سبقتها الدراسة التي أعدها يعقوب مان تحت عنوان « اليهود في مصر وفلسطين تحت حكم الخلفاء الفاطميين » ، ثم دراستان لموشي جيل عن « الأوقاف اليهودية والمؤسسات الخيرية اليهودية » ، ودراسة حاييم شاكيد تحت عنوان « ببليوجرافية مقترحة عن وثائق الجنيزه » Shaked, H. ; *A Tentative Bibliography of the Geniza Documents*, Paris : 1964

كما قدم العالم اليهودي الأمبركي مارك كوهين محاضرة في المركز الأكاديمي الاسرائيلي ، في القاهرة ، العام ١٩٨٢ ، بعنوان « وثائق جنيزه القاهرة مصدر للتاريخ المصري » . وقد نشر المركز ، في مجلته الدورية ، ملخصا وافيا لهذه المحاضرة بالعنوان ذاته Bulletin of the Israeli Academic Center in Cairo, No. 3. 1983/1984

بعد معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية ، لوحظ ان الوفود الاسرائيلية ، التي تدافعت الى القاهرة ، بدأت مواصلة عمليات النهب لما تبقى من وثائق الجنيزه في معبد « بن عزرا » ومقابر اليهود في حي البساتين ، وهي التي منحها لهم مؤسس الدولة الطولونية ،

أحمد بن طولون ، فى القرن التاسع الميلادى • ومنذ ذلك العصر
وهى. تستخدم للفن وثائق الجنيزه فى أحواشها •

١٠ وفى العام ١٩٨١ ، تقسمت وحدة البحوث الاسرائيلية ، فى
جامعة عين شمس ، برئاسة د • ابراهيم البحراوى ، ببحث تحت
عنوان « حماية المخطوطات اليهودية المصرية من النهب والتهريب » ،
وقد تضمنت مقدمة مشروع البحث ملاحظات عدة حول عمليات النهب
الجارية ، وأوصت بتكوين فريق بحث يتولى استخدام هذه الوثائق ،
وحفظها ، وفهرستها علميا ، لتحقيق هدفين :

١ - منع احتمالات تزيف التاريخ من جانب المستشرقين
والباحثين اليهود ، الذين يخضعون كل ما يتعلق بتاريخهم وثقافتهم
للتوظيف السياسى ، الذى لا تخفى مآربه ، بالاضافة الى انهم
اذا ما امتلكوا الوثائق حجبوا ما هو حجة عليهم ، وروجوا لما
يناسبهم ، بالتخير والتبديل فى حقائق التاريخ •

٢ - المحافظة على المخطوطات المدفونة فى مقابر البساتين ،
قبل ان تمتد اليها يد العبث والنهب ، وحتى لا يكون مصيرها
التهريب الى خارج مصر ، كما حدث لمجموعتى كمبريدج وفيينا •
غير ان اسرائيل أدركت ان المشروع المصرى يقطع الطريق على عمليات
النهب والتهريب الجارية لوثائق الجنيزه ، فسارع مدير المركز
الأكاديمى الاسرائيلى ، آنذاك ، فى القاهرة ، والسفير الاسرائيلى
الأسبق فى القاهرة ، د • شيمون شامير ، الى صوغ مشروع بحث
مماثل قام بتقديمه الى هيئة الآثار المصرية باسم مارك كوهين ،
الأستاذ فى جامعة برنستون الأمريكية • وبعد ان أصدر قرار اللجنة
الدائمة للآثار بمنح امتياز المشروع لجامعة عين شمس ، لجأ الجانب
الاسرائيلى الى سلاح الضغط بالطوائف اليهودية الأمريكية ومراوغات
مجلس الطائفة اليهودية فى القاهرة ، وتدخلات الحاخام الأكبر

الاسرائيلي ، الذي جاء في فتواه : « ممنوع اخراج أى سفر ،
أو شيء جنزى ، وفقا للشريعة ، الا اذا كان هناك سبب معقول » ؛
وعليه ، ظل المشروع مجمدا ، ليصبح مثالا صارخا لمحاولات
التدخل الاسرائيلي في بحوث جامعات مصر ، على الرغم من الجهود
التي بذلت لوضعه في حيز التنفيذ ، للحفاظ على الثروة المصرية
من النهب ، وحفظ حقوق الاختيار السياسى للباحث المصرى .

المراجع

- M. Cohen : Jewish life in Medieval Egypt 641-1382, (١)
p. 30, Tel Aviv 1987.
- S. Goitein : Mediterranean Society Vol. II, p. 356. (٢)
- M. Cohen : Jewish Self-Government in Medieval Egypt, (٣)
Princeton, 1980.
- S. Goitein : Op. cit., p. 23-25. (٤)
- M. Cohen : Jewish life —, p. 31. (٥)
- S. Goitein : Op. cit., p. 68-72. (٦)
- M. Friedman : Jewish Marriage in Palestine A. Cairo (٧)
Geniza Study Vol I, pp. 21-25.
- M. Cohen : Op. cit., p. 32. (٨)
- M. Cohen : op. cit., p. 33. (٩)
- M. Cohen : Jewish Self Gov. p. 255. (١٠)
- S. Goitein : Op. cit., pp. 72-75. (١١)
- Mann : Jews in Egypt and Palestine, pp. 19-26. (١٢)
- M. Cohen : Jewish Life ..., p. 36. (١٣)
- M. Cohen : Op. cit., p. 37. (١٤)
- Idem, p. 37. (١٥)
- S. Goitein : Op. cit., p. 76. (١٦)
- M. Cohen : Op. cit., p. 39. (١٧)
- Idem, p. 40. (١٨)

- Idem, p. 42. (١٩)
- S. Goitein : Journal of Jewish Studies, Vol. 12, p. 155-158. (٢٠)
- S. Goitein : Mediterranean Society, Vol. II, p. 72-75 (٢١)
- M. Cohen : Op. cit., p. 43. (٢٢)
- E. Ashtor : Some Features of the Jewish Communities (٢٣)
in Medieval Egypt, Zion 3, 1965, p. 129.
- S. Goitein : Op. cit., p. 76-77. (٢٤)
- Idem, p. 79. (٢٥)
- M. Cohen : op. cit., p. 44. (٢٦)
- E. Ashtor : Op. cit., p. 130. (٢٧)
- S. Goitein : Ha-Yishuv be-eres Yisrael, Jerusalem 1980. (٢٨)
pp. 109-111.
- M. Cohen : Op. cit., p. 46-47. (٢٩)
- M. Cohen : Op. cit., p. 47. (٣٠)
- S. Goitein : Ha-Yishuv ..., p. 78. (٣١)
- M. Cohen : Op. cit., p. 49. (٣٢)
- S. Goitein : Medit-Society, Vol II, p. 86. (٣٣)
- M. Cohen : Op. cit., p. 50. (٣٤)
- E. Ashtor : Op. cit., p. 132. (٣٥)
- M. Cohen : Op. cit., p. 51. (٣٦)
- S. Goitein : Op. cit., p. 88. (٣٧)
- M. Cohen : Op. cit., p. 53. (٣٨)
- S. Goitein : Op. cit., p. 96. (٣٩)
- M. Cohen : Jewish Self ..., pp. 255-259. (٤٠)
- (٤١) د. قاسم عبده : اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو
العثماني « ص ٧٦ - ٧٧ القاهرة ، ١٩٨٧ .

W. J. Fischel : Jews in the Economic and Political life (٤٢)
of Medieval Islam, New York, p. 70.

(٤٣) ابن خلکان : ج ٢ ، ص ٤٤٢ ، المقریزی : ج ٢ ، ص ٥ ، الذہبی :
ج ١ ، ص ١٨٠ ، ابن تغری بردی : ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن الصیرفی : ص ٩٣ .

(٤٤) ابن خلکان : ج ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٤٥) ابن خلکان : ج ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٤٦) المقریزی : ج ٢ ، ص ٦ ، ابن تغری بردی : ج ٢ ، ص ٤٥ .

(٤٧) ابن الصیرفی ، ص ٩٤ .

(٤٨) المقریزی : ج ٢ ، ص ٦ .

(٤٩) ابن الاثیر : ج ٨ ، ص ٤٨٤ .

c. J. Fischel : Op. cit., p. 87. (٥١)

Idem, p. 88. (٥٢)

يهود مصر الحديثة

وقائع حارة اليهود !

ان الاندماج اليهودى فى واقع المجتمع المصرى .. كان اندماجا وانصهارا نسجته الأيام ، من خلال التسامح الفطرى الذى ميز الانسان المصرى عبر تاريخه ، وجعله بحسه الحضارى يفصل بين الدين وأمور الحياة اليومية ، فلم تلق حارة اليهود بالقاهرة : مصير حارات اليهود فى العالم .. !

و « حارة اليهود » .. هى أشهر الأماكن التى عاش فيها يهود مصر ، وتتبع قسم الجمالية ، وتنقسم الى قسمين : شياخة اليهود الربانين ، وشياخة اليهود القرائين .. ليس معنى هذا أن اليهود المصريين قد عاشوا فى « جيتو » كما عاشوا فى أوروبا ، فنشأة الحارة ، كان فى الأساس طبقيا وليس دينيا ..

وعن النشأة التاريخية لحارة اليهود ، يقول « على باشا مبارك » فى خطته :

« .. هى جزء من الحارة القديمة التى عرفت بحارة زويلة فى خطط المقرئى ، عندما نزل القائد جوهر بالقاهرة سنة ٣٥٨ هـ ، واختط لكل قبيلة خطة عرفت بها .. ويسلك إليها من سوق الصيارفه ، ومن خط الخرنفش عند باب سوق السمك ، ومن شارع

خميس العدس ، ودرب الصقالبه المسلوك اليه من الزقاق الذى على يسار المار من شارع السكة الجديدة ، من جهة قنطرة الموسكى . . الخلاصة أن حارة زويله القديمة التى أشار اليها مؤرخو الخطط ، انقسمت الى أربعة أقسام : حارة زويله المعروفة اليوم ، حارة اليهود الربانيين ، حارة اليهود القرائين ، درب الصقالبه ، وجميعها يطلق عليه « حارة اليهود » غير أن لكل واحدة منها بابا من خط يبعد عن الآخر ، أما فى الداخل ، فالجميع حى أو حارة واحدة .

نشغل حارة اليهود : مساحة كيلومترين مربعين تقريبا ، تبدأ من وسط شارع الصاغة ، تتفرع بداخلها نحو ١٢ حارة وزقاقا ، يكثر بها المنحنيات والعطف ، وتتصل عن طريق سبعة منافذ ، بحى الخرنفش وجنوب الحسينية ، وتجاور شارع الموسكى وخان الخليلي والصاغة وحى الحسين . . وقد فصلها عن شارع الحمزاوى (سوق الحمزاوى الكبير) شارع الألفرد عند شقه .

وتشير المصادر التاريخية الى أن يهود مصر لم يعيشوا فى معزل أو « جيتو » ولم يغتبرهم المجتمع جالية أجنبية ، بل مصريون اعتنقوا الدين اليهودى ، والسلوك الاجتماعى لم يميزهم عن بقية أبناء المجتمع المصرى .

والتمييز بين مستويات الحياة الاجتماعية والاقتصادية ليهود مصر ، كان يخلق بالفعل تباينا ملحوظا - على نفس النحو الذى كان قائما فى المجتمع المصرى - وسكان الحارة ، الذين يمثلون أفقر الطبقات اليهودية ، كانوا جزءا من نسيج المجتمع من حيث اللغة والثقافة والتقاليد المتوارثة .

التسامح وعلاقات الود تسود الجميع : مسلمين ويهود وأقباط ، معايشة مجردة من كل تعصب ديني ، مع احتفاظ أهل كل دين بشخصيتهم الاجتماعية الذاتية ، ونوع من المشاركة الوجدانية في مناسبات الأفراح والأحزان والاحتفال بالأعياد .

يقول أديبنا الراحل « احسان عبد القدوس » :

« عشت طويلا قريبا من حارة اليهود ، كان لي صديق من أيام الدراسة الابتدائية ، يملك والده دكانا لبيع الثياب في شارع الموسكى ، ويسكن في كوم الشيخ سلامة المتفرع من نفس الشارع ، قريبا جدا من حارة اليهود . . . وكنت أقيم مع صديقي في بيته أياما لنذاكر دروسنا معا ، وكنت أحيانا ، في أيام الأجازات ، أنزل معه الى دكان والده ، وأعمل معه في استقبال الزبائن . . . وحارة اليهود بجانبنا . . . يخرج أهلها في الصباح ، ويعيشون بين كل أهالى وتجار شارع الموسكى والشوارع المحيطة به ، وكان بين موظفى دكان والد صديقى - يهودى - من أهالى حارة اليهود ، وبرغم أنه كان يتميز بالصمت والانعزال ، فانه كان يدعونى الى بينه فى الحارة . . . لم تحرق وتدمر حارة اليهود فى القاهرة ، كما حرقت ودمرت فى جميع أنحاء العالم عبر التاريخ !! » .

وبينما حدد الفيلسوف اليهودى « موشى مندلسون » ١٧٢٩ - ١٧٨٦ ، الرائد الروحي لحركة « الهسكالاه » رؤية جديدة فى الفكر اليهودى - آنذاك - عندما طالب اليهود بنبد « عقلية الجيتو » وأن يندمجوا فى البيئات التى يعيشون فيها ، وأن يتواءموا مع شعوبها . . . نجد أن الحركة الصهيونية ، كانت أشد خوصا وحذرا من « اندماج اليهود » فى شعوب الأرض ، وضىاع « الصفات اليهودية » المميزة ا

جو من التسامح الفطرى كان يظل حياة اليهود المصريين ،
لم يعكره سوى استفزازات وتحركات المنظمات الصهيونية بدءا من
عام ١٩٣٨ ، وما بعد نشوب حرب ١٩٤٨ التى كشفت عن الوجه
القيبح للصهيونية ووضوح أهدافها التوسعية الدموية .. وتأثر
كثير من يهود مصر بالدعاية الصهيونية ، وفكرة « الحنين الى وطن
يجمع كل يهود الشتات » .. والحلم بالأرض التى وعدهم الله !

وهو ما عبرت عنه الأدبية الاسرائيلية « ادا أهارونى » فى
روايتها « الخروج الثانى » بقولها :

« لقد كان الشعب المصرى كريما معنا ، ولكنى لا أريد أن أكون
ضيفا محتملا فى أرض غريبة بعد الآن ! .. لفذ حان الوقت لنشكرهم
على حفاوتهم ، والبذء فى التفكير فى وطننا الحقيقى ! » .. وسؤال
يتكرر فى فصول الرواية : « ماذا نفعل فى بلد ليس بلدنا ! » ..

الغالبية العظمى من سكان حارة اليهود ، كانوا يتمتعون
بالجنسية المصرية ، ومعظمهم كانوا من الفقراء ، وبعضهم من متوسطى
الدخل .. والواقع الاجتماعى يشتر إلى أن الحارة كانت موطنًا للعديد
من الأسماء اليهودية التى صعد نجمها فى سماء الارستقراطية
اليهودية ، مثل أسر : قطاوى ، موصيسيرى ، هرارى .. وبعض
العائلات الثرية الشهيرة كانت تتباهى بأن « أقدامها لم تطأ هذا
الحى الاسرائيلى » !

واختلطت التقاليد اليهودية بالعادات الشرقية داخل بيوت
الحارة ، كما اختلطت تلك التقاليد والعادات بالثقافات الأوروبية
المختلفة داخل بيوتات العائلات الثرية فى أحياء الزمالك
وجاردن سيتى ومصر الجديدة .. مما أزعج جيل الشباب بمشكلات
الهوية ، فى اطار الظروف المحيطة بهم ، والذين وجدوا فى الأفكار

«الصهيونية تعبيراً عن «الشعور القومي» والرغبة في هوية اجتماعية
وسياسية»

حالة من التماذج الاجتماعي والاندماج ، اكتسبت يهود الحارة
كثير من التقاليد الاجتماعية ، فعلى سبيل المثال ، تقاليد الزواج
ومراسمه من أهم المعالم والظواهر التي تتباين بشأنها الحضارات ،
تباينا عظيما ، لكن يهود الحارة تأثروا - الى حد كبير - بعادات
وتقاليد الزواج في مصر ، وأخذوا منها الكثير ، مثل : حمام العرس ،
تخضيب الأيدي والأرجل بالحنه ، اظهار منديل البكارة ، . . اقامة
الولائم للمدعوين . . بل حتى عبادة « قرص العروس في
ركبتها » !!

وفي مذكرات الكاتب والصحفي اليهودي « يعقوب صنوع »
التي دونها عقب نفيه الى باريس بعنوان Memoires تلك
الحكاية الطريفة . أنه كان خامس مولود لأمه « سارة » التي فطنت
أبناءها الأربعة بالموت ، فلما حملت به خشيت أن يلحق بأخوته ،
فاستشارت امام جامع سيدي الشعرائي ، الذي أجابها بأن سبيلها
الوحيد هو أن تنذر مولودها للإسلام ، ففعلت ووفت بنذرهما ، ونشأ
يعقوب شبه مسلم ، وحفظ القرآن ، عندما ألحقه بكتاب لتحفيز
القرآن وتعلم مبادئ الدين الاسلامي وقواعد اللغة العربية . .
وتدل هذه القصة - خاصة اذا عرفنا أن أم يعقوب قد ولدت بحارة
اليهود - تحيط بها بيئة اسلامية ، وتأثرت بالتراث الفولكلوري
الديني المصري ، الذي جعل أبناء الديانات الثلاث ، يلوذون - في
الحالات المستعصية - بالقدسين وبأولياء الديانات الأخرى ، وقد
أتاحت هذه التشيئة المصرية ليعقوب صنوع وغيره من يهود
الحارة : الاندماج الكامل في الحياة والمجتمع .

معابد حارة اليهود

لم يتبق بحارة اليهود من بين أحد عشر معبدا سوى ثلاثة فقط
وملجأ للمسنين « دار رحمن اسحق ليشع الخيري » .

أهم المعابد الموجودة حاليا بالحارة ، هو معبد « ابن ميمون
Maimonides » أو « راب موسى » . . . بالتحديد في ١٥ درب
محمود ، الجزء المعروف بعطفة حمام اليهود ، وابن ميمون هو
الفيلسوف والطبيب والعالم اليهودي الشهير ، ورئيس الطائفة ،
ولد بقرطبة عام ١١٣٥ م ، وتوفي بالقاهرة عام ١٢٠٤ م . وأول
بناء لهذا المعبد كان عقب وفاة ابن ميمون ، ونفس هذا المكان ، شهد
لقاءات ابن ميمون بتلاميذه ومريديه ، كما كان أيضا عيادة لعلاج
مرضى الحى . . . والمعبد منخفض عن مستوى الأرض ، شيد على
مساحة ٦٠٠ متر مربع ، واجهته من الرخام الفاخر ، وخلال قرون
مضت تجدد وأعيد بناؤه مرات عديدة ، وآخر عملية ترميم شاملة
كانت في مايو عام ١٩٦٧ . . . مما يدل على أن يهود مصر كانوا
يمارسون شعائرتهم ويجددون معابد بكل حرية . . . حتى في أسوأ
لحظات الصراع العربي - الاسرائيلي !

وهو المعبد الوحيد في مصر ، الذي بنى هيكله في ساحة المعبد ،
دون أن يكون للهيكل قبة أو سقف . . . وسرداب يدخله الزائرون
حفاة الأقدام ، الى الغرفة المقدسة التي رقد بها جثمان ابن ميمون
لمدة سبعة أيام ، قبل نقله الى طبرية بفلسطين حيث دفن بها ،
ويتوجه اليها اليهود وبعض المسلمين والأقباط لنيل البركات
والتماسا للشفاء . . . وأسطورة يهودية تحكى بأن من كان مريضا
ويرغب بالشفاء ، فعليه أن ينام بهذه الغرفة ، من غروب الشمس
حتى مطلع الفجر ، فيصحو وقد برأ من مرضه !

بعض التماثيل والرقى مازالت عالقة بجدران المعبد ، ولوحة
تذكارية تسجل زيارة للملك فؤاد ، الذى يروى أنه رقد عاريا فى
تلك الغرفة المقدسة التماسا للشفاء !

والمعبد الثانى : « رابى حايم كابوسى » فى ٣ درب نصير ،
وكابوسى الذى ينسب اليه هذا المعبد ، كان واحدا من أبرز علماء
التوراه ، واشتهر بلقب « صاحب الكرامات » . وقد برع فى أعمال
السحر ! . وكابوسى من أصل أسباني ، هاجرت أسرته الى مصر ،
التي ولد بها ، وتوفى عام ١٦٣١ ، ودفن بضريحه بمقابر اليهود
بالبيساتين ، والمعبد والضريح مزارين مباركين لليهود !

والمعبد الثالث : « معبد موصيرى » أو « معبد ياريوحاي »
بشارع الصقالبه رقم ١٦ ، شيدته عائلة موصيرى عام ١٩٠٥ ، فى
نفس المكان الذى ولد به عميد العائلة « نسيم موصيرى » عام ١٨٤٨ .
كما كان مدرسة للتعاليم التلمودية ، وتعليم اللغة العبرية ،
ومازال المبنى بحالة جيدة !

ورحتى عام ١٩٧٥ ، كان مايزال قائما « معبد المصريين » أقدم
وأكبر معابد اليهود بالقاهرة . (أنظر : المحافل والمعابد اليهودية
بالقاهرة) .

وبحارة العطار ، فرن « الكاشير » الذى يصنع الخبز ويعده
الفتائر الغير مخمرة ، طبقا للعقيدة اليهودية ، فعلى سبيل المثال ،
فى عيد الفصح ، الذى يوافق ذكرى خروج بنى اسرائيل من مصر ،
لابد أن يذبحوا شاة أو جديا ويأكلون قطعة من العظم المشوى وخبز
الكاشير . . ولا بد أن يكون الدقيق من قمح زرع وحصد بأيدي
يهودية خالصة ، حتى يصبح حلالا فى شريعتهم . . وقد عرضت

الحاخامخانه هذا القرن للبيع فى نهاية عام ١٩٦٩ ، غير أنه لم يأت
بالمثل المناسب ، فتم اغلاقه !

بؤساء حارة اليهود !

تحت عنوان « دائما حجارة اليهود » ! .. كتب « موريس
هارميلان » فى ابريل عام ١٩٤٣ بالصحيفة الأسبوعية « المنبر
اليهودى La Tribune Juive » :

« قبيل القرن الخاص بأعداد الفطائر غير المختمره ، بحارة
اليهود ، وتحت بوابة كبيرة مفتوحة ، تقبع عجوز ضامرة ، بالكاد
يمكن أن تميزها كامرأة ، على فراش رث ، تتنفس بصعوبة ، عيناها
غائرتان فى وجه أكلته التجاعيد ، جسدها هزيل وقذر ، كأنه دجاجة
ضعيفة تغطيها أسمال ، وآلاف من الذباب يحوم حول هذه الكتله
الأسنة ! .. لوحة تثير الغثيان والتقزز ! .. ويزيد المشهد قتامة ،
تلك الجموع الغفيرة ، التى تروح وتغدو دون اكتراث ! .. وبجوارها
حفيدتها ، تستدر عطف الناس ورحمتهم من أجل « حسنة » !

مشهد مهين ، لا يجب أن يسمح به ولو فى حارة اليهود ! ..
هذا المكان الموبوء المليء بالصراصير .. اهانة كبيرة لطائفتنا ،
ولو رأى مسيو فريسكو مندوب الجمعية اليهودية الخيرية ، هذا
المشهد ، لاهتز كيانه ، وإن القلم ليعجز عن التعبير .. عن هذه المهنة
المخزية : الشحاذة ! .. ولا بد من انتخاب لجنة خاصة تتولى علاج
هذه الآفة !

وفى الخامس من مايو عام ١٩٤٩ ، تعود الصحيفة الى إثارة
موضوع تردى الأوضاع الاجتماعية لسكان حارة اليهود ، بين اعلان
عن « ماء كولونيا دوشيس » المنعش ! .. واعلان يدعو الى تذوق

« نبيذ هوك » المعتق اللذيد ! .. وآخر عن « دروس فى اللغات الحية
بمدارس بيرلتز » الشهيرة !

« خلل قائم ، وبون شاسع بين شريحة المرفهين .. وطبقة
الشعب البائس فى حارة اليهود !! .. كم كنا نود أن نفتتح -
جريدة وقائع أسبوعية - لا نتحدث فيها إلا عن حارة اليهود وقذارتها
المنفرة ! .. وقد رفع هذه المشكلة : دانييل سابورتا ودليفى
فى آخر اجتماع لمجلس الطائفة ، غير أن بعض أثرياء الطائفة أشاروا
بأنه ليس من اختصاصات المجلس أن يحل محل الحكومة فى تحسين
أحوال الحارة .. !

ولكن الأمر لا يتعلق بالمجلس ، بل يتعلق بالرعاية الصحية ،
نقص تفشى الأمراض المعدية مثل : التراكوما ، داء الثعلب ،
التيفود .. فحارة اليهود أصبحت مستودع ميكروبات !

يجب الاهتمام بمعالجة مثل هذه الأمور ، وبشكل جاد ، وأن
تولى النظافة بهذا الحى ، اهتماما خاصا ، حتى لا يقال لأحد ذات
يوم : « قدر مثل سكان حارة اليهود » !!

مشاكل حارة اليهود : الفقر ، الأمية ، البطالة ، التسول ،
نقص الرعاية الاجتماعية ، بدأت تشكل محور اهتمام فى اجتماعات
مجلس الطائفة ، وفى أندية الشباب ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات
اليهودية .. وحملات تدعو أثرياء الطائفة للتبرع من أجل النهوض
اجتماعيا بسكان الحارة ، وحثهم على المساهمة فى إقامة المدارس
والمراكز الاجتماعية ومكاتب الرعاية الصحية .

كان هناك تقليد متوارث التزمته بعض الأسر الثرية ، فى أيام
الأعياد الدينية ، بدعوة بعض من فقراء الحارة ، لتناول وجبات

فاخرة لا يحفظون بها سوى مرات تعد على أصابع اليد الواحدة ، طيلة حياتهم ، فكنت تراهم يجرون أسمالهم وبؤسهم الى فيلات الأحياء الراقية : المعادى ، الزمالك ، جاردن سيتي . . . وكان لهم الحق فى أخذ ما تبقى فى لفائف من ورق الصحف . . . يدسونها فى جيوب جلابيهم أو معاطفهم البالية ، لا يطلب منهم سوى الدعاء لهذه الأسرة الخير والبركات !

بعض العائلات كانت تكتفى بالتصدق على بعض المعدمين . . . أما كيف يعيش هؤلاء البؤساء ؟ . . . فذلك أمر من النادر أن يهتم به أقطاب العائلات ذات الثراء والنفوذ ، وكان فى نظر البعض - معيار للنجاح - فمن خلال هؤلاء البؤساء ، يمكن للأثرياء أن يقيسوا المسافة التى تفصل بينهم وبين الحارة ، التى غادرها آبائهم ، خوفا وتحسبا من أن يطأوها بأقدامهم مرة أخرى !!

صور ومشاهد

فى هذا الحى الشهير ، كان يعيش نحو ٢٠ ألفا من اليهود ، حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ . . . ومن الشائع أن « ليفى أشكول » رئيس وزراء إسرائيل الأسبق و « موسى ديان » قد ولدا بهذا الحى .

لا شئ يذكر الآن باز هذا الحى كان لليهود سوى « نجمة داود » السداسية محفورة أو مشغولة بالحديد على بوابات بعض المنازل المتبقية من ذلك العهد ، ورحل عنها أصحابها ، فى موجات هجرات متعاقبة ، منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧ .

العتبات العليا لهذه الأبواب ، كان يوضع بداخلها أوراق مخطوطة تحوى أربعة نصوص من التوراة ، تتحدث عن خروجهم من مصر فى زمن موسى ، لتظل ذكرى الخروج فى وعى اليهودى دائما

عندما يتجاوز عتبة بيته ! .. وحتى لا ينسى ما عانوه من ذل ملوك
الفراعنة !

وكانوا يتركون موضع حجر بدون بناء ، حسرة على هدم هيكل
سليمان ! .. مثلما كان يحدث في حفلات الزواج ، عندما يقدم
الخابخام كأسا ، قرأ عليها السبع بركات ، الى العروسين ، فيشربان
منها ثم تكسر ، ليذكرا دائما هدم الهيكل !

كثير من المنازل قد تهدم ، وأقيمت مكانها بعض الورش
والمصانع الصغيرة ، التي تعمل في صناعة الأحذية ، والنحاس ،
والسجاد والأكلمة ، والحلى المقلده ، والملابس .. بعض كبار السن
تتلمذوا على « الخواجات اليهود » وبعضهم اشترى الورشة أو المحل
من يهود عزموا على الهجرة .

كان الحرفيون من يهود الحارة ، يعملون في صياغة الذهب
والفضة ، وصناعة الأحذية ، ومواقد الجاز واصلاحها ، وترميم
الأثاثات ، والكهرباء والميكانيكا .. أما في مجال التجارة ، فقد تركز
نشاطهم في تجارة الأقمشة والورق والأدوات الكهربائية .
بعض ربات البيوت من اليهوديات ، كن يعملن بالحياسة ،
وصنع الحلوى والمربى وتقدير الزهر !

على ناصية عطفة أو زقاق ، كنت تسمع نداء عجوز على
بضاعتها من البوريك ، المحشو بالجبن أو بالعجوة ! .. ونداءات
لباعة متجولين .. أو دلالات وسماسة يجتهدون من أجل ضمان
خبز الغد .. ممرضات ومستخدمين ببعض المراكز الاجتماعية ..
شحاذون محترفون أو على شيء من الاستحياء ! .. عاطلون يندبون
حظهم وشقائهم .. شيوخ يدعون العلم ببواطن التوراة .. وشباب

أعضاء بنادى « المكابى » ، أو أعضاء بأحزاب شيوعية ، ومجموعات الدفاع الذاتى !

يشاهدون رقص « ماريتا » المجنونة .. التى تعيش بالمركز الاجتماعى اليهودى ، ويمكنها أن ترسم الابنسامة على الشفاه ، ويعتبرونها « تميمة الحظ » لأهل الحارة !

ومن احدى النوافذ المفتوحة ، تنساب الى الأسماج ، أنغام عذبة شجية ، يبدعها على عوده وبصوته الفنان « زكى مراد » والد الفنانة الجميلة الراحلة « ليلي مراد » .

السبت : يوم التعاسة !

من الأقوال الشهيرة للزعيم الصهيونى « دافيد بن جوريون » :
« ان يوم السبت ، هو يوم تعاسة للأطفال » !

ولأن الله قد خلق الدنيا فى ستة أيام ثم - طبقا للعقيدة اليهودية - استراح فى اليوم السابع ! .. وكان يوم السبت ! .. فقد حرم اليهود على أنفسهم فعل أى شئ فى هذا اليوم ، وترقب على هذا التحريم لممارسة اليهودى أى حركة .. أن كانوا يستعينون بالمسلمين من جيرانهم لينوبوا عنهم فى القيام بأعمال مثل : اضاءة النور ، إشعال مواقد الطهو ، غسل طبق .. أو أن يمد أحدهم يده فى جيب اليهودى ، لالتقاط قرش يشتري به شيئا ، وقد كان هذا الأمر مجل ترقب من أطفال بعض المسلمين ، حيث يمرون على بيوت اليهود ، يعرضون خدماتهم ، ليحصلوا على بضعة قروش فى هذا اليوم !

كما كان محرما عليهم ، فى يوم السبت ، المشى لمسافة تزيد عن ثلاثمائة متر ، فكان منهم من « يتحایل » بالوقوف بعد هذه المسافة ، نحو دقيقتين أو أكثر ، ثم يستأنف المشى مرة أخرى !

وقد عرض « احسان عبد القدوس » لقدسية يوم السبت عند اليهود ، وكراهية « لوسى » اليهودية ، بطله روايته « لا تتركونى هنا وحدى » لهذا اليوم :

« .. حرام أن يفرض على اليهود العذاب كل يوم سبت .. لماذا نستسلم ليوم السبت .. لماذا لا تجادل الله حتى يعفيها من هذه التعاسة .. وهى تذكر عندما احتاج جيرانهم فى الشقة المقابلة الى اضاءة النور يوم السبت ، فخرج ابنهم ديان ، ونادى اخذ اصدقاءه المسلمين ، ليضىء النور لهم ، ثم أمر البواب أن يعطيه قرشا اجرا له ، لأنه مده يده الى زرار النور وأضاءه .. وأصبح الأطفال المسلمون فى الحى يتندرون ضاحكين بيوم السبت .. »

وقد ثارت لوسى يوما ، ومدت يدها فى يوم من أيام السبت ، وأضاءت كل أنوار البيت وهى تصيح : اعطونى أنا أجرى بدلا من أن تعطوه لمسلم !

حارة اليهود القرائين :

كانت هذه الحارة ، تغص باليهود القرائين ، كما عاشت أعداد كبيرة منهم بسوق النحاسين وشوارع وأزقة الخرنفش ، الذى يرتفع به معبدهم الكبير ، بقبته الضخمة ، والذى يتشابه فى طرازه مع معبد « شعار هاشمايم » بشارع عدلى ، وبهذه الحارة كان لهم كنيس خاص بهم « راب سمنحام » ..

واليهود القرائين ، هم أحدث فرق اليهود ، ومؤسس هذه
الفرقة : عالم بغداد « عنسان بن داود » فى نهاية القرن الثامن
الميلادى ، وهم يؤمنون بأسفار العهد القديم « التواره » وحدها ،
ولا يعترفون بالتلمود أو شروح المشنا وبتعاليم الحاخامات ..
ويؤدون صلاتهم بالجلوس على الكعبين ، ثم الوقوف ، وإاركوع ،
والسجود فى خشوع تام ، مرتلين تضرعات من المزامير وآيات من
التوراه .. حتى قال الربانيون أنهم يؤدون صلاتهم « على الطريقة
الاسلامية » !

فى يوم السبت ، اليهودى القرائى لا يغادر مسكنه ، ولا يوقد
نارا ، ويكتفى بالوجبات الباردة فقط .. والممارسة الجنسية محرمة
تماما فى هذا اليوم !

وكنت ترى أفراد العائلات اليهودية القرائية ، وهم فى
طريقهم للصلاة فى معبدهم ، بالجلباب الأبيض ، وشال الصلاة
الأبيض ، المطرز أركانه الأربعة بنسيج أرجوانى ، ووشاح الشعائر
الدينية « سيست » تميزه خيوط زرقاء زاهية ..

ومن أشهر عائلات اليهود القرائين : مسعوده ، عبد الواحد ،
فرج ، ليشع .. وكان منهم المحامون والأطباء والتجار .. وأشهر
الجواهرجية بحى العباسية وميدان سليمان باشا .. وحى الصاغة
الذى كان يغض بمحال الذهب ، الصغيرة ، المتلاصقة ، وأصحابها
من اليهود القرائين ، الذين توارثوا حرفة صياغة الذهب وتجارته ..

وفى حارة « خميس العبدن » وبالتحديد فى منزل « شموئيل »
القرائى ، عاش الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، عندما كان صبيا
فى الخامسة عشرة من عمره ، عام ١٩٣٣ ، ولمدة خمس سنوات !

ومن أعلام اليهود القرائين : المحامى والأديب « مراد فرج ليشع »
و « يوسف درويش » أحد مؤسسى الحزب الشيوعى فى مصر ،
والموسيقار « داود حسنى » .

صحوة الأمة اليهودية فى البحارة !

فى عام ١٩٠٨ ، تأسست جمعية أو رابطة « النهضة الثقافية
اليهودية » بالمركز الاجتماعى بحارة اليهود ، التى أعلنت عن نشاطها
وأهدافها فى منشور أصدرته باللغة العربية ، تحت عنوان « صحوة
الأمة اليهودية » جاء فيه :

« نستهل جدبنا بالتضرع الى الله القوى .

أيها السادة ..

نحن الآن فى موقف حرج ، لأننا لم نهتم بتعليم أبناءنا
وتثقيفهم ، خاصة الفقراء منهم ، والسبب نقص المدارس القادرة على
التعليم المثمر ، كما تعاني هذه المدارس من نقص المعلمين ، وبالتالى
فإن التلاميذ الذين يلتحقون بهذه المدارس لايجنون أى فائدة ، وهذا
هو حال مدارسنا منذ عشرين عاما ، وهو ما يجب أن يكون موضع
اهتمام كل انسان شريف !

أيها السادة :

منذ بضعة أيام ، تأسست بين أحضان أمتنا جمعية باسم
« جمعية النهضة الثقافية اليهودية » تهدف الى خدمة شعبنا ، دراسة
مشاكله ، وتأمين مستقبله ، والاهتمام بتعليم أبناءه ، خاصة
المحرومين منهم .

ونظرا للتدهور الذى أصاب مدارسنا ، فقد تقدمنا بالتماس
الى رئيس طائفتنا ، يضم أكثر من مائة توقيع ، لطالب فيه بحل
مشاكل مدارسنا ، والتصريح لنا بمراقبة هذه المدارس وسبر
التعليم بها .

اخوانى ..

انا نأسف لانعدام النظام فى مدارسنا ، ونأسى لهؤلاء التلاميذ
الذين التحقوا بها دون فائدة ترجى .. والأموال المصبوبة من
مجلس الطائفة ومن الأوقاف غير مجدية !

هل منكم من يستطيع أن يخبرنا عن مثال لطالب قد نجح فى
امتحانات نهاية العام ، أو حصل على شهادة الدراسة الأولية ، التى
قد تؤهله للالتحاق بوظيفة ، أو من تعلم لغة حية .. أو حتى من
يمكنه أن يودى الصلاة بشكل صحيح !

اخوانى ..

مهما تكن المدة التى يلتحق فيها التلاميذ بهذه المدارس ، فإن
من يتخرج منها ، فلن يمكنه سوى أن يبيع « اللب المحمص أو أوراق
اللوتارية » ! .. على الأقل حتى لا يتحول الى يلطجى أو متسول
أو متشرد !

تلك هى الحقيقة المؤلة لأوضاع مدارسنا اليوم ، فالى متى هذا
التخلف ، وهذا القصور والاهمال .. ألا تعلمون أن أبناءنا هم رجال
الغد ؟ فإذا ظلوا على هذه الحال ، فتعسا لهم !

ينبغى أن ننهض ونستيقظ من سباتنا العميق ، ضموا أصواتكم
الى أصواتنا ، لطلاب جميعنا بتجديد مؤسساتنا الاجتماعية ، حتى

يمكننا القيام بواجبنا نحو أمتنا .. مدوا يد العون الى جمعيتنا ،
حتى لا يذهب فداءنا هباء ، وليتحقق هدفنا الذي حددناه لأنفسنا ..

اخواني ..

أعزونا أنتباهكم ، نحن نعيش في قرن سريع التطور والتقدم ،
وكل الأمم تنهض من غفوتها ، بينما أبناءنا مشردون في الطرقات دون
تعليم أو حرفة ..

اخواني .. اسمعوا لنا :

أتحدوا وارفعوا أصواتكم ، فان الله القوي في سماواته
يسمعنا ويستجيب لنا .. وكل فرد له وجهة نظر مخالفة ، فليفضل
ويعرضها على جمعيتنا .. واننا نرحب بكل من يرغب بالانضمام
الىنا .. واسلوا جمعيتنا .. ومقرها بحارة اليهود ، !

سوق الحمزاوى :

الى يمين المتجه الى الغورية وجامع الازهر ، منطقة تضم مجموعة
من الشوارع الضيقة والحارات ، هي معقل تجارة الأقمشة
والمنسوجات ، وتعرف بسوق الحمزاوى الكبير ، وسوق الحمزاوى
الصغير الى الجنوب منها ، وكانت قاصرة على التجار اليهود
فحسب ..

لم تكن هذه السوق تعرف شيئا اسمه « الركود الاقتصادى »
او التعبير الدارج « السوق نايم » .. معانى خارج قاموس وشريعة
سوق الحمزاوى ، وزيارات من أقطاب العائلات الثرية : داود عدس
جاتينيو ، ساسون .. سرعان ما تأتي البضائع وتتدفق الحر
والأموال ويستمر النشاط

احتكر اليهود تجارة الأقمشة ، حراير ، صواف ، جوخ ..
بينها بعض محلات للصرافة وتغيير العملات وبعض الجواهرجية ..
وكان من أشهر تجار المانيفاتورة والقومسيونجية بشوارع سكة
اللبودية بالحمزاوى : اميل ساسون ، ايلي جاك حموى ، عزرا ونسيم
جداع ، ادجار اسكاكى .. وبشوارع بيبرس : اخوان دره ،
سيزار ساسون ، جاك ستون ، سليم سقال ، ابرام بطيش ،
يوسف شالوم ، كريازى كوهين ، نسيم عدس وأولاده ، وبشوارع
الحمزاوى : اجيون كوهين ، ايزاك بينيتو ، عزرا جبائى ، كليمان
كوهين ، ميشيل وروبرت نحاس ، ماكس هرارى ، جوزيف
شوحيط ، حاييم سليم دويك .. وغيرهم ، ممن انتشروا بشوارع
وهروب حى الحمزاوى : شوارع حمام التلات ، السلطان الصاحب ،
بيبرس ، السكة الجديدة ، الملطى ، شمس الدولة ، حوش الحين ،
وحارة النمرسى ، حارة الشيشينى ، رقاق السلاوى ، ووكالة
مدكور ، ووكالة بطيش ، ودرب سعادة .

الجنسية على الطريقة الايطالية !

الغالبية العظمى من سكان حارة اليهود بالقاهرة ، كانوا
يتمتعون بالجنسية المصرية ، وهم يمثلون أفقر طبقات يهود مصر .
أما أبناء العائلات الثرية اليهودية ، سكان الأحياء الراقية ،
فكان بعضهم يتمتع بالجنسية المصرية ، وبعضهم كان يحمل
جنسيات أجنبية ورثوها عن أسلافهم ، والبعض منهم اكتسب
جنسيات أجنبية - فى عصر الامتيازات - بالدخول فى رعايا دول
بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والنمسا .. والغالبية كانوا غير « معينى
الجنسية » مفضلين البقاء على هذا الوضع ! .. والتمتع بمزايا
باعتبارهم - اجانب - مثل حق التقاضى أمام المحاكم المختلطة ،
وأسبقية الحصول - فى ظل الاحتلال - على الوظائف الادارية !

وقانون الجنسية المصرية الصادر عام ١٩٢٩ ، كان يقضى بقبول طلب كل مقيم فى مصر للحصول على جنسيتها ، ما لم يثبت أنه يحمل جنسية أخرى ، لكن يهود مصر ، باستثناء قلة قليلة ، لم يقدموا طلبات للحصول على الجنسية المصرية ، لأنهم لم يعلقوا عليها أهمية كبيرة ، ولكن حين تم تعديل القانون - فيما بعد - بحيث يقضى بعدم منح الجنسية ، إلا لمن يثبت مولده جده فى مصر ، أو إقامة أسرته فى مصر بشكل دائماً منذ عام ١٨٤٨ ، أصبحت غالبية اليهود فى مصر ، غير مؤهلة للحصول على الجنسية المصرية ، ومن ثم بقى الآلاف منهم غير معينى الجنسية !

وكان مقهى « جيداليا » من معالم حارة اليهود بالقاهرة ، مركز تجمع للعاطلين من شباب الحارة ممن تسوقهم سياط الحاجة ، فى انتظار فرصة عمل طارئة ، تفى بهتطلبات يومهم ، مثل نقل أثاث ، اصلاح دورة مياه أو عطل كهربائى .. وقد يفوزون بدعوة الى سيوداه (وجبه) فى بيت أحد الموسرين اليهود خارج الحارة !

ومن هذا المقهى ، كانت تخرج الأنباء ، الطيبة والسيئة على السواء ، وشائعات ، وحكايات أشبه بأساطير ألف ليلة وليلة !

خلال تصاعد الأحداث التى أدت الى الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد فى نهاية عام ١٩٣٨ ، وردت اشارة الى قنصل عام ايطاليا الفاشية ، تفيد بأن الماريشال « بادوجليو » قادم بصفة شخصية للتفتيش على الجنود فى مواقعهم ، بالرغم من أن هؤلاء الجنود ليس لهم وجود سوى على الورق فقط !! أو تضخم عددهم لأسباب تتعلق بزيادة موارد القنصل وتنامى ثروته !!

فوجيء القنصل بهذا الأمر ، فكاشف أجد أصدقائه المقربين ، الذى اقترح عليه « فكرة عبقرية » : ان المدعو - جيداليا - صاحب

المقهى ، يمكنه أن يوفر متطوعين من بين هؤلاء العاطلين بالحارة . .
فالمسألة مجرد اجراء شكلى ، ينقذ القنصل من ورطته ، وليس عليهم
سوى ارتداء قمصان سوداء ، والالتزام بالانضباط والصمت يوم
التفتيش !

وهكذا توجهت مجموعات من هؤلاء العاطلين الى سـفـارة
ايطاليا ، وهم الذين كانوا يجهلون موقعها . . ومنحوا جوازات
سفر ايطالية . . وأعطيت لهم الملابس . . القميص الأسود ؟ وكان
تعليق بعضهم : يا لهم من شواذ هؤلاء الايطاليين . . هل يمكن
أن يصبغ هذا القميص - فيما بعد - بلون آخر ! . . ووزعت عليهم
بعض المعلبات الغذائية ، ومنحة مالية ضئيلة لاتتجاوز بضعة
قروش ! . . وعلبهم كيفية السير والاستعراض بخطى عسكرية
منتظمة ، والتهاف بأصوات قوية : « تـحـيا ايطاليا » !

وجاء يوم التفتيش . . اليوم المنتظر . . الذى مر على خير
حال ، وكانت سعادة القنصل وجيداليا « متعهد توريد الأنفار » ! . .
تفوق الوصف ، فالماريشال أبدى إعجابه بهؤلاء « الجنود »
وأثنى عليهم !

وحدث فى اليوم التالى ، ما لم يكن فى الخسبان مطلقا ، حيث
تم استدعائهم الى القنصلية الايطالية ، ليفاجأوا بأمر أغرب من
الخيال . . عليهم الاستعداد للرحيل الى اثيوبيا - التى كانت تحت
الإحتلال الإيطالى - للقتال فى سبيل « ايطاليا الأعظم » ! والسفر
خلال أسبوع من محطة السكك الحديدية بباب الحديد !

وانصبت اللعنات على جيداليا ، وكاد البعض أن يفتك به
وهدد آخرون بهدم المقهى على صاحبه ! . . ودفنه تحت أنقاضه ! .
لكن لم يكن أمامهم سوى الفرار والاختفاء عن الأنظار ! . .

فى عام ١٩٤٥ ، ظهر هؤلاء كأبطال فروا من الخدمة فى الجيش
الاطالى ٠٠ باعتبارهم مناهضين للفاشستيه ١١ ووجدوا أنفسهم
مواطنين ايطاليين بوثائق جنسية وهمية ، فى ظرف شديد
الخصوصية ١٠٠ أصبحوا من رعايا ايطاليا العظمى ، وفى عام
١٩٥٦ ، أفلنوا من الرحيل الى اسرائيل ، وسافروا الى ايطاليا
« وطنهم » وبعض دول أمريكا اللاتينية ٠٠ قصة نموذجية ساخرة
للحصول على جنسية بالصدفة ١١

يهود القاهرة

والتنظيم الطائفي

أثر اندلاع الحرب التركية اليونانية عام ١٨٢١ ، بدأت موجات من الهجرة اليهودية من سالونيك وأزمير والقسطنطينية ، تتوافد الى مصر ، تزامنت مع بداية هجرات مماثلة من بعض الدول الأوروبية - خاصة اليونان وإيطاليا وأسبانيا - بالإضافة الى موجات أخرى من العراق وسوريا والمغرب العربي .

وفيما بين عامي ١٨٤٠ و ١٨٥٤ ، بلغت تلك الموجات ذروتها ، بفضل تشجيع محمد علي باشا وأسرته ، لاستقرار اليهود في مصر ، وتزايد توافد يهود وأوروبا الذين وجدوا مع سائر الأقليات والجماليات الأجنبية - مناخا ملائما - لاغتنام الفرصة في مجالات السمسرة والبورصة والتجارة ، وتمتع اليهود بالامتيازات وحماية القناصل الأجانب ، عقب سقوط البلاد فريسة للديون الأجنبية وسيطرة الأوروبيين على المالية المصرية ، وبافتتاح قناة السويس ، يتوالى المزيد من المهاجرين اليهود ، وقد تهيأت للجميع ظروفًا أنسب للازدهار المالي والاقتصادي .

ومع تزايد أعداد اليهود الوافدين ، الى جانب الطائفة اليهودية المصرية أو العنصر الوطني ، الا أنهم كانوا ينقصهم جميعا الترابط والتنظيم العام .

تمتع الاشكنازيم والقرايين ، بنوع من الاستقلال الذاتى عن
باقى فرق الطائفة . . . والنسمات العامة للطوائف اليهودية يحددها :
الأصل ، اللغة ، الثقافة ، المستوى الطبقي .

فى عام ١٩١٢ ، علق أحد مدرسى مدرسة التحالف الاسرائيلى
العالمى بالقاهرة على أوجه التباين اللغوى والثقافى بين تلاميذه ،
قائلا :

« ان غالبية أطفالنا هم نتاج يهود محلبين كسالى ، خاملين ،
يتحدثون العربية ، بينما معظم أطفال الاشكنازيم متوقدوا الذكاء ،
يصرون على الارتقاء علميا ، وبلغتهم الألمانية ، والحيوية والنشاط
هى سمة اليهود الاسبان ، والقادمين من تركيا والذين يتحدثون
اللادينى فى منازلهم » !

فى عام ١٩٢٥ ، كتب « يوليوس بيرجر » عضو اللجنة
التنفيذية الصهيونية بالقدس تقريرا عن زيارته لمصر ، تضمن :
« الجالية اليهودية بالقاهرة يبلغ تعدادها نحو ثلاثين ألفا ،
ينقسمون الى ثلاثة أقسام :

★ القسم الأول : وهم المتحدثون بالعربية ، ويمثلون القطاع
الأكبر ، وكانت هجرتهم من دول شمال افريقيا ، وغالبيتهم من
العمال والحرفيين .

★ القسم الثانى : اليهود الاسبان ، والنازحين من بعض
الدول الأوروبية مثل ايطاليا ، انجلترا ، النمسا ، رومانيا .

★ القسم الثالث : الاشكنازيم ، وهم الذين استقروا بالقاهرة
لأكثر من عقدين من الزمان وعددهم نحو ألفين نسمة .

ويأتى اليهود الاسبان في الصدارة من حيث الأهمية ، نظرا لما يتمتعون به من ثقل اجتماعي وهيمنة على الطائفة ومؤسساتها وعلاقاتها ، يدعمهم نفوذ اقتصادي وسياسي ومعظمهم يزفل في ثراء فاحش ، ولغتهم الفرنسية وبالتالي فلا يمكن مقارنتهم بما يمكن أن نسميه « يهود اللهجة المصرية » الذين يأتسون في المرتبة الأدنى . . .

والمساواة الاجتماعية بين الاشكنازيم والسفارديم غير مطروحة ، فنادرا ما تحدث حالات تزواج بين الطائفتين ، طبقا للاتجاه السائد بأنه يعتبر « زواج الأشراف بالصغاليك » !

وازاء هذه الأوضاع الاجتماعية ، كان من الصعب تأسيس هيئات يهودية يمكنها تنظيم الهجرات الوافدة الى القاهرة ، والعلاقات فيما بينها . قبيل الحرب العالمية الأولى وان كانت المحافل والمعابد والجمعيات الخيرية ، قد حاولت ان تضطلع بدور مؤثر في هذه القضية .

في عام ١٩١٢ ، ظهرت أول لائحة لتنظيم العلاقات بين أفراد الطوائف اليهودية ، وتشكل المكتب العمومي ، الذي سيطرت عليه عائلتي « قطاوى وموصيرى » وفي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ، كان هناك مشاركة يهودية على نطاق أوسع في الشئون العامة . وتزايد نفوذ أسرة قطاوى . وتعود أصول هذه الأسرة الى هولندا . وينسب مؤرخ القرن السابع عشر « جوزيف ايزاك سامبرى » ١٦٤٠ - ١٧٠٣ اسبم أسرة قطاوى الى قرية « قطا » التي تبعد عن القاهرة شمالا بنحو سبعة كيلومترات والتي استقروا بها منذ نهاية القرن ١٨ ، وتثبت وثائق الجنيزه أول هجرة تاريخية كانت ليعقوب منشه قطاوى عام ١٨٠١ م .

في عهد الخديو عباس الأول ، كان يعقوب قطاوى مديرا لمصلحة
سك النقود ، وأسس شركة للتجارة والتصدير .

وأصبح « صراف باشى » للخديو اسماعيل ، وهو المنصب الذى
تولاه « يعقوب ليفى منشه » والذى تشابه مسار حياته مع يعقوب
قطاوى فى أوجه عديدة . وقد أسسا معا بيت للصرافة والتجارة ،
لاقى من النجاح والشهرة ، حتى أصبح له فروع فى ليفربول
ومانشستر ومارسيليا .

وعندما كبر أولاد يعقوب قطاوى الأربعة ، انفصل عن منشه
وأسس شركة للتجارة والصرافة بالقاهرة ، وفرعين لها بالاسكندرية
وبباريس .

عاش يعقوب قطاوى الحياة الشرقية ، بكل سماتها ، حتى انه
كان يفضل الأكلات الشعبية المصرية ، ويرتدى الزى العربى ،
ويتحدث العربية والعبرية فقط .

وقطاوى ومنشه كانا من أوائل اليهود الذين غادروا حارة
اليهود ، واستقروا فى شبرا ، التى كانت منذ عهد محمد على سكنى
الطبقة الأرستقراطية من البكوات والأمراء .

ويعقوب قطاوى هو أول رئيس للطائفة ، وأول يهودى ينال
لقب « بك » عام ١٨٨٠ ثم لقب « البارون » من امبراطور النمسا
والمجر . حتى ألحق أفراد الأسرة بلقبهم لفظة ٧٥٨ « قون قطاوى »
كمائلة منشه « دى منشه » .

أكبر أبناء يعقوب : « أصلان بك قطاوى » ١٨٢٤ - ١٨٨٣ ،
تولى ادارة أعمال الأسرة ، وبلاشتراك مع أسرة سوارس أنشأ شركة

الصناعة السكر وكان له من الأبناء عشرة تركز نشاطهم في مجالات
التجارة والبورصة والبنوك .

« موسى قطاوى » باشا ١٨٤٩ - ١٩٢٤ أصغر الأربعة ،
وأكثرهم شهرة ونبوغا ، اقترن بـ « اداروسى » عام ١٨٧٤ ، ابنه
د . ايليا بك روسى الطبيب الخاص للخديو اسماعيل ، قاما بقضاء
شهر العسل فى نابلس ، وأقاما فى قصر بالاسماعيلية فى ١٨٨٣ ،
انتخب موسى رئيسا لجمعية رفاهية النمسا ، وخدم مع أخيه يوسف
كرئيس للطائفة اليهودية بالقاهرة لمدة أربعين عاما . .

وكان من المعارضين لنشاط الحركة الصهيونية فى مصر ، على
عكس قرينته التى أبدت تعاطفا شديدا للحركة . . ورغم مسئولياته
الضخمة فقد انتخب رئيسا فخريا لرابطة « بنائى بریت » .

توسع فى مشروعاته المشتركة مع أسرتى رولو وسوارس . .
وأسهم فى تمويل مد شبكة خطوط السكك الحديدية ، ومرفق المياه
بطنطا . . ووسائل النقل العامة . .

رأس مجلس ادارة البنك الأهلى المصرى ، وأسهم فى تأسيس
شركة الدلتا المصرية للاستثمار وكان مقرها بالمعادى .

انشغل أولاده بإدارة مشروعات وممتلكات الأسرة ، عن التفرغ
للعمل العام ، وأوكلوا بهذه المهمة الى ابن عمهم « جوزيف أصلاند
قطاوى » ثم ابنه « رينية قطاوى » .

وبالرغم من الثقافة الفرنسية والتعليم الأوروبى ، الا أن أسرة
قطاوى كانت عميدة التائر بالثقالييد المصرية وتفاصيل الحياة
اليومية !

تمتع موسى بالنفوذ الاقتصادي والسياسي ، تولى منصب نائب رئيس الطائفة ، الى جانب اسهامه في بعض المؤسسات الاجتماعية .

نسيم بك موصيري ١٨٤٨ - ١٨٩٧ هو اول نائب لرئيس الطائفة من أسرة موصيري ، صاحب مصرف موصيري ، وزوج ابنة يعقوب قطاوى . ولده جوزيف « ١٨٦٩ - ١٩٣٤ » كان تاجرا تولى ادارة المصرف ، تزوج من « جين آجيون » .

أخيه الأصغر « ايلي » ١٨٧٩ - ١٩٤٠ « أرغم على الاقتران بـ « لورا سوارس » وبالرغم من النفوذ الاقتصادي والاتصالات الواسعة في الدوائر السياسية ، الا أنه لم يستطع منافسة جوزيف اصلان قطاوى في الانتخابات لمنصب رئيس الطائفة ، وقنع بمنصب نائب الرئيس ، نفس ما حدث لأخيه « موريس » ١٨٨٦ - الذي انتخب نائبا للرئيس عام ١٩٤١ وخسر انتخابات الرئاسة في ١٩٤٣ .

وكان لمساندة الحاخام الأكبر لأسرتي قطاوى وموصيري ، دور كبير في تقلد المناصب القيادية للطائفة . حتى أن أموال الطائفة كانت مودعة ببنك موصيري وقد أثبت المجلس وجود مخالفات مالية انتهت باتهام موصيري باختلاس ١٨ ألف جنيه استرليني ، مما عرضه وقطاوى لانتقادات شديدة !

في رسالة ساخرة بعث بها اليهودي البلغاري « ماركو باروخ » الى صديق له ، عام ١٨٩٧ عرض فيها للمشاكل التي تواجه الطائفة ، جاء فيها :

« المادية تطفئ على كل شيء » . أصحاب البنوك والمصارف انشغلوا بتكديس الأموال وبشئونهم الخاصة ، عن أى محاولات للإصلاح . الحياة الروحية تعاني فقرا شديدا . . . » .

وواجه موسى قطاوى باشا حملة قوية اتهمته بالدكتاتورية المطلقة ، من جانب بعض المدرسين ، وناظر مدرسة التجالف الاسرائيلى « صومينخ » عام ١٩٠٨ ، فى اجتماع جمعية النهضة الادبية الاسرائيلية « بحارة اليهود » ، والذين أصدروا نشرة بعنوان « تيقظ الأمة الاسرائيلية » هاجموا فيها قطاوى ، وقصوره عن اصلاح مدارس الطائفة مما يهدد بهجر الطلاب لها !

فى مارس ١٩١٧ ، أرسل عدد من اليهود الشرقيين خطابا الى « حسين رشيدى » باشا رئيس الوزراء ، يوضح أهمية الدور الذى لعبته رابطة « بنائى بريت » فى تنظيم علاقات الطائفة ، وانشاء المؤسسات الخيرية . ولذا « فلا حاجة لمجلس الطائفة فى وجود سلطة الجاخام الأكبر وهيئة الجاخامات . . . وبالتالى يجب حل هذا المجلس ومكتب رئاسة الطائفة . . . »

وفى تقرير لـ « س . أفيجدور » من الاليانس العالمى سنة ١٩١٨ « من الواضح ان هناك حملة منظمة للسيطرة على مكتب الرئاسة ، بزعماء أقطاب الطبقة البورجوازية أو ما يمكن أن نطلق عليهم « أغنياء الحرب » وما يتمتعون به من نفوذ مالى واجتماعى هؤلاء الذين حققوا ثروات طائلة - بأسلوب غريب - بعيدا عن المشاركة فى الصالح العام للطائفة ا » .

فى الوقت الذى رفض فيه موسى قطاوى تقديم استقالته من منصبه كرئيس للطائفة قام أحد عشر عضوا بالمجلس - أطلق عليهم المصلحون - بتقديم استقالاتهم احتجاجا على سوء الأوضاع والأسلوب الدكتاتورى الذى يتبعه مكتب الرئاسة فى اتخاذ القرارات وكان هؤلاء المصلحون من التجار والصيارفة ورجسالى الأعمال ، وهم : البرت حايم (هاجر من استانبول) البرت هرارى والبرت نجار

(من أصل سوري) مورييس جاتينييو ، ايزاكو بينارو ، ايلي جاليكو ،
مارسييتوماتاتيا ، أوجو موريوجو ، سالمون شيكوريل ابن موريينو
شيكوريل . . . بالاضافة الى اثنين من عائلات ثرية معروفة :
روبرت رولو ، جاك جرين .

ترتب على هذا الوضع ، أن امتنع الكثيرين عن دفع ال « اريخا »
والاسهام بالتبرعات لمدارس الطائفة ، حتى أغلق بعضها أبوابه
عام ١٩١٨ ، ليواجه نحو خمسمائة طالب صعوبات في استكمال
تعليمهم ، في حين اتجه أبناء القادرين فقط الى مدارس اليسانية
الفرنسية والمدارس التبشيرية البريطانية .

وقد كانت « الارخا » أهم مصادر تمويل المؤسسات الاجتماعية
اليهودية وكانت تشكل لها لجنة خاصة يتولى رئاستها نائب رئيس
مجلس الطائفة ، مهمتها جمع هذه التبرعات ، بحد أدنى جنيه واحد
في السنة عن كل يهودي .

فيما بين عامي ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ افتتح عدد من المدارس
الابتدائية والمهنية من أجل فقراء الطائفة ، بينما كانت المؤسسات
الرسمية للطائفة تعيش حالة من التفسخ حتى أن اجتماع الجمعية
العامة في يونيو ١٩٢١ ، لم يحضره سوى سبعة أعضاء من بين
ثلاثة آلاف عضو !

عندما توفي قطاوي عام ١٩٢٤ ، خلا منصب الرئاسة .
وعاد الحاخام رافائيل آرون بن سيمون الى منصب كبير الحاخامات ،
ثم انتخب « جوزيف أصلان قطاوي » ، ١٨٦١-١٩٤٢ رئيسا للطائفة ،
ليصبح الرابع من أسرته الذي يشغل هذا المنصب .

تمتع جوزيف بشخصية قوية ، واتصالات على أوسع نطاق في
مجالات الاقتصاد وفي الدوائر السياسية .

درس الهندسة في باريس ، وعين بوزارة الأشغال العمومية
المصرية ، شارك في تأسيس مجموعة شركات مع عائلات : سوارس ،
دولو ومنشه . . اقترن ب « آليس سوارس » ابنة فليكس سوارس
عام ١٩١٢ ، أنعم عليه بلقب باشا في عام ١٩١٤ ، انتخب عضوا
بالجمعية التشريعية في عام ١٩١٦ ، انضم لعضوية لجنة التجارة
ولجنة الصناعة وأسهم في النشاط السياسي لحزب الوفد ، فيما بين
عامي ١٩١٩ ، ١٩٢٢ ، . . وشارك الوفد المصري في سفره الى
لندن ، اعتمادا على خبرته القانونية ، وأسهم في تأسيس بنك مصر
الذي تولى تنمية وتمويل المشروعات المصرية الناشئة ، بعيدا عن
سلطة رأس المال الأوربي !

انتخب عضوا بمجلس ادارة شركة كوم امبو للسكر ، كما
شارك في الاشراف على عدد من المشروعات الزراعية والصناعية
والنقل والصرافة .

استقال من حزب الوفد ، وأصبح عضوا بحزب « الأحرار
الدستوريين » برئاسة عدلي باشا يكن ، والذي ضم نخبة من كبار
ملاك الأراضي .

انتخب عضوا بالبرلمان عام ١٩٢٢ عن دائرة كوم امبو ، والتي
كانت تمثل مركز ثقل اقتصادي لعائلة قطاوى .

في ابريل ١٩٢٣ ، شارك في عضوية لجنة اعداد الدستور
الجديد ، وفي نوفمبر ١٩٢٤ عين وزيرا للمالية في وزارة
أحمد زيوار باشا . . التي تشكلت عقب اغتيال السيرلي ستاك سردار
الجيش المصري بالسودان .

انضم لحزب « الاتحاد » الذى تشكل بإيعاز من القصر ، وحنى
يثبت ولائه السياسى للملك فؤاد ، فى أول مايو ١٩٢٥ ، قدم
استقالته من الحزب ، أثر اشاعة بأنه أرسل برقية تهنئة الى
سعد زغلول الخصم الأول للحزب بمناسبة عيد الفطر ، مما اعتبره
معظم أعضاء الحزب نقضا للعهد وعدم وفاء للحزب . .

ارتبط بصداقة قوية بالملك فؤاد ، الذى عينه عضوا بمجلس
الشيوخ عام ١٩٢٧ ثم غُضوا بمجلس المالية فى الفترة ١٩٣١ -
١٩٣٥ .

أيضا ارتبطت زوجته « آليس » بعلاقة قوية بالقصر ، فكانت
الوصيفة الأولى للملكة نازلى ، وهى نفس الوظيفة التى كانت تشغلها
قبلها « فالنتين رولو » ، كما أنها أول امرأة يهودية تحصل على أعلى
نيشان مصرى .

وبالرغم من تعليمه وثقافته الفرنسية ، إلا أنه - وكما كان يردد
دائما - أنه يهودى الديانة ، مصرى الهوية ، ولائه للملك وللمصر بلده
. . وقد وضع هذا الولاء والانتماء فى رؤيته للحركة الصهيونية
ومخططاتها من أجل انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ورفضه
لإقامة مجرد ولاية يهودية على الأرض العربية !

وقد استحوذت الأوضاع السياسية فى مصر على اهتمام
الطائفة اليهودية ، مما دفع بيوسف الى توسيع وتعميق اتصالاته
بين الدوائر السياسية والدبلوماسية المصرية والأجنبية ، تميز
اسلوب ادارته لمجلس الطائفة بالاحتكام الى العقل فى حل المشاكل
الداخلية للطائفة ، والى الدبلوماسية ازاء المشاكل والقضايا
السياسية العامة . . توفى فى مايو ١٩٤٣ .

★ حاييم ناحوم (أفندي) ١٨٧٣ - ١٩٦٠ - ولد في (ماجنسيا) بالقرب من أزمير ، درس الثانوية في استانبول ، التحق بالمدرسة العليا للحاخامات بباريس ، ودرس اللغات الشرقية ، وشارك في تأسيس رابطة « الاتحاد والتقدم » التي كان لها دور فعال في الانقلاب التاريخي لتركيا ، عقب عودته من باريس ١٩٠٨ عين « حاخام باشي » كبيرا للحاخامات في استانبول .

أصقلته خبرة سياسية هائلة ، من خلال علاقاته بالدوائر السياسية والدبلوماسية في ولايات الامبراطورية العثمانية ، والولايات المتحدة وفرنسا ، ومن خلال المشاركة في وفود رسمية ممثلا عن تركيا في عدة مفاوضات ومؤتمرات ، منها مفاوضات الهدنة الحربية في Hague ، وفي واشنطن ١٩٢٠ - ١٩٢٢ ، وفي مؤتمر السلام الذي عقد في لوزان بسويسرا عام ١٩٢٢ ، وكانت الحكومة التركية قد أوكلت اليه مهمة تحقيق التفاهم مع بريطانيا وتحسين العلاقات بينهما . وهي المهمة التي شجعتها المنظمة الصهيونية العالمية .

كانت اهتماماته وطموحاته السياسية بلا حدود ، على حساب الجوانب الروحية والدينية ، وإهماله في كثير من الأحيان لمسئولياته منصبه ، مما أدى الى عدة حملات هجوم عليه . . خاصة من الاشكناز الصهاينة - الذين وصفوه بأنه : « أفاق » ، محتال ثعبان » . . وعندما رفضت السلطات الحكومية اختياره ممثلا لها في واشنطن ، تقدم باستقالته من منصبه الذي اكتسب من خلاله شهرته كدبلوماسي شرقي . . أكثر منه كرجل دين ، حتى أطلق عليه : « أفضل حاخام بين الدبلوماسيين » ، وأفضل دبلوماسي بين الحاخامات !

كثرت زيارات حاييم ناحوم لفلسطين ، ولقاءاته بالليجان والجمعيات الصهيونية التي حرصت على تجنيده في خدمة أهدافها . .

وقد قوبل دوره في تشجيع النشاط الصهيوني في مصر
بالحذر ، والكراهية أحيانا ، إلا أنه وثق صلاته بالملك فؤاد ، الذي
عينه عام ١٩٢٥ ، حاخام أكبر لمصر والسودان ، ومنحه الجنسية
المصرية عام ١٩٢٩ ، وعينه عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٣١ ،
وفي نوفمبر عام ١٩٣٣ ، نال عضوية مجمع فؤاد الأول للغة العربية
(مجمع اللغة العربية) .

حاول حايم تقريب وجهات النظر بين زعماء الطائفة من أجل
الصالح العام . وقوبل بكراهية واعتراضات من بعض الشخصيات ،
وبانتخاب مجلس جديد عاد الهدوء النسبي وفي مارس ١٩٢٥ ، شكل
حايم مكتب (الحاخامخانة الاسرائيلية بالقاهرة) وفي نوفمبر
١٩٢٦ ، وضعت لائحة على غرار لائحة الطائفة بالاسكندرية عام
١٨٧٢. بخلاف أن لائحة الاسكندرية تحتم أن يكون ثلثي الأعضاء
الثمانية عشرة. من المواطنين اليهود المصريين وتنص هذه اللائحة
على خضوع الطائفة لأحكام المجلس ، الذي تنتخبه الجمعية العمومية
لمدة ثلاث سنوات ، وحق التصويت مكفول للأعضاء الذين يدفعون
الاربخا طوال هذه الثلاث سنوات .

وعندما تم اقرار رئاسة الطائفة لمدة سنتين واحدة ، حاول البعض
التدخل لتعديل هذا القرار ، لكن لم يستجبه لطلبهم . مما أدى إلى
سقوط جوزيف قطاوى صريح المرض نتيجة أصابته بشلل نصفي
حتى وافته المنية عام ١٩٤٢ م .

تحددت اختصاصات مجلس الطائفة في رعاية مصالح وحقوق
الطائفة ، وتحديد سلطة الحاخام الأكبر بأنها سلطة دينية فقط ،
ويتلقى تعليماته من المجلس ، ويوقع على الطلبات الدينية والمدنية
والخدمات ، والشئون المالية من اختصاص المجلس فقط .

وضح هيمنة رجال الأعمال والمهن الحرة على المجلس وقراراته ، وكان منهم العصاميون ، والمهاجرون ، منهم : ابرامينو منشيه ، البرت حاييم ، ايزاك ناكامولى ، ابرامينو آشسير ، ايزاك اميل ، عزرا رودوريغ . . . وقد نشأ به نشاطهم المهني مع مورينو شيكوريل ، وجوزيف بتشيو تو وحاييم بارسيلون ، سلفاتور ازاكى وفيكتور راجدون الذين ينتمون فى الأصل الى الطبقة المتوسطة .

كان هناك استمرارية لغياب دور المؤسسات العامة فى حياة اليهود فى مصر وهذا ما أشار اليه « يوليوس بيرجر » وزميله جرونهت ، فى تقرير جاء فيه :

« رغم أن الطائفة العربية اليهودية تحتل موقعا متميزا على عكس الاشكنازيم ، منذ أن كان يتزعمها وزير المالية قطاوى باشا ، ولاكثر من نصف قرن ، بنفوذ عائلات قطاوى وموصيرى ومنشه . . . الذين كانوا يقطنون فى الأساس أماكن التجمع اليهودى - الحارة - ويعملون صغار صيارفة . . . ويفضل علاقاتهم بسلطات الاحتلال البريطانى ، كونوا ثروات ، جعلتهم يتسللون الى المناطق الراقية ، ونشأ الجيل الثانى (أولادهم) فى محيط من التحضر والمدنية والتطلع الى المناصب الهامة فى مصر . . . ولهذا فمن السهل ملاحظة المتناقضات داخل الأسرة الواحدة فمنها من يرفل فى الشراء وينعم بالنفوذ الاقتصادى والسياسى . . . ومنها من يعانى البؤس والشفاء ويتردد على مكاتب قطاوى أو موصيرى يطلب معونة تساعد على السلوك فى معترك الحياة ، ا

وكانت الأوضاع الداخلية للطائفة موضع انتقاد لهانز كوهن عام ١٩٢٨ : « لا يزال الموقف سيئا فى القاهرة ، فالسلطة والنفوذ بيد نحو عشرين أسرة يهودية . . . أما اليهود الذين يعيشون خارج القاهرة ، ومعظمهم من اليهود العرب ، ولأنهم فقراء ، فهم خارج

دائرة اهتمام زعماء الطائفة ، وهم أيضا فقدوا الاحساس بوجوب المشاركة في العمل الاجتماعي ! » .

أنفقت الطائفة في الثلاثينات نحو ٨٠ ألف جنيه من أجل انشاء مدرسة ومستشفى يهودى وبعض المؤسسات الاجتماعية .. مما ألهب حماس السيدات أيضا ، فأسسوا فرعا للمنظمة الصهيونية العالمية للمرأة Wizo ، ومستوصف ، ومكتب لرعاية الأسرة .. هذا فى الوقت الذى كانت تجتاح البلاد فيه أزمة اقتصادية طاحنة .. وافتتح موسى قطاوى مدرسة قطاوى للبنين ، ومدرسة « مارس سوارس » للبنات ، بالمجان ، فى حي العباسية .

ونسوء الأوضاع ويتسلسل الانحراف داخل فرع القاهرة للاتحاد الدولى لشباب اليهود فيخلق أبوابه عام ١٩٣٥ ، وتتأسس فى العام نفسه منظمة الشباب اليهودى المصرى التى عملت على نشر الثقافة والتاريخ اليهودى ، والحفاظ على التقاليد اليهودية .

وتشهد رابطة بنائى بریت نشاطا مكثفا عام ١٩٣٣ لوقف المد النازى .. والتعاون مع الجمعيات اليهودية المحلية .

برحيل جوزيف قطاوى عام ١٩٤٣ ، يكاد ينتهى دور أسرة قطاوى بالنسبة لمجلس الطائفة ، باستثناء رينيه ابن جوزيف أصلا . قطاوى .. ويدخل فى المنافسة الانتخابية ايزاك ناكامولى ١٨٦٩ - ١٩٤٥ . رجل الأعمال العصامى ، الذى شبيهه واحدا من أكبر مصانع الورق ، عمل نائبا لرئيس الطائفة ، ومن المدهش أنه لم يكن يعرف العربية على الإطلاق !

ويتزعم كل من صحيفة « الشمس » ، ومنظمة الشباب اليهودى ، حملة تطالب بزيادة أعضاء الطائفة من ١٨ عضوا الى ٢٤ عضوا ، على ان تكون الغالبية للشباب والمثقفين من اليهود

المصريين وأن تحل العربية والعبرية محل الفرنسية اللغة الرسمية للمجلس ! ورئيس الطائفة يجب أن يكون مصري الهوية ، يرتدى الطربوش ، وينرشح من الجمعية العمومية وليس من المجلس .

وتشتمل الحملات الانتخابية ، وتعتبر بعض الصحف وأندية الشباب : رينيه بك قطاوى هو أنسب المرشحين ، فعائلته مازالت تتمتع بنفوذ سياسى واقتصادى ، كمبتا تحفل بتأييد يهود البحارة والعباسية .

بينما العائلات الثرية : سوارس ، جرين ، موصيرى . . . قد أيدت مورييس موصيرى أما اليهود المهاجرون من دول أوروبا فكانوا يساندون ايزاك ناكامولى .

وبنجاح ساجق ، بفوز زينية بالمنصب ، ليصبح الخامس من أسرة قطاوى . . . وانتخب ناكامولى رئيسا شرفيا ، وسلفاتور شنيكوريل وايزاك ليفى نائبان للرئيس ، البرت حاييم سكرتيرا ، أميل عدس مسئولا ماليا . . . أما مورييس موصيرى فلم يعرض عليه أى منصب قيادى لينخر كل شئ فى هذه الحركة الانتخابية !

وقد ضم المجلس : يعقوب ليفى قطاوى ، والمحاميان كليمان هراى ، وشارلز شالوم وإبرامينو آشير ، حاييم بارسيلون ، سلفاتور ايزاكى ، عزرا رودريج ، كما ضم المجلس للمرة الأولى اثنين من أشهر رجال الأعمال : أوفاديا سالم وأصلان فيدون .

أما عن أوفاديا سالم ، فقد ولد عام ١٨٨٨ فى سالونيك ، هاجر الى مصر عام ١٩٠٣ عمل مؤقتا ببنك موصيرى ، ثم أسس مع الفريد كوهين و ج . س . بيريز ، شركة التسليفات التجارية ، سرعان ما تحولت الى واحدة من أكبر شركات التجارة والتصدير ،

أسهم في نشاط الحركة الصهيونية في مصر من خلال رابطة
بنائى بریت .

أما بالنسبة لأصلان فيدون ، الذى ولد عام ١٨٨٢ ، فهو مثل
نكاهولى ، آشير ، رودريج وسالم . . مهد لنفسه طريقا فى عالم
التجارة ، الى ان افتتح شركة ناجحة عام ١٩١٧ ، تمد الحكومة
والجيش والمستشفيات بالاحتياجات اللازمة من الملابس والخيام
وشيد مع زوجته فى عام ١٩٣٣ مدرسة أولية ثم ملجأ فى العام النالى .

رينيه بك قطاوى ، ولد عام ١٨٨٦ ، تلقى علومه بلوزان ،
اقترب ب « سيلين جوهر » عمل بضع سنوات فى وزارة الزراعة
المصرية ، فى نهاية العشرينات أصبح مديرا عاما لشركة وادى
كوم امبو ، وعضوا بالمجلس الاقتصادى ، وعضوا بالمجمع العلمى
المصرى وبجمعية الجغرافية الملكية ، فى عام ١٩٣٨ انتخب عضوا
بالبرلمان عن دائرة كوم امبو مثلما خلف شقيقه الأكبر أصلان
والدهما فى عضوية مجلس الشيوخ : وأعيد ترشيحه للبرلمان
عام ١٩٤٥ ، وأول مرة ينتخب لعضوية مجلس الطائفة كانت عام
١٩٣٦ م وأشرف لعدة سنوات على مدرسة الطائفة ، قبل ان يصبح
نائبا لرئيس المجلس ، أسهم فى تأسيس الجمعية اليهودية للاصلاح
الاجتماعى عام ١٩٤١ ، لتحسين الظروف المعيشية لفقراء اليهود -
الحارة - وكانت أهم المشاكل التى حاول ان يضع حلولها : التعليم
وانشاء المزيد من المدارس ، التغلب على مشاكل حارة اليهود بتوفير
المساكن الملائمة والعناية الصحية ، وانشاء ناد للشباب .

★ وفى عام ١٩٤٧ ، أثمر تعاون مجلس الطائفة مع الجمعية
اليهودية للاصلاح الاجتماعى عن افتتاح مركز اجتماعى بحارة اليهود ،
يشمل مستوصف عام ، حمام عمومى ، ورشة مهنية ، مكتب للعناية
الصحية ورعاية الأسرة . . ومطبخا يعد نحو ١٢٠ وجبة يومية .

وكان مدير هذا المركز « اندرية جابيس » الذى وضع برنامجا للاسكان الشعبى وبرنامجا لتطوير مناهج التعليم ، وبدأ يعد لاقامة مدرسة ثانوية وأخرى مهنية

وقد باع مجلس الطائفة مدارس قطاوى ومارى سوارس بحى الظاهرة ، وادمجت مدرسة البنين بمدرسة « السبيل » المجانية بالعباسية ، كما تم توسعه وتطوير مدرسة الحرف والصناعات التى شيدها شيكوريل عام ١٩٤٨ .

★ وكان هناك تقليدا متبعا ، بمقتضاه تولى بعض الأسر الثرية مساعدة الأسر الفقيرة بحارة اليهود ، بالمال والأطعمة فى مناسبات الأعياد الدينية ، واستمر العمل بهذا التقليد بجانب الاقتراح المستحدث بطبع بطاقات مدون بها بيانات الشخص أو الأسرة التى بحاجة الى مساعدة ، فثبت بها قيمة المبلغ الذى سيصرف له شهريا ، بدلا من انتظار الصدقات فى المناسبات .

وكانت الأمور قد أصبحت أكثر تعقيدا ، خلال الحرب العالمية الثانية ، وتزايدت الدعوة الى اندماج الطوائف اليهودية الشرقية والأوربية ، وتنسيق التعاون فيما بينها وهى الدعوة التى كانت تقابل دائما بالرفض أو عسقم الترحيب من جانب الاشكنازيم . . خاصة ما يترتب على ذلك من زيادة إسهامهم فى رفع مستوى معيشة يهود الحارة والنهوض بمدارس الطائفة ا

كذلك بامت بالفشل فى محاولات توحيد طائفتى القاهرة والاسكندرية . . حتى تحقق بعض النجاح فى مايو ١٩٤٨ ، وبدأ التنسيق والتعاون بين الفرق المختلفة ا

في أكتوبر ١٩٤٥ ، صدر قانون بوضع الجمعيات ذات الصفة الدينية تحت إشراف وسلطة الحاخام الأكبر ، بينما المؤسسات الاجتماعية تسجل وتخضع لإشراف وزارة الشؤون الاجتماعية وحتى منتصف الأربعينات ، كانت اجتماعات المجلس ومناقشاته تتم باللغة الفرنسية ولا تترجم إلى العربية ، فغالبية أعضاء الجمعية العمومية والمجلس من غير اليهود المصريين ، لا يستطيعون القراءة والكتابة بالعربية ، كذلك كان من الصعب أن يتحقق حلم « المصلحون » في أن يصبح المجلس « مجلساً مصرياً » مثلاً عن اليهود (الحقيقيين) المصريين ، كما كانوا يأملون في بداية العشرينات من هذا القرن . . . ويحسب لهم نجاحهم إلى حد ما في جعل الجمعية العمومية أكثر ديمقراطية وتسخير بعض من نفوذ العائلات الأرستقراطية وعلاقاتها في حل بعض مشاكل الطائفة خاصة الطبقة الفقيرة .

وبالرغم من النفوذ الاقتصادي لطبقة المهاجرين الأثرياء ، وسيطرتهم على مجريات الحياة العامة لليهود ، إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول لمنصب رئيس الطائفة ، وكل ما حققه ناكامولي - أحد أفراد هذه الطبقة - هو الحصول على الرئاسة الشرفية عام ١٩٤٣ ، كما سبق أن أشرت لذلك ، ووصول سلفاتور سيكوريل وايزاك ليفي إلى منصب نائب الرئيس ، بينما ظلت الرئاسة في قبضة أسرة قطاوي أو « القطاوية » حتى سقوط رينيه قطاوي صريع المرض واستقالته لأسباب صحية في أغسطس ١٩٤٦ م .

واختير سلفاتور سيكوريل عميد العائلة الثرية المعروفة وصاحب المحلات الشهيرة بوسط المدينة ، والحائز على رتبة البكويه ، ووسام الشرف الفرنسي بدرجة « فارس » ووسام « التاج الإيطالي » والمتمتع بالحماية الإيطالية ، ورئيس أندية المكابي اليهودية . رجل الأعمال

وصاحب النفوذ في الاقتصاد المصري والعلاقات الواسعة ... لكنه
أبدا لم يكن « قبطاوي » !

وارتفعت دعوة تطالب بحق المرأة اليهودية في التصويت ، في
انتخابات المجلس وساند الباخام الأكبر هذا الاقتراح وأيده ، بينما
جبهة عريضة تزعمها ايزاك ليفي نائب الرئيس تعارض هذه الفكرة ،
لايمانة بأن المرأة مهمتها الأساسية رعاية حياتها العائلية ، فقط
يمكنها أن توجه بعض جهودها لخدمات التعليم والمشروعات الخيرية ...
وتبنيت صحيفة الشمس الاقتراح المؤيد ، بل وطالبت بتأسيس
مجلس نسائي يتوازي مع مجلس الطائفة « الرجال » ! على أن هذه
الفكرة - التي شيطحت كثيرا - لم تكن تلقى التأييد بالطبع ، وقوبلت
بالرفض من جميع أعضاء المجلس !!

وقد تم تعديل لائحة المجلس ، لمنح الباخام الأكبر سلطات
أوسع ونفوذ أقوى وبمقتضاه أصبح « الممثل الرسمي » للطائفة
اليهودية في مصر .

مؤسسات الرعاية الاجتماعية والرياضية والثقافية بالقاهرة

وجه زعماء الطائفة بعض من جهودهم لإنشاء مؤسسات الرعاية الاجتماعية ، والجمعيات الدينية والثقافية ، التي كان هدفها بث الدعوة للتجديد والبحث الديني والثقافي وإحياء اللغة العبرية ، وقد أبرزت الصحف اليهودية أنشطة هذه المؤسسات ، وعاونتها في انجاز مهمتها ، كما دعت الى وجوب التعاون بين مجلس الطائفة وجمعيات الشباب بوجه خاص ، معبرة عن رغبتها في تنشئة الشباب في ظل « المبادئ الصهيونية » .

في مجال الخدمات الاجتماعية ، انتشرت الجمعيات والمراكز والملاجئ والمستشفيات لخدمة الفقراء من أبناء الطائفة ، وأسهمت العائلات اليهودية في تقديم الأموال والرعاية لهذه المؤسسات ، منها :

● جمعية « بخور حوليم » للرعاية الطبية ، التي تأسست عام ١٩٠٩ .

● الاتحاد الاسرائيلي لخدمة يهود هليوبوليس ، تأسس عام ١٩٢٢ .

● جمعية « ماثان باستير » و « الجمعية الاسرائيلية لخدمة الفتيات اليهوديات » اللتان تأسستا عام ١٩٣٣ ، من أجل

تقديم المعونة والرعاية للفقيرات من بنات الطائفة ، وتوفير
سبل العمل لهن ، وتسيير الدوبات (المهور) اللازمة
لزوجهن .

● ملجأ « ابن ميمون » للمسنين ، بحارة اليهود ، تأسس عام
١٩٣٤ .

● المركز الاجتماعي التابع للجمعية اليهودية للاصلاح
الاجتماعي ، تأسس عام ١٩٤٧ ، وضم مستوصفا ، وحماما
عموميا ، وورشة مهنية ، ومكتبا للرعاية الصحية ، ومطبخة
يسد ١٢٠ وجبة مجانية يوميا . . . وقد جاء في اعلان
للحاخامخانة الكبرى بالقاهرة : « ليكن في علم أبناء طائفتنا ،
ان المركز الاجتماعي الكائن بحارة اليهود ، وكذلك ملجأ
العجائز بمصر الجديدة التابعين للطائفة ، يقدمان يوميا
وجبات الطعام لعدد كبير من المعوزين بالمركز الاجتماعي ،
وملجأ العجائز ، على استعداد لتقديم تسهيلات لكل من يريده
تحضير « السعوداه » والصلاة على روح المتوفين من الأقارب
وذلك بمقرهما . . »

● المستشفى الاسرائيلي : بحى غمره ، وقامت بتمويله عدد من
العائلات اليهودية الثرية : قطاوى ، موصيرى ، شيكوريل . .
وتولى ادارته : د . « بيكارد هوجر » .

ومن أشهر الأندية التى تولت رعاية شباب الطائفة اجتماعيا
ورياضيا وثقافيا : « نادى الشبيبة اليهودى - المكابى »
Maccabi - بالقاهرة والاسكندرية ، وقد أسهمت عائلات
شيكوريل وعاداه وقطاوى ، فى تأسيس نادى « مكابى القاهرة »
وتولى رئاسته سلفاتور شيكوريل فى الفترة من ١٩٣٠ - ١٩٣٤ ،

ثم خلفه الصهيونى الشهير « ايزاك اميل » أحد أبطال مصر فى
لعبة الملاكمة ..

ويجدر بالذكر ، أن سلفاتور شيكوريل ، كان بطالا لمصر فى
لعبة سيف المبارزة ووصل الى نهائى دورة الالعاب الاولمبية عام
١٩٢٨ ، ولعب كوهين ونجار فى لعبة التنس ، ورحمى فى رمى
القرص والمصارعة ، وحصل على عدة بطولات فيهما ، كما برز
سالونيشير فى لعبة الملاكمة .

وقد تولى « جاك جوهر » عضو اتحاد المكابى بفلسطين ، وأحد
زعماء الطائفة ، منصب مراقب عام النشاط الرياضى بمصر فى
عهد الملك فؤاد .

كذلك شكلت الأندية اليهودية بالقاهرة والاسكندرية :
جماعات للكشافة وفرق العبرى الصغير ، التى أسهمت فى جمع
التبرعات الى « الكيرن كاميت » من أجل شراء الأراضى فى فلسطين
وتشييد المستعمرات اليهودية عليها ، كما أوفدت هذه الأندية
- لجانا خاصة - لاستقبال المهاجرين اليهود القادمين على البواخر،
وتهيئة سبل الإقامة والعمل والراحة لهم .

وقد دعى عدد من الكتاب والصحافيين اليهود - ممن تسلطت
على عقولهم الفكرة الصهيونية - الى تكوين جمعية تعبر عن أمانى
الشباب اليهودى ، على غرار جمعيتى الشبان المسلمين والمسيحيين،
فشكلت لجنة تحضيرية لوضع أسس هذه الجمعية ، ضمت :
د . ألفريد يلوز ، د . اسرائيل ولفنسون ، سعد يعقوب مالكي ،
رحمى كوهين ، هلال فارص .. وفى الثالث من يوليو عام ١٩٣٥ ،
أعلن تأسيس « جمعية الشبان اليهود المصريين » واتخذت مقرا لها
بعمارة « اساييس » بالحمزاوى، شعارها « الوطن والدين والثقافة »

ومبادؤها « خدمة مصر » ورفع شأن اليهود في البلاد أدبيا واجتماعيا ، وتعويد الشباب على « الأخلاق القومية والتقريب بين عناصر الأمة على اختلاف أديانها وأجناسها » .

واذكاءا للروح اليهودية في نفس الشباب ، نظمت الجمعية محاضرات تناولت التوراة وشرائعها ، التاريخ اليهودي وأبرز الشخصيات اليهودية ودروسا في اللغة العبرية . .

وقد وصفت صحيفة « الشمس » . . في اطار دعوتها لشباب اليهود للانضمام تحت راية هذه الجمعية ، بأنها « ستعيد مجد الشعب اليهودي » !

في عام ١٩٣٩ ، تمكنت الجمعية من أن تؤسس ناديا باسم : « نادي جمعية الشبان اليهود » .

وكان من أهم الاندية التي نشطت في بث الفكر الصهيوني بين الشباب « النادي الصهيوني » الذي تأسس عام ١٩٣٥ ، كما تأسس أيضا « الاتحاد العالمي للشبيبة الاسرائيلية » بمصر ، برئاسة د . الفريد يلوز ، وفي اطاره تأسس قسم « هاعبري ها صعير - العبري الصغير » بهدف تعليم اللغة العبرية ونشر المبادئ الصهيونية .

في مارس عام ١٩٣٧ ، تأسست جمعية « الشبان الاسرائيليين القرائين » التي أصدرت مجلة باسم « الشبان القرائين » ومجلة « الكلام » . . ونشطت الجمعية في تنظيم محاضرات اسبوعية خاصة بتاريخ اليهود القرائين وتعاليم اليهودية ، ثم أسست هذه الجمعية ناديا خاصا باسم « نادي اتحاد الاسرائيليين القرائين » .

وكان مقره بشارع العباسية رقم ٥ ، وتشكل مجلس إدارته على النحو التالي :

- المهندس فرج إبراهيم فرج رئيسا .
- المحامي يوسف درويش وكيل ، وفرج يعقوب فرج سكرتيرا .
- وأعضاء المجلس : الياهو أصلان ، إبراهيم حسنى ، توفيق عبد الواحد ، جاك ليتو مرزوق ، جاك فرج ، زكى منشه ، يوسف كمال ، ثابت درويش .

وتمثلت أغراض النادي - كما جاء فى لائحته التأسيسية - فى :

- ١ - ترقية الروح الرياضية والأدبية والأخلاقية والعلمية والفنية وبثها فى الشباب وتسهيل سبل المعارف والمحبة بينهم .
- ٢ - ترقية الطائفة على الطريقة المدنية الحديثة .

وقد اشتهر هذا النادي بتنظيم الجفيلات والرحلات والمحاضرات ، وتكونت به فرق رياضية وجماعات ثقافية وفوسيقية وفن التصوير .

المدارس ..

اعداد شباب اسرائيل متعصب !

كانت الطائفة اليهودية بمصر - أولى الطوائف اليهودية في الشرق الأوسط - التي تنبعت الى أهمية التعليم الحديث الملازم لمقتضيات العصر، وأصبح الاتجاه العام نحو الثقافة الغربية، خاصة الفرنسية، ومنذ الستينيات من القرن التاسع عشر، طرأ تغيير جوهري على مدارس اليهود بادخال بعض اللغات الأوربية : الفرنسية والانجليزية والايطالية ..

وقد أسهم تمركز يهود مصر في القاهرة والاسكندرية، في تمتعهم بمستوى تعليمي وثقافي مرتفع، نظرا لانتشار دور التعليم والمعاهد العالية الأجنبية والحكومية في هاتين المدينتين، وكما عنيت الطائفة اليهودية بأن يكون تعليم أبنائها تحت اشرافها لضمان توجيههم الوجهة المرجوة، وحتى يشبوا وانتمائهم الأول لدينهم وطائفتهم، يبت مفاهيم التوراة والتلمود فيهم، فانها عنيت أيضا بإنشاء عدد من المدارس على غرار النظم الأوربية، كما اهتمت كذلك بالتعليم والتدريب المهني .

كانت مدرسة « ابن ميمون » بدرب البرابرة أول مدرسة يهودية أنشئت بالقاهرة، أسسها محفل ابن ميمون عام ١٨٩٢، والذي كان له نشاط بارز من أجل تعليم أبناء الطائفة، وقد ضمت

خمسة فصول بلغ عدد طلابها ١٣٠ طالبا ، تلقوا دروسهم الأساسية باللغة الفرنسية ، الى جانب دراسة اللغات العبرية والعربية والانجليزية ، وتولى شئون التدريس بها عدد من خريجي مدرسة المعلمين الاسرائيلية الشرقية في باريس ، كما انشئت بعض الكليات الملحقه بعدد من المحافل والمعابد اليهودية .

وقامت المحافل والمعابد اليهودية بتقديم الدعم المادى لمدارس : « الاتحاد الاسرائيلى العالمى - Alliance Israelite Universelle » وهو تنظيم يهودى تأسس عام ١٨٦٠ فى باريس ، بهدف تنمية المجتمعات اليهودية المتخلفة باتباع أحدث النظم التعليمية والتدريب المهنى واغاثة اليهود فى أزماتهم والدفاع عن حرياتهم الدينية وحقوقهم المدنية ..

كذلك أنشأ مجلس الطائفة اليهودية عدد من المدارس النى كانت تشرف عليها لجنة خاصة سميت « لجنة المدارس » ضمت ١٢ عضوا من الحاخامات والشخصيات البارزة ، وكانت تمول من حصيلة الضرائب الخاصة « أريخا » وتبرعات أثرياء اليهود .

هذا الى جانب عدد من المدارس الخاصة ، أهمها مدرسة « جمعية نقطة اللبن - La Goute de lait » التى أسسها : ايزاك بنارويو - Isaac Benarioio وزوجته عام ١٩١٥ ، واشتهرا بتقديم وجبة افطار ومعونات مالية لليتامى والفقراء ، بالإضافة الى عشرة آلاف جنيه من التبرعات للاسهام فى انشاء مقر لهذه المؤسسة القرب من ميدان سليمان باشا ، ضم مدرسة لليتامى وأبناء الفقراء من اليهود افتتحت عام ١٩٢١ .

وفى عام ١٩٢٠ أسس « موسى قطارى - Moise De Cattaoui » مدرسة أولية باسمه ، وأسست « ماري سوارس -

سوارس - Marie Saures « مدرسة أخرى في عام ١٩٢٤ ، ومدرسة
العباسية في عام ١٩٢٧ .

وأسست عائلة جرّين : جاك ورفال واستير ، في عام ١٩٢٤
مدرسة « جرّين » بجارة اليهود ، وكان مديرها الصحفي اليهودي
الشهير « سعد مالكي » كما أسست « راشيل يعبيس » مدرسة
باسمها يحيى عابدين عام ١٩٣٤ ، وأسس « فليكس سماما » في
عام ١٩٣٦ « ليسيه السكاكيني » الابتدائية ، والتي ضمت أقسام
للاختزال والدراسات التجارية وإدارة الأعمال .

وأسس « ابراهام بيتش » مدرسة باسمه في مصر الجديدة
عام ١٩٢٣ بلغ عدد تلاميذها نحو ٦٠٠ تلميذ - بقسميها الابتدائي
والثانوي - من جنسيات متعددة : مصريون وفرنسيون وإيطاليون
وانجليز وأتراك وأسيان ويونان .

وكان محفل « بني بريث » قد أسس في عام ١٩٣٤ : جماعة
« ليمود » الاسرائيلية ، التي نشطت في تأسيس مدارس جديدة
استوعبت الزيادة المطردة في عدد الطلاب اليهود ، كما ساهمت
في معاونة الفقراء منهم لاستكمال دراساتهم وتوجيههم ، وأمدت
المدارس الخاصة كذلك بالعون المادي والمشورة الفنية .

وقد اضطلعت الصحف اليهودية بدور هام في توجيه العناية
بمدارس الطائفة ، حيث حرصت على الدعوة الى تشجيع الآباء على
ارسال أبنائهم الى هذه « المدارس اليهودية الخاصة » ، ونبد المدارس
الحكومية والأجنبية ، بعد أن أقلقها خروج بعض أبناء الطائفة عن
دينهم ! .. وحثت المسئولين عن التعليم في الطائفة على التركيز

على مبادئ الدين اليهودي وتعاليمه صونا للجيل الجديد من أخطار
الخروج على الأمة ..

فوجد أن صحيفة « إسرائيل » طالبت بإنشاء معهد بكل
مدرسة لتقام فيه الصلاة كل صباح حتى ينشأ الطالب نشأة
يهودية صحيحة ، ويتعود الصلاة باللغة العبرية ، وحثت مجلة
« الشبان القرائين » على العناية بالتعاليم اليهودية ، كما طالبت
بإنشاء مدرسة دينية خاصة بالطائفة ، يتلقى فيها الشباب تعاليم
دينهم وشريعتهم بلغة التوراة .

وانتقدت صحيفة « الشمس » مدارس الطائفة لاهمالها
تدريس التوراة ، ودعت الى العناية بدراسة « التاريخ الاسرائيلي »
في مصر ، كما دعت أيضا الى أن تكون لمدارس الطائفة مبادئ تسعى
لتحقيقها مثلما تفعل المدارس المسيحية التي تنحصر مهمتها في
« نشر الدين المسيحي وبث تعاليمه بين الطلبة » .. !

ومما لا شك فيه أن هذه الدعوات قد أثرت ثمارها باستجابة
القائمين على أمر التعليم في الطائفة ، بالنوسع في إنشاء المزيد من
المدارس الاسرائيلية والاهتمام بتدريس اللغة العبرية وآداب
الشريعة اليهودية ، وتطوير برامج التعليم في هذه المدارس ، وتجدر
الاشارة الى أن مجلة « الكليم » دعت الى أهمية وجود مدرسة
ثانوية خاصة بأبناء الطائفة ، حيث أنها : « ستكون أحد العوامل
الفعالة في تحقيق وحدة الطائفة » .. ! وأن إقامة مثل هذه
المدرسة « سيتمكن الطائفة من الاستمرار في الاشراف على شبابها ،
ومواصلة أعدادهم وفق السياسة التي تناسب مصالحها ، كما
سيتمكنها من أعداد شباب اسرائيلي متعصب لطائفته ودينه ،
وتشغله بالقضايا اليهودية على غيرها » .. !

المخافل والمعابد اليهودية فى القاهرة

نشأة المعبد اليهودى :

المعبد أو الكنيس من المؤسسات التى شيدت بعد الكتاب المقدس ، فلم يكن هناك تعليمات أو اتجاهات محددة فيما يخص تشييده ، وتوجد فى التلمود اشارة واحدة الى أن الكنيس ينبغى أن يشيد فوق أرض مرتفعة وأن يكون أعلا قامة من الأبنية المحيطة به ونستطيع أن نستدل من سفر دانيال فى الكتاب المقدس على أن وجود النوافذ فى المبنى شىء أساسى للمصلى ، حيث أنها تمكنه من التأمل فى السموات ، الأمر الذى يلهمه الورع والمهابة . ومن الملاحظ أن النبى دانيال كان يولى وجهه فى الصلاة شطر أورشليم ، وقد كان لهذا الأمر تأثير قوى على تصميم الكنيس .

وبالرغم من أن الكنيس كان يتجه ، تبعاً لذلك نحو أورشليم ، فإن استجابات الممارين لهذا التوجه جاءت متباينة بنسب كبيرة ، وذلك أثناء العصور الأولى المسيحية .

فى البداية كانت واجهة الكنيس تواجه أورشليم ، وفى المباني التى أقيمت على هذا الأساس لم يوجد ما يشير الى موقع « الصندوق المقدس » الذى تحفظ فيه التوراة والذى يظن أنه كان يحفظ أما فى حجرة ملحقة بالمبنى أو خارج الكنيس . ثم يحمل الى مكان الصلاة حيث يتم الاستماع الى الشريعة . وابتداء من

القرن الثالث طراً على تصميم الكنيس تغير واضح وأصبح اتجه المبنى يتبع موقع « الصندوق المقدس » داخله .

وقد أشار المؤرخ « فلافيوس يوسيفوس / ٣٧ - ١٠٠ ميلادية » فى كتابه (The antiquities of the Jews) الى أن الكنيس كان يبنى على مقربة من النهر أو البحر لتكون هناك فرصة لممارسة الاغتسال فى مكان ملحق بمبنى الكنيس .

وقد جاء الكنيس بمثابة انشقاق أساسى عن تقليد التعبد فى الهيكل ، فكان علامة انتقال من الطقوس التى ينفرد بخدمتها الكاهن الأكبر « رئيس الكهنة » ومعاونوه . اللاويون - الى نوع من الخدمة الدينية الجماعية ، وكان لهذه الحركة الانتفالية من الطقوس القرايينية الى الصلاة تأثيراتها الاجتماعية حيث يمكن أن يقوم بالخدمة التعبدية - الصلاة والاستماع الى الشريعة - أى ذكر راشد من المؤمنين دون حاجة لكهنوت .

وهكذا أصبح الكنيس مركزاً لحياة اجتماعية ، وقد أشار المؤرخ يوسيفوس الى أن المؤمنين يجتمعون فى الكنيس لا للصلاة والاستماع الى الشريعة فقط . ولكن أيضاً لمناقشة مشكلات تتعلق بحياة الطائفة . وفى المعبد (كنيس) الكبير فى الاسكندرية كان الناس يتخذون أماكنهم تبعاً لمهنتهم وكل جماعة تجلس فى مكان خاص بها . فهناك الغزالون والصائغون والحدادون . . . السخ ، وكل شخص يتجه عند دخول الكنيس الى المكان المخصص لأقرانه ، وكذلك كان الكنيس مركزاً للنشاط الفكرى ، ولذلك أصبح معروفاً باسم « بيت هاميدراش » أى بيت الدراسة .

والواقع أن الطبيعة الأساسية للعبادة فى الكنيس تعنى عامة ، أن عناصر التصميم المعماري ليست بذات أهمية كبيرة ،

وأنها لا تنبع من هذه الطبيعة التعبدية ولكنها ، فى الغالب مستعارة من عمارة الأبنية المحيطة . وإذا ما نحينا جانبا هذه التأثيرات المحلية فمن الممكن القول بأن هناك عمارة خاصة بالكنيس فيما يتصل بتنظيم جزئه الداخلى وكذلك فيما يتصل بالأيقنة .

كان هيكل سليمان متأثرا بالعمارة التقليدية لمقادس الكنعانيين ، كما كان بالتالى نموذجا لخيمة الاجتماع المقدسة ،

فكان يتكون من ثلاثة مناطق متتابعة - المجاز (Ulam) والحجرة الرئيسية وهى الهيكل (Hekhal) ثم قدس الأقداس (Devir) الذى لا يدخله أحد سوى الكاهن الأكبر « رئيس الكهنة » ، وبالإضافة الى ذلك كان هناك تدرج بين الجزء المخصص للرجال ثم الجزء المخصص للكهنة .

وفى الكنيس ، حيث يشترك المؤمنون فى الطقوس ، صممت عمارة الجزء الداخلى بحيث تتحلق قطبين رئيسيين - الصندوق المقدس والمنبر (Bima) الذى يتم فوقة فتح درج . . . الشريعة وقراءتها .

وعادة يكون الصندوق المقدس ملتقى أنظار الجميع ، والحقيقة أنه لا يمكن إلا أن يراه الجميع حيث يكون قبلة المؤمنين فى صلاتهم ، يحتل صدر الكنيس ويهيمن على كافة الاتجاهات واقعيا ورمزيا ، الحلقة التى تربط بين المؤمن وصلواته - بين اورشليم الأرضية والمدينة السماوية .

ومنذ العصور الوسطى والمنبر يشغل مركزا محوريا ما زال يحتفظ به مهما كانت القيود المكانية ، ومعه أيضا الصندوق المقدس الذى يحتفظ هو الآخر بمكانه فى البناط الغربى حيث

يشكل التعبير المادى للتغير فى شكل الخدمة - المؤمنين يشككون
دائرة تتحرك قلب الكنيس ثم يأخذون فى الالتفاف حول المنبر .

اعمال الزخرفة

شهدت العصور الاولى للمسيحية تحولا فى التزيين والزخرفة
من الاجزاء الخارجية للمبنى الى اجزائه الداخلية وكان ذلك
استجابة لتشريع معاد لانتشار اليهودية ، فبعد مائة عام من وفاة
قسطنطين الاكبر (٢٨٨ - ٣٣٧ ميلادية) منع اليهود من بناء كنائس
جديدة او حتى من اصلاح وترميم الكنائس القائمة اللهم الا ما يكون
منها معرضا للانهار ، وشيئا فشيئا بدأ التخلي عن الاعمال النحتية
المسرفة فى الزخرفة والتي كانت تزين الاجزاء الخارجية لمباني
الكنيس فى عصورها الاولى ، بينما استمرت فى طريقها اعمال
الفسيفساء التي تغطي ارضية الاجزاء الداخلية ، ويرجع اكثرها
اسرافا فى الزينة الى القرنين الخامس والسادس .

ولم يقف الرييون « الحاخامات » باستمرار موقف المعارض
للتغيرات التصويرية التي وردت كثيرا فى تعاليم الانجيل المقدس ،
وفى هذا فتح الكنيس الاعين على زخرفة الكنائس المسيحية ، على
الاقل فى فلسطين القديمة . ومن ثم بدأت تظهر افكار دينية معينة
جنباً الى جنب مع موضوعات تتسم بالواقعية الفنية والوثنية
وموتيفات هندسية من الفسيفساء الهلينية .

وقد أصبح من الممكن ملاحظة الروابط الروحية بين المعبد
والكنيس وبين تابوت العهد والصندوق المقدس فى زخرفة الأدوات
الطقسية المرتبطة بالتوراة - الاردية ، الارصعة والحليات المصاغة
على اردية الكاهن الاكبر ، زخرفة الصندوق المقدس هذه الزخرفة
التي تتكون عادة من اعمدة وستارة مأخوذة عن حجاب الهيكل الذى

فى خيمة الاجتماع بين القدس وقدس الأقداس ، وجميعها تعيد الى
الذهن تجهيزات المعبد . ونستطيع القول بصفة عامة ، أن احياء
الموتيفات المعمارية فى الأدوات الطقسية اليهودية (المصابيح
والمباخر) يؤدى بالفرد الى الاعتقاد بأن هذه أيضا لها معنى رمزى
يرجع الى المبنى القديم الأكثر اجادة ، المبنى الأم لكل المباني -
المعبد .

المعابد المصرية

أفاد يهود مصر كثيرا من الضمانات الجديدة التى أفرعها
الدستور المصرى ١٩٢٣ م ، خاصة فيما يتعلق بمبدأ المساواة فى
الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة
أو الدين . . ومنحه حرية العقيدة والرأى والتعليم وتسيير الأمور
الشخصية طبقا لتقاليدهم وعلى يد زعمائهم الدينيين .

وقد تمتع يهود مصر بكامل حريتهم فى ممارسة شعائرتهم
الدينية ، بل وأفادوا من المساندة التى تمثلت فى تزويد الحكومة
المصرية لهم - بكل أشكال المساعدة - فى بناء معابدهم وأقامة
محافلهم مثل تيسيرات البناء ومنحهم الأراضى المجانية ، مما أسهم
فى انتشار المعابد اليهودية فى مختلف مدن مصر - خاصة القاهرة
والاسكندرية - وحتى عام ١٩٣٠ كان فى القاهرة وحدها نحو
٣٠ معبدا ومحفلا تنتمى الى مجموعات ومجتمعات متباينة . .
ببهود مغاربة وأتراك . . ويهود من أصول ايطالية وأسبانية
وفرنسية . . ويهود ممن أطلق عليهم « مستعربون » الذين اتخذوا
من القاهرة مقاما لهم منذ زمن طويل .

وأود أن أشير الى أن مركز الفن اليهودى
(Center for Jewish art) بالجامعة المصرية بالقدس بالاشتراك

مع المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة ، شكلا فريق بحث برئاسة المهندس « دافيد كاسوتو - David Cassuto » بداية من عام ١٩٨٤ مهمته مسح وتوثيق المعابد اليهودية المنبثقة ، في إطار الأبحاث الحديثة التي تتعلق بتاريخ المجتمع اليهودي في مصر . . . ولنبدأ بمعابد حى اليهود بالقاهرة :

★ كنيس المصريين :

كان أكبر وأقدم معابد القاهرة الفاطمية ، تأسس عام ١٠٣٨ م - طبقا لوثائقه الرسمية - وكان مقره بحارة اليهود فى درب المصريين رقم ٢ ، وعلى مدار أكثر من ٩٠٠ سنة شهد استمرار النواجد اليهودي فى هذا الحى ، وممارستهم فى حرية تامة كافة مظاهر الحياة الاجتماعية ، وكان إبراهيم باشا قد أغلق هذا المعبد فى عام ١٥٤٥ ، ثم أعيد افتتاحه عام ١٥٨٥ ، وتجدر الإشارة الى إعادة بنائه أو تجديده عدة مرات طوال تاريخه . وكان آخرها فى عام ١٩٤١ وافتتحه « رينيه قطاوى » .

وقد أشار يوسف سامبارى (١٦٤٠ - ١٧٠٣) فى كتابه (Divrei Yosef) الى أن أشهر وأهم مخطوط للتوراة كان محفوظا بهذا المعبد ، وقد ظل حتى منتصف الخمسينات من هذا القرن مقرا للاحتفالات الرسمية بأعياد يهود مصر .

كان الهيكل المقدس ذو واجهة ثلاثية مضلعة ، محمولا على ثلاثة أجنحة وثلاث مقاصير . قبة المعبد كانت مستطيلة على شكل نصف بيضة مرتفعة فوق منتصف المقاصير . . . التيفا Tova أو المنصة التى تتلى عندها التوراة ، كانت ذات ثمانية أضلاع ، ومركزها فى منتصف القاعة كما كانت أرضية المعبد وأعمدته من الرخام ، ويذكر بأنه كان مأوى لبعض يهود الاسكندرية الذين

فروا إبان القصف الألماني للمدينة عام ١٩٤١ ، وقد انتهى أمره بأن باعت الطائفة ثم هدم خلال عام ١٩٧٥ !

★ محفل ابن ميمون - Maimonides

أو « راب موشى - Rab Moshe » كما كان يطلق عليه يهود مصر . ومقره ١٥ درب محمود بحارة اليهود ، وأول بناء لهذا المعبد كان بعد وفاة ابن ميمون بقليل فى عام ١٢٠٤ وخلال هذه القرون أعيد بناؤه وتجدد مرات عديدة، وكان مجموعة من المهاجرين الروس والرومانيين والبولنديين قد أسهموا فى تجديده وأفتتح فى ١٦ يناير عام ١٨٨٧ ، وكان لهذا المحفل دوره الفعال فى تعليم اليهود، فأنشأ مدرسة « ابن ميمون » فى درب البرابرة عام ١٨٩٢ ، كما أسهم فى ايواء ومساعدة اليهود المهاجرين ، وقد اختير د « حاييم وايزمان » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، رئيسا شرفيا لهذا المحفل عام ١٩٤٤ م .

ولعل أهمية هذا الموقع تكمن فى سرداب صغير كان ابن ميمون يستخدمه كحجرة للتأمل والدراسة ، وفيها رقد جسده لمدة سبعة أيام بعد وفاته ثم أرسل الى طبريا حيث دفن هناك ، وقد ظلت هذه الحجرة وجهة لليهود وبعض المسلمين والمسيحيين لنيل البركات والتماس الشفاء . . حيث توجد حشابا ووسائد موضوعة فى كوات محفورة فى الحائط ، لمن يرغب منهم فى أن يبيت ليلته فى هذا المكان ، وتحكى لوحة تذكارية زيارة ملكية قام بها فؤاد الأول لهذا المحفل .

ويجدر بالذكر أن السيد « أصلان فيدون » وزوجته كانا قد نذرا على نفسيهما تجديد وصيانة هذا المعبد فى عام ١٩٣٥ وللسنوات طويلة . . فقاما بتجديد أبواب مظلة اليهود بأبسطة من

الحرير والبروكار ، وأعادوا بناء الهيكل والمنصة بالرخام الأبيض ،
وقاما بتجديده ملحقات المعبد : حجرة الأئمة وحجرة الوضوء وقاعة
اشغال القناديل ٠٠ والقاعة الرئيسية للمعبد بدون أعمدة ، وقد
أنهار السقف عام ١٩٥٠ ، وأشرف الحاخام الأكبر « حايم دويك »
على أعمال الترميم التي بدأت في مايو عام ١٩٦٧ وفي أعياد رأس
السنة لعام ١٩٧٣ انهار سقف المعبد مرة أخرى .

★ كنيس حايم كابوسي - Rabbi Haim Capoussi

ومقره في درب النصير رقم ٣ ، وكابوسي (توفي عام
١٦٣١) وكان واحدا من أبرز علماء التوراة في عصره ، تتلمذ على
الحاخام اسحق لوريا ، ويدعى له يهود القاهرة معجزات وكرامات ! ،
وكان الآلاف منهم يقصدون هذا المعبد وضريحه بمقابر البساتين
لالتماس السكينة والشفاء خاصة في ذكرى وفاته في اليوم الثاني
عشر من شهر شباط وفي ليلة عيد الغفران - Kippour . به
فيتقدمون راكعين الى ضريحه حيث يقيمون صلواتهم . وقد تجدد
هذا المعبد كلية في بداية القرن العشرين بفضل اسهامات البارون
جاكوب دى منشه رئيس الطائفة اليهودية بالاسكندرية وجاكوب
منشه قطاوى رئيس الطائفة بالقاهرة ثم المليونير ب . جرين ،
وفيما بعد أصبح هذا المعبد موضع عناية دائمة من « ابرامينو
كارو - Abramino Caro وعائلته ، وقد شيدوا بجوار ضريحه
بالبساتين مصلى رحب يسمح للزوار بالاستراحة وتأدية الصلوات
المألوفة فيه .

★ معبد بار يوحاى أو معبد موصيرى :

وموقعه في شارع الصقالية رقم ١٦ وقامت بتأسيسه عائلة
« موصيرى » في سنة ١٩٠٥ م ، في نفس المكان الذى شهد ميلاد

معبد العائلة « نسيم موصيرى » عام ١٨٤٨ ٠٠ وفى هذا الموقع كان أول مقر لحاخامية القاهرة ، وبه تأسست مدرسة « شمعون بار يوحناى ٠٠ – Rabbi Shimon Bar Yohai » بفضل هبات عائلة موصيرى ، خاصة ابراهيم ليفى موصيرى وتاجر المنسوجات موسى ابراهيم دويك ، وأشرف عليها مجموعة من الشباب المتطرف ، وكان الحاخامات والمعلمون يلقون بها دروسا مجانية فى الشرائع التلمودية وتعلم اللغة العبرية وقواعدها ، قديمها وحديثها .

★ معبد راب اسماعيل :

ويعرف بمعبد الأسبان وكان موقعه فى نفس شارع الصقالية رقم ١٣ ، وكان جانب من الصلوات بهذا المعبد يؤدى باللغة الأسبانية ، وعندما شرع فى ترميمه فى الأربعينيات اكتشفت به مجموعة من المخطوطات والكتب النادرة محفوظة الآن بمكتبة التراث اليهودى بمحفل الاسماعيلية . وكان هذا المعبد دار صلاة لراب اسماعيل الحاخام الأكبر لمصر فى القرن السادس عشر ٠٠ وكان معبد « راب يكوف – Rab Yaacov » ملحقا بمعبد الأسبان هذا .

★ معبد مئير ياعل هانس :

وكان مقره فى رقم ٢٠ من شارع الصقالية أيضا ، ومئير ياعل هذا كان رفيقا للحاخام صمويل بن سيد (Sidillio) الذى فر من أسبانيا ابان الاضطهاد المسيحى الأوربى ، ثم استقر فى القاهرة، وهذا المعبد أيضا كان مقصدا لطائفة اليهود الأسبان .

★ معبد راب زمر (رادبان) :

وكان موقعه فى حوش الصوف رقم ٦ وينسب الى الحاخام دافيد بن أبى زمر ، وهو أكبر حاخامات القرن الخامس عشر .

وكان قد فر أيضا من الاضطهاد المسيحي الأوربي حتى اسفر به
المقام فى القاهرة التى ظل حاخاما أكبر لها طيلة ٤٠ عاما .

★ معبد التركية :

وكان موقعه بشارع درب الكتاب رقم ١٣ ، شيدته أرملة من
أصل أسباني وكانت تلقب بـ « الست التركية » ٠٠ . تكريما
لذكرى زوجها ، ويعد من المعابد ذات المستوى الثانى طبقا للمصادر
اليهودية ! وكانت عمارته على طراز العصور الوسطى ، وصنعت
الهيكل والمنصة من خشب الارز للاعتقاد السائد بأن هذا النوع من
الخشب قد استخدم فى بناء المعبد المقدس !

وكان هذا المعبد يستخدم ككتاب لتعليم الأطفال اليهود اللغة
العبرية وقراءة قصص الأنبياء ، ومنه اشتهر الشارع بهذا الاسم
« درب الكتاب » ٠٠ وكانت أرضية المعبد وأعمدته من الرخام ،
واستخدم أيضا فى الاجتماعات والاحتفالات العامة مثل معبد
المصريين .

★ معبد تلمود تسوراة :

وكان هذا المعبد مشيدا بالقرب من معبد « التركية »
وبالتحديد فى عطفة الفضة ، ثم انهار سقفه وتداعى بنيانه ، فهدم
وبنى مكانه مركزا اجتماعيا خاصا بالجمعية الخيرية للمسنين من
أبناء الطائفة .

★ كنيس داب سمحام :

وهو خاص باليهود القرائين ، فى عطفة القرائين وقد أعيد
بناؤه فى منتصف القرن الماضى ، ويستخدم الآن مصنعا لأحد
التجار القرائين .

★ معبد البرتغاليون :

وكان مقره في رقم ٥ بمطقة الفضة ، وأسس اليهود البرتغاليون الذين نجوا من مذابح محاكم التفتيش ، ليكون شاهداً هو أيضاً على التسامح والحرية التي تمتع بها عامة اليهود في بلاد الاستلام . وتجدد الإشهاد إلى أن هناك عبد من المديراشيم - Midraschims أو المدارس الدينية كانت ملحقة ببعض المعابد وأحواش العائلات اليهودية مثل موصري ، قطاوي ، جرين ، رومانو . . .

وقد لاحظنا الكثرة العددية للمعابد التي كانت موجودة في نطاق الحي اليهودي من القاهرة الفاطمية . . مما يجعلنا نذهب إلى تقدير الكثافة السكانية اليهودية ما بين ٤.٠٠٠ إلى ٥.٠٠٠ نسمة ومع بدايات القرن التاسع عشر كان لمعظم العائلات الكبيرة مساكن في هذا الحي ، قبل أن تنتقل بسرائرها وتقاليدها للسكنى في الأحياء الراقية من القاهرة الحديثة في نهاية القرن الماضي ، تاركة خلفها هذا الحي العتيق المكتظ بسكانه من الطبقة الفقيرة ليستقر البعض في حي العباسية الجديدة ، بشمال شرق القاهرة ، والآخر ثراءً واستقر في حي الاسماعيلية ثم في الضواحي الجديدة . كمصر الجديدة والمعادي وجاردن سيتي . والزمالك

★ معبد حي العباسية :

يوجد في هذا الحي خمسة معابد ففي عام ١٩٠٠ أسس عميد عائلة « حنان » إبراهيم يوسف حنان ، معبد « حنان » - اتزحايم « أو معبد « عص حاييم » بشارع قنطرة عمرة رقم ٣ ، وقد حافظ عليه أولاده حتى توفي أكبرهم ، ثم تعاقب عليه عدة جباييم - Gabbayim منهم شالوم ليفي وآخرهم يوسف طبول الذي بنى

فيه « يشيفا رابى يهودا مسلطون - Yeshiva Rabbi Yehouda Maslaton) آخر نائب للحاخام الأكبر ناحوم ورئيس المحكمة الربانية وبيت الدين ، وأحد علماء التوراة البارزين . وله عدة مؤلفات فى القوانين والشرائع وبعض الشروح .

واستخدم هذا المعبد كدار دراسية للحاخام الأكبر رافائيل هارون بن سيمون ولأخيه الحاخام الأكبر بن سيمون ، ومازال البناء فى حالة جيدة ، وهندسته المعمارية على طراز إيطالى غير مألوف . وقد شيد المعبد وملحقاته على مساحة مستطيلة نحو ٧٠ × ٥٠ مترا ، محاطة بسور من الطوب والأحجار ، ويفصل بين المعبد والمدرسة حديقة رائعة ، وله مدخلان بالواجهة المطلة على شارع قنطرة غمره ، المدخل الرئيسى فى منتصف جدار الواجهة ، عبارة عن بوابة حديدية ، خلفها ساتر من الخشب لحجب الرؤية داخل المعبد ، تزينها زخارف نباتية على شكل نخلة ونجمة داود ، وهذا المدخل لا يستخدم حاليا .

أما المدخل الثانى ، فيقع فى الركن الجنوبي الغربى لواجهة المعبد ، عبارة عن بوابة خشبية تؤدي الى ممر مكشوف به سكة الحارس ، وسلم حجرى يؤدي الى الطابق الثانى ، حيث شرفة النساء ، ويضم المعبد فى الجهة الجنوبية غرفة خاصة بعملية الطهارة . والمعبد من الداخل على شكل مستطيل ٤٠ × ١٠ م يتوسطه صفان من الأعمدة الرخامية ، تقسمه الى ثلاثة أروقة ، أوسطها أعلاها ، ويعلو السقف قبة ذات نوافذ زجاجية ملونة للاضاءة والتهوية ، وتوجد بالجدارين الشمالى والجنوبى خمس نوافذ ، ويتوسط البهو الرئيسى منصة من الرخام ذات سياج ، ترتفع عن أرضية البهو بثلاث درجات ، والهيكل بالحائط الشرقى ، مصنوع من الرخام ، يصعد اليه بدرجات سلم ، تزينه زخارف

١
ترايسيك وكتابات عبرية ، وبداخل الب «ارون هاكوديش» مجموعة
أسفار من التوراة وتستخدم في الصلاة ، ويغطي الهيكل ستائر
مكتوب عليها أسماء المتبرعين ودعوات بالعبرية ، وزخارف السقف
والحوائط الداخلية تمثل عناصر فنية يهودية مع عناصر الزخرفة
العربية المعروفة ، والمعبد يستخدم حاليا للصلاة الى جانب المعبد
الرئيسي « شعار هاشمايم » .

★ معبد طائفة اليهود القرائين :

ويسمى أيضا معبد « موسى الدرعي » بشوارع سبيل الخازندار ،
ويتميز هذا المعبد بقبته الضخمة ويشبه الى حد بعيد معبد
الاسماعيلية . . وكانت به أروع وأثمن مجموعة مخطوطات يهودية
في العالم ، من بينها « دستور الأنبياء » الذي أنجزه موسى ابن
أشير - (Moshe Ben Asher) في طبريا عام ٨٩٥ م ، ويفخر
به اليهود باعتباره أقدم دستور نوراتي يملكونه ، والى اليمين من
هذا المعبد توجد المحكمة الدينية الخاصة بالطائفة القرائية . .
وقد بدأت فكرة بناء هذا المعبد سنة ١٩٠٠ ، حين تبرعت أرملة
قرائية بقطعة أرض كبيرة ومبلغ من المال لهذا الغرض ، بالإضافة
لبناء مدرسة لأبناء الطائفة ، وتبرع عدد من أثرياء الطائفة من أجل
إنجاز هذا المشروع ، الذي ستكلف حوله نحو مائة وخمسين أسرة
قرائية داخل القاهرة ، غير أن بدء التنفيذ تأجل ربع قرن ! . .
عام ١٩٢٦ وافتتح عام ١٩٣٣ .

عناصر زخرفية اسلامية تتخللها نجمة داود ، تعلو واجهة
المعبد ، مع عناصر جصية تمثل « الوصايا العشر » والمبنى مربع
الشكل ، يتكون من طابقين ، محاط بسور من الحديد ، تمتد
حديقة جميلة أمام الواجهة ، والمدخل الرئيسي يرتفع عن الأرض
بحوالي ثلاثة أمتار من الدرجات الرخامية، مما يضفي ثراء معماريا،

على يمين المدخل الرئيسي ، باب جانبي يؤدي الى منعطف به دواليب لحفظ الأحذية والأدوات المستخدمة في الصلاة ، وإلى اليسار باب آخر يؤدي الى سلم من الرخام يصعد الى الطابق الثاني حيث شرفة النساء . وتعلو صالة المعبد قبة كبيرة محمولة على أربع دعائم من الرخام ، وبالقبة نوافذ من الزجاج الملون ، والصالة مقسمة الى ثلاثة أقسام ، يتصدر القسم الأوسط : الهيكل الرخامي في الجهة الشرقية بالصدف ونقوش اسلامية و« شجر الحياة » وتعلو الهيكل طاقة مستديرة من الزجاج الملون بداخلها نجمة داود .

أمام الهيكل مباشرة ، توجد منصة الوعظ ، التي يلتف حولها المصلون وهم جالسون على سجاجيد فاخرة وليس على مقاعد، وثرىا كبيرة تتدلى من القبة ، وقناديل تتدلى من السقف وأعلى الهيكل ، تزينها نقوش وكتابات عبرية . وإلى يمين الهيكل ، غرفة تحوى خزانة حديدية محتفظ فيها بأهم المخطوطات العبرية : وعلى رأسها مخطوط بن آشير ذو الأهمية التاريخية والدينية واللغوية . وبالطابق الثاني مجموعات من الكتب العبرية والعربية النادرة ، وقد تم تجميع الآلاف من الكتب والمخطوطات لتضمها « مكتبة طائفة اليهود القرائين » الملاصقة لمبنى المعبد ، والتي افتتحت في نوفمبر عام ١٩٩٢ .

★ كنيس باحاد اسحق (كرايم - Kraiem)

ومقره في شارع بن خلدون رقم ٩ بالسكاكيني ، شبيهه زكي كرايم ، بنكير من دمشق وبإسهام من بعض أصدقائه السوريين ، وذلك في سنة ١٩٣٢ م .

★ معبد نيفيه شالوم :

واشتهر باسم « الكنيسة الكبيرة » شيد عام ١٨٩٠ بشارع المدارس رقم ٩ بالسكاكيني ويتميز بمساحته الكبيرة التي تفوق مساحة معبد الاسماعيلية ، وتحيط به حديقة غناء ، وظل لبعض سنوات معبد القاهرة الكبير . . ويتميز بطرازه الفينيسي ، الأعمدة والمنصة من الرخام الأبيض ، والهيكل من خشب الصنوبر . وأشهر الحزانيم - Hazanim الذين احتفلوا فيه بالقداس : سهالون ، وزكى مراد ، والاخوة آكنين . .

وقد استقبل هذا المعبد في عام ١٩١٩ سير « هربرت صمويل Herbert Samuel » أول مندوب سامي بريطاني وهو في طريقه الى فلسطين ، وكان في استقباله على رأس موكب كبير موسى قطاوى رئيس الطائفة ، الحاخام الأكبر رافائيل هارون بن سيمون ، واسماعيل صيدقى وزير الداخلية - آنذاك - مندوبا عن الحكومة المصرية . . ومازال المبنى في حالة جيدة ، وكان جزء من حديقة هذا المعبد قد اقتطع لصالح جمعية « الاخوان المسلمين » !

★ كنيس نسيم أشكنازى :

بنى في عام ١٨٩٤ ، بشارع الكوة رقم ٤ بالظاهر ، وهو مشيد بجوار عمارة أشكنازى بميدان الظاهر . وكان آخر جبعاى - (Gabbai) له هو موريس زكاى حفيد نسيم أشكنازى .

★ كنيس الطائفة الاسرائيلية الاشكنازية :

ومقره بشارع المنيسى بجى الظاهر . افتتح في ١٩ مايو عام ١٩١٣ . وتم تجديده في يونيو عام ١٩٤٠ ، كما أجريت ترميمات شاملة عام ١٩٤٨ ، بإسهام من الحكومة المصرية والطائفة

الاسرائيلية « السفارديم » .. وعلى واجهة المعبد تطالعنا لافتة باللغة العربية مكتوب عليها (الطائفة الاسرائيلية الاشكنازية في القاهرة) تعلوها لوحة تذكارية بالعبرية (اليبديش) لراعى الآداب والعلوم المكتوبة بهذه اللغة « ليسكوفيتش Liscovitch »

وسط القاهرة :

فى قلب المدينة بشارع عدلى رقم ١٧ يطالعنا معبد القاهرة الكبير ، محفل الاسماعيلية أو « شعار هاشاميم - Shaar Hashamayim » شيدته عائلة موصيرى عام ١٩٠٣ م ، ويعد بتصميمه وتقوشه من أجمل المعابد اليهودية فى القاهرة ، وقد تم تجديده بشكل شامل عام ١٩٨١ باسهامات جليلة من المليونير الصهيونى « نسيم جاعون » واتحاد السفارديم العالمى -
La Federation Sepharade Mondiale

وهذا المعبد ملون فى برنامج كل زيارة سياحية يهودية للقاهرة ، حيث يحرص السياح اليهود على تأدية شعائهم به وحضور الصلوات التى تقام فيه ، وتضم مكتبة المعبد مجموعات رائعة من المخطوطات والكتب النادرة التى عثر عليها فى بعض المعابد ، واستقطبت اهتمام الباحثين والمسؤولين الاسرائيليين ، وتم تطويرها وتزويدها بما تبقى من نواذر المخطوطات بالمعابد الأخرى والمكتبة الاسرائيلية ، وسميت « مكتبة التراث اليهودى » وقام بافتتاحها رسميا « شيمون بيريز » فى فبراير عام ١٩٩٠ وكانت هيئة الآثار المصرية قد وافقت على قرار إنشاء مكتبة للتراث اليهودى فى مايو عام ١٩٨٢ ، وأشرف على هذا المشروع د. شيمون شامير أول مدير للمركز الأكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة والسفير الاسرائيلى الأسبق ، بالتعاون مع « يوسف دانا » رئيس الطائفة اليهودية بمصر من عام ١٩٨٢ وحتى وفاته فى عام ١٩٨٨ ، كما أسهم فى

الإشراف على هذا المشروع د . أشير أوفاديا المدير السابق للمركز
و د . موشى برلين مدير عام مؤسسة روتشيلد فى تل أبيب ،
والجمعية الأمريكية للأبحاث والنشر ، ود . جوشوا شيرمان بجامعة
نيويورك ، و د . روبين هشت بجامعة حيفا ، والسيدة فيليز كوك
عضوة الاتحاد الفيدرالى اليهودى فى سان فرانسيسكو واسحق
نافون رئيس الكيان الاسرائيلى ووزير التعليم السابق . وقد
أمكن بالفعل تجميع نحو ٢٥ ألف كتاب ومخطوط من معابد القاهرة،
حيث كانت محفوظة فى حالة سيئة ! وقد تم ترتيبها وتصنيفها فى
مجموعات طبقا لموضوعاتها فى الديانة اليهودية والأدب العبرى
والوثائق الاجتماعية للطائفة اليهودية فى مصر خلال عشرة قرون
مضت .

مصر الجديدة والمعادى :

فى شارع المسيلة رقم ٣ نجد معبد « فيتالى مادجار -
Vitali Madjar » ويذهب لأداء الصلوات فيه يهود مصر
الجديدة ، ونزلاء ملجأ اليهود المسنين المجاور له .

وفى ضاحية المعادى . . فى ٥٥ شارع ١٣ نجد معبد « مثير
انائيم - مضم العيون . . . Meir Enaim » وكان المحامى
اليهودى يوسف سلامة مقيما به حتى وفاته فى سبتمبر عام ١٩٨١ م .
وجنوب شارع ٨٣ تكون حى أرسى قراطى يهودى ، وحتى عام
١٩٤٨ ، كان يضم نحو ٥٥٠ أسرة يهودية ، حيث انتشرت فيلات
العائلات الثرية الشهيرة : موصيرى ، شيكوريل ، هراي ،
مزاراى ، المقمان ، وولف ، و . . . روتشيلد أغنى أغنياء العالم
حاليا .

معبد بن عزرا بمصر القديمة :

يقع هذا الكنيس فى الفسطاط ، نحو ثلاثة أميال من جنوب القاهرة ، وقد كان حتى القرن الخامس عشر ، اثنان من الكنيس « الريانية » فى - قصر الشمع - الأول تابع لليهود من أصل عراقي ، ومن ثم فقد عرف باسم « كنيس العراقيين » والثانى تابع لليهود من أصل فلسطينى ، وسمى « كنيس الشاميين » ويعتبر كنيس بن عزرا سليل كنيس الشاميين ، أما كنيس العراقيين فلا أثر له اليوم . . وتشير معظم الكتب والأبحاث القديمة الى أن هذا الكنيس كان بالفعل فيما سبق كنيسة قبطية ، ويستند هذا الرأى الى الأخبار التى رويت عن كنيسة « الملاك ميخائيل » التى باعها البطريرك لليهود عام ٨٨٢ م ، وذلك فى سبيل جمع مبلغ من المال أو كيلة ذهب ، فبرضاها أحمد بن طولون على المسيحيين .

وقد حاول البروفيسور « جويتاين » اثبات أن الكنيسة القبطية التى بيعت فى القرن التاسع الميلادى قد اشتراها المهاجرون الجدد من اليهود العراقيين الذين لم يملكوا كنيسا خاصا بهم آنذاك ، وأن كنيس بن عزرا أو كنيس « الجنيزة » يعود الى ما قبل العصر الاسلامى ! واذا بنى هذا الكنيس خلال الفترة المسيحية فى مصر ، فقد كان طبيعيا أن يتأثر بلامح أو طرز الكنائس المسيحية المحلية . .

خلال القرن الحادى عشر تهدم المعبد وأعيد بناؤه مرة أخرى . ثم شملته عمليات الترميم مرات عديدة ، حتى تدهور ونداعى بنيانه فى عام ١٨٩٠ فلم يكن بد من هدمه وبناءه من جديد ، فأنشئ هذا المعبد الجديد على غرار المعبد البائد . .

وتبرز الأهمية العلمية والتاريخية لمعبد بن عزرا من خلال « غرفة الجنيزة » الواقعة فى نهاية بهو النساء ، التى استوعبت

كنزا هائلا من وثائق الجنيزة منذ العصور الوسطى حتى القرن التاسع عشر حين تم اكتشافه .

وكان لهذا المعبد - تاريخيا - أسماء عديدة فقد دعى « كنيس الياهو » ، « كنيس عزرا » ، « كنيس بن عزرا » ، « معبد موسى » و « كنيس الجنيزة » ...

وتمثل هذه الأسماء وغيرها أخبارا يهودية متباينة حول بعض الشخصيات التي كان يعتقد أن لها صلة بذلك المكان فقد زعمت بعض الروايات اليهودية - على سبيل المثال - أن النبي الياهو (ايليا) قد تجلّى ذات مرة للمتعبدين هناك ! وأن المعبد يحتوى على ما يدعى أنه رفات النبي ارميا ! وأن مخطوطة قديمة من التوراة خاصة بالطائفة قام بنقلها عزرا الناسخ .. ويبدو أن اسم بن عزرا يعود الى العائلة اليهودية الأندلسية التي ذاعت شهرتها في القرن الثاني عشر ، بفضل الشاعر « ابراهام ابن عزرا » ،

وليهود مصر نظرة خاصة الى موقع هذا الكنيس ، اذ يعتبروه مكانا مقدسا ، حيث يزعمون أن النبي موسى صلى متضرعا الى الله في هذا المكان ، ليرفع وباء الطاعون الذي أصاب المصريين كما يزعمون أن غرفتين صغيرتين من بناء الكنيس ، قد اقيمتا فوق الأماكن التي كان يصلى بها النبيان « ايليا وعزرا » .. !

ويحوى معبد بن عزرا ، آثارا فنية منها أبواب خشبية عتيقة ، ولوحات ذات اطارات .. كبيرة من الخشب ، تضم رسائل فاخرة منقوشة بالعبرية ، مهداة الى مؤسسى المعبد ومن أسهموا في إعادة بناؤه أو تجديده ، واحدى هذه اللوحات يقتنيها متحف الفن

الاسلامى بالقاهرة ، والذي يضم أيضا بين مقتنياته نقشا كبيرا على الخشب مهدى الى يهوشوا بن ابراهيم الأمشاطى ، وكان من قبل محفوظا بالمعبد .

ويتكون البناء الرئيسى للمعبد من صفين من الأعمدة الرخامية ذات التيجان المتنوعة الزخارف ، يقسمان البهو الى ثلاثة أقسام أكبرها الجزء الأوسط العمودى على الهيكل والذي يعلوه « شخشيخة » للاضاءة والتهوية ، كما يحتوى البهو منصة الصلاة والوعظ وحولها مقاعد المصلين ، والهيكل فى الحائط الشرقى المتجه الى بيت المقدس وهو يحتوى تابوت العهد وبه لفائف التوراة .

ويحتوى الطابق الثانى شرفة النساء التى تعلو بهو المعبد من جميع الجهات عدا الجهة الشرقية التى تعلو الهيكل ، والزخارف التى تزين جدران المعبد تمثل وحدات من الفن اليهودى عبارة عن مشاهد مستوحاة من التوراة وبعض الشخصيات الدينية والنجمة السداسية وكتابات عبرية تحمل أدعية للمتبرعين وعناصر زخرفية اسلامية كالأرابيسك والعرائس والأطباق النجمية . وقد أعيد ترميم هذا المعبد الأثرى الهام من خلال مشروع ضخيم بدأ فى سبتمبر ١٩٨٩ وانتهى فى سبتمبر ١٩٩١ تحت اشراف مشترك بين هيئة الآثار المصرية والمركز الكندى للعمارة .

ومما لاشك فيه أن لجنة ادارة شئون المعابد بمجلس الطائفة اليهودية ، قد بذلت جهودا ضخمة فى مساعدة وإيواء اليهود اللاجئين من أوربا وفلسطين وسوريا ، كما كان لها دور فعال فى تعليم اليهود بإنشاء المعاهد الدينية وتمويلها ، وإنشاء صناديق

لمساعدة الفقراء والعاطلين وتسليف المهاجرين ، وعيادات طبية
لعلاج أبناء الطائفة مجانا ، ودعت الى اقامة المزيد من المعابد ،
وترميم وتوسيع المعابد القديمة ، وطالبت بتحويل المعبد « دعامة
الوجود القومى لليهود » الى معبد للتربية ونشر الثقافة الدينية ..
فكان لهذه المحافظ والمعابد دور بارز فى الترويج للفكر الصهيونى
فى مصر من خلال الدين ، وفى الدعوة لاقامة وطن قومى لليهود فى
« أرض الميعاد » .. !

الزواج والتقاليد الخاصة والأعياد

العائلة - فى منظور علماء الاجتماع المعاصرين - هى الخلية الأساسية فى المجتمعات البشرية ، وسميات العائلة اليهودية ، فى مصر الحديثة ، لا تكاد تختلف كثيرا عن سمات هذه العائلة فى أى زمان أو مكان .

وفى اطار المجتمع اليهودى التقليدى ، كانت العائلة الموسعة تشكل الوحدة التنظيمية الأساسية فى الهيكل الاجتماعى اليهودى ، وقد كانت روابط الدم أقوى من روابط الزواج - كما يذكر جويتاين - وما توقير الوالدين والاخلاص بين الاخوة ، حتى بعد زواجهم ، والاقتران بذوى القربى ، خاصة من أبناء العمومة ، الا بعض التعبير عن تماسك العائلة الموسعة .

ويلاحظ حرص أبناء العائلة الواحدة على العيش متجاورين أو متقاربين ، وغالبا ما تكون أماكن المعيشة والاقامة ، أماكن للعائلة الكبيرة أو الموسعة مما أدى - عند انتقالها بالوراثة - الى الحفاظ على مشاعر الوحدة لدى أبناء العائلة الواحدة ، ولم تقم وحدة العائلة الكبيرة على حساب وحدة الأسرة الصغيرة ، اذ كانت هذه النواة الأسرية ، تتعاضد فى وثام مع العائلة الكبيرة .

والفتاة تتزوج عادة فى سن مبكرة ، وذلك وفقا للتقاليد اليهودية وتقاليد شعوب البحر المتوسط عامة ، والعريس فى الغالب

أكبر من العروس سنا ، الا أن الفارق لم يكن كبيرا جدا ، وقد شجعت التقاليد اليهودية والشريعة ذوى العروس على تقديم دوسطة (مهر) ذات شأن ، فى شكل مال وأشياء ضرورية ، مما أسهم فى زواج رجال فى مقتبل العمر ، حيث تكون قدرتهم على إعالة أنفسهم وجمع الثروة مازالت محدودة .

والتقاليد اليهودية - فيما يتعلق بنظام الأسرة - ترى أن الزواج واجب دينى لكل قادر عليه ، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه ، لا يقل جرمة عن جرم القاتل لأن كليهما « يطفىء نور الله ، وينتقص ظله فى الأرض ، ويبعد رحمته عن إسرائيل » !

والاحتفال بالزواج يبدأ عادة بإعلان الخطبة ، ثم يتقدم الرجل الراغب فى الزواج يطلب رسمى إلى الحاخام ، موضحا به لقبه وأسمه وعمله وتاريخ ميلاده وقيمة المهر المتفق عليه ، وقيمة المؤخر الذى يرغب فى تسجيله ، ثم يحدد له سكرتير الحاخام موعدا لا يتجاوز خمسة عشر يوما لتوقيع وثيقة الزواج ، قبيل الاحتفال بالزواج الدينى .

ومؤخر الصداق يكون فى الغالب ضعف قيمة المهر ، ضمانا لحقوق الزوجة فى حال وقوع الطلاق - إذا ما كان الزوج مصابا بعلّة توجب التفريق الشرعى - أو وفاة الزوج ، فحسبما تقضى الشريعة اليهودية ، لا يقسم الميراث الا بعد خصم مؤخر الصداق المستحق للأرملة .

الليلة التى تسبق الاحتفال بالزواج الدينى يتوجب على العروس الذهاب الى الميكفا (حمام دينى La Mikva - bain religieux) فى صحبة أمها وحمااتها وجدتها وعماتها ، تحمل سلة من الصبصاف ، وضع بها صابون معطر فاخر ، ومناشف

(فوط) وزجاجة ماء كولونيا أو ماء ورد ، وليفة جديدة ، وقبقاب حمام مبرقش مطعم بالصدف أو بكرات زجاجية ملونة ، وطشت صغير من النحاس أو الفضة ، ثم يعهد بالعروس الى البلانة التي تنزل بها الى مسبح شعائري - *Piscine rituelle* . وبعد طقوس التبريك (البركة) يقدم شراب منعش ، وقهوة أو شاي مع الجاتوه والحلوى ، والملبس والبونبون ، ثم تتوجه النسوة بالعروس عائدات الى منزلها ، حيث يستقبلهن الجيران بالزغاريد والتهاني .

ويعقد الحفل الدينى فى شقة أحد العروسين ، كما يعد حفل استقبال تحت خيمة داخل فناء المعبد أو فى شرفته أو على الطوان الخارجى ، وفى هذه المناسبة تقدم الموسيقى العربية فى ألحان عسكرية ، غالبا ما يعزف لحن رقصة البولكا (Polka) أو موسيقى المازوركا .. *Mazurka* وتستدعى أيضا مغنية شرقية وأفراد تختها لأحياء هذه الليلة ، ولا ينفض المدعوين الا حوالى الساعة الثانية أو الثالثة صباحا .

الطقوس الدينية

لما كانت أسفار التوراة وتعاليم التلمود ، هى أهم مصادر تاريخ اليهود وأساسا لنظامهم الاجتماعى ، فإن تفسيرات الحاخامات لهذه الأسفار والتعاليم قد لعبت دورا هاما فى تشكيل المفاهيم الدينية لدى الطوائف اليهودية . وألفت بظلالها على الطقوس الدينية - الجامعة المتخلفة - ليهود مصر .

وقد واجهت الصلوات والشعائر الدينية اليومية فى حياة يهود مصر مشكلتين أساسيتين الأولى صعوبة التحرر من التقاليد الغربية المتوارثة ، والثانية هى الخلط بين ما هو مقدس وما هو رجس ، وتضارب الأفكار .

وتباين مظاهر التدين - احدى صور الحياة الاجتماعية -
وبشكل حاد بين طبقات الطائفة اليهودية فى المجتمع المصرى :

الطبقة الأوروبية - التى تمثل قدامى الأرسنستقراطيين
اليهود - من أصحاب البنوك وملاك الأراضى ، ويتقلبون فى بذخ
قصور البورصة .

ثم الطبقة الرأسمالية الوطنية ، التى ضمت رجال الأعمال
والتجار والأطباء والمهندسون والمحامون وموظفى الحكومة
والمشروعات الخاصة :

ثم طبقة فقراء اليهود - المصريون بالمولد والجنسية - والتى
ضمت صغار الحرفيين والباعة الجائلين ومن اعتمدوا على الاعانات،
الذين عاشوا فى أحياء قديمة فقيرة أو نصف ريفية (Semi-Rural)
نموذجاً لحياة مهجورة مهملة !

ولقد اشتهر يهود مصر فى شعائرهم ، ببعض الشفاعة ^{التي}
الغريبة الساخرة Derisoire كما وصفها المؤرخ الاسرائيلي
« جاك حسون » ، ميزت شخصيتهم بالمكابرة المبالغ فيها ! من ذلك
إضافة صلاتين الى صلوات يوم السبت ، لم تستخدم قبل القرن
العاشر الميلادى ، ويبدأون احتفالهم ببعض أعيادهم قبل تلاوة
نصوص « الشريعة » وفى صلاة Kolnidre يشركون الغائبين
فى كل موضع للعبادة ، مرددين « وجبت علينا عهودهم ، وجبت
علينا أمانتهم ، ونحمل عنهم اللعنات ، وحق علينا حرمانهم » .

ثم ذلك التقليد « التلموذى » الذى فرض عليهم تناول القهوة
- على الريق - قبيل صلوات الصباح !

ومن التقاليد الغريبة أيضا ٠٠ تلك التي كانت تصاحب الاحتفال بذكرى تدمير معبد القدس ، في التاسع من شهر آب ، وهو يوم حداد وصوم قاس ، يمتنع اليهود المحافظين عن حمل شارة الحزن في صلاة الصباح ! وكان الحاخام « بن سيمون - Ben Simon » بعد وصوله من القدس ، قد تحرير في أمر وصول رعيته متأخرين الى غرفة الخدمة الدينية صباحا ، في المعبد الكبير حيث مجلس الحاخام بن سيمون ، صامتين ، حفاة الأقدام ، مرتدين أسملا بالية ، ملطخين جباههم بالرماد أو بالتراب المجموع من المقابر ، وجلسوا على الأرض - كعادتهم - ينتحبون ويرتلون مرثية المنفى ٠٠ ! كان ذلك بالنسبة الى الحاخام الجديد أمرا غامضا وشق عليه تفسيره ، وبالبحث والاستقصاء علم بن سيمون أن يهود القاهرة والدلتا ، اعتادوا في هذا اليوم أن يتلوا صلواتهم حيث هم ، سواء في منازلهم أو خارجها ، حاملين تماثيلهم ، وجميع الحاخامات الذين وفدوا من أسبانيا وإيطاليا لتولى مناصبهم في مصر ، في أوائل العصر الوسيط ، هددوا بفصل ونبد كل من أخذ بهذا التقليد ، لكن كثيرا من يهود مصر لم يأبهوا لهذا الخطر والتهديد ، وشكلوا فيما بينهم حركة سرية تضامنية !

وقد فشل بن سيمون في منع استمرار هذا التقليد ، الذي

ظل متبعا حتى يومنا هذا متخذاً شكلا شبه مقدس !
ومن التقاليد والعادات الدينية التي تميز يهود مصر - لكنها أقل استغرازا من غيرها - وهي مأدبة السنة الجديدة Rosh Hashanah التي يسبقها سلسلة من التراتيل والتوسلات التي وضعها الكاباليم - المخلصون - المصريون ، التي تتكرر وتتردد في إيقاع أشبه بالهذيان ، وبشكل يستدعي الى الذهن صورة - حلقات الذكر - الشهيرة عند الصوفية ! وهذه

العادة يعقبها وجبة رأس السنة ، التي تبدأ بالتبريك - خبز
البركة - المشرب بالنسك ، ثم تقدم الوجبة التي لابد أن تشمل
رؤوس سمك ! كرات ، سلق ، رمان ، بلح ، لوبيا ولحم ضأن .

فى اليوم التالى لهذه الوليمة ، وعقب أداء صلاة الصباح التى
يجار فيها - الشوفار - بوعده الخلاص ، نتلى مجموعة المزامير، وبعد
الظهيرة يتجمع هؤلاء بالقرب من شاطئ البحر أو على ضفاف
النيل ، لممارسة طقس التخلص من الخطايا والآثام ! وهم ينشدون
« وترمى فى الأعماق كل خطاياهم » ثم يقلبون جيوبهم ويضربون
أجسادهم لثلاث يعلق بها معصية أو خطيئة !

وإذا كانت بداية السنة الجديدة توافق - يوم السبت -
فلا بد لهذا الاحتفال أن يكون مخالفا لما هو متبع فى البلاد الأخرى .

أسبوع قبل بداية السنة ، يضع الأطفال قطنا فى أطباق
مجوفة ، ينثرون عليها قمحا ينبت متوافقا مع أول يوم من العام
الجديد ..

وأسبوع بعد بداية السنة ، عشية عيد الغفران (Kippour)
يضع يهود مصر دنجا فى حمامات أو شرفات منازلهم ، حتى أولئك
الذين يعيشون فى الأحياء الراقية ، ديك لكل ذكر فى العائلة
ودجاجة لكل أنثى ، ويضحى بذلك الدجاج ليلة « الغفران الكبير » .
لو وافق هذا العيد يوم الأحد ، تتحول أسواق السبت مساء إلى
مذابح حقيقية ، المضحون يقفون إلى الموائد المعدة للذبح ، ما بين
صخب الزخام وأضواء المصابيح أو القناديل وصياح الطيور
ونداءات الباعة الجائلين ، وكل عائلة تتقدم بدجاجة - والسيدة
الحامل تقدم ذبكا ودجاجة عن الجنين الذى تحمله فى أحشائها -
وتحتفظ كل أسرة بواحدة أو اثنتين من هذه الدواجن ، ويقدم

ما تبقى الى الفقراء وأبناء السبيل ، وتعد فطائر أو عجائن بلحم
السجاج (Tagarinas) مع الحساء لتكون الوجبة التي يعيشون
عليها خلال ستة وعشرين ساعة . .

عادات أخرى تصاحب ذكرى - يوم تدمير آخر معبد يهودي
بالقدس - فمنذ اليوم الأول من شهر آب ، يمتنع اليهود عن أكل
اللحوم فيما عدا يوم السبت الذي يسبق تاريخ هذه الذكرى
(وبالرغم من ذلك يحرم فقط أكل الحمام !) .

في مساء يوم الحداد هذا ، تنخفض الاضاءة بالمعابد ، مصباح
واحد لاضاءة المكان . . وما من أحد يجلس الى المقاعد والأرائك . .
ويسدل الستر أمام الهيكل . . ويجلس الرجال - حفاة الأقدام -
الى الأرض ويتذكرون في أسى كم مضى من السنين منذ دمر المعبد !

ويهود مصر يقدرون تاريخ النفي L'exil في العام الثامن
والستين من القرن الميلادي الأول ، وليس في العام السبعين ، كما
يعتقده الآخرون من يهود « الدياسبورا » Diaspora .

ثم يطفأ المصباح ، وتسمع أصوات النشيج ، التي تتحول الى
صراخ يملأ جنبات المعبد ، وعند فراغهم من هذا « الغم » يتبادرون
الى الذهاب دون تبادل السلام أو التحية ! . . وفي المساء يجتمعون
متحلقين جالسين الى الأرض ، ويقرأون تاريخ « أبناء حنا السبعة »
الذين فضلوا الموت على الارتداد عن دينهم وقصة حنا هي ملحمة
شعرية كتبت باللهجة العامية المصرية . .

ومن عاداتهم في عيد « الحانوكا » - . . Hanouka « اضاءة
قنديل » الحانوكية » بالمعبد صباخا ومستماء لمدة أسبوع كامل
ويوضع هذا القنديل على يسار المدخل ، وليس بالقرب من

النافذة ٠٠ وهي عادة قديمة نجدها في طقوس اليهود الفرنسيين
في القرن الثاني عشر ٠ (Mahzor Vitry)

وكان يهود مصر في العصور الوسطى ، يوقدون القناديل
على أبواب دورهم - في هذا العيد - وفقا لعب- تصاعدي ، ففي
الليلة الأولى يوقدون قنديلا واحدا ، وفي الليلة الثانية يوقدون
اثنتين ، وهكذا حتى تتم ثمانية قناديل في اليوم الثامن ٠

ومن عاداتهم أيضا في تلك المناسبة ، الاحتفاء بالشباب الذين
يضعون « التفلين Tephilin » للمرة الأولى ، وهي تماثيل عبارة
عن «ليور جلدية» تحتوى آيات من التوراة توضع حول الأعناق
والأذرع أثناء الصلاة ٠ ويستقبل اليوم الأخير من هذا العيد ،
باعداد كميات من - الزلاية - المفرقة بالعسل !

وفي ذروة الشتاء يحتفلون بيوم « الخباط - تويشباط
Tou Bishbat » حيث الرياح عاصفة ، تضرب النوافذ والأبواب،
لكنها لا تفتت من عزمهم في اعداد مأدبة تضم ستة وعشرين نوعا
من الفواكه الطازجة والجافة ، تضاف نوعا من البهجة على حياتهم
في هذا اليوم ٠

ليلة التوحيد

كانت هذه المناسبة أكثر جاذبية ، وأكثر بذخا ، والتي كان
يحتفل بها في كنيس الأستاذ (المصريين) ليلة أول نيسان - أربعة
عشر يوما قبيل عيد الفصح ٠٠

في عصر ما قبل النفي Pre-exil كان هذا التاريخ هو
بداية السنة اليهودية الجديدة ، وقد استمرت مظاهر هذا الاحتفال
لدى يهود مصر فقط ١٥

في هذه الليلة ، يجتمع حاخامات القاهرة ، ويتناوبون ترنيل « الهاليل » الكبير ، والمزامير والابتهالات التقليدية .. تتلى الآية بالعبرية وتفسر بالعربية .. ثم في منتصف الليل ، ينهض أقدم المرتلين ليقرأ « سفر التوحيد » الذي يبدأ بـ « بسم الله الحليم الرؤوف » وتذكر المصادر اليهودية أن هذا النص - مجهول العنوان - وقد أعده النجيد ابراهيم نجل الفيلسوف « موسى ابن ميمون » وهذا النص تأثر كثيرا بالصوفية الاسلامية ، وكتب بالعربية الفصحى ، وندهش حينما نطالع أسماء الأنبياء مقرونة بالصيغة الاسلامية : ابراهيم الخليل .. موسى رسول الله .. هارون الامام ..

وبشكل عام ، فان استعراض تفاصيل التفاليد والعبادات الخاصة باحتفالات اليهود في الحارة المصرية « المستعربين » الذين يجمعهم « اخوة العيش » - Hebrat Mazon في ظل حياة مستقرة ، لكنها تعكس جمودا فكريا ، وظلاما يغلف العقول .. غير ان مظاهر هذه الاحتفالات لم يتبق منها اليوم سوى بعض المشاهد الغريبة الباهتة ..

ونواصل تتبع حياة يهود مصر ، بتفاصيلها الدقيقة ، فبوم الخميس يعنى أن وجبة الغداء فول مدمس مطهو في قدر من النحاس ، ويؤكل منه أيضا في صباح يوم الجمعة . ووجبة غداء يوم السبت - شتاء - كانت « الدفينة » فريك أو حمص ، حيث يطهى على نار هادئة منذ صباح الجمعة ، بالاضافة الى البيض والبطاطا واللحم أو كوارع الضأن .. وما يتبقى يصلح وجبة ليوم الأحد .

وينتهى العمل - عادة - يوم الجمعة في الساعة الحادية عشرة ، ووجبة الغداء هي الملوخية - صيفا - وقلقاس في الشتاء

.. اذ ان يومان بدون لحم، كانا ضروريان لاستقبال يوم السبت ..
ويوم الجمعة هو يوم الاستحمام - بعد الظهيرة - وهو الحمام
الساخن الوحيد في الأسبوع ، حيث يوضع قدر كبير مملوء بالماء
فوق موقد كيروسين ويتسابع أفراد الأسرة الواحد تلو الآخر ،
فيغترفون منه بانهاء من النحاس ، كمقدمة في طقوس التطهر
لاستقبال يوم السبت .

وفي بعض الاحتفالات بالأعياد القومية ، مثل شم النسيم ،
الذى تعود جذوره الى العصر الفرعونى ، كنت تشاهد جماعات
الشباب والأطفال والفتيات من اليهود ، بملابسهم الجديدة متعددة
الألوان ، فى الحدائق العامة والبلاجات وعلى ضفتى النيل ..
فيقضون ساعات من البهجة والمرح - كمادة طوائف الشعب المصرى
فى مثل هذا اليوم - و ... طعامهم الأسماك المملحة والبيض
الملون والبصل ، ويجرعون كميات من شراب الجعة .. ويأتى هذا
العيد غالباً فى اليوم التالى لآخر أيام عيد الفصح اليهودى ..
أى بعد ثمانية أيام معاناة من القيود الغذائية المرهقة ! كالفطائر
غير المختمرة ، المثيرة للغثيان - على حد قولهم - وعند حلول
الليل .. تعاد أوانى الفصح الى أماكنها حتى العام التالى ، وبعد
وجبات من الخبز الساخن البلدى أو الشامى ، وفطائر باللحم
ويقول جافة وأسماك وجعة وجاتوه وحلوى بالمكسرات وأحياناً
الكنافة والبقلاوة .. وفى مدخل الشقة ، بأسفل الباب ، تشاهد
أوراق الخس مبعثرة على الأرض .. أحد التقاليد الهامة فى نهاية
أيام الفصح !

عيد البوريم

يحتفل يهود مصر بعيد البوريم (القوز) فى ٢٨ من شهر
آذار كل عام ، وتدور الأصول التاريخية لهذا العيد حول قصة

« استير » الواردة في السفر المعروف باسمها ، والتي أقنعت ملك
الفرس « أحشويروش » - بعد غرامه وفتنته بها - بقتل وزيره
هامان الذي حلق على اليهود للمكانة التي وصلوا اليها ، وأباح
الملك لليهود قتل عشرات الآلاف من الفرس ، لمدة يومين من الثالث
عشر الى الخامس عشر من آذار ، فاتخذ اليهود من هذه المناسبة
عيدا يحفل بكل مظاهر اللهو ، حتى أن المصادر العربية أطلقت
عليه « عيد المسخرة » !

نحو منتصف القرن السادس عشر ، ابتدع الباخام صمويل
ابن سيد « سيديليو » صوم اليوم الثامن عشر من آذار ، وعند
الشفق ، من هذا اليوم ، كان يخرج الى طرقات وأزقة حارة أو حي
اليهود ، حافي القدمين ، منتقب الوجه ومغطى الرأس - تعبيرا عن
الحزن - حاملا بين يديه سفرا من أسفار التوراة ، ورجال ينفخون
في الأبواق وأطفال يترنمون ببعض الصلوات .. ثم يبكي الجميع
ويصرخون : لماذا يا الهى أنت غائب ؟ لماذا أنت غافل ؟ .. !

افتداء الابن البكر والدرهما الدينية

يرجع هذا التقليد الى تاريخ العبرانيين قى مصر القديمة ،
وتتم طقوسه الغريبة - القاسية - عن فلسفة خاصة عن الحياة
والموت ! ويتم هذا التقليد ليلة اليوم الحادى والثلاثين من حياة
المولود ، حيث يأتى واحد من أعضاء « جماعة الكهنوت
La Caste Sacerdotale كوهين - .. Cohen من عامة الفقراء ،
مقتحما الوليمة التى تجتمع حولها عائلة المولود بقرض
« اختطافه » ! .. وعملية الاختطاف - الظاهرى - هذه تتم - كما
تؤكد المصادر اليهودية - لصالح معبد اورشليم الذى دمر فى
العام الثامن والتسعين من الميلاد ! وبينما يتحلق الأب والأم
والأقارب .. يتقدم الكوهين سائلا أم المولود عما اذا كان الرضيع

هو الثمرة الأولى لبطنها ؟! فتجيبه مؤكدة له بأن هذا الرضيع هو ابنها البكر ، وأنها لم يسبق لها الولادة أو حتى الاجهاض ! اذا كانت الأم غائبة عن هذا الاحتفال فيجب أن يتوجه اليها بهذا الاستفسار أحد الأفراد الراشدين الموثوق بهم ، ثم يتقدم الكوهين الى الأب سائلا اياه : « نعم يفضل ؟ » اذا كان هذا هو ابنك البكر بالفعل فهل تفتديه منى بخمس قطع من الفضة (أو ٣١ درهما من الفضة الخالصة كحد أدنى أو ما يوازيها) أو تعطيه الى الكوهين كما توجب عليك النوراة » . . . فيجيب الأب قائلا « أنا واثق من أن هذا هو ابني البكر ، واننى مستعد لاعطائك القطع الخمس الفضة - فدية له - كما أوصانا (بنى سواط - Beni Solt) فى توارتنا المقدسة ، !

لم يكن هناك قيد أو رابطة بين هذا المولود وذلك الكوهين الذى أدى دوره فى تلك (الدراما الدينية) ! وقد كان له قديما - حق الحياة - عليه ! كان جميع اليهود يمارسون تلك الاحتفالات الطقسية . . غالبيا باعتبارها عادات نمطية متوارثة لا تخضع للإشراف الدينى . . . ويذكر بأن الفدية النقدية كانت - فى معظم الأحوال - ترد خلال ساعة وفى بعض الحالات كانت تعتبر بالفعل ثمنا للفداء وتوضع فى صندوق أو خزانة . . . وحصيلة هذه الأموال يقتسمها رجال الدين فيما بينهم !

القرابين البشرية فى أعياد اليهود !

لقد ثبت من الحقائق الدينية لليهود ، أنهم « مصاصو دماء » حقيقة ، فهم لا يتم لهم عيد الفصح أو عيد البوريسم أو اليوبيل الفضى ، الا اذا حصلوا على - دم بشرى - وخلطوه بالفطائر التى تصنع لأجل هذه الأعياد ، وتمنح عادة للأتقياء من اليهود !

وهم يعتقدون أن هذا الدم البشرى ، هو شعيرة هامة لاتمام
طقوسهم الدينية ! وتطبيقا لتعاليم تلمودهم !

وكان يهود الشتات ، فى كل مدينة أو قرية يعيشون فيها ،
ينذبحون طفلا أو امرأة أو رجلا قبل عيد الفصح ، ثم يضعون دم
الضحية فى عجين الفطائر ، حتى لا يبقى يهودى الا وقد ذاق من
هذا الدم ، واليهودى الذى لا يأكل أو يشرب من دماء الضحية يعد
خاطئا ! وطبقا لاعتقادهم فانهم اذا لم يتمكنوا من ذبح الناس
جميعا ، فلا بد من ذبح واحد منهم كل سنة ، فى كل مدينة أو
قرية !!

ويروج الحاخامات بين اليهود أن دم غير يهودى ، يفيد فى
أعمال السحر والرقى والتعاوى ويجلب الرزق ورضا الرب !!
ويدخر هؤلاء الحاخامات لديهم دماء بشرية مجففة ممزوجة بالملح
واللحقيق ، فاذا أتى عيدهم ولم يتمكنوا من الحصول على ضحية
جديدة قام كل حاخام بتوزيع المدخر لديه مع الغلو فى ثمنه .

عيد البوريسم والفصح

يقول التلمود « عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان الهنا
(يهوه) أحدهما عيد الفطائر الممزوج بالدماء البشرية والأخرى
مراسم ختان أطفالنا » وقد ورد فى دائرة المعارف اليهودية
صفحة (٣٠٦) فى الجزء الثامن ما يلى « اذا كان هناك من أساس
أقر من قبل الحكماء (حاخامات اليهود) فهو حقيقة القرابين البشرية
(المسيحية) التى تقدم للاله (يهوه) ملك الأمة والتى بوشى فى
تقديمها أواخر عهد الملكية اليهودية » . وهناك نصوص كثيرة
سترد معنا فى البحث . وتختلف الذبائح البشرية لعيد البوريسم
عن ذبائح عيد الفصح من حيث النوعية فى الذكورة والبلوغ ،

من حيث نوعية الضحية بذاتها ، وسأتحدث أولاً عن الطريقة التي يذبح بها الحاخامات الانسان كقربان ليهوه ، ثم أتحدث عن نوعية الذبائح .

يؤتى بالضحية وتوضع في برميل ابرى وهو برميل ينسج لجسم الضحية مثبت بجوانبه وبشكل مكثف طولى وعرضى ابر حادة ، وحين وضع الضحية بداخله وهى حية تنغرز هذه الأبر الحادة في جسمه وبالتالي ينزف الدم في هذا البرميل ، وكلما تحركت الضحية بسبب الألم وبسبب طلوع الروح تتسع الجروح ويصفى الدم بشكل كامل بحيث تخرج الروح وآخر نقطة من دم الضحية معا ، ويتلذذ المجرمون اليهود بهذا العمل ويبدو للمقارىء مدى خضرة هؤلاء بالاجرام ضد الانسان . . انه شيء فظيع !

الطريقة الثانية : اذا كان المكان غير آمن فانهم ينفذون عملهم الاجرامى بسرعة ، ودون أن يتلذذوا به فيذبحون الضحية من الرقبة ، وفى أمكنة الشرايين ويوضع تحتها اناة واسع كنى يتزف الدم بداخله ثم يجمع ويعبأ في زجاجات ، وتؤخذ زجاجات الدم في كلا العيدين وتسليم للحاخام الأكبر فى المنطقة التى يوجد فيها اليهود فيقوم « عظمتة » بمباركتهم ثم يعجن هذا الدم مع السميد ويعد الفطائر للعيد المقدس ، ومن ثم يقوم بتوزيعها على أتقياء اليهود فيتناولونها بشراهة كشراهة حقدهم الدفين على المسيح وأتباعه ولكن التوراة حرمت الدم « لا تأكلوا دم أى جسد كان » فخرج خبث الحاخامات ، بأن هذا النص يقصد به دم اليهود فقط ؟ أما شروط الضحية فى عيد البوريم فهى :

١ - أن تكون الضحية من المسيحيين .

٢ - أن يكون ذكرا بالغاً يقدم للالهة استير .

- ٣ - أن يكون خلوقا ومهذباً ومتديناً .
- ٤ - أو يكون مرهف الاحساس خجولا لأن هذا يدل على جودة الدم الذى لديه .
- ٥ - لم يزن أو يتنجس بعلاقة جنسية « أى لم يتزوج » .
- ٦ - أن تكون الضحية من أصدقاء اليهود العزيزين عليهم جدا حتى يكون الدم ملوثا بالمداوة تجاههم .
- ٧ - تكون فرحة « يهوه » كبيرة وعظيمة اذا كان الدم الممزوج مع فطير الأعياد هو دم « قسيس » ليصلح لكل الأعياد ! .
- ويمكن الأخذ بهذه الشروط حسب الامكان ولكن الشرط الأساسى أن تكون الضحية مسيحية والشروط الأخرى تكميلية يمكن ليهوه أن يفيض البصر عنها اذا لم يتمكن اليهود من تطبيقها لظروف القاهرة !!
- ويقوم على تنفيذ عملية الذبح ومراعاة الشروط سبعة يهود يكون واحد منهم على الأقل حاخاما وهؤلاء منفذون أما المخرضون والمتدخلون فيمكن أن يشمل الآلاف وبالتالي فليس هناك عملية ذبح يقوم بها يهودى واحد .
- أما قرابين عيد الفصح فلها مواصفات وشروط معينة يجب أن تتوافر فى الضحية وهى :
- ١ - أن يكون القربان مسيحيا .
- ٢ - أن يكون طفلا ولم يتجاوز البلوغ .
- ٣ - أن ينحدر من أب وأم مسيحيين ضالحين لم يثبت أنهما ارتكبا الزنا أو ادمنا الخمر .

٤ - ألا يكون الولد - القربان - قد تناول الخمر أى أن دمه صاف وبعيد عن المؤثرات الخارجية الملوثة .

٥ - إن يكون صادقا لا يكذب وقد ربى تربية جيدة .

٦ - أن يكون له ميول دينية للكنيسة ويذهب اليها بانتظام .

٧ - تكون فرحة « يهوه » عظيمة وكبيرة اذا كان الدم الممزوج بفطير العيد هو دم قسيس وهذا يصلح لكل الأعياد ، ويورد كتاب شهير لديهم اسمه « زنيكيوم زوهار » ما يلي :

« ان من حكمة الدين التوصية بقتل الأجانب ، لا فرق بينهم وبين الحيوانات وهذا القتل يتم بطريقة شرعية ، الأجانب هم الذين لا يؤمنون بالدين اليهودى وشريعته فيجب تقديمهم قرابين الى أبناء الأعظم « يهوه » كما أن هناك نصوصا اجرامية كثيرة وردت فى التلمود وكتب اليهود لا يتسع البحث لادراجها ، أما جرائم القرابين البشرية فى ملفات التحقيق فهى كثيرة فى بلدان العالم وخصوصا أوربا وأمريكا والشرق العربى ، وهى نحو أربعمئة جريمة تم اكتشافها ، أما الذى لم يكتشف أو طمس معالم التحقيق فيه أو ضللت العدالة فيه ، وذلك لإبعاد فكرة فطيرة العيد الممزوج بالدم عن معرفة الناس ، فهى تفوق العدد المذكور بكثير لكون الحاجة الى الدم المسيحى فى كل عام ، كل كنيس يجب أن يتوافر له هذا الدم » !

اليوبيل الفضى

هو عيد يحتفل به الذين يدينون باليهودية فى مختلف بلدان العالم كل تسعة وأربعين عاما ، ويكون العام الخمسين هو العيد ، واحتفالات هذا اليوبيل باعادة الأرض الى أهلها الذين يدينون

باليهودية محرره من الدين أو الرهن أو أى التزام آخر ، قد وقعها خلال هذه السنوات التسع والأربعين » وقد سوا سنة الخمسين فنادوا باعتاق فى الأرض لجميع أهلها فتكون لكم يوبىلا ،

ويغاد فى هذا اليوبيل كل واحد الى أهله وعشيرته ، فإذا كانت هناك خلافات بين أتباع تلك الديانة ، وسجن أحدهم بسبب هذه الخلافات أو بسبب الديون أو أى أمر آخر فإنه يطلق سراحه هذا العام ، وإذا كان أحد اليهود قد جرد من ملكه أعيد اليه ذلك الملك فى هذا العام ، ويزرع اليهود الأرض ولا يحصدون شئنا ولا يقطعون الثمار فى هذا العام ، ويتم البيع أو الشراء بعدد سنين اليوبيل هذه أى انهم يحسبون كم بقى للسنة اليوبيلية وبناء عليه يتم البيع أو الشراء لأنه فى سنة اليوبيل تعود لكل واحد أرضه وملكه وطبعا يخرج عن هذا كله (الأميون) وقصد بهم كل البشر غير اليهود أى المسيحيون والمسلمون والديانات الأخرى المنتشرة فى العالم .

هنا يظهر جلبا الخداع اليهودى والغش والمكر والاجرام لابطال الحق واحقاق الباطل . فهم يحاولون الحصول على الأراضى والأمالك من غير اليهود بأية وسيلة كانت ولو بشهادات الزور ولو بحلف عشرين يمينا كاذبة على التوراة « يجوز لليهودى أن يشهد زورا وأن يقسم بحسب ما تقتضيه مصلحته عند اللزوم ويؤول ذلك فى سره » !!

« لقد أعطى الله اليهود حق الاستيلاء على أموال المسيحيين بمختلف السبل والوسائل الممكنة سواء عن طريق التجارة أو عن طريق اللطف والرقه أو عن طريق الغش والخداع أو عن طريق السرقة » .

« على اليهودى أن يؤدى عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض أحد
أخوانه اليهود لضرر ما » .

يرى اليهود فى هذا المجال ، أن العالم كله وما فيه من كنوز
وبشر ملكهم « فالكنوز ورثوها عن سليمان وداود ، والأرض هى
أرض الهم « يهو » ، انهم الشعب المختار . للقيام بكل الجرائم
ضد الانسانية والانسان - فقد منحهم الأرض لهم وجسمهم وكل
البشر الموجودين عليها عبيد لهم . . وقصة شايлок معروفة لدى
البشر » .

وهذا غيظ من فيض فى ما يتعلق بعيد اليوبيل هذا .

كول نيلويه ...

والتحليل من جميع العهود والمواثيق !

كانت نظرة كثير من فلاسفة أوروبا الى اليهود - نتيجة للروح
الانعزالية - أنهم غامضون ومتخلفون ومتعصبون ، وأن « الديانة
اليهودية يتخللها روح المصلحة الذاتية » !

ويقول المفكر والفيلسوف الفرنسي الشهير « فولتير » ١٦٩٤ -
١٧٧٨ :

« انك لتجد فيهم مجرد شعب جاهل ومتوحش ، زاول لمدة
طويلة ، أخس أنواع البخل ، وأبغض أنواع الخرافات .. ويحمل
كراهية لا تعادلها كراهية ، لكافة الشعوب التي تسامحت معه ،
وكانت سببا في ثرائه » !

ولكى نتفهم الشخصية اليهودية ، علينا أن ننوجه الى
التقاليد والطقوس الدينية وطابع الحياة اليومية اليهودية :

وصلاة « كول نيلويه » أو كل نذره .. الكلمتان الأوليان
من صلاة مساء عيد الغفران « يوم كيפור » .. وتفتتح بها كل
الصلوات والطقوس الدينية لهذا العيد ، وقد تحددت صيغة هذه
الصلاة في عصر « الجاؤونيم » اليهود ، وكانت مكتوبة باللغة
الآرامية ..

وجوهرها الاعلان بالتحلل من كل النذور والايمانات والعهود
والمواثيق التي قطعها اليهودى على نفسه - طوال العام - ولا يريد
أن يلزم بها نفسه !

وتتلى هذه الصلاة قبل الغروب ، وقبيل التلاوة ، يفتح
التابوت المقدس : ويخرجون أسفار التوراة ، ويختص صفوف
الحاضرين بامساكها تبركا ، وقد اتخذوا أماكنهم بجوار البحاخام
الذى يؤمهم فى الصلاة ، ويتلوها بلحن مميز ، لم يتغير على مدار
الآزمان ، وتكرر تلاوتها ثلاث مرات ٠٠ حتى يتأكد « احساس
الجميع بالتخلص من ذنب تخليهم عن خيانتهم لكل العهود التى
قطعوها على أنفسهم ، والوعود التى التزموا بها تجاه الآخرين » ٠٠
ثم يبدأون الاحتفال بأقدس أيامهم « مرتاحو الضمير »
معافون من نقض عهودهم واخلاف وعودهم « ! ٠٠ وكانت تنطق فى
مصر « كال نيدر » .

علاقات اليهود بغيرهم تتم فى اطار المصلحة الذاتية البغية ،
ونقض العهود سمة رئيسية فى شخصية اليهودى ٠٠ فيقول الله
تبارك وتعالى : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ~~بشرهم~~
البقرة : ٢٧ » أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم
لا يؤمنون « البقرة : ١٠٠ ٠٠ » والذين يتنقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض
أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار « الرعد : ٢٥٠ » الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون « الأنفال : ٥٦ .

ان الشخصية اليهودية : لا مثيل لها فى تكوينها ، ضربت
حول نفسها نطاقا من العادات والطقوس الدينية ووجهة النظر إلى

الحياة ، فتم تكوينها حسب ارادتها .. وصنعت عقيدتها حسب
فائدتها ! .. فالدين مجرد « تنويهاً » لله في أفواههم ، أما الهدف
الذى يعيشون من أجله فهو النعمة بين الأمم !

اختار اليهودى من طرق المعاشة بين الناس ، الطرق
المقفولة عليه ، وأخفاها عن الناس ، مخافة أن يسرقها الناس منه ،
باعتبارها سر الصلاحية فى الحياة ، والتي نحدد منهجه : كسب
مستبد فى عالم المال .. وفوضى قدير فى عالم الفكر ..
امتلاك الحياة ، والسيطرة على الأحياء هى : الضمان والتأمين
للشخصية اليهودية ، وقد وصلوا الى هذه - الحقيقة اليهودية -
بنجاربهم فى عصور التشريد الأولى ، وعصور الغربة والشهقات
الأبدية ، التي فرضت عليهم لطاردة شعوب الأرض لهم في بعد
الملاحظة العابرة ! - أنهم يأخذون ولا يعطون !

والى أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء أمتنا العربية :

لقد حق فى اليهود ، قول الله تعالى بخيانهم ونقضهم لكل
العهود .. وأكدوا هم أنفسهم هذا المعنى كجزء أساسى من عقيدتهم
.. هل بعد هذا .. نستطيع أن نشق فى التزامهم بما يسمى
« معاهدات السلام » !

ان للاسرائيليين مفهومهم - الواضح - للسلام ، الذى يرتكبون
تحت مظلتهم أوسع الجرائم فى التاريخ .. والتعايش بين المشروع
الصهيونى الارهابى ، الذى استثمر الدين والأساطير ، والمشروع
الحضارى العربى : مستحيل ! : فما زال الحلم الصهيونى الرهيب
« اسرائيل الكبرى » هو الهدف الاستراتيجى لزعما صهيون !

هل المطلوب : إعادة « صياغة عقولنا » لتقبل الوجود
الاسرائيلي بمقتضى ارث سماوى مزعوم ! .. وهل الآلاف من
شهداءنا الذين بذلوا ارواحهم ، كانوا ضحايا مجرد سوء الفهم
والحاجز النفسى !

ان كل ما يحدثنا به التاريخ : أسفار تحوى عفن قرون من
الأكاذيب والأحقاد والفتن والمؤامرات والارهاب ، ومن واجبنا جميعا
كعرب ، أن ندرك مخاطر أبعاد التآمر اليهودى ، وأحلامهم التوسعية
الجامحة !

فاليهودى يهودى فى كل زمان ومكان، الى أن يلقى بخزعبلات
وترهات التوراة والتلمود وتعاليم الحاخامات جانبا .. لقد وضع
اليهود مع « العهد » فى التابوت المقدس : المنطق .. الأمانة ..
الشرف .. واستراحوا من الفضائل وهموم البشر !

دى شاپرول .. وغناء اليهود !

كان « دى شاپرول » أحد أفراد الفيلق الثقافى الذى ضمه نابوليون فى حملته الى مصر ، كما كان عضوا بلجنة العلوم والفنون ، وكان لعلماء هذه الحملة الفضل فى وضع أول وأشهر موسوعة علمية .. « وصف مصر Description de l'Egypte »

وقد اختص دى شاپرول بجزء من القسم الثانى « الدولة الحديثة » نشر فيه أبحاثه تحت عنوان : « دراسة فى عادات وتقاليد المصريين المحدثون » .. وفى هذا الفصل تحدث عن الغناء الدينى ليهود مصر ، كما أشار الى تباين الشعائر الدينية والعادات بين الربانيين والقرائين ، فيقول (١) :

« .. لم يكن لدينا فى أوروبا أدنى معرفة بالأسلوب الموسيقى الخاص بيهود مصر ، فقد اعتقدنا أن من الأوفق ، حين كنا فى هذه البلاد ، أن نتيقن مما ان كان لهذا الأسلوب ، أو أنه ليست له ، بعض أمور تسترعى الانتباه . وقد شاء أحد اليهود الايطاليين ، وكان قد جاب جزءا كبيرا من أوروبا ثم اتجه الى مالطة والقاهرة فى صحبة جيش حملة مصر ، أن يساعدنا فى أبحاثنا حول هذا الموضوع ، وزودنا فى الوقت نفسه بمعلومات مفصلة للغاية حول تقاليد وعادات يهود مصر ، لكننا لن نتوقف عند ذلك وحسب

فلقد شئنا كذلك أن نكون شهودا على كل ما كان ميسرا لنا أن نراه وأن نسمعه ، ولما كنا نعلم أنه توجد بمصر طائفتان من اليهود تتعارضان بشكل تام فى تقاليدهما وعاداتهما وطقوسهما ، فقد كان من السهل علينا أن نحضر حفلات العبادة عند هؤلاء وعند أولئك ، حتى يكون بمقدورنا أن نحكم بأنفسنا ما ان كان هناك اختلاف كبير بين أسلوبى الغناء عندهما ، لكن التجربة برهنت لنا أن ليس ثمة خلاف من هذا النوع ، وجعلتنا على يقين من أن تنوع غناء اليهود لا يعود قط الى اختلاف ملهم ، وإنما هو ناتج وحسب عن الطريقة التى يعبرون فيها ، فى بعض البلدان ، عن ألحانهم الموسيقية . .

وأولى هاتين الطائفتين من اليهود ، المتعارضتين كل منهما مع الأخرى تمام التعارض ، فى كل شئ عدا الغناء الدينى ، هى طائفة الربائيم أى الربانيين ، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تتبع المذهب الربانى ، أما الطائفة الثانية فهى طائفة القرائيم أى القرائين ، وهم صديقيون ، وقد نحت هذه الطائفة سلطة الخاخامات على عكس ما تفعل الأولى .

ويقع حى الربانيين فى القاهرة قريبا من حى الموسيقى ، وهو يؤدى الى حى خان الخليلي ، ويسمى حارة اليهود أما حى القرائين فيقع غير بعيد عن ذلك ، فهو يتاخم خان الخليلي .

ولكل واحدة من هاتين الطائفتين تقاليد وعادات تختلف فيما بينها ، لحد أن يهود أى من الطائفتين لا يشاءون أن يتزودوا بحاجتهم (من اللحوم) من جزارى الطائفة الأخرى ، لا أن يستخدموا نفس آنية الطهى التى يستخدمها الآخرون ، وحتى أنهم لا يأكلون طعام بعضهم البعض ، ولدرجة أن عمال إحدى

الطائفتين ممن يعملون عند أبناء الطائفة الأخرى ، لا يأكلون كذلك من طعام هذه الطائفة ، بل يذهبون ليشتروا من عند يهود طائفتهم كل الأطعمة التي يحتاجون إليها ، عدا الفاكهة ، فهذه يشترونها دون تفرقة من عند من يبيعها مهما يكن الاختلاف في ملة البائع أو طائفته بل حتى في دينه .

والأمر نفسه بخصوص الشبائر الدينية ، فلكل واحدة من الطائفتين تقويم مختلف فيما يتعلق بالأعياد : فالربانيون يحتفلون بعيد القمر الجديد (الهلال) لمدة يومين متعاقبين (٢) ، لكن القرائين عكس هؤلاء لا يحتفلون به الا لمدة يوم واحد ويتبع الربانيون والقراءون ، كل فيما يخصه ، هذه العادة نفسها في بقية الأعياد الأخرى اذ يجعل الآخرون مدة الاحتفال تقل بيوم واحد عن المدة التي يخصصها الأولون للاحتفال بها .

ولذلك فلا بد أن هؤلاء اليهود يولون احتراماً كبيراً لغنائهم الدينى ، طالما لم يتجاسروا برغم ذلك كله ، على إدخال أدنى تغيير على هذا الغناء .

وإذا ما صدقنا - في هذا الصدد - الروايات المتواترة ، والتي يحتفظ بها اليهود حتى اليوم ، فلا بد أن تكون الشبائر والأغنيات المستخدمة عند يهود هذا البلد ، قد تناولها قدر من التحريف أقل بكثير مما تناولها في أى مكان آخر ، اذ هي قد انتقلت اليهم هناك - دون أن تتعرض لأى انقطاع - منذ عصور بالغة القدم ، وفي الحقيقة فانه لا تزال ترى في مصر ، في معابد عدة ، نسخ من التوراة مدونة بالعبرية القديمة ، أى النى لا تستخدم فيها النقاط أو الشكلات ، ويحتفظ بنسخة من التوراة مكتوبة على هذا النحو في معبد القاهرة المسمى ، المعبد المصرى ،

ويحتفظ بنسخة مماثله في المعبد المسمى ربانيم القربوصي باسم منشئته ، وتوجد نسخة ثالثة مشابهة في المعبد الكائن في مصر الحقيقة والمعروف باسم عذير صوفر أى ابن عزرا الكاتب (٣) وهو قد سمي على هذا النحو ، اذ يزعم أن هذه النسخة من التوراة قد كتبت بخط يد الحبر الأعظم عزرا ، وقيل لنا كذلك أنه توجد بالمثل بالمحلة (الكبرى) ، بالقرب من المنصورة ، نسخة من التوراة بالغة القدم كتبت على غرار النسخة السابقة ، وان تكن فوق رقائق من النحاس ، مما جعلهم يطلقون على هذا المعبد اسم سيفر نحاس أى الكتاب النحاسى .

ومهما يكن من أمر قدم شعائر يهود مصر ، وقدم أسلوب غنائهم الدينى ، فمن المؤكد ، على الأقل ، أن ميلوديههم بالغ الاختلاف عن الميلودى الذى يتبناه يهود أوروبا ، وأن ألحانهم الموسيقية ، برغم أنها تحمل الاسم نفسه الذى يطلقونه عليها فى كل مكان ، تتكون مع ذلك ، فى مصر ، من مقامات أو طبقات صوتية مختلفة عن تلك التى تتألف منها هذه الألحان نفسها فى أى مكان آخر .

الهوامش

(١) ج' دى ساپرول : « دراسة فى عادات وتقاليد المصريين المحدثون » - وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب ، ص ٤٤٣ - ٤٤٦ ، القاهرة ١٩٧٦ .

(٢) تعود هذه العادة ، عند الربانيين ، طبقا لأقوال اليهود المحدثين ، الى العصر الذى كان أجدادهم يسكنون فيه فلسطين ، وقد جاءت هذه العادة ، من أن الاسرائيليين ، عند ضواحي اورشليم ، التى ينظر اليها باعتبارها أعلى مكان فى هذه المنطقة ، كان من عاداتهم ، عند مولد القمر الجديد ، أن يكلفوا واحدا بالذهاب ، الى أعلى الجبل ، ليرقب الميلاد الجديد لهذا الكوكب ، ويأن يشعل النيران فوق الجبال المجاورة بمجرد أن يلحظ ظهوره ؛ ومع ذلك فحيث لم يكن من المستطاع رؤية هذه النيران فى المناطق النائية ، فقد أمر الربانيون بأن تحيّل بمولد القمر الجديد لمدة يومين متعاقبين ، وأن تزيد مدة الاحتفال بأعيادهم الأخرى بمقدار يوم واحد عما يفعله القراءون ، فى كل بلدان لبعيدة عن اورشليم . حيث يقطنون (دى شاپرول) .

(٣) يؤكد اليهود أن هذا الكاتب (للتوراة) المسمى عزرا ، هو الحبر الكبير عزيز نفسه ، وهو الذى أعاد ، فى العام ٤٦٧ قبل مولد المسيح ، تجميع كتب اناشيد التوراة (الأسفار) ، ونقاها من الأخطاء التى تسربت اليها ، بفعل جهالة النساخ اليهود ، الذين كانوا ، منذ الأسر البابلى ، قد نسوا استخدام لغتهم الأم ، وأنه قسم التوراة الى ٢٢ سفرا ، طبقا لعدد الطوائف العبرية .

وفى معبد ابن هازر صوفر ، لانزال نرى قمطرا باليا ، قد تهشم كلية ، يقال ان عزرا كان يقيم صلواته بالقرب منه ؛ وفى أعلا هذا القمطر يوجد دولاب ، يقتصر دوره على احتواء نسخة من التوراة فى شكل مخطوطة ، ملفوفة أوراقها ؛ وأن هذه النسخة من التوراة ، هى نفسها ، حسب الاعتقاد الشائع ، التى كتبها عزرا بخط يده ؛ ويتم الصعود الى هذا الدولاب عن طريق سلم دائرى من الخشب ، يرتفع بمقدار تسعة أقدام ؛ وتحيط هذا الدولاب ، بصفة دائمة ،

مصابيح وشموع ، يسارع كل من هناك لرعايتها ، بفعل الاحترام الذى يوحى به هذا الدولاب ، والكتاب المقدس الذى يضمه ، ويحمل المرضى الى هذا المعبد ، ليرقدوا عند سفح هذا القمطر لمدة يومين او ثلاثة ايام ؛ اما اولئك الذين يأتون الى هناك من اماكن نائية ، فيجدون اماكن يهجعون فيها ، فى الغرف الواقعة فوق المعبد ، حين لا توجد اماكن شاغرة لهم فى داخله ؛ وهم يبقون فى هذه الحجرة او تلك ، حتى يأتى دورهم فى الرقاد بالقرب من القمطر ، اما الحجرات التى يشغلونها ، انتظارا لدورهم ، ففسيحة ومريحة ؛ وتوجد هناك ثلاث حجرات ومطبخ ، يقيم فيها الأغراب ، فى بعض الأحيان لايام ثمانية (دى شابرول) .

ادوارد لين •• ويهود مصر !

ادوارد لين أشهر مستشرق ورحالة بريطاني ، وكان ظهور كتابه « المصريون المعاصرون •• شمائلهم وتقاليدهم » عام ١٨٣٦ ؛ نقطة تحول بارزة في تاريخ العلاقة بين مصر والرحالة والمستشرقين الأوروبيين ، كما أسهم في ظهور اتجاه جديد في أدب الرحلات الى مصر ، كما قدم تفسيراً دقيقاً لنظم المجتمع الاسلامى •• وقد عايش لين تفاصيل الحياة اليومية للمصريين وتأثر بها ، حتى أطلق على نفسه « منصور أفندى » ! •• وفى هذا الفصل تناول حياة الطائفة اليهودية في مجتمع القاهرة ، مشيراً الى التسامح الدينى الذى تمتعوا به فى ظل « عيشة هادئة » •• كما ألمح الى حيلهم فى الصفقات التجارية واحترافهم الربا وأعمال الصرافة •• وأن « البخل صفة مميزة ليهود مصر ! » •• ويقول :

يبلغ عدد اليهود فى هذا البلد خمسة آلاف تقريباً ، يسكن أغلبهم العاصمة فى حى حقير مقفل قدر يقطعه أزقة عديدة يضيق أكثرها الى درجة لا تسمح بمرور شخصين .

ويختلف يهود الشرق ، فى الملامح وفى هيئة الوجه عامة ، عن أمم أخرى فى آسيا الجنوبية الغربية أقل مما يختلف يهود أوروبا عن الشعوب التى يعيشون بينها •• غير أن كثيراً ما نجدهم يتميزون بشدة بياض البشرة وصهبة الشعر وصفاء عيونهم البندقية أو الزرقاء أو الرمادية اللون •• ويشكو كثير من يهود مصر من

أمراض العين وانتفاخ البشرة نتيجة الإفراط في استعمال زيت
السمسم في الطعام . وهم على العموم قذرون غير مهذبين في
ملبسهم وفي شخصهم أيضا ، ولا يختلف لون عمامتهم عن لون
عمائم الرعايا المسيحيين . وتنتقب اليهوديات ويلبسن ملابس
المصريات الأخرى في الطريق العام .

ولليهود ثمانية معابد بحيهم بالقاهرة . وهم يتمتعون
بالتسامح الديني ويخضعون لحكم أقل تعسفا في مصر
منه في أى بلد أخرى من بلدان السلطنة التركية . وهم يؤدون
مبلاغا من النقود مقابل إعفاء حيهم من اشراف المحتسب ، ويؤدون
المثل للوالى ما دامت وظيفته قائمة . وهم يميزون عن الآخرين في
بيع أصناف المؤن بسعر مرتفع ، فيستطيعون تبعا لذلك شراء هذه
الأصناف بثمان أعلى ، فيجهزون حوانيتهم بالمؤن ، وعلى الأخص
الفاكهة ، التى تفوق غيرها جودة في أنحاء أخرى من المدينة .
واليهود ، مثل الأقباط ، ولسبب مماثل يدفعون جزية ، ويعفون
من الخدمة العسكرية . . .

واليهود محل ازدراء المسلمين وكراهيتهم . ويقال انهم
يحملون للمسلمين وللإسلام بغضا متأصلا أكثر من أى شعب
آخر . ويذكر القرآن في سورة المائدة « لتجدن أشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين
آمنوا الذين قالوا انا نصارى » ، وقد قص على صديق مسلم
عندما ذكرت هذه الخاصية فى أخلاق اليهود حادثا وقع منذ بضعة
أيام فقال : « كان أحد اليهود يمر مبكرا صباح يوم من أيام
الأسبوع الماضى بمقهى لأحد معارفه المسلمين يسمى محمدا . فرأى
شخصا يقف هناك فظنه صاحب الدكان (اذ كان الغسق لا يزال
قائما) وقال : « سبعت صباحا يا شيخ محمد » فلم يرد هذا

الأخير ، وكان يهوديا آخر ، على تحية الأول بغير زجرة غاضبة لمخاطبته بأكره الأسماء التي يمكن التفوه بها أمام يهودى . وسحب الجاني الى الكاهن الأكبر الذى حكم بجلده جلدا شديدا لهذه الاساءة بالرغم من احتجاجه بأنها غير متعمدة . - ومن الشائع قول المسلمين : « ان فلان يكرهنى كراهية اليهودى » . فلا عجب اذا أن يكره المسلمون اليهود أكثر مما يكرهون المسيحيين . وكان اليهود الى عهد قريب يدفعون ويضربون أحيانا فى شوارع القاهرة لجرد عبورهم على يمين مسلم . وهم الآن أقل عرضة للجزور ، ولكنهم قلما يجرأون على شتم أى عربى أو تركى ينتهرهم أو يضربهم ظلما . فقد أعدم كثير منهم لاتهامهم زورا وحقا بسب القرآن أو الرسول . ومن العادى أن تسمع عربيا ينعت حماره المتعب بأفصح الشتائم المختلفة يختمها بوصفه الحيوان باليهودى .

وكثير ما ضحى بيهودى لانتقاد مسلم كما جرى فى الحادث التالى : « صرف أحد الجنود الأتراك بعض النقود ، فناوله « الصيرفى » ، وكان مسلما ، بعض النقود المسماة « عدلية » ستة عشر قرشا . وقدم التركى هذه النقود الى أحد التجار ثمنا لبعض البضائع ، غير أن الأخير رفض أن يحاسبه على أكثر من خمسة عشر قرشا « للعدلية » قائلا ان الباشا أمر منذ عدة أيام ألا يعدل هذا النقد ستة عشر قرشا بعد ذلك . فعاد الجندى الى « الصيرفى » . فتظلم التركى الى الباشا نفسه ، الذى غضب لاهمال أوامره وأرسل فى طلب « الصيرفى » . واعترف هذا الرجل بذنبه ، غير أنه حاول أن يلتمس لنفسه عذرا بزعمه أن كل « صيرفى » فى المدينة تقريبا قام بالمثل ، وأنه استلم قطع «العدلية» بالسعر نفسه . ومع ذلك لم يصدق الباشا ، أو رأى أنه من اللازم أن يجعل منه عبرة لغيره ، فأشار بيده ايعازا بضرب عنقه . وتحركت الشفقة فى قلب مترجم البلاط لهذا الرجل التعس

فتوسل إلى الباشا أن يعفو عنه ، وقال : « ان هذا الرجل لم يعمل
أكثر مما يعمله جميع صيارفة المدينة ، وقد اسلمت أنا نفسي
البارحة قطع « عدلية » بالسعر ذاته » : فصاح الباشا : « ممن »
فأجاب المترجم : « من يهودى عاملته عدة سنين » . فأجضر اليهودى
وبحكم عليه بالشنق بينما أعفى عن المسلم . فاغتم المترجم وجهه
فى الدفاع عن اليهودى المسكين . ولكن الباشا لم يلب . كان من
اللازم أن يضرب مثلا ، وقد اعتبر أن قتل يهودى خير من قتل
مسلم أكثر جرما . وقد رأيت التمس مشنوقا فى نافذة « سبيل »
ملحق بمسجد قائم فى أهم شارع فى المدينة وقد عرض أقارب
اليهودى مبالغ كثيرة ليعفى عنه ، غير أن الخطوة الوحيدة التى
استطاعوا الحصول عليها إدارة وجهه ناحية الشباك حتى لا يراه
المارون . وكان هذا اليهودى يحترمه كل من عرفه (ما عدا
المسلمين طبعا) ، وقد ترك عائلته فى عز شديد ، فقام المترجم
الذى تسبب فى موته بغير تعمد باعانتهم .

ويعيش اليهود فى مصر عيشة هادئة على العموم . وقل فعلا
من يخالطهم ممن هم على غير دينهم . وهم يعتبرون عامة شتميل
معتدلا فى مأكله . ويرتدى أغنيائهم أجمل الملابس داخل بيوتهم ،
ولكنهم يظهرون فى الخارج بملابس ساذجة بل رثة أيضا . وتحوى
مساكنهم بالرغم من مظهرها الحقير القدر غرفا جميلة حسنة
الآثاث . وليس اليهود داخل منازلهم بصرامة الكثير من الشرقيين
الآخرين فى إخفاء نسائهم عن الأجانب ، أو على الأقل من مواطنيهم .
وعن الأفرنج . وكثيرا ما يحدث أن يستقبل الزائر الأوربى حيث
يجلس نساء الأسرة اليهودية سافرات ، فيقمن على خدمته . وتسود
هذه العادة فى السوريين المسيحيين المقيمين بالقاهرة . ويقال ان
تدبير المكائد يغلب فى اليهوديات ، غير أن ليس فيهن عاهرات
يصرح لهن باحتراف الدعارة . ويعيش أفراد الطبقة الدنيا فى

بؤس شديد ، وليس لأكثرهم طريقة للتعيش غير ما يجود به عليهم
يهود الطبقة العليا •

والبخل صفة مميزة ليهود مصر خاصة أكثر منها ليهود
البلدان الأخرى حيث هم أقل عرضة للظلم • وهم يعنون بكل وسيلة
ممكنة لإبعاد شبهة الثراء عنهم ولهذا السبب يبدوون في أقدر شكل
ويهملون مظهر بيوتهم الخارجى ، وهم على العموم يحرصون على
القيام بفروضهم الدينية ، كما أنهم بالرغم من حيلهم فى الصفقات
التجارية أمناء فى انجاز عقودهم •

ويحترف كثير من اليهود المصريين عملية الصرف (أى اقراض
النقود) • ويعمل آخرون « صيارفة » وهم ذوو أمانة دقيقة •
ويصينغ غيرهم الذهب والفضة ، ويشتغل بعضهم بالبقالة وبيع
الفاكهة ، والقليل من الطبقة الثرية يحترف التجارة عموما •

عصر الهيمنة اليهودية على الاقتصاد المصرى

فى رائعته « لا تتركونى هنا وحدى » يقول أديبنا الراحل احسان عبد القدوس « .. ان اليهود يضربون السوق بالعصا السحرية ، فتنفجر ينابيع الثروة من تحت أقدامهم ، كما ضرب موسى البحر بعصاه فانشق طريقا سهلا ممهدا تحت أقدام اليهود » .

والشخصية اليهودية تحدد اتجاهاتها نحو مصادر القوة والنفوذ ، وترسم خطواتها فى عالم الطموح الذى لا نهاية له .. بصبر لا ينهى أبدا ، وذكاء صامت يعتمد أن يتخفى دائما .. !

وقد تمتعت العائلات اليهودية الارستقراطية بقوة اقتصادية ووجاهة اجتماعية مكنتها من توطيد علاقاتها بمراكز النفوذ السياسى ، لتتربع على قمة الهرم الاجتماعى فى مصر .. !

وكان ليهود مصر نشاط بارز فى تجارة الذهب والقطن والمنسوجات - أهم أدوات الاقتصاد المصرى - كانت فى قبضتهم ..

واذا كان مفهوم الازدهار يعنى مستوى التقدم الاقتصادى والمالى - فى عصرنا الحالى - فقد استطاع يهود مصر أن يحققوا هذا الازدهار فى فترة وجيزة من الزمن ، بدأت مع افتتاح قناة السويس

عام ١٨٦٩ ، ليبلغ ذروته مع بداية القرن العشرين وحتى عام ١٩٤٨ . وفي عبارة ذات دلالة يقول الرحالة اليهودي « س . صامويل » الذي زار مصر عام ١٨٧٩ : « لا يوجد بمصر خادم أو عامل يهودي . . وأن اليهود يفضلون أن يكسبوا عيشهم برؤوسهم لا بأيديهم » .

عندما شرع العلماء الذين رافقوا نابليون في حملته الشهيرة ، في وضع موسوعة « وصف مصر » مع بداية القرن التاسع عشر . . لم يكن في مصر الا ظلال ماضيها ، أطلال تشهد بأن هذا البلد كان مركزا لحضارات متعاقبة متألقة ، وأرضها التي هي واحدة من أخصب أراضي العالم ، كانت تغذى بالكاد مليونين من السكان الغارق معظمهم في حالة من الفقر المدقع ، والصناعة معدومة والتجارة الدولية في أدنى مستوى لها ، والتعليم قاصر على ما يتلقاه طلبة الأزهر من علوم اللغة العربية والدراسات القرآنية والفقه الحديث . . وعلى رأس النظام السياسي « باشا » معين بفرمان من الباب العالي باستانبول ، والسلطة الفعلية في أيدي أمراء المماليك . . لم تعد مصر بالنسبة للسلطان في تركيا سوى مصدرا لجباية الأموال والهدايا الثمينة . .

في هذا الاطار ، كانت طائفة اليهود المصريين - لا تتعدى ٤ آلاف نسمة - تتقاسم مع مثيلاتها من طوائف الشعب حالة « البؤس العام » . . متمثلين بعمق من حيث اللغة والعادات وأساليب الحياة ، في اطار قوانين الشريعة الاسلامية المنظمة لحقوق الأقليات وانحصر نشاطهم في التجارة وبعض الحرف .

وفي الثلث الأخير من القرن الماضي . . أدخل الفرنسيون والانجليز مصر في التقسيم الدولي للإنتاج ، اذ أصبحت أكبر مورد لمادة أولية دولية : القطن طويل التيلة ، الذي يصنع في دول أوربية

متقدمة صناعيا ، خاصة بريطانيا ، كما كان تنفيذ مشروع قناة السويس عاملا مباشرا في عودة مصر للنمو مركزا هاما في خريطة توزيع التجارة الدولية .

وكان الوضع السياسى فريدا من نوعه ، فعلى المستوى الرسمى ظلت مصر جزءا من الامبراطورية العثمانية ، خاضعة « شكليا » لسلطان الباب العالى ، غير أن واقع الأمر ، وبعد تفاقم الأزمة المالية وبلوغها ذروتها عام ١٨٧٥ ، وخضوع مصر للاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ ، أن أصبحت السلطة الفعلية فى يد القنصل العام البريطانى ، حيث أدرك الانجليز أن ثروة مصر قد باتت غنيمة فى أيديهم - رغم ما توحى به خزانتها الخاوية - وتزايدت توافد المغامرين والمستثمرين من انجلترا وفرنسا وايطاليا وسويسرا وبلجيكا واليونان . . . بعد أن اجتذبتهم فرص العمل والشراء الآخذ فى الاتساع بفضل الامتيازات الأجنبية ، التى وفرت لهم الحصانة مما يسر لهم مجالات الاستغلال وتجميع الثروات .

وكان من بين هؤلاء المهاجرين كثيرا من يهود أوروبا وجماعات من الطوائف اليهودية فى حوض البحر المتوسط : يهود من أزمير وإستانبول ، ومن سالونيك وكورفو ، ويهود من الجزائر والمغرب حتى بلغ عددهم ما يقرب من ٣٠.٠٠٠ شخص فى نهاية القرن التاسع عشر .

أكثر من ٥٠٪ من هؤلاء المهاجرين اليهود ، كانوا يحملون جنسيات أوروبية ، سمحت لهم بالتمتع بحماية قنصليات الدول التابعة لها ، بالإضافة الى تمتعهم قانونيا بالامتيازات الأجنبية ، وابتعاد قبضة القضاء المصرى عنهم فى نشاطاتهم المالية ، الجنائية معا !

أيضا ساهمت الاضطرابات السياسية والاقتصادية التي شهدتها العالم في أوائل القرن العشرين ، في زيادة معدلات الهجرة اليهودية ، خاصة مذابح الحرب الأهلية الروسية والبولونية في الفترة من عام ١٩١٦ حتى ١٩٢٠ ، ومع نشوب الحرب العالمية الأولى وتحالف الامبراطورية العثمانية مع ألمانيا ، فان الطوائف اليهودية الروسية والبولونية التي استقرت - تحت التأثير الصهيوني - في فلسطين ، قامت السلطات التركية بطردهم باعتبارهم « أعداء » فاتجهوا نحو مصر ، حيث شكلت الحكومة المصرية لجنة لاستقبالهم وابداء العطف نحوهم ، وتخصيص مفتش بوزارة الداخلية لتولى هذه المهمة الانسانية - وهي نفس الترتيبات التي أعدت للاجئين الهاربين من مذابح هتلر ابان الحرب العالمية الثانية - . وقد وضعت الادارة المصرية تحت تصرفهم مبنى الحجر الصحي بالاسكندرية بمحطة الوردان ودار المحافظة في رأس الثين وتولت الخزائن المصرية نفقاتهم وأنشأت لهم معسكرات وملاجئ حكومية ومخابز خاصة ومعهدا ومستشفى وحدائق للنزهة .

ويبين الجدول الآتي النمو السريع لعدد اليهود المهاجرين منذ نهاية القرن التاسع عشر :

سنة الإحصاء	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧
السكان			
جملة السكان	٩٧٣٤١٣٧	١١١٨٩٧٧٢	١٢٧٠٩٤٤١
المسلمون	٨٩٧٧٧٠٢	١٠٣٦٩٤٤٥	١١٦٢٣٧٤٥
الآلبان	٦٠٩٥١١	٧٠٦٣٢٢	٨٣٤٤٧٤
المسيحيون الشوام والأرمن	١٢١٧٢٤	١٧٥٣٧٠	١٩١٦٤١
اليهود	٢٥٢٠٠	٣٨٦٨٥	٥٩٥٨١

وطبقا للاحصاءات الرسمية فقد شهدت مدن مصر الكبرى
أعلى كثافة سكانية من اليهود وكان توزيعهم كالاتي :

سنة الاحصاء	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧
الديانة			
القاهرة	٨٨١٩	٢٠٢٨١	٢٩٢٠٧
الاسكندرية	٩٨٣١	١٤٤٧٥	٢٤٨٥٨
طنطا	٨٨٣	١١٠٤	١١٨٣
بورسعيد	٤٠٠	٣٧٨	٥٩٤
المنصورة	٥٠٨	٥٢٣	٥٨٦
السويس	١٢٠	٧٤	١٥٧
الاسماعيلية	٣٩	١١	٩٥
مدن اخرى	٤٦٠٠	١٧٩٠	٢٩٠١
المجموع	٢٥٢٠٠	٣٨٦٣٥	٥٩٥٨١

وفي احصاء عام ١٩٢٧ ارتفع عدد اليهود الى ٦٣٥٥٠ نسمة
بتزايد الهجرة اليهودية الى مصر ، بتشجيع من المنظمات الصهيونية
التي تغلغلت في مصر عقب تصريح « بلفور » وجعلت مصر أشبه
بمعسكر انتقال الى فلسطين . .

وكان عامل الهجرة الى فلسطين سببا رئيسيا في انخفاض
عددهم الى ٦٢٩٥٣ نسمة في احصاء عام ١٩٣٧ . . ثم ارتفع الرقم
مرة أخرى الى ٦٥٦٣٩ نسمة في احصاء عام ١٩٤٧ .

ومن واقع الاحصائيات السابقة ، تلاحظ تركيز اليهود في
القاهرة والاسكندرية حيث عاش في كلتا المدينتين : ٨٥٪ من

مجموع اليهود عام ١٨٩٧ : ٩٠٪ في عام ١٩١٧ : ٩٧٪ في عام ١٩٤٧ وذلك بسبب تركيز المؤسسات الاقتصادية والتعليمية والصحية في المدينتين .

وبالإضافة الى المدن التي ذكرتها في جدول توزيع السكان لليهود، فقد كانت هناك بعض العائلات اليهودية التي استقرت في المحلة الكبرى ودمنهوز ودمياط وبنها والفيوم وبنى سنويف والمنيا والأقصر وأسوان .

وتركز التجار والحرفيون في المدن الكبرى ، ومارسوا نشاطهم في حرية كاملة ، وتوافرت أمامهم فرص واسعة شملت مختلف مجالات العمل الاقتصادي وساهمت طبيعة المجتمع المصري - كمجتمع برجوازي ناشئ - في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتميز هؤلاء المهاجرين اليهود بارتفاع مستوى التعليم والثقافة بينهم ، وتشجيع السلطات الحاكمة لهم أن تحكم عدة عائلات يهودية رأسمالية قبضتها على الاقتصاد المصري وتمويله وتطويره .

وعن تدفق الهجرة اليهودية - نتيجة للظروف الملائمة في مصر - وازدهار اليهود بها . . يقول المؤرخ الاسرائيلي « حاييم كوهين » :

« كان من الأسباب الرئيسية لتدفق اليهود الكبير على مصر ، ابتداء من ستينات القرن الماضي ، التطور الاقتصادي الذي شهدته البلاد ، والامتيازات التي منحت للأجانب بمقتضى قانون الامتيازات، فقد اجتذبت الامتيازات بعض يهود تركيا وسوريا ، حيث تدهور الوضع الاقتصادي ، كما اجتذبت ألوفاً من يهود شرق أوروبا الذين فروا من المذابح المتتالية ، وخلال الحرب الأولى جاء الى مصر ألوف من اليهود المطرودين من فلسطين فأقام بعضهم ونزح البعض الآخر

بعد اقامة قصيرة ، وبعد الحرب كفت الأحوال الاقتصادية في مصر
عن جذب المهاجرين بكثرة » .

ومع النمو الاقتصادي لمصر في غضون القرن التاسع عشر
وازدیاد معدلات الهجرة اليهودية ، زاد بالتالى اسهام هؤلاء المهاجرين
فى الاقتصاد المصرى ، ومع نهاية القرن المنصرم كانت لهم مساهمتهم
فى نظام المجتمع الاقتصادي الذى سمح فى البداية بالتوسع الزراعى
والتجارى ، ثم بالتوسع الصناعى .

ففى مجالات التوسع الزراعى ، ساهم كبار الرأسماليين اليهود
« الأباطرة » بإنشاء العديد من شركات استصلاح الأراضى التى تقوم
بامتلاك الأراضى واستغلالها والمضاربة فيها وسنعرض فى ايجاز
لنشاط البعض منهم :

* شركة « وادى كوم امبو » المساهمة لاستصلاح الأراضى وزراعة المحاصيل النقدية

وهى احدى الشركات الزراعية التى تكونت بأموال يهودية ،
وقد تأسست فى ١٤ أبريل عام ١٩٠٤ - بامتياز مدته ٩٩ عاما -
وبرأس مال مقداره ٣٠٠.٠٠٠ جنيه مصرى ، والذى نمت عدة مرات
حتى بلغ فى عام ١٩٥١ ١٢٠٠.٠٠٠ جنيه مصرى . وتأسست
الشركة بموجب العقد المبرم بين الحكومة المصرية وسير « أرنست
كاسل » واخوان سوارس وبمقتضى هذا العقد تملك الشركة
مساحة قدرها ٣٠.٠٠٠ فدان فى سهل كوم امبو كما نص العقد
على ضرورة التزام المساهمين بسداد مبلغ ٨٥٠٠ جنيه مصرى على
أقساط لمدة أربع سنوات ، كرسم تشغيل ومصاريف رى ، وقد
تزايدت ملكية هذه الشركة حتى بلغت نحو ٧٠ ألف فدان عام
١٩٥٢ .

وتشكل مجلس الادارة من « روبير رولو » رئيسا وعضوية
« يوسف أصلان قطاوى » ، « أرنست كاسل » ، « ليون سوارس »
« فيلكس سوارس » ، « روفائيل سوارس » ، « هنرى موصيرى » ،
« رالف هرارى » وتولى « رينيه قطاوى » منصب المدير العام .

واستصلحت الشركة بالفعل مساحة من الأراضى بلغت
٢١٠٠٠ فدان ، وبلغت المساحة المنزرعة ١٢٠٠٠ فدان ، ومهدت
نحو ٥٠ ك/م من الطرق الزراعية ، وشقت من المصارف والترع
نحو ٩١ ك/م ، ومدت من خطوط السكك الحديدية ٤٨ ك/م ٠٠٠٠
بالإضافة الى انشاء مساكن للفلاحين ومدرسة ومسجدا وكنيسة
ووسائل خدمات متنوعة ، وشمل العمران منطقة سهل كوم امبو ٠٠
واشتهرت الشركة بزراعة قصب السكر وتوريده الى مصانع شركة
السكر العمومية ، وقد بلغت المساحة المزروعة بقصب السكر ٥٣٥٠
فدان ، كما نشطت أيضا فى زراعة وتوريد المواد الخام الأخرى
كالقطن والعنب .

* شركة مساهمة البحيرة

تأسست أول يونيو عام ١٨٨١ برأسمال مقداره ٧٥٠٠٠٠
جنيه مصرى ، وبلغت جملة مساحة الأراضى التى تملكها الشركة
عام ١٩٠٧ ١٢٠٠٠ فدان ، قسمت الى خمسة تفتيش : كوم
الرحال ، القسطنطينية ، حلق الجمل ، الخوالد ، ظهر السمرة ،
وتقع جميعها فى مديرية البحيرة ، وكان معظم أعضاء مجلس ادارتها
من اليهود الانجليز والفرنسيين ، ورأس مجلس ادارتها فى عام
١٩٤٧ يونانى كان من أبرز رجال الأعمال فى مصر آنذاك هو
المستر « ميشيل سلفاجو » ومن أبرز مؤسسيها « جوزيف وآشيل
عاداه » و « رينيه اسماعلون » .

* شركة الأراضي الغربية العقارية

تأسست عام ١٩٠٥ وبلغ رأسمالها ٣٩٧٠٠٠ جنيه مصرى ، وقد بلغت جملة مساحة أراضيها فى عام ١٩٣٢ ٥٨٠٠ فدان ، تزايدت فى عام ١٩٤٨ حتى بلغت ٧٦٩١ فدان ، تركزت فى مناطق رأس الخليج وكفر الوسطانى ، كفر التربة الجديدة بمديرية الغربية ، وقد أولت الشركة زراعة القطن اهتماما خاصا ، وقامت بإنشاء سكة حديدية نخترق مزارعها ، وطورت مشاريع الري فى أملاكها ، كما أعادت بناء بعض القرى القديمة وكان من أبرز مؤسسيها « جوزيف عاداه » ، « هنرى موصيرى » ، « جويد ليفى » .

* شركة أراضي « الشيخ فضل » العقارية

أسست عائلة « قطاوى » هذه الشركة التى مارست نشاطها على مساحة من الأراضي بلغت ٨٨٥٠ فدان وبلغ رأسمالها عام ١٩٤٢ ٦٢٣٠٠٠ جنيه مصرى ، ورأس « يوسف قطاوى » مجلس إدارتها و (ابرامينو آشير) مديرا عاما وعضوية أصلان قطاوى ، ليون سوارس ، روبير موصيرى ، هنرى موصيرى ، همبرت موصيرى وسلمون نحىاس وبلغ رأسمال هذه الشركة ٢٣٠ ألف جنيه مصرى فى عام ١٩٤٢ .

أيضا فى هذا المجال هناك شركة (الاتحاد العقارى المصرى) التى أسهم فى تأسيسها وإدارتها يوسف أصلان قطاوى واميل عدس وعبد الله زلخسا ، وكانت ملكية الشركة حين تأسيسها ١٢٦٤٨ فدان ، كذلك أسس (موشيه عنتيبى) الشركة المساهمة الزراعية بالقطر المصرى ، ثم الشركة الزراعية بمصر التى أسهم فى تأسيسها وإدارتها أصلان قطاوى واميل عدس ، وبلغ رأسمالها

٢٥٠ ألف جنيه مصرى ، ومما لا شك فيه أن هذه الشركات قد مارست نشاطا ضخما وفعالا - لا ينتقص منه شكاوى فلاحين وعمال مصريين ازاء ظلم بعض هؤلاء المستثمرين اليهود - واللذين أفادوا من هذا النشاط الى أقصى درجة الا أنهم قدموا التجربة الناجحة والنموذج العلمى بمفاييس ذلك الوقت .

وتعد تجارة القطن من الأعمال التجارية الرائجة التى مارسها يهود مصر ، بدءا من زراعته وعمليات حلجه وكبسسه واستخراج الزيوت من بذوره وتسويقه عالميا من خلال البورصة وشركات التصدير ، ويشير التقرير السنوى للمندوب السامى البريطانى عام ١٩٠٥ الى ان نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة كانت بأيدي اليهود وأن أكثر من ٩٠٪ من سماسرة القطن فى البورصة كانوا من اليهود . ويجدر بالذكر ان تجارة القطن ومنتجاته كانت تشكل نحو ٨٨.٥٪ من تجارة مصر الخارجية حتى عام ١٩٥٢ ، وهذا يوضح بجلء مدى تحكم يهود مصر وبعض المستثمرين الأوربيين فى عصب الكيان المالى والاقتصادى المصرى ومثال لبعض الشركات التى أسستها عائلات يهودية فى هذا المجال نذكر :

* شركة التصديرات الشرقية

التي أسستها أسرة (عاده) فى عام ١٩٢٠ ، وهى أسرة ذات أصول فرنسية تمصر بعض من أفرادها فى الفترة ما بين ٢٩ - ١٩٤٥ ، وكانت تقوم بشراء القطن وفرزه ثم اعداؤه للتصدير ، وبلغ رأس مال هذه الشركة عام ١٩٥٠ ٦٠٠.٠٠٠ جنيه مصرى وصافى أرباح قدره ٢٠١.٦٢ جنيه مصرى .

* شركة خليج الوجه القبلى

التي أسسها وشارك فى إدارتها روبير وجاك دولو وارمان نخمان ، برأس مال قدره ٦٥٠.٠٠٠ جنيه مصرى .

* شركة مكابس الاسكندرية

التي أسستها عائلة (سيكوريل) وتشكل مجلس إدارتها من مورينو ودافيد وليون سيكوريل ، وأرمان نحمان وجوزيف دى فاردا .

* شركة الأقطان المتحدة بالاسكندرية

وهي إحدى الشركات الهامة التي احتكرت تصدير القطن المصرى ، وأسستها أسرة (تورييل) اليهودية الفرنسية ، وأدار شئونها : اندريه ورينيه وهنرى تورييل .

وبرزت أسماء : ايزاك ليفى وبنشيو تو وحبيب أريبول ويوسف سلامه ومارك حسان وابراهيم حسون ، الذين أنشأوا مصانع لحلج الأقطان ومعاصر زيوت من بذرة القطن فى مناطق متفرقة من دلتا النيل . وكان ادوارد عرجى مديرا لشركة فرغلى للأقطان والأعمال المالية التى تأسست فى سنة ١٩٤٦ ، كذلك كان مارسيل ميسىكا مديرا لشركة على يحيى باشا للأقطان . وكان اميل ليفى رئيسا لبورصة القاهرة عام ١٩٤٨ كما نجحت العائلات اليهودية الرأسمالية فى السيطرة على تجارة وتصدير القطن ، ونجحوا أيضا فى تأسيس بورصة القطن بالاسكندرية والسيطرة على إدارتها ، كما سيطروا كذلك على اتحاد مصدرى القطن المصرى .

والى جانب تجارة وتصدير الأقطان ، فقد نشطوا أيضا فى مجالات تصنيعه وتحويله الى منسوجات وملابس جاهزة - وفرت لهم مزيدا من الأرباح الطائلة - فأسسوا عددا من الشركات والمعارض والمحال الضخمة التى أحكمت قبضتها فى تلك التجارة منها :

★ شركة محلات (شمال) الكبرى لتجارة الملابس :

تأسست في عام ١٩٠٧ كفرع لمحلات أسرة شمال بمدينة باريس وشارك كليمان شمال مع أخويه دافيد وفيكتور في إقامة المؤسسة الخاصة التي تحولت الى شركة مساهمة في سنة ١٩٤٦ برأس مال قدره ٤٠٠.٠٠٠ جنيه مصرى ، ثم أدخلت في نشاطها تجارة الأثاث والديكور والمستلزمات المنزلية الحديثة الى جانب تجارة المنسوجات .

★ شركة المحلات الصناعية للحزير والقطن

التي أسستها أسرة (منشه) وشارك في إدارتها البير منشه وموريس منشه ومراد يهودا منشه وليون مزراحى ، وبلغ رأسمالها ٣٠٠.٠٠٠ جنيه مصرى .

★ شركة النسيج والحياكة المصرية

شارك في تأسيسها عدد من العائلات اليهودية (قطاوى) ، (موصيرى) ، (عدس) برأس مال مقداره ٧٥٠.٠٠٠ جنيه مصرى ، وصافى أرباحها ٦٠.٠٠٠ جنيه ، وضم مجلس إدارتها أصلان قطاوى ، سيمون رولو ، موريس موصيرى ، كليمان عدس وأميل وجاستون نسيم عدس ، ورالف هرارى عضوا منتدبا .

★ شركة محلات الملكة الصغيرة

تأسست بالقاهرة عام ١٩٢٩ ، بغرض تصريف منتجات شركة مساهمة فرنسية مركزها مدينة ليون بفرنسا ، وكانت لها فروع في باريس وبعض المدن الأوربية ، وبلغ رأس مال هذه المحلات في سنة ١٩٤٨ ٣٠٠.٠٠٠ جنيه مصرى ، وحقت في نفس السنة أرباحا بلغت ٢٤٦.٩٥ جنيه وتركز نشاطها في منتجات الحرير

والأصواف والملابس الجاهزة ، وقد قام بتأسيسها وإدارتها عدد من اليهود الذين ينتمون إلى أصول فرنسية ، ورأس مجلس إدارتها فيكتور كوهين وعضوية ريمون كوهين وهارون كوهين وماكس مزراحى ، واستحق مزراحى عضوا منتدبا وكان لهذه المحلات فروعاً أخرى في الاسكندرية وبورسعيد .

★ شركة محلات (سيكوريل)

أسستها عائلة (سيكوريل) في سنة ١٨٨٧ ، وهي من العائلات اليهودية التي وفدت إلى مصر في النصف الثاني من القرن الماضي ، وعميد هذه العائلة هو (مورينو سيكوريل) الذي ولد في مدينة أزمير بتركيا ، وهاجر إلى مصر نحو عام ١٨٧٠ ، حيث استقر بها ومارس نشاطا واسعا في تجارة وتصدير القطن ، حتى أسس مؤسسة خاصة لتسويق القطن في سنة ١٩١٥ ، وأصبح عضوا في مجلس إدارة جمعية المصدرين وبورصة ميناء البصل ، ورئيسا شرفيا لطائفة اليهود الشرقيين بالاسكندرية .

ثم برز اسم ابنه (سلفاتور سيكوريل) الذي ولد بالقاهرة عام ١٨٩٤ ، والذي تولى رئاسة مجلس إدارة محلات سيكوريل ، وفي عام ١٩٢٥ أصبح عضوا بمجلس الغرفة التجارية المصرية ، وقد مارست هذه الشركة أعمالها في تجارة المنسوجات والملابس الجاهزة والخردوات والأحذية والقبعات والأدوات المنزلية والأثاثات ، وبلغ رأسمالها في عام ١٩٤٩ ٥٠٠.٠٠٠ جنيه مصرى وصافى أرباحها ٢١٣.٥٩٠ جنيه مصرى ، واستخدمت هذه الشركة في تصريف أعمالها ٤٨٥ أجنبيا ، معظمهم كان حاصلًا على شهادات فرنسية ، إلى جانب ١٤٢ مصرى على قدر من الإلمام باللغة الفرنسية ، وقد كان العمل في هذه المحلات خاضعا لنظام منحكم دقيق في إطار التخصص والخبرة ، فحازت شهرة عريضة جعلتها تتبوأ الصدارة في السيطرة

على السوق المالى والتجارى فى مصر ، كما أسس أيضا سلفاتور
سيكوريل (شركة محلات أوركو) ورأس مجلس إدارتها .

★ شركة الملابس والمهمات المصرية

التي أسسها مورييس ليبوفيتش مع مجموعة من اليهود
الاطاليين ، وقد اعتمدت هذه الشركة فى تجارتها على ورش خاصة
تملكها لتجهيز الملابس والمنسوجات ، وافتتحت ثلاث محال تابعة لها
اثنان باسم (كرنفال دى فينيس) بشوارع قصر النيل ، والثالث
بشوارع سعد زغلول بالاسكندرية ، واعتمدت هذه الشركة فى
إدارتها وتشغيلها لمجالها على العنصر الأجنبى فقط ، وكانت نموذجا
رفيما للمحلات الارستقراطية ، وقد تطورت أعمال هذه الشركة
فتعاقدت مع الحكومة المصرية لإعداد الملابس الرسمية ، خاصة
لرجال وزارة الحربية ، والبحرية والشرطة .

هناك أيضا فى هذا المجال - على سبيل المثال - شركة
(موبيليات بونتريمولى) التي أسسها وأدارها « هارون وفيكتور
كوهين » ، شركة المنسوجات المصرية (ماتكسا) التي شارك فى
تأسيسها وإدارتها : ماكس رولو ، وارمان موستاكى ، وجوستاف
أجيون ، وايبلى جاتينو ، الشركة الصناعية لخياط الغزل
والمنسوجات ، وتولى إدارتها جاك أصلان ليفى عضوا منتدبا ، أيضا
شركة (صباغى البيضاء) التي أسستها عائلة سموحه وتولى إدارتها
جوزيف سموحه ، وشركة (كونتننتال) للأقطان التي شارك فى
تأسيسها وإدارتها مورييس ساسون وروبير رولو . . وشركة محلات
(شملا) الكبرى لتجارة الملابس التي أسسها الأشقاء كليمان
ودافيد وفيكتور شملا وتولى كليمان رئاسة مجلس الإدارة ، وهو من
مواليد تونس عام ١٨٧٤ ، وقدم الى مصر عام ١٩٠٧ وشركة محلات
(جاتينيو) التي أسسها ورأس مجلس إدارتها - مورييس جاتينيو -

الذى احتكر تجارة الفحم ومستلزمات السبك الحديدية ، وشارك فى تأسيس عدد من المستشفيات والملاجئ والجمعيات اليهودية ، وكان له دور بارز فى خلع الحركة الصهيونية فى مصر ومساعدة المهاجرين اليهود خلال الحرب العالمية الاولى . . . بالإضافة الى اسهام أسرة (عدس) فى تأسيس عدد من المحلات التى حازت شهرة عريضة الى يومنا هذا مثل (بنزا يون) ، (عدس) ، (ريفولى) (هالو) و (عمر أفندى - أروز دى باك) كما أسهمت فيها أيضا بعض العائلات اليهودية مثل رولو ، وجاتينيو . . . ويجدر بالذكر أن حتى (الحمزاوى) بالقاهرة كان مركزا لتجارة الجملة ، ولذا فقد ضم أكبر تجمع لكبار تجار اليهود ويجدر بالذكر أيضا أن عدد من كبار الرأسماليين اليهود ، قد احتكروا منتجات بعض الشركات المصرية الخالصة ، مثل شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى ، وسيطروا على تجارتها ، خاصة فترة الحرب العالمية الثانية ، والتى حققوا فيها أرباحا طائلة ! وبالرغم مما يؤخذ على هذه الشركات والمحلات ، تعدد وسائلها فى تكثيف اعتمادها على العناصر الأجنبية - بحجة افتقار المصريين الى الخبرة الكافية والامام باللغات الأوربية وفنون التعامل - الا أنها امتازت بالتنوع والدقة فى الأداء والخبرة فى الممارسة والمعاملة ، والدراية الواعية بأحوال السوق . . . الى جانب مساهمة هذه المحال فى تقديم ألوان مختلفة ومتطورة من فنون الأزياء والأثاث والأدوات المنزلية تمثل صورا من حضارة المجتمع الأوروبى .

أيضا نشط يهود مصر فى مجال الصناعات الغذائية وتطويرها - وهى من أقدم الصناعات فى مصر - أهمها صناعة السكر التى تبوأ مكانة بارزة فى الاقتصاد القومى ، فكان أن أسس بعض الرأسماليين اليهود : (شركة عموم مصانع السكر والتكرير المصرية) ووقعت الحكومة المصرية عقد انشاءها فى سنة ١٨٩٣ على

أن تنقضى ٩٥٪ من أرباح الشركة ثم تزايدت النسبة بعد ذلك مع زيادة رأس المال من ٣ مليون فرنك في مرسوم التأسيس إلى ٣٢ مليون فرنك في سنة ١٩٠٤ ، ونمت أعمال هذه الشركة حتى أصبحت في سنة ١٩٥٠ تمتلك عدة معاصر بالوجه القبلى فى الشيخ فضل وأبى قرقاص ونجع حمادى وأرمنت وكرم امبو ومصنعاً لتكرير السكر فى الحوامدية ينتج فى المتوسط ٧٠٠ ألف كيلو جرام يوميا ، مع إمكانية زيادة هذا المعدل اليومى من الإنتاج ليصل إلى المليون كيلو جرام ، كما أقامت الشركة مخزناً عاماً لتوزيع السكر المكرر فى حى بولاق بالقاهرة ، وكان « فيكتور هرارى » رئيساً لمجلس الإدارة وشارك فى إدارتها : رينيه قطاوى ورافى هرارى ، وليون وفيلكس سوارس .

كذلك أسهم يهود مصر فى تأسيس بعض مطاحن الغلال ومضارب الأرز منها : شركة مطاحن المحمودية (ساكس) التى أسستها عائلة سناكس فى سنة ١٩٣٩ ، برأس مال قدره ١٠ آلاف جنيه مصرى وصل إلى ٧٠ ألف جنيه مصرى عام ١٩٤٨ ورأس مجلس إدارتها دافيد ساكس . كما أسست أسرة كوهين (إدوارد وجيمس كوهين) شركة صناعة الطحن بالإسكندرية ، برأس مال قدره ١٠ آلاف جنيه مصرى فى سنة ١٩٣٤ ، اشتهرت بصناعة المكرونة ، وبلغ صافى أرباحها فى عام ١٩٥١ : ١٢٧٥٢ ألف جنيه مصرى .

كما أسس سلفاتور سلامة ، ورافائيل نحمان (شركة مضارب الأرز المصرية) فى سنة ١٩٤٧ بإسهام - صورى - لبعض المصريين ، وقد بلغ رأس مال هذه الشركة فى سنة ١٩٤٩ م ١٢٨ ألف جنيه مصرى . والمصنع الرئيسى بالإسكندرية ، بالإضافة إلى عدة فروع فى مدن رشيد ودمهور والمنصورة وكانت تنتج فى المتوسط ٢٥٠ طن أرز يوميا .

وفي مجال استخراج ملح الطعام وتجهيزه للاستهلاك المحلي ، شاركت أسرة « قطاوى » فى تأسيس (شركة الملح والصودا المصرية) التى منحتها الحكومة المصرية حق ادارة الملاحات الحكومية اعتبارا من عام ١٩٠٦ ، فقامت باستغلال ملاحات المكس ووادى النطرون ، وأنشأت عدة مصانع فى منطقة القبارى ومحرم بك بالاسكندرية ، وكهر الزيات لاستخراج الزيوت من بذرة القطن وتصنيع الكسب والصابون والشحوم الغذائية . . . وكان « أصلان قطاوى » عضوا بارزا بمجلس ادارتها .

أيضا فى نفس هذا المجال ، أسس أصلان قطاوى بالاشتراك مع بعض المستثمرين الانجليز (شركة الملح المتحدة المصرية ليمتد) فى سنة ١٩٠٧ ، كما شارك أيضا فى ادارتها ، وقد نجحت هاتان الشركتان فى تغطية الاستهلاك المحلى ، وفى انتاج بعض المواد الأولية اللازمة لصناعة الصابون - التى تستورد من الخارج - ونتاج أنواع جديدة من المواد الدهنية والأحماض المشتقة منها .

كذلك ساهم « أصلان قطاوى » فى تأسيس وإدارة : (شركة تسطور جالكليس للسجائر) عام ١٩٣٤ ، وقد بلغ رأس مال هذه الشركة ٩٠ ألف جنيه مصرى ، وحقت أرباحا تجاوزت ٢٧ ألف جنيه وفى نفس ذلك العام ١٩٣٤ شارك (أصلان قطاوى) فى تأسيس وإدارة فرع لشركة (الصناعات الكيماوية الامبراطورية الانجليزية) فى القاهرة ، وقد مارست هذه الشركة نشاطا موسعا فى انتاج المستحضرات الطبية والبيطرية وصناعة التبريد والأحماض والمبيدات الحشرية بالإضافة الى الغاز السائل لتنقية المياه ، والروائح العطرية ، كما أسست الشركة معملا للأبحاث العلمية سنة ١٩٥٠ ، وقد نجحت الشركة فى تغطية حاجة السوق المحلية ابان الحرب العالمية الثانية - بعد انقطاع الواردات من العقاقير

الطبية والمواد الكيماوية . كما كان أصلا قطاوى عضوا بمجلس
ادارة (الشركة المالية والصناعية المصرية لانتاج الأحماض الكيماوية)
التي أسهم في رأسمالها البالغ ١٨٠ ألف جنيه .

وفي مجال الصناعات القائمة على الأسمنت ، فقد كان مصنع
(سيجوارت) للمواسير والأعمدة والمصنوعات من الأسمنت المسلح -
أهم وأنشط المصانع العاملة في هذا المجال أنشئ بالمعصرة جنوب
القاهرة في سنة ١٩٣١ ، وشارك في تأسيسه : موريس نسيم
موصيرى الذى تولى رئاسة مجلس الادارة ورالف هرارى ، وفيتا
ابراهيم ، وفيكتور حنان ، وبلغ رأس مال هذا المصنع ٣٠٠ ألف جنيه
مصرى ، ويقوم بانتاج مواسير الأسمنت المسلح وغير المسلح وأعمدة
من الأسمنت المضغوط وألواح من الأسبتوس والأسمنت مضلعة
ومسطحة وبعض أنواع من الطوب الحرارى .

وقد أسهمت منتجات هذا المصنع فى انجاز كثير من المشروعات
الهامة ، منها على سبيل المثال انارة ميناء الاسكندرية وتوريد
المواسير الضخمة لقناطر محمد على ، واقامة أعمدة الأسلاك التليفونية
من الأسمنت المسلح ، وانشاء طريق خرساني لمجارى مدينة
الاسكندرية كذلك كان لها اسهامها فى حل أزمة المساكن اثر
الزيادة المطردة فى عدد سكان المدن .

هناك أيضا مصنع (الطوب الأبيض الرملى) بالعباسية ،
وكان له فرع بحى البساتين وقد بلغ رأس مال هذا المصنع نحو
١٠٠ ألف جنيه مصرى فى عام ١٩٥٠ ، وساهم فى تأسيسه وادارته
« جاكو دى كومب » مع بعض اليهود الفرنسيين والسويسريين
وكانت القدرة الانتاجية للمصنع ٨٠ ألف طوبة يوميا - تغطى
الاستهلاك المحلى - وبجانب صناعة الطوب ، أنتج المصنع أيضا

البلاط والمواسير والأحجار الصناعية ، وكانت عمليات الانتاج تدار بأحدث الآلات الميكانيكية الكهربائية ، كما كان جانب من هذا الانتاج يصدر الى البلاد العربية .

كذلك أسهم جاكو دى كومب فى تأسيس وإدارة (شركة توريد الكهرباء والثلج) التى بلغ رأسمالها ٦٨ ألف جنيه مصرى ، وكان سمحا امباخ مديرا عاما لها .

وأسس جوزيف وبنفتو كامبوس ، ورافائيل نحمدان ، واندريه شماع ، وافنيهام هوروفيتش (الشركة العمومية للكهرباء والميكانيكا) وشكل هؤلاء مجلس إدارتها .

وأسست أسرة « موصيرى » شركة (مصانع النحاس المصرية) برأس مال قدره ٥٤ ألف جنيه ، وشارك فى إدارتها فيلكس نسيم موصيرى وهنرى موصيرى ، وسيجموند هيرش .

كما أسست عائلة « دره » الشركة (المصرية لصناعة الخردوات) التى بلغ رأسمالها ١٠٠ ألف جنيه مصرى ، واشترك فى إدارتها جاك دره وحاييم دره ، زكى دره . أيضا أسهم حاييم دره فى تأسيس وإدارة (شركة مصر للمستحضرات الطبية) وأسس روبير وادوارد شندلر (مؤسسة شندلر للطباعة) فى عام ١٩٢٩ التى كانت أول من أدخل طباعة الجرافيك فى مصر .

وشاركت أسرتا « قطاوى » و « موصيرى » فى تأسيس الشركة (المساهمة للمحاريث والهندسة) التى بلغ رأسمالها ١٠٠ ألف جنيه . وتشكل مجلس إدارتها من أصلان قطاوى رئيسا ، وريديه قطاوى ، وهنرى موصيرى ، وفيلكس موصيرى ، وموريس كورييل أعضاء .

كما أسهمت أسرة «موصيرى» فى تأسيس شركة (فنادق مصر الكبرى) التى بلغ رأسمالها ١٤٥ ألف جنيه مصرى ، وشارك فى ادارتها موديس نسيم موصيرى ، وجوستاف أجيون ، وقد أدارت هذه الشركة عدة فنادق هى الكونتنتال ومينسا هاوس وسافوى وسان سنيفانو وفندق توفيق بحلوان . وشارك فيليكس موصيرى فى تأسيس وإدارة (شركة الفنادق المصرية) التى بلغ رأسمالها ٣٦٥ ألف جنيه مصرى ، كما أسهم رينيه قطاوى فى تأسيس ورئاسة شركة فنادق الوجه القبلى .

كذلك أسهم «أوفاديا سالم» فى تأسيس وإدارة العديد من الشركات منها (شركة التسليقات التجارية) التى بلغ رأسمالها ٣٥٠ ألف جنيه مصرى والشركة المساهمة لمخازن الأدوية المصرية ورأسمالها ٥٠ ألف جنيه مصرى و (شركة التوريد والتصدير السودانية) وكان رأسمالها ٣٠ ألف جنيه مصرى وحقت أرباحا قدرها ٧٠ ألف جنيه . ورأس مجلس إدارة هذه الشركة «الفريد كوهين» .

وأسهمت أسرة «عاداه» فى تأسيس (الشركة المصرية للاضاءة بأشعة النيون) برأسمال قدره ٦ آلاف جنيه ، ورأس مجلس ادارتها شارل عاداه كما ساهم «جوزيف عاداه» فى تأسيس وإدارة شركة (كاربا) المساهمة المصرية والتى بلغ رأسمالها ١٧ ألف جنيه كما أسست أسرة عاداه (شركة العقارات الشرقية المساهمة) التى تولى فيكتور عاداه رئاسة مجلس ادارتها ، وشارك فى عضوية المجلس جوزيف عاداه وفرنان عاداه وكان رأسمالها ٢٥ ألف جنيه مصرى ، وأسهمت أيضا فى تأسيس وإدارة (شركة الأشغال والمباني المصرية) فكان فيكتور عاداه وجوزيف عاداه عضوين فى مجلس الإدارة .

وأسس دافيد وهارى « شافرمان » عام ١٩١٩ ، مؤسسة
احتكرت تجارة الأدوات الكهربائية والبطاريات ومنتجات البلاستيك ،
ثم أقاما فى عام ١٩٣٠ مصانع لانتاجها محليا وتصديرها الى بعض
البلاد العربية .

وأسس « سالمون ماكيتز » مصانع نارددين للمطاط والكاوتشوك ،
واحتكر « ايزاك ناكامولى » تجارة الورق فى مصر ، كما كان من
كبار ملاك الاراضى وعضوا بمجالس ادارات بعض الشركات .

وفى مجال استغلال اراضى البناء وتقسيمها وبيعها ، قامت
أسرة « علس » بتأسيس (الشركة المصرية للأراضى والبناء) وتشكل
مجلس ادارتها من ايلى علس ، اميل علس ، كليمان علس ، جاستون
علس ، وبلغ رأسمالها ٧٠ ألف جنيه مصرى .

كما أسس روبرت رولو وشارك فى ادارة (الشركة المصرية
الجديدة) التى بلغ رأسمالها ٣٥٠ ألف جنيه مصرى .

وأسست أسرة « قطاوى » شركة (أسواق الخضر المركزية
المصرية المساهمة) وبلغ رأسمالها ٨٠ ألف جنيه مصرى وتولى
يوسف قطاوى رئاسة مجلس الادارة وبعده وفاته فى عام ١٩٤٣ ،
خلفه ابنه رينية قطاوى وشارك فى عضوية المجلس اصلاان قطاوى ،
جويدر قطاوى ، شارل عاداه وابراهيمو آشير .

وأسهم « موريس كورييل » فى تأسيس (الشركة المساهمة
المصرية المالية والعقارية) عام ١٩٣٤ وتولى رئاسة مجلس ادارتها
وبلغ رأسمالها ٧٥ ألف جنيه مصرى ، وتشكل مجلس الادارة من
ماكس اجيون ، هنرى موصيرى ، رالف هرارى وفيتسا ابراهام
فرحات .

كذلك أسس مجموعة من المستثمرين اليهود (شركة أراضى
الدقهلية) برأسمال ٨٠ ألف جنيه مصرى ، تولى مورييس جربوعه
رئاسة مجلس الإدارة وسأهم فى عضويته رينيه اسسمالوم
وأسحق مزراحى .

ثم الشركة العقارية لحي محطة مصر ، التى كان ايزاك ليفى
رئيسا لمجلس إدارتها وشارك فى عضويته جيمى ليفى وايزاك ياتير .

كذلك أسست أسرة « عاداه » فى هذا المجال (شركة العقارات
الشرقية المساهمة) برأس مال مقداره ٢٥ ألف جنيه مصرى ، وكان
فيكتور عاداه رئيسا لمجلس إدارتها ، وشارك فى عضويته جوزيف
عاداه وفرنان عاداه كما شارك فيكتور عاداه وجوزيف عاداه فى
تأسيس وإدارة (شركة الأشغال والمباني المصرية) .

أيضا تأسست (الشركة العقارية العمومية بمصر) برأس مال
قدره ٢٥٠ ألف جنيه مصرى واشترك فى إدارتها روبر رولو ،
وموريس نسيم موصيرى ، وأميل عدس ، ورالف هرارى .

وسأهم جوزيف عاداه وجويد ليفى ومورييس دباح فى
تأسيس وإدارة (شركة المباحث والأعمال المصرية) التى بلغ
رأسمالها نحو ١٤٠ ألف جنيه .

كذلك سأهم جوستاف اجيون وارمان موستاكى فى تأسيس
وإدارة (شركة مشروعات الأراضى والبناء) التى بلغ رأسمالها
٩٧ ألف جنيه مصرى .

وكانت ليهود مصر السيطرة فى مجال حيوى خطير هو تجارة
البتروول ومشتقاته ، وقد أسهم ايلى أميل عدس فى تأسيس وإدارة

(شركة البترول المصرية) ، التي بلغ رأسمالها ٧٥ ألف جنيه مصري وكان جاكو دي كومب عضوا بمجلس إدارتها . . وهذه الشركة كانت تعرف باسم (شركة الغاز المصرية) عندما أسسها « فيتوريو جيانوتي » عام ١٩٣٠ ثم تحولت إلى شركة مساهمة مصرية عام ١٩٣٢ ساهم فيها جيانوتي وحده بمبلغ ٣٩ ألف جنيه مصري ، وقد اجتذبت هذه الشركة اهتمام - شركة الألمونيوم الفرنسية العالمية - وبعد مفاوضات أسهمت في رأس مال الشركة المصرية وأصبحت تمتلك ٥٥٪ من قيمة الأسهم ، ومع تزايد نشاط تجارة البترول ، عملت شركة الغاز المصرية على تأسيس (شركة الغاز الأهلية) وساهمت بنسبة ٩٧٪ من رأس المال ، وكانت الإدارة والإشراف التنفيذي لليهود ، في هاتين الشركتين وصادف نشاطهما رواجاً كبيراً ، وافتتحت شركة الغاز الأهلية عدة فروع لها بالدول العربية ، وأنشئ فرع للشركة في فلسطين عام ١٩٣٢ ، ومحطات لتوزيع البنزين في حيفا وعكا وطبريا ، وبعد حرب ١٩٤٨ توقفت العلاقة المباشرة بين الشركة وفروعها بفلسطين وتولت شركة الألمونيوم الفرنسية مباشرة فرع الشركة بفلسطين - باعتبارها تمتلك غالبية أسهم الشركات المصرية ، بل إنها عقدت اتفاقاً بموجبه تسلمت إسرائيل موجودات فرع الشركة المصرية وإدارته ! وفي مجالات التأمين أسس بعض المستثمرين اليهود عدة شركات للتأمين منها (شركة الاسكندرية للتأمين) والتي بلغ رأسمالها ٣٦٠ ألف جنيه مصري ، وشارك في تأسيسها وعضوية مجلس إدارتها روبير رولو ، أميل عدس ، البير مزراحى وادوين جوهر وجوستاف اجيون .

كما شارك روبير رولو وموريس نسيم موصيرى وأصلان قطاوى في تأسيس وإدارة (شركة التأمين الأهلية المصرية) البالغ إجمالي رأسمالها ٣٠٠ ألف جنيه مصري ، وكان روبير بلوم مديراً عاماً لها .

أيضا تأسست (شركة الاسكندرية للتأمين على الحياض)
برأس مال قدره ٧٥ ألف جنيه مصرى ، وشارك فى مجلس إدارتها
روبير رولو وادوين جوهر .

وفى مجالات النقل البرى ، والبحرى ، أسهم يهود مصر فى
تأسيس وإدارة العديد من الشركات فشاركت أسرة « موصيرى »
فى تأسيس وتوجيه (شركة ترام الاسكندرية البلجيكية) ثم شركة
ترام الرمل الانجليزية اللتين حققتا نجاحا كبيرا وأرباحا وفيرة فى
الفترة من عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٥٢ وكذلك (شركة ترام القاهرة
البلجيكية) . وكان كل من موريس نسيم موصيرى ، وهنرى
موصيرى ، وجويد موصيرى أعضاء فى مجالس إدارات هذه
الشركات . كذلك أسهمت أسرة « موصيرى » فى تأسيس وإدارة
(شركة سسكك حديد الفيوم) والتي بلغ رأسمالها ٩٥ ألف
جنيه مصرى .

وأسست أسرة « سوارس » شركة أمنيبوس القاهرة فى
عام ١٩٠٦ ، ثم انضمت هذه الشركة مع (شركة الأمنيبوس
العمومية) عام ١٩٣٣ التى أسهم روبر رولو فى تأسيسها
وإدارتها .

أيضا ساهم بعض المستثمرين اليهود فى إدارة شركتى
لومبارد ودى مارتينو حتى عام ١٩٣٦ بانتهاء تراخيصهما ، ثم شركة
سيشليا ، وشركة رويال وكانت شركة ترام الرمل الانجليزية قد
تقدمت بتأسيس (شركة الاسكندرية للنقل بالأتوبيس) فى
عام ١٩٣٨ م .

وأسهم جاكو دى كومب فى تأسيس وإدارة (الشركة المصرية
لنقل بالسيارات) فى عام ١٩٢٥ ، وقد اقتصر نشاط هذه الشركة

على نقل البضائع فقط ، خاصة القطن والغلّال ، وقد تأثرت أعمال الشركة كثيرا فى سنة ١٩٣١ بسبب الأزمة الاقتصادية ، الا أنها صادفت رواجاً وأرباحاً هائلة عندما كلفتها - لجنة شراء القطن البريطانية - فى سنة ١٩٣٩ بنقل كميات ضخمة من القطن وبذوره .

وفى عام ١٩٣٥ أسست شركة سكك حديد الدلتا الانجليزية التى سيطر اليهود على أعمالها الادارية والتنفيذية (شركة السيارات المتحدة المساهمة) و (شركة أتوبيس البحيرة والغربية) للربط بين مديريات الوجه البحرى .

كما ساهمت أسرتا « قطاوى » و « رولو » فى ادارة (شركة وابورات البوستة الخديوية) وكانت تسمى فى عهد الخديو سعيد (الشركة المجيدة) ثم تغير اسمها الى (الشركة العزيزية) فى عهد الخديو اسماعيل ، وتحولت الى مصلحة حكومية عام ١٨٧٣ وعرفت باسم (شركة البوستة الخديوية) غير أن الحكومة المصرية قد باعته بأكمل ادارتها وورشها وسفنها الى عدد من الشركاء اليهود ، وكان أبرز أعضاء مجلس الادارة أصلاً قطاوى وروبير رولو .

كذلك أسهم جويد وليفى فى تأسيس وإدارة (شركة الملاحة بالمنزلة) التى بلغ رأسمالها ٢٦ ألف جنيه مصرى .

البنوك والشركات المالية اليهودية

كانت أعمال الصيرفة والربا أهم المجالات التى أشتغل بها اليهود ، وبرز عدد من المرابين بصورة ملحوظة فى عهد الخديو اسماعيل ، حيث أداروا بنوك الرهونات والتسليف وأسهموا فى تأسيس بنوك وشركات ائتمان تتولى عمليات الخصم والعمولة

وتقديم القروض ويشير المؤرخ الفرنسى « جابريل شام » الذى عاصر ذلك العهد (أن السماسرة اليهود كانوا يدفعون الخديو اسماعيل الى عقد القروض المتتالية من بيوت المال اليهودية الأوربية) .

ويعد تاريخ البنوك ونشأتها فى مصر هو ذاته تاريخ ونشأة البنوك التى أسستها العائلات اليهودية - بعد أن استقر بهم المقام فى مصر - وتملكوا الثروات العريضة ، فكان لهذه البنوك دورها الخطير فى تمويل الحكومة ، وفى استثمار الأموال الأجنبية فى مصر .

والبنوك هى أحد النظم المصرفية التى عرفتها أوربا منذ القرن السابع عشر ، ومهد لها قبل نشأتها - صيارفة - فى استبدال العملات الأجنبية وقبول الودائع من المعادين والعملات . ولم يقيض لمصر أن تعرف أنظمة البنوك إلا بعد قرنين ونصف القرن من الزمان منذ تأسيسها فى أوربا ، والتى سارت فيها شوطا طويلا فى الممارسة والخبرة والدراسة .

وقد تميزت فئة الممولين من الرأسماليين اليهود ، بدرجة عالية من الكفاءة والعقلية المالية المنظمة والخبرة ، وأسهمت هذه العائلات اليهودية - بتعاونها فيما بينها - فى تنفيذ العمليات المالية الضخمة التى تعجز موارد أى منها عن مواجهتها منفردة ، ومن أبرز العائلات اليهودية فى هذا المضمار « قطاوى » ، « موصيرى » ، « سوارس » ، « منشه » « رولو » ، « سرسقه » . . . فأسهمت هذه العائلات فى انشاء وإدارة وتوجيه البنوك والشركات المالية والائتمانية ، التى كانت تتولى مختلف المعاملات المالية ، والاتجار فى العقارات والأراضى الزراعية وامتلاكها وإستغلالها وتمويل المشروعات الصناعية والزراعية حتى تغين النشاط العام ليهود مصر .

مع اعلان قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ ، وتهريب معظم رؤوس الأموال الى الخارج ، مما حتم صدور قانون تمصير البنوك الأجنبية في مصر في ١٥ يناير عام ١٩٥٧ ، ومن أبرز هذه البنوك :

★ البنك العقاري المصري

أسهمت ثلاثة عائلات يهودية هي قطاوى وسوارس ورولو في تأسيس وإدارة هذا البنك في أول يناير سنة ١٨٨٠ كما أسهم في تأسيسه وتوجيهه بنك (الكريدى ليونيه) الفرنسى العالمى - وهو البنك الرئيسى لصندوق الدين فى مصر - وقد بلغ رأس مال البنك العقاري المصرى عند تأسيسه ٤٠ مليون فرنك فرنسى ، ووصل الى ٨ مليون جنيه مصرى فى سنة ١٩٤٢. وبلغت أرباحه نحو مليون جنيه فى تلك السنة ، وقد لعب هذا البنك - بصفة خاصة - دورا خطيرا فى الاقتصاد الزراعى المصرى منذ انشائه ، فنتيجة للقروض التى قدمها للملاك الزراعيين المصريين ، التى بلغت ١٤٦٥٣ قرضا قيمتها ٥٢ مليون جنيه مصرى منذ انشائه وحتى عام ١٩١٠ فقط ، أن أصبح يتحكم فى أكثر من مليون فدان وكان روبرت رولو نائبا لرئيس مجلس الادارة وموجها للسياسة المالية للبنك ، ومنحته الحكومة البريطانية لقب « سير » تقديرا لجهوده فى خدمة مصالحها فى مصر .

★ البنك الأهلى المصرى

وهو أكبر وأنشط البنوك الأجنبية بشكل عام ، ولعب دورا هاما فى تاريخ مصر الاقتصادى والمالى منذ تأسيسه فى ٢٥ يونيو ١٨٩٨ وقد بلغ رأسماله ٣ مليون جنيه أنجليزى ، ومثل هذا المبلغ فى الاحتياطى ، وقد تحول الى بنك مركزى عام ١٩٥١ وزاول نشاطه فى مختلف الأعمال التجارية ، كما تولى - بمقتضى الامتياز

الممنوح له - إصدار أوراق البنكنوت المستحقة الدفع لحاملها وكان صاحب امتياز تأسيس هذا البنك هو « روفائيل سوارس » . . .
بالاشتراك مع أرنست كاسل وميشيل سلفاجو وقد أسهمت عائلات « سوارس » ، « هرارى » و « رولو » في تمويل وإدارة هذا البنك ، وكان أبرز أعضاء مجلس إدارته روبر رولو وفكتور هرارى .

★ البنك التجارى المصرى

وكان يعرف عند تأسيسه فى سنة ١٩٠٥ باسم (بنك التسليف الفرنسى) ثم تحول الى شركة مساهمة مصرية باسم البنك التجارى المصرى فى سنة ١٩٢٠ وأسهم فى تأسيسه وإدارته أسرتى « سوارس » و « قطاوى » وقد واكب تأسيسه ظروف اقتصادية سيئة أثرت كثيرا على أعماله فى تجارة القطن خاصة ، مما اضطره الى تخفيض رأس ماله فى سنة ١٩٢٣ من ٣٠٠ ألف جنيه استرلينى الى ١٥٠ ألف جنيه استرلينى ، واستمر تأثره بحالات الركود والازمات الاقتصادية فى الثلاثينيات ، ولكن ما لبث ان توسع فى نشاطه ابتداء من عام ١٩٤٤ وزيادة رأس ماله من ١١٠ ألف جنيه استرلينى الى ٤٠٠ ألف جنيه استرلينى الى مليون ومائتى ألف جنيه استرلينى فى عام ١٩٤٦ ، وكان من أبرز أعضاء مجلس إدارته جاك سوارس وجوزيف قطاوى .

★ بنك موصيرى

وهو من أقدم البنوك الايطالية فى مصر ، أسسته أسرة « موصيرى » وبأسهام أيضا من أسرة « كوريل » فى عام ١٨٨٠ ، وقد ظل حتى سنة ١٩٣٥ شركة تضامن ثم تحول الى شركة مساهمة مصرية برأس مال قدره ١٠٠ ألف جنيه مصرى الى أن وصل الى ٢٥٠ ألف جنيه مصرى فى سنة ١٩٤٢ ، واستثمر البنك أمواله فى

مختلف الأعمال التجارية ، وامتلاك السندات المالية والعقارات ومنح القروض ، ومثلما سيطر اليهود ذوى الأصول الإيطالية على رأس المال لهذا البنك فقد سيطروا أيضا على ادارته ومختلف الوظائف الرئيسية وتولى ايلي كورييل رئاسة مجلس الادارة ومن أبرز أعضائه موريس نسيم موصيرى ، فيليكس موصيرى وفيتا ابراهام فرحات وكان مقره فى ٢٣ شارع الشيخ أبو السباع .

★ بنك سسوارس

تأسس عام ١٨٨٠ باسم بنك أولاد سوارس وشركاهم ، وهى أسرة من أصول فرنسية وبعضها يحمل الجنسية الإيطالية ، وقد أعيد تأسيس هذا البنك فى عام ١٩٣٦ بعد تحويله الى شركة مساهمة مصرية باسهم مستثمرين يهود آخرين ، كان أبرزهم يوسف قطاوى ، وبلغ رأس ماله عند إعادة تأسيسه ٥٥ ألف جنيه مصرى ، ومارس البنك نشاطا فى كافة الأعمال المصرفية والتجارة - خاصة تجارة القطن وأنشأ ورشة أحذية ومعصرة للزيوت ، كما نشط أيضا فى تمثيل شركات التأمين والملاحة والنقل ، ومركزه الرئيسى بالاسكندرية وله فرعان فى القاهرة ومدينة طنطا وقد تولى رئاسة مجلس ادارته جاك نجار ، ومن أبرز أعضائه يوسف قطاوى وكارلوس سوارس وفريدى ساكس .

★ البنك البلجيكي الدولى

تأسس عام ١٩١٢ وأعيد تأسيسه فى شكل شركة مساهمة مصرية فى يناير عام ١٩٢٩ تكونت فى بروكسل واتخذت من مصر مركزا لنشاطها ، وأسهم فى تأسيسه عدد من البنوك والشركات المالية والصناعية البلجيكية والبنك التجارى السويسرى ، والبارون الشاجيكي ادوارد امبان بالاضافة الى عائلتى رولو وعدس ، وقد بلغ

رأس ماله عند التأسيس ٥٠٠ ألف جنيه مصرى ومركزه الرئيسى بالقاهرة ثم افتتح فرعين بالاسكندرية ، وفرعين آخرين فى شبرا ومصر الجديدة ومارس البنك مختلف الأعمال المصرفية والأنشطة التجارية ، وكثيره من البنوك الأجنبية ، كان يضع تقارير سنوية عن نشاطه وميزانيته ، تميزت بتحليلات دقيقة لكافة الأنشطة الاقتصادية فى مصر من زراعة وصناعة وتجارة داخلية وخارجية وعرض لمالية مصر العامة وحركة رؤوس الأموال فيها ، وقد بلغ رأس مال البنك فى سنة ١٩٥٢ نحو ٥٥٠ ألف جنيه مصرى ، محققا أرباحا قدرها ١٤٦ر١١٨ ألفا فى تلك السنة وكان من أبرز أعضاء مجلس إدارته سير روبر رولو واميل نسيم علس .

★ بنك زلخه

صدر مرسوم تأسيس هذا البنك فى مارس عام ١٩٤٤ فى شكل شركة مساهمة مصرية ، برأس مال قدره ١٠٠ ألف جنيه مصرى ، وأسسته أسرة « زلخه » اليهودية العراقية ، كما أسهم فى تأسيسه وإدارته وأعماله عدد من اليهود الأجانب المتمصرين ، والمركز الرئيسى للبنك فى القاهرة ، وفرعين آخرين فى حى الموسكى ومدينة الاسكندرية ، ومارس نشاطا فى الأعمال المصرفية وتجارة القطن وبعض المشروعات الصناعية والتجارية ، وحقق أرباحا مقدارها نحو ٦٢ ألف جنيه مصرى فى ميزانية ١٩٤٨ وكان عبد الله خضورى زلخه مديرا للبنك وهو من مواليد بغداد عام ١٩١٣ وأكمل دراسته فى انجلترا عام ١٩٣٠ ثم عينه والده وكيلا لبنك زلخه بسوريا وقدم الى القاهرة عام ١٩٤٠ م .

وبنك « حاييم يعبيس » والذي سمي بعده وفاة مؤسسه عام ١٩٠٩ بنك « ايزاك ليون وأولاد ايلي يعبيس » وتولى ولده ايزاك يعبيس رئاسة مجلس إدارة هذا البنك ، والذي ولد بالقاهرة عام ١٨٧٤ وبلغ رأس مال هذا البنك نحو ٧٥ ألف جنيه مصرى .

كذلك أسست أسرتي ناكامولى وسيكوريدل (الشركة المصرية لتوظيف الأموال والنسليف) وتولى ايزاك ناكومولى رئاسة مجلس الادارة الذى ضم فى عضويته ألبير ناكامولى وسلفاتور سيكوريدل وسيمون رولو .

وأسهمت عائلات عدس ، رولو ، موصيرى ، قطاوى فى تأسيس وإدارة (الشركة المصرية المالية) وتشكل مجلس الادارة من كليمان عدس رئيسا وعضوية هنرى موصيرى وموريس نسيم موصيرى ، سيمون رولو ، أصلان قطاوى ورالف هرارى .

وأسهم سمحاً امباخ وجاك يانكوفتش فى تأسيس وإدارة شركة (الشرق الأدنى المالية) عام ١٩٣٧ برأسمال قدره ٥٠ ألف جنيه مصرى .

وسمحا امباخ ولد فى يافا فلسطين سنة ١٨٩٢ ، هاجر الى القاهرة ، وأتم دراسته بجامعة نانسى بفرنسا ، ومارس نشاطا تجاريا واسعا .

هذا النشاط المالى الضخم ليهود مصر ، وما صحبه من تأسيس الشركات والمصانع والبنوك ، نتج عنه أن أصبحوا يسيئون فى ادارة وتوجيه ١٠٣ شركات من مجموع الشركات المسجلة فى مصر البالغ ٣٠٨ شركات خلال العقد الرابع من القرن العشرين ، الذى شهد تصاعد الاضطهاد النازى والعداء لليهود فى أوروبا ، أضف الى هذا ، أن هذه الشركات كانت تعمل فى أهم ميادين الاقتصاد ولنتخيل وضعها الحقيقى على مسرح الاقتصاد المصرى .

خلال السنوات بين عامى ١٩٤٠ - ١٩٤٦ بلغت البطائفة اليهودية فى مصر أوجها فى النشاط الاقتصادى بينما كان عالم التجارة والاقتصاد مرهق من ثقل الأزمة الاقتصادية الكبرى عالميا -

ففى الحرب الثانية ، كانت مصر تعيش وضعا غريبا ، بينما صحراء
العلمين كانت مسرحا لمعارك دموية رهيبة ، الا أن الحكومة المصرية
لم تعلن دخولها الحرب سوى فى عام ١٩٤٥ ونظرا لعداء الحركة
الوطنية المصرية لجيوش الاحتلال الانجليزى ، فان الطائرات
الألمانية والاطالية لم تقصف الا ميناء الاسكندرية ، ففى تلك الفترة
نلاحظ نشاطا تجاريا ضخما ، فكميات البضائع والمنتجات الهائلة
المكدسة - خلال سنوات الأزمة - والتي كانت نادرا ما تجد عملاء
قادرين على وفاء الديون ، نجدها تنزع لقاء أثمان خيالية ، والتضخم
المالى ظاهرة جديدة نشأت وغذاها تزايد نفقات جيوش الحلفاء فى
مناخ ملائم للنشاط التجارى ، وعقبات الاستيراد سمحت بالانفراج
السريع لبعض الصناعات المحلية الصغيرة والكبيرة وتكوين
عشرات الآلاف من العمال المتخصصين تقريبا .

استفاد يهود مصر - بوجه خاص - من هذه الحالة الاستثنائية ،
وحقق التجار وأصحاب المصارف والمصانع أرباحا هائلة ، ورؤوس
الأموال الأجنبية التى استثمرت فى الداخل وأخذت تنمو سريعا
ورؤوس الأموال المحلية المتراكمة أعيد توظيفها ، وتكونت شركات
مساهمة جديدة ، وظهرت طبقة عريضة من أغنياء الحرب كونت
ما يمكن أن نطلق عليه .. (Establishment) يهودى قوى
ومختلف عن باشوات - الطائفة القدامى أمثال قطاوى ، موصيرى ،
سوارس ، منشه ، زولو ..

لتلمع أسماء جديدة مثل زلخه ، شساويله ، ناكامولى ،
جائبنيو ..

ونستطيع أن نقول أنه منذ تولى الخديو اسماعيل الحكم سنة
١٨٦٣ ، وحتى منتصف القرن العشرين ، أصبحت العائلات اليهودية
الكبيرة التى استقرت بمصر ، وبعض أفراد من الطبقة المتوسطة

من اليهود المصريين ، أغنى طبقة يهودية في الشرق الأوسط ، ولم يؤثر في تلك المكانة المتميزة لهذه الطبقة في الاقتصاد المصري الغاء الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٧ ، وانخفاض معدلات الهجرة اليهودية الى مصر أو صدور عدة تشريعات قانونية تهدف الى مضاعفة اشراف الحكومة المصرية على الشركات والمشروعات الأجنبية ، والتي كان أهمها قانون الشركات رقم ١٣٨ الصادر في يوليو ١٩٤٧ حيث أمكن التحايل على هذه القوانين والاجراءات .

غير أن قيام دولة اسرائيل في سنة ١٩٤٨ ونشوب الحرب بينها وبين العرب ، حتم مصير الطائفة اليهودية في مصر ، وخاصة قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وتغير موازين العلاقات بين أقطاب العائلات اليهودية والسلطات الحاكمة تغييرا جذريا ، بالإضافة الى سياسات التمييز الفعلي واجراءات التأميم والحراسة التي طبقتها حكومة الثورة ، جعلت هؤلاء يبدأون في تصفية أملاكهم وأعمالهم والهجرة الى الخارج . . لتحرم مصر من أنشط طائفة عرفت في تاريخها الحديث . . بالرغم من كل المآخذ . . ١١

الحياة الثقافية ليهود مصر

الصحافة - الأدب - الفن

حقق يهود مصر ازدهارا ملحوظا على المستوى الثقافي ، مماثل للازدهار الذي تحقق لهم خلال العصر الاسلامي في الأندلس والمغرب العربي .

كانت الصحافة هي أبرز وسائل الاعلام ، وبالتالي كانت أهم وسيلة للتعبير - في حرية كاملة - عن تطلعات الطائفة اليهودية ومشاكلها في مصر واذا وضعنا في الاعتبار حرص الصهيونية على تجنيد وسائل الاعلام لخدمة أهدافها ، فقد حرصت منذ البداية على أن يكون لها صوتها المعبر عنها في مصر

ولقد تمتعت الطائفة في مصر بكامل حريتها في إصدار الصحف والمجلات ، التي بلغت نحو خمسين صحيفة في الفترة من ١٨٧٧ - ١٩٤٧ ، منها واحدة وثلاثين صحيفة باللغة العربية .

ومن خلال هذه الصحف ، بثت الدعوة الى تحقيق التفاهم والتعاون بين العرب واليهود مع التأكيد على ما وصفته بأنه « الحقوق التاريخية » لليهود في فلسطين !

ونظرا لأهمية موقع مصر الاستراتيجي ، فقد حاولت الصهيونية العالمية أن تجعل منها مركزا للنشاط والدعاية الصهيونية في

الشرق ، وتبلور هذا الاهتمام منذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ فى اعتماد الشخصيات اليهودية المعروفة بانتماؤها للصهيونية على - الصحافة - لبث الدعاية الصهيونية وتحقيق هدفين :

١ - كسب تأييد الرأى العام المصرى بصفة خاصة ، والرأى العام العربى بصفة عامة لمشروعات الصهيونية فى فلسطين .

٢ - مقاومة اندماج اليهود فى المجتمعات العربية ، وحشدهم وراء الحركة الصهيونية ، وتوظيف امكاناتهم لخدمة أهدافها .

وقد شهدت تلك المرحلة التى أعقبت المؤتمر الصهيونى الأول ، نشاطا ملحوظا من جانب الهيئات والجمعيات الصهيونية التى تكونت بمصر ، وإصدارها للعديد من الصحف التى كانت فى جوهرها أبواقا للفكر الصهيونى فى المجتمع المصرى ، وبالنسبة الى الصحف الصادرة عن الطائفة اليهودية بمصر ، والتى أبدت تعاطفا مستترا مع الاتجاهات الصهيونية ، فقد كانت حريصة على التظاهر بالالتزام بمصالح الطائفة من الناحية الدينية .

وقد سعت الصحف اليهودية الى اكتساب القوى السياسية والاجتماعية والثقافية فى مصر الى جانب اليهود ، سواء بمد جسور الصداقة معها أو بمحاولة اقناعها بعدالة موقف اليهود من خلال تقديم صورة مشوهة عن حقيقة الأوضاع فى فلسطين .

وفى ذات الوقت الذى كانت تتحدث فيه الصحف اليهودية عن « الصلات التاريخية » بين اليهود والعرب ، والتعاون من أجل انشاء « حضارة سامية مشتركة » ، الا أنها ركزت اهتمامها - طبقا لتوصيات مؤتمر بال - بخلق وعى قومى يهودى كوسيلة

للحيلولة دون اندماجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها ، ودعت هذه الصحف الى « اعادة كتابة التاريخ اليهودي » لابرار الاضطهادات التي ينطوي عليها ، وضرورة اهتمام اليهود بدينهم ودراسة التوراه والتلمود لاستيعاب « المفاهيم » التي أرست عليها الصهيونية سياساتها وخططها . . . وأنه بالرغم من « الشتات اليهودي » الا أنهم يمثلون أمة واحدة وقومية واحدة !!

في محاضرة ألقاها : « فيكتور نحيماس » بالمركز الأكاديمي الاسرائيلي بالقاهرة ، تحت عنوان : « جريدة الشمس والصحافة اليهودية في مصر ١٩١٧ - ١٩٤٨ » . . . استهلها بنبذة تاريخية عن حياة الطائفة اليهودية في مصر ، مشيرا الى تفوقهم في كافة المجالات . . . وأنهم كانوا يشكلون طائفة منظمة لها أهدافها وبرامجها الثقافية والاجتماعية والدينية . . . وأن عددهم في الخمسينيات وصل الى ما يقرب من ١٠٠ ألف نسمة . . . تحدثوا عدة لغات ، الغالبية كانت تتحدث الفرنسية ، وأقلية كانت تتحدث العربية . . . ولذا لم يكن هناك اطار عام يسمح بتطور أدب يهودي محلي ، ومعظم ما نشر من الأدب كان باللغة الفرنسية ، ومن ثم فقد كانت الصحافة هي وسيلة التعبير الفعالة عن مشاكل اليهود وأفكارهم وآمالهم . . . ثم تحدث عن - التحول الجذري - في صحافة يهود مصر ، بدءا من عام ١٩١٩ عندما أسس « البرت موصيري » مجلة « اسرائيل » بلغات ثلاث : الفرنسية والعربية والعبرية ، وقد توقفت عن الصدور باللغة العربية في عام ١٩٣٤ ، فآثر « سعد يعقوب مالكي » رئيس التحرير ، اصدار جريدة جديدة بعنوان « الشمس » باللغة العربية ، لتعبر عن وجهة النظر اليهودية لدى المجتمع المصري .

وعن وجه التباين بين سياسة مجلة « اسرائيل » التي صدرت من عام ١٩١٩ الى عام ١٩٣٤ ، وسياسة جريدة « الشمس » التي

صدرت بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٤٨ ؟ ٠٠ أجاب نحيمياس بأن مجلة اسرائيل « صهيونية » دعت الى المشروع الصهيوني وتأسيس الدولة اليهودية في فلسطين ، وروجت لذلك دون تدخل في الأمور الوطنية المصرية . . بينما كانت جريدة الشمس تحاول التوفيق بين المشروع الصهيوني وتطلعات وأهداف الحركة الوطنية في مصر . . في محاولة لايجاد « نقطة التقاء » بين التيارين !

باختصار يمكننا القول بأن الصحف اليهودية الصادرة بمصر ، عقب مؤتمر بال ١٨٩٧ حتى نشأة الكيان الصهيوني في فلسطين ١٩٤٨ ، قد خدمت الأهداف الصهيونية بأشكال متفاوتة ، فإذا كانت مجلة اسرائيل وجريدة الشمس قد حملتا لواء الدفاع عن الفكرة الصهيونية ، بمختلف الأساليب الدعائية ، نجد أن صحيفتي « الاتحاد الاسرائيلي » و « الكليم » قد قامتتا بتغليف الدعوة الصهيونية بغلاف ديني . .

يعقوب صنوع

الكاتب الصحفي والفنان المسرحي ، ولد لأسرة يهودية مصرية ايطالية في ٩ فبراير ١٨٣٩ ، والدته « سارة » ولدت بحارة اليهود بالقاهرة ، ووالده « رفائيل صنوع » من أسرة ايطالية هاجرت الى مصر ، وتمتعت بالحماية البريطانية منذ عام ١٨٦٣ ، تعلم في صباه مبادئ الاسلام وحفظ القرآن ودرس اللغة العربية وآدابها الى جانب اللغة العبرية ، فكان يعقوب صنوع وهو في الثانية عشرة من عمره ، يقرأ القرآن بالعربية والتوراه بالعبرية والانجيل بالانجليزية . . بعد ذلك اتقن أيضا اللغات الايطالية والفرنسية والتركية ، عين مدرسا للغات الأجنبية بمدرسة « المهندسخانة » . . وكان عضوا بمحفل « نجمة الشرق » التابع للماسون الانجليز ، في ٢٢ يونيو ١٨٧٨ ، نفى من مصر الى مارسيليا ، وفي باريس ارتبط بعلاقات

حميمة مع بعض العائلات اليهودية الشهيرة : « سالومون » ،
« ليفى » ، « كوهين » ، « ساسون » .. وتزوج من فرنسية .

أسس الصحيفة الشهيرة « أبو نضارة زرقا » وصدر العدد
الأول فى ٢١ مارس ١٨٧٧ بتشجيع من الامام محمد عبده والشيخ
جمال الدين الأفغانى ، وعقب نفيه أصدر مجلة جديدة بعنوان
« رحلة أبو نضارة زرقا » فى ٧ أغسطس ١٨٧٨ ، وآخر عدد منها
صدر فى سبتمبر ١٨٧٩ ، وكانت « أبو نضارة زرقا » قد عادت
للظهور فى ٢١ مارس ١٨٧٩ لعدة شهور ، وفى ١٦ سبتمبر ١٨٧٩
أصدر جريدة « النظارات المصرية » وفى ٤ يونيو ١٨٨٠ صحيفة
« أبو صفارة » وبعد شهر صحيفة « أبو زماره » وفى ٥ فبراير ١٨٨١
« الحاوى » .. وفى ٨ ابريل ١٨٨١ أصدر جريدة : « أبو نضارة :
لسان حال الأمة المصرية الحرة » .. ثم عاد لإصدار « أبو نضارة
زرقا » فى ربيع ١٨٨٢ ، ثم جريدة « التودد » عام ١٨٨٩
و « المنصف » عام ١٨٩٣ .. وآخر جريدة هى « الأمة الاسلامية -
L'Univers Musulman » بالفرنسية ، وكان أول من استخدم
الكاريكاتور بالصورة واللفظ .. ونشأته وتعليمه جعلاه شديد الفهم
والتعاطف مع قضايا العالم الاسلامى .. تحمس لعرابى ورفاقه ،
وقد ظل على صلة بالمراسلة مع عرابى ومحمود سامى البارودى فى
منفاهما بجزيرة سيلان ، وما كتبه له عرابى بتاريخ ٢٥ سبتمبر
١٨٨٤ « .. اعترف انك كنت أول من تعاطف مع الأمة العربية ،
لأنك كافحت من أجل قضية الأمة والحرية ثمانى سنوات (هى عمر
صحف صنوع آنذاك) وقد كانت صحيفتك الحاوى وأبو نضارة
زرقا أهم عيون لى فى نداء الأمة ونشر أفكار الحرية بين القاصى
والدانى ، أكرمك الله باسم الأمة » .. توفى فى أكتوبر ١٩١٢
ودفن بالمقبرة اليهودية فى باريس .

البرت مزراحي

اسمه الحقيقي « إبراهيم يعقوب مزراحي » . . . تمنع بمكانة اجتماعية متميزة بين الطائفة اليهودية ، كان عضواً بنقابة الصحفيين ، في ١٧ يونيو ١٩٤٤ أصدر جريدة « التسعيرة » سياسية أسبوعية ، تعنى بنشر تسعيرة المواد التموينية . . . توطدت علاقته بوزير الداخلية فؤاد سراج الدين الذي منحه ترخيص الجريدة ، وعقب صدور العدد السابع منها ، كان عدد المشتركين قد بلغ ١٤ ألفاً من التجار وأصحاب المصانع والشركات ، ثم اضطر لوقف الاشتراكات مع صدور العدد الثاني عشر لاتهامه بتهديد التجار والفدائيين لاجبارهم على الاشتراك .

وقد اهتمت التسعيرة بأخبار الفن ، خاصة الفضائح الشخصية ، وأخبار الجرائم المخلة بالأداب ، وخلال عام ١٩٤٥ ، تحولت الى صحيفة فكاهية هزلية ساخرة ، ثم عادت مع بداية مايو ١٩٤٦ جريدة سياسية . . . وفي نفس العام ، أسس مزراحي « وكالة مصر للصحافة » لتتولى اصدار « التسعيرة » ثم « الصباح » و « الصراحة » التي رأس مزراحي تحريرها .

وحول النشاط الصهيوني في مصر ومشكلة فلسطين ، كان اتجاه « التسعيرة » هو رفض فكرة « تدخل اليهود المصريين في مشكلة الوطن القومي » وناشدتهم الابتعاد عن تلك المشكلة حتى تظل العلاقات بينهم وبين مواطنيهم المصريين على ما هي عليه من متانة واخلاص . متبادل .

ثم أصبح مزراحي أحد دعاة الصهيونية في مصر ! . . . ووجه سياسة الجريدة الى شن حملات ضد الصحف المصرية التي تهاجم الصهيونية أو تحذر الحكومة من أطماع اليهود ومخططاتهم ، حرصاً

على المصالح الوطنية ، وقتهم هذه الصحف بأنها ليست وطنية
و « لا تعرف واجب الولاء نحو عرش مصر ومليكها » ١٠٠

وفي عام ١٩٥٠ ، أصدر البرت مزراحى ملحق منفصل باسم
« التسعيرة لامينورا » بالعربية والفرنسية ٠٠ وكانت تنشر على
الصفحة الأولى أخبارا سياسية عامة ، وفي الصفحات الداخلية :
أخبار الطائفة ، فصولا من التاريخ اليهودى ، وتصريحات لبعض قادة
الكيان الصهيونى ، ونشاط الوكالة اليهودية فى سياسة التهجير ٠٠
ووضح حرص ادارة الجريدة على نشر أخبار دولة « اسرائيل »
الناشئة ومحاولة ايجاد رابطة بينها وبين يهود مصر !

وكان مزراحى قد أصدر صحيفة « المصباح » السينمائية ،
فى أول أغسطس ١٩٤٦ ، وتولى الناقد الفنى حسن امام عمر
ادارتها ، وأسند مزراحى رئاسة التحرير الى قرينته « صول
مزراحى » ٠٠

فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٠ ، يصدر مزراحى عن مؤسسته
الصحفية ، جريدة « الصراحة » اليومية السياسية ، وللتحايل على
القانون ، يستصدر ترخيصا باسم قرينته صول ، ويتولى هو رئاسة
التحرير ، ولتصبح الجريدة ناطقة بلسان الوفد ، منتهزا عودة حزب
الوفد للسلطة عام ١٩٥٠ ، وتغدو الجريدة ثانية صحيفة يومية
يصدرها يهودى بعد صحيفة « الميمون » التى أسسها
« موسى كاستيل » عام ١٩٨٩ ٠

ولم تستمر الصحيفة فى الصدور يوميا بحلول عام ١٩٥٢ ،
ويعتقل مزراحى عقب قيام ثورة يوليو ، ثم أفرج عنه فى نهاية
ديسمبر ١٩٥٢ ، وفى ٢٦ مايو ١٩٥٤ ، يصدر قرار وزارى بتعطيل
الجريدة لعدم صدورها بانتظام ٠٠ وكان مزراحى ضمن آخرين

حصلوا على أموال من بند المصروفات السرية لوزارة الداخلية تحت
دعوى خدمة مصر ١٠١ وذلك عندما عرض على فؤاد سراج الدين -
وزير الداخلية آنذاك - فكرة اعداد منشورات مصورة ضد
البريطانيين ، توزع على السفن التي تمر بقناة السويس ١٠٠ !

وقد ظل مزراحي مقيما بمصر حتى عام ١٩٦٠ ، عندما هاجر
الى الولايات المتحدة ١٠٠

مراد فرج ليشع

كان من الشخصيات البارزة في الطائفة اليهودية « القرائين »
ولد عام ١٨٦٦ ١٠٠ عيّل بالمحاماه ، وارتبط بعلاقات وثيقة بالخدو
عباس الثانى الذى وكله فى قضايا الخاصة ويصبح محامى القصر ،
ثم عهد اليه برئاسة قلم قضايا الاوقاف بقصر عابدين لمدة أربع
سنوات ١٠٠ وكان عضوا باللجنة المالية لطائفة اليهود القرائين ،
أصدر صحيفة « التهذيب » فى ١٢ أغسطس ١٩٠١ وقد اهتمت
الصحيفة بأخبار الطائفة والأمور الدينية ، وأخبار طوائف القرائين
فى العالم ١٠٠ وتعرضت الصحيفة الى الفروق بين المذهب القرائى
والمذهب الربانى وطبيعة العلاقة بين الطائفتين ، مما أدى الى عدد من
المشاكل والشكاوى من رؤساء طائفة الربانيين ، وتوقف صدور
الصحيفة عدة مرات ، الى أن توقفت نهائيا عام ١٩٠٣ وتجدر الإشارة
الى أن « التهذيب » ثانى صحيفة يهودية تصدر باللغة العربية فى
مصر بعد صحيفة « نهضة اسرائيل » ١٨٩٠ .

فى ١٥ مايو ١٩٠٨ أصدرت طائفة القرائين صحيفة « الارشاد »
وشارك مراد فرج فى تحريرها مع أمين منشيه وموسى يوسف
وبنطوب يهودا ، اهتمت بالدعوة الى الإصلاح و « غرس المحبة فى

فى مصر، واقتصرت على نشر بحوث فى تاريخ يهود مصر فى جميع العصور، وشارك فى تحريرها نخبة من علماء اليهود فى مصر والخارج، هاجر د. ولفنسون الى اسرائيل، واشتغل بالتدريس فى الجامعة العبرية بالقدس، عقب صدور العدد الاول من جريدة « الشمس » فى ١٤ سبتمبر ١٩٣٤. بعث الى رئيس تحريرها د. سعد يعقوب مالكي « برسالة نشرت بالجريدة، جاء فيها : « لقد سرتنى ما رأيت منكم من العزيمة على نشر جريدة تكون لسان حال الشعب اليهودى بالديار المصرية. » ان هذا عمل جريء سيؤدى الى انقلاب فى الحياة الاجتماعية والأدبية اليهودية، ليس فى الامصار المصرية فحسب بل فى الاقطار الشرقية والاسلامية التى فيها جماعات وظوائف من بنى اسرائيل »

الدعوة الى ابداع أدب يهودى

تبنت صحيفة « الشمس » لصاحبها ورئيس تحريرها الصحفى والأديب « سعد يعقوب مالكي » مدير مدارس « جرين » الاسرائيلية، وكان رئيسا لتحرير صحيفة « اسرائيل »، كما كان من الحاصلين على الحماية الايطالية. الدعوة الى ابداع أدب يهودى باللغة العربية، وتشجيع المواهب الشابة لتشارك فى « الحياة الأدبية الشرقية »، والأدب اليهودى الذى دعت اليه « الشمس » هو بالتحديد الذى يصور معاناة اليهود واضطهادهم فى كل مكان وزمان. والحلم بوطن مستقل والحنين الى أرض الميعاد. ونفى شخصية اليهودى التى شاعت فى الأدب الأوروبى - خاصة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر - التى انجصرت فى تصويره بصفات غير مشرفة. فهو إما مراب جشع مجرد من العاطفة ولا يتورع عن اقتطاع لحسم ضحية. أو متشرد يجلب النحس والدمار

أينما حل . ١ . ٢ وبالطبع كان لهذا أثره في نثر اليهود في « جنيو »
داخل المجتمعات الأوروبية .

٢ . فكان الألب - من وجهة نظر الصحافة اليهودية - هو خير
علاج . . . للأزمة الروحية التي يمر بها اليهود ، كما سيكون عاملا
فعالا في تدعيم كان الطائفة وازدهارها . ١

٣ . ونشط في هذا المجال : الكاتب والشاعر « مراد فرج »
المحامي - كما سبقت الإشارة إليه - ونسيم يسوف حداد « زجال
التشبيبه الاسرائيلية » . . . والصحفي الأديب « سعد يعقوب هلكي »
الذي لرجم كتاب « تاريخ اليهود الماران في البرتغال » للمؤرخ :
ناحوم سلوشيتس . . . و « سعد ليتومالكي » الذي نشرت له
عام ١٩٣٦ مجموعة قصصية بعنوان « يراعي الأول » . ٢

٤ . وكان « مسعود حني بن شمعون » قد نشر كتابا بعنوان
« أبواب العدل » عام ١٩١٢ ، وترجم « عبده شمس » كتاب
« تاريخ بني اسرائيل » للمؤرخ اليهودي : سيمون دوبنوف ،
ونشر في حلقات بجريدة الشمس . . . ود : « هلال يعقوب فارحي »
الذي كتب بالصحافة وترجم كثيرا من الصلوات اليهودية من العبرية
الى العربية ، منها كتاب « الصلوات حسب طقس السفارديم »
لسدور فتارحي عام ١٩١٧ . . .

٥ . « الفرد يلوز » الذي كان سكرتيرا لجمعية الأبحاث
التاريخية الاسرائيلية المصرية ، واهتماماته بالأدب والترجمة .

٦ . « هارون زكي حداد » الذي كان صحفيا وفدبا ، ومديرا
لتحرير جريدة « النداء » التي أسسها فؤاد سراج الدين ، نشر
مجموعة قصصية بعنوان « مائة قصة وقصة مصرية وعربية »

عام ١٩٥٠ ، طرد من مصر عقب عدوان ١٩٥٦ ، عمل أستاذا للأدب العربي الحديث بجامعة كاليفورنيا .. توفي عام ١٩٧٨ .

ثم « اينزادور سلفاتور بن روفائيل » .. الذى كان عضوا بارزا بالحزب الشيوعي المصرى ، ولد فى ٢٩ يناير ١٩١٩ ، أشهر اسلامه ظاهريا عام ١٩٥٧ وتسمى باسم : « أحمد صادق سعد » .. وله عدة مؤلفات فى التاريخ الاقتصادى لمصر ، وكتاب « صفحات من تاريخ اليسار المصرى » .. تزوج من اليهودية « ديناصمويل حموى » ولدت بالقاهرة ١٩٢٢ ، وله ابنه وحيد تدعى « راوية » .. وتشير التقارير الرسمية خلال عام ١٩٦٠ ، وعام ١٩٧٢ الى أن المذكور له « نشاط ضار بأمن الدولة ، ولا يطمأن الى اتصالاته بالخارج » !!

كان الاتهام الجاهل هو « إيقاظ الوعي القومى اليهودى ، وخلق تعاطف مع اليهود و « قضيتهم » ! .. والتركيز على اضطهادهم بين شعوب الأرض وحاجتهم الى « ملجأ يأويهم بين أبناء عموماتهم العرب » !

ويشير د . حامد ربيع الى أن الأدب اليهودى قد اضطلع بمهمة مزدوجة « حيث شارك فى تعبئة اليهود ، والحيلولة دون اندماجهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها بالحفاظ على استمرار وجودهم كطائفة لها وضعها المتميز .. كما كان إعادة للذات القومية وتمسك بالهوية اليهودية » ! .

جمعية « المباحث »

الأبحاث التاريخية الاسرائيلية المصرية

تأسست هذه الجمعية العلمية عام ١٩٢٥ ، بهدف احياء التاريخ اليهودى وايقاظ « الوعى القومى اليهودى » بالتركيز على الأبحاث التى تناولت اضطهاد اليهود منذ التاريخ القديم ، وبذلك يساهم فى مقاومة « فكرة الاندماج » التى نادى بها بعض اليهود ، والتى من شأنها - بالطبع - عرقلة المشروعات المستقبلية للصهيونية .

وشارك بهذه الجمعية ، عدد من الشخصيات اليهودية البارزة فى المجالات العلمية والثقافية : د . اسرائيل ولفنسون أستاذ اللغات السامية بدار العلوم ، ود . الفريد يلوز ، الكاتب ومدير ادارة الترجمة بوزارة الزراعة ، حصل على درجة الدكتوراه فى تاريخ الأدب من جامعة بروكسل عام ١٩٢٧ ، وعين سكرتيراً عاماً للجمعية عام ١٩٣٦ ، والكاتب والمؤرخ والأديب والمحامى : مراد فرج ليشع ، كما شارك بعضويتها وأبحاثها : رينيه قطاوى ، مراد كامل ، سسلا مون بيخس ، برنهارد جردز لوف ، ف . ثرينكرفر ، جاك هوفلر ، سالون بيغن ، والعالم الشهير الذى تخصص فى تحقيق ونشر وثائق الجنيزه : سامويل جويتين وغيرهم .

وقد تولى رئاسة الجمعية « يوسف قطاوى » ثم خلفه « رينيه قطاوى » وكان الحاخام الأكبر « حاييم ناحوم » رئيسا شرفيا ، وكان مقر ادارة الجمعية فى ١٢ شارع زكى بالتوفيقية ، وتعقد محاضراتها بقاعة « حلقة الشبيبة اليهودية الاسبانية بالقاهرة » .

فى يسوم الاثنين أول ابريل عام ١٩٣٥ ، أعدت الجمعية احتفالا رسميا بدار الأوبرا الملكية ، بمناسبة احياء الذكرى المثوبة الثامنة ليلاد المفكر والفيلسوف « بن ميمون » .

كذلك أصدرت الجمعية بهذه المناسبة : كتابا تذكاريًا ضم أبحاثًا عن تاريخه وفلسفته ومؤلفاته .

فى عام ١٩٤٧ ، أصدرت الجمعية مجلة « تاريخ الاسرائيليين فى مصر » التى قررت اصدارها فى جلستها العمومية فى يونيو ١٩٤٥ ، وطبعت المجلة بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالمنيرة . وجاء فى مقدمة العدد الأول بعنوان « تنبيه » بقلم « رينيه قطاوى » رئيس الجمعية ، بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ :-

« مازال المشتغلون بتاريخ الاسرائيليين فى مصر ، مفتقرين الى أداة لنشر بحوثهم وآرائهم ، فيقينا أن اصدار هذه المجلة الجديدة سيسد نقصا ، كما ستيخ لنا القيام برسالة ، وما من شك فى أن تضافر جهود العلماء الإحصائيين سيؤدى يوما بعد يوم الى زيادة الاهتمام نحو مادة غزيرة صعبة ، مواضيعها بعيدة عن - مشاغلنا اليومية - لكنها مثبوقة ، نظرا لما استفتحته من الآفاق الواسعة المدى ، عندما تطلع الطوائف الاسرائيلية بانتظام على وسائل تاريخية - صحيحة - لماضيهم وحياتهم بين ظهرائى الشعب المصرى الكريم ،

وهي رسائل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ المجيد لوادى النيل
السعيد ، الذى يرجع الى آلاف السنين .

وستصدر مجلتنا متعددة اللغات ، تسهيلا لاشتراك علماء
مصر والخارج فى تحريرها ، تاركين لهم حرية المفاضلة بينها ،
متوخين نشر أعمالهم بلغة تحريرها ، وقد رأينا من الأهمية بمكان ،
أن نورد ترجمة موجزة بالعربية لجميع الموضوعات ، حتى تصبح
مجلتنا فى تناول الشعب المصرى ، أما منهاجنا ، فإنه يمتد الى
أقصى حدود تاريخ اليهود فى مصر ، زمانا ومكانا ، نشوء الطوائف
اليهودية المختلفة على ضفاف النيل ، ومصرها منذ ظهورها الأول
فى عهد آباء بنى اسرائيل حتى العصر الحديث . . » .

وتجدر الإشارة الى أن « رينيه قطاوى » كان عضوا أيضا
بالمعهد العلمى المصرى ، والجمعية الجغرافية الملكية ، وتحتوى مجلتى
المعهد والجمعية ، أبحاثا تاريخية بالفرنسية ، نشرها رينيه ، الى
جانب اسهامه العلمى فى اصدارات الجمعية الجغرافية بكتاب ضخيم
عن تاريخ الخديو اسماعيل وعصره .

يهود .. فى تاريخ الفن المصرى !

كانت حياة اليهود المصريين فى واقع المجتمع المصرى - اندماجا وانصهارا - نسجته السنين الطوال ، من خلال التسامح الفطرى الذى ميز الانسان المصرى عبر تاريخه ، وجعله يجسسه الحضارى يفصل بين الدين وأمور الحياة اليومية .

وبينما كان يهود الحضارة الاسلامية مندمجين فى نسيج هذه الحضارة : لغويا وفكريا واجتماعيا وسياسيا ، كان أقرانهم فى أوروبا - فى العصور الوسطى والحديثة - يتعرضون لأبشع أنواع الاضطهادات والمجازر المتكررة ، وقد بذلت الصهيونية العالمية جهودا هائلة للحيلولة دون اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها تحت ادعاءات ومزاعم بالتمايز القومى والاجتماعى والثقافى لليهود فى أى مجتمع .

وقد امتد اندماج اليهود المصريين فى حياة المجتمع المصرى الى الحياة السياسية وعلاقتهم القوية بالقصر ، والهيمنة الاقتصادية بالسيطرة على مراكز المال والتجارة ، متجاوزا مجالات الصحافة والأدب ، الى مجال الفن - موضوع هذه الدراسة - خاصة السينما والمسرح والموسيقى .

يعقوب صنوع

يعده النقاد - واضع أسس المسرح في مصر - وأحد رواد الصحافة المصرية وفن الكاريكاتير السياسي .

ولد يعقوب صنوع أو « صنوا » لأسرة يهودية مصرية ايطالية في ٩ فبراير عام ١٨٣٩ ، والدته « سارة » مولودة بحارة اليهود ، ووالده « رفائيل صنوا » من أسرة ايطالية هاجرت الى مصر ، وتمتعت بالحماية البريطانية ، وفي مذكراته التي دونها عقب نفيه الى باريس ١٨٧٣ بعنوان : Memoires كتب انه كان خامس مولود لسارة ، التي فقدت أبنائها الأربعة بالموت ، فلما تحملت به خشيت أن يلقي مصير اخوته ، فاستشارت امام جامع سيدى الشعرائى الذى طلب منها أن تنذر مولودها للاسلام ففعلت ووفت بالنذر ، ونشأ يعقوب شبه مسلم ، وألحقته أمه بكتاب لتحفيظ القرآن . وحارة اليهود تحيطها بيئة اسلامية ، فتأثرت الأم بالتراث الدينى المصرى الذى جعل أبناء الديانات الثلاث يلجأون الى الأولياء والقديسين .

وحفظ يعقوب القرآن ودرس اللغة العربية وآدابها الى جانب اللغة العبرية ، فكان وهو فى الثانية عشرة من عمره يقرأ القرآن بالعربية والتوراه بالعبرية والانجيل بالانجليزية ، ثم أتقن اللغات الايطالية والفرنسية والتركية . عين مدرسا للغات الأجنبية فى مدرسة « المهندسخانة » كما أصبح عضوا بمحفل « نجمة الشرق » التابع للماسيون الإنجليز .

تأثر يعقوب بالعروض الفنية التى كانت تقدمها الفرق المسرحية الايطالية والفرنسية على مسرح حديقة الأزبكية فى عهد الخديو اسماعيل . فكون فرقة مسرحية وتولى التأليف والإخراج ، ودعم

اسماعيل باشا لتقديم عروض خاصة في سراى قصر النيل ، وكان أول من قدم ممثلات على خشبة المسرح ، ولم يجروه أحد على تقديم العنصر النسائي بعد ذلك إلا « اسكندر فرح » حيث كانت الفنانة اليهودية « اشترشطاج » بطله لفرقة منذ عام ١٨٩٦ .

وقد قام يعقوب باخراج معظم مسرحياته التى بلغ عددها ٣٢ مسرحية ، أهمها : « البورصة » و « أبو زيد البربري » التى تناولت فساد الحكام ، ومسرحيات : الحشاش ، الوطن والعجربة ، زبيدة ، زوجة الأب ، السلاسل المحطمة و « الضرقتان » التى أثارت حنق الخديو اسماعيل . . واشتهر يعقوب بلقب « مولير مصر » !

توجو مزراحى

توجو مزراحى ، المخرج الشهير ، هو أول من أدخل التجارة فى فن السينما . . . وقد لا يعرف الكثيرون أنه قد زاول فن التمثيل فى بداية حياته الفنية ، فى أفلام من انتاجه واخراجه باسم « أحمد مشرقى » . كان أولها فيلم « الكوكابين » عام ١٩٣٠ . وفى العام التالى أنتج فيلمه الثانى « ٥٠٠١ » وفى عام ١٩٣٣ قدم تجربته الثالثة بعنوان « أولاد مصر » !

وقد اعتمد توجو على بعض الوجوه الجديدة ، مثل اليهودية « جينيان رفعت » وشقيقه الذى ظهر فى بعض الأفلام باسم « عبد العزيز مشرقى » وممثل شاب يدعى « شالوم » . . وقد ساعده ذلك على تقديم أفلامه بأسلوب سينمائى بعيد عن الأداء المسرحى الذى كان يغلب على سينما تلك المرحلة .

كان توجو على ذروة بلغة السينما ، وتعددت مواهبه فى التأليف والتمثيل والايخراج والانتاج . . . اشترى دار سينما

« باكوس » بالاسكندرية وحولها الى ستوديو للتصوير السينمائي عام ١٩٣٠ ، واستأجر سيستوديو وهبي بالجيزة ، وتحول من الموضوعات الاجتماعية الى الافلام الكوميدية ، فقدم « المندوبان » الذى قام ببطولته : شالوم مع فوزى الجزائرى واحسان الجزائرى ، وكان أجر اخوان الجزائرى ثمانية جنيهات ا ثم فيلم « الدكتور فرحات » بطولة تحية كاريوكا واخوان الجزائرى وكان أجرهم عن هذا الفيلم ثمانين جنيها ٢ « ومن الافلام الكوميدية التى أخرجها أيضا : « مراتى نمره ٢ » بطولة : حسين ابراهيم وعبد الحميد زكى ، و « كله من ده » للراقصة بباعز الدين ، و « الحب المورستاني » لبشاره واكيم و « الساعة ٧ » و « أنا طبعى كده » وللكسار : « غفير الدرك » و « العز يهدله » . واشتهر توجو بإنتاج أفلامه فى وقت قياسي ، فقد انتهى من تصوير فيلم « سلفنى ٣ جنيه » لعلي الكسار خلال أسبوع واحد فقط ا

فى عام ١٩٤٢ ، أخرج فيلم « ليلي » بطولة : ليلي مراد ، حسين صدقى ، فردوس محمد ، منسى فهمى ، كما كتب توجو أيضا السيناريو والحوار . و أنتج فيلم « ليلة ممطرة » الذى كان فاتحة خير للفنان يوسف وهبى - بعد أن أشهر افلاسه - وكان أيضا أول فيلم : ليس من اخراج وانتاج وتأليف وموسيقى يوسف وهبى ا

فى عام ١٩٤٦ ، قام توجو مزراحى بالاتفاق مع يهود أمريكان ، بعمل دوبلاج لأفلام دعائية صهيونية أنتجت فى الولايات المتحدة ، منها فيلم « بينت أبى » ا و « أرض الأمل » اللذين عرضا لحياة يهود فلسطين ونشاطهم فى « أرض أجدادهم » ا . وعرضت هذه الأفلام باللغة العربية على الجمهور العربى ا

آخر فيلم أنتجه توجو هو فيلم « سلامة » عام ١٩٤٧ ، كما قام أيضا بكتابة السيناريو واخراجه ، وقام بالبطولة : أم كلثوم

ويحيى شاهين ٠٠ وعرض هذا الفيلم فى موسم امتحانات ، فتكبد خسائر فادحة ، انعكست على اتفائه مع الموزع العراقى « اسماعيل شريف » صاحب دور سينما « الحمراء » فى بغداد والبصرة والموصل ٠٠ والذي حقق أرباحا طائلة بلغت عشرات الألوف من الدينارات فى الأسابيع الأولى ، وهو الذى اشترى الفيلم - بعد مساومات - بثمن بخس !! ٠٠ فأصيب توجو بلوثة أودت به الى مستشفى بهمان !!

وكان لتوجو وجهة نظر فى امتلاك وإدارة بعض دور السينما ٠٠ تتلخص فى أن هذا المجال هو الأكثر ضمانا للربح ، مرددا عبارته الشهيرة أنه « ما من أحد يستطيع أن يدخل السينما مجانا » ٠٠ وقد غادر توجو مزراحى مصر عام ١٩٥٦ - عقب العدوان الثلاثى - وتوفى فى روما عام ١٩٨٧ .

انتاج وتوزيع الأفلام

فى مجال انتاج وتوزيع الأفلام السينمائية ، برزت بنشاطها شركة « جوزى فيلم » التى أسسها المليونير اليهودى الشهير « جوزيف موصيرى » ٠٠ وقد شيدت هذه الشركة ستوديو للانتاج السينمائى بشارع الأهرام ، كما امتلكت وأدارت عشر دور للسينما فى الاسكندرية والقاهرة وبورسعيد والسويس ، كما كانت تحتكر اسيراد وبيع الأفلام الخام ، وكان مقر هذه الشركة فى ١٤ شارع الانتيكخانة المصرية (محمود بسيونى حاليا) .

كذلك أسس « ادجار موصيرى » شركة لتوزيع الأفلام ، كان مقرها بشارع الشرفين ، كما قام « ادوارد ليفى » بتأسيس وإدارة : شركة انتاج وتوزيع الأفلام السينمائية بالاسكندرية ، وكان مقرها فى ٥ شارع المتحف ، وتجدر الإشارة الى أن ٩٠٪ من دور السينما فى مصر - آنذاك - كان يمتلكها أثرياء اليهود .

حكاية كاميليا !

من المدهش أن يشاع بأن « كاميليا » نجمة السينما المصرية في الأربعينات كانت يهودية !! حتى رسخ في الأذهان ذلك الاعتقاد الخاطئ لدى عامة الناس ، بل ولدى الكتاب والباحثين أيضا ! ٠٠ وأكوام من الكتب والمقالات والروايات - حتى يومنا هذا - عن علاقتها بالملك « فاروق » بأدق التفاصيل ! ٠٠ وحكايات عن غرامياتها ٠٠ وعن علاقتها بالمخابرات الاسرائيلية ، حتى أن سقوط طاوئرتها ومصرعها كان مؤامرة للتخلص منها ٠٠ على غرار ما حدث للمطربة « أسمهان » نتيجة علاقتها بالمخابرات البريطانية !

و « كاميليا » براء من كل ذلك ٠٠ براءة الذئب من دم يوسف ! ٠٠ وقد اختلق شائعة يهوديتها وروج لها الكاتب الصحفي الراحل : مصطفى أمين ، عندما رفضت الذهاب اليه في موعد حدده لها بالجارسونيره الخاصة به ، والكارت الذي حدد عليه ذلك الموعد ، مازال محتفظا به أحد أصدقائها المقربين وهو صحفي واعي معروف !

ولدت « ليليان » وهذا اسمها الحقيقي في ١٣ ديسمبر عام ١٩٢٩ ، من أصل ايطالى ، جدتها لأمتها هاجرت الى مصر عام ١٨٨١ ، واستقرت بالاسكندرية ، تزوجت من وكيل بوسنة العطارين ، وسرعان ما تم الطلاق ، ثم اقترنت بالفريق « أحمد زكى باشا » رئيس الديوان الخديوى ، ومن زواجها الأول أنجبت « أولجا » والدة كاميليا ٠٠ وكانت أولجا تمتلك « بنسيون » بشارع سعد زغلول بالاسكندرية ، عشقها تاجر أقطان ايطالى مسيحي ، فحملت منه سفاحا ، وحدث أن خسر العاشق كل ما يملك في بورصة القطن ، فغادر الاسكندرية هاربا الى روما ولم يعد مرة أخرى ! ٠٠ فلما وضعت ، نسبت ابنتها في شهادة ميلادها الى يهودى يقطن بذلك البنسيون ، وتسميت « ليليان ليفى كوهين » !

عمدتها والدتها بكنيسة القديس يوسف ، لتتبعها في ديانتها الكاثوليكية ، ثم ألحقها بمدرسة الراهبات بشوارع السبع بنات ، ثم الكلية الانجليزية للبنات ، ومضت الحياة بها ما بين الاسكندرية وقبرص وايطاليا .

فى عام ١٩٤٦ ، تعرفت كاميليا بالفنانة « الهام حسين » ألح نجمات السينما فى ذلك العصر ، والتي تعهدت بتقديمها الى السينمائيين ليمهلوا لها خطواتها الأولى . . . وجمعتها فى لقاء مع الفنان أحمد سالم والمخرجين فطين عبد الوهاب وكامل التلمساني بفندق « وندسور » بالاسكندرية . . الى أن يحين موعد العرض الأول لفيلم « الماضى المجهول » بطولة ليلي مراد وأحمد سالم الذى كان أيضا مديرا لستوديو مصر ، وقرر أحمد سالم أن يتحمل مسئولية تقديمها الى جمهور السينما . . كما قرر أن يستبدل اسمها من ليليان الى « كاميليا » !

ويمكننى أن أقرر أن كل ماكتب عن كاميليا هو « محض افتراء » لا أساس له من الصحة ! . . لأن كاميليا فى واقع حياتها : كانت تعيش « مأساة » . . اثر واقعة اغتصابها من خمسة جنود استراليين تناوبوا الاعتداء عليها ، فاصابوها بحالة نزيف مزمن . . فلم تكن قادرة على مضاجعة أى رجل . . وهذا السر لم يكن يعلم به الا قلة تعد على أصابع اليد الواحدة ، واستلزمت هذه الحالة : اجراء عملية تغيير دم كل ستة شهور . . ورحلات علاج الى أوروبا وأميركا .

والأغرب من كل هذا ، أنها لم تلتقى بالملك فاروق فى حياتها سوى : ثمان دقائق فقط ! . . وكانت فى يوم عيد ميلاد ناقد فنى كبير ، اقترحت كاميليا أن يأخذوا قارباً للنزهة فى النيل ، وكان معهم الفنان الراحل محمود شكوكو ، وأطلعتهما على برقية ثرى هندی تعرفت عليه بالاسكندرية ، كان شاباً جميلاً وتبادلاً الحب ، وفى

البرقية غرض بالزواج والسفر الى سويسرا لاتمام علاجها .. وفجأة يظهر مسرعا زورق. للشرطة النهرية يحمل « بوللى » .. وكانت سيارة كاميليا أمام مرسى « كازينو بديعة » فى نفس موقع « شيراتون » القاهرة الآن .. ويخبرها بوللى بالاطيالية أن « مولانا الملك » يريد أن يراها الآن ، واصطحبها معه وكان اللقاء الذى استمر لمدة ثمان دقائق فحسب : عرف خلالها الملك حقيقة مأساتها !

وقيل الكثير عن علاقتها بالوكالة اليهودية .. فى الوقت الذى كرمته فيها فيه الدولة عندما منحها وزير الشئون الاجتماعية « جلال باشا فهم » ميدالية ونيشانا تقديرا لدورها فى جمع التبرعات للمجهود الحربى خلال حرب ١٩٤٨ .. !

وانتهت حياة كاميليا بمشهد مأساوى رهيب ، فى تمام الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم الخميس ٣١ أغسطس عام ١٩٥٠ ، بسقوط طائرة الخطوط الجوية العالمية T.W.A. التى استقلتها مع ستة أشخاص آخرين ، وهى فى طريقها الى سويسرا للعلاج .. وعلى غير ما أشيع أن جثتها قد تفحمت ! .. فإن جثتها كانت سليمة الا من كسر فى الجمجمة !

وقد أقيمت صلاة القداس على جثمانها بكنيسة « قلب يسوع المقدس » Cordi iesu sacrum الايطالية ، القائمة الى الآن أمام مبنى نقابة المحامين بشوارع عبد الخالق ثروت ، بحضور المخرج الراحل حلمى رفله والمؤرخ الفنى حسن عمر والفنانة تحية كارىوكا .. وأصدرت مجلة « المصور » عددا خاصا فى أكتوبر ١٩٥٠ عن « كاميليا » النجمة التى رحلت عن دنيانا ولم تكمل عامها الحادى والعشرين ..!

راقية ابراهيم

الراقية ، ساحرة الجمال ، اسسمها الحقيقي « راشيل ابراهيم ليفى » ، والتي لعبت أدوار البطولة فى الأربعينات والخمسينات أمام نخبة من أشهر نجوم السينما المصرية . بدأت حياتها بحى السكاكىنى حائكة للملابس ، الا أنها ثقفت نفسها وقرأت كثيرا وأغرمت بفن التمثيل . وأجادت الفرنسية والانجليزية .

أحبت المخرج الرائد « محمد كريم » وعشقها أديبنا العظيم الراحل « توفيق الحكيم » وهو الذى سعى للاحاقها بالفرقة القومية ، ورشحها لدور البطولة فى مسرحيته الشهيرة « سر المنتحرة » ثم صعد نجمها فى عشرات من المسرحيات التى قامت ببطولتها . تزوجت راقية بمهندس الصوت « مصطفى والى » وغادرت مصر عام ١٩٥٦ الى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعملت بقسم الاتصال والاعلام الخاص بالوفد الاسرائيلى فى الأمم المتحدة ، وتعددت زياراتها لفلسطين المحتلة ، وتمتلك بوتيك لبيع المنتجات والتحف الاسرائيلية فى نيويورك . وقد استضافت عدد من الوفود الصحفية والفنية المصرية التى زارت نيويورك عقب معاهدة السلام ، وأقامت لهم ولائم فاخرة : نخلها دائما حديث الذكريات والحنين الى الماضى الجميل .

ومن أشهر أفلام راقية ابراهيم : « الحل الأخير » عام ١٩٣٧ أمام أنور وجدى وسليمان نجيب ، و « سلامة فى خير » عام ١٩٣٧ بطولة نجيب الريحانى واخراج نيازى مصطفى ، ويعتبر أول كوميديا راقية فى تاريخ السينما المصرية و « رصاصة فى القلب » قصة توفيق الحكيم واخراج محمد كريم ، وفى هذا الفيلم كانت الأغنية الأشهر « حكيم عيون » مع الموسيقار محمد عبد الوهاب ، والفيلم أنتج عام ١٩٤٤ ، وفيلم « ملك الرحمة » عام ١٩٤٧ - اخراج

وبطولة يوسف وهبى ، بالاشتراك مع فاتن حمامة ونجمة ابراهيم ،
وفيلم « زينب » عام ١٩٥٢ - أمام يحيى شاهين وفريد شوقي ،
عن قصة د . محمد حسين هيكل واخراج محمد كريم .

نجمة ابراهيم

وعندما نقلب صفحات الذاكرة الفنية . . يطالعنا وجه الفنانة
القديرة « نجمة ابراهيم » وهو اسمها الحقيقى ، والتي برعت فى
تجسيد أدوار المرأة الشريرة بلامحها الصارمة ونظراتها المرعبة ،
وصوتها القاطع الحاد ، مما جعلها تتبوأ ذروة الأداء الفنى فى عدة
أفلام تمثل علامات فى تاريخ السينما المصرية ، منها على سبيل
المثال : « أسير الظلام » عام ١٩٤٧ - اخراج عز الدين ذو الفقار
مع مديحة يسرى ومحمود المليجى . . ودورها الذى لاينسى فى الفيلم
الشهير « ريا وسكينة » اخراج العبقري الراحل صلاح أبو سيف ،
وقصة وسبناريو أدينا الكبير نجيب محفوظ ، وأنتج هذا الفيلم
عام ١٩٥٣ . . وفيلم « الحرمان » عام ١٩٥٤ مع عماد حمدي
وزوزو ماضي ، اخراج عاطف سالم . . و « صراع الأبطال » عام
١٩٦٢ مع سميرة أحمد وشكرى سرحان .

ولدت نجمة ابراهيم عام ١٩٠٦ ، عشقت التمثيل وحياة الفن ،
التحقت بالفرقة القومية منذ تأسيسها عام ١٩٣٥ ، وعملت مع
عمالقة المسرح : جورج أبيض ، عزيز عيد ، فاطمة رشدي ،
نجيب الريحاني . . اقترنت بالفنان « عباس يونس » الذى كان
مثلا وصاحباً لفرقة مسرحية . . وتوفيت عام ١٩٦٨ .

وكان للفنانة نجمة ابراهيم . . شقيقة كبرى هى
« سربنا ابراهيم يوسف » التى ولدت بالقاهرة عام ١٩٠٤ ، عملت
راقصة ببعض الملاهى وقامت ببعض الأدوار الثانوية على المسرح ،

ولم يكن لها حظ نجمة ابراهيم من الشهرة ، اقترنت بالشرى اليهودى « سالم مزراحى » وغادرت الاسكندرية فى ٤ نوفمبر عام ١٩٥٤ .

الياس مؤدب

الفنان الكوميدي الذى شارك فى عشرات الأفلام امام أشهر نجوم الكوميديا ، وعلى رأسهم اسماعيل ياسين .. كان يسكن شارع « سوق الفراخ » بحارة اليهود . كما كان يمتلك مع شقيقه محلا صغيرا لتصليح الساعات بشارع عبد العزيز ، امام محلات « عمر أفندى » ..

أحب الياس الغناء والتمثيل ، وعمل منولوجست فى الأفراح ، واشتهر بتقليد « اللهجة الشامية » التى كانت مفتاحه لولوج عالم السينما والشهرة ، وكان من البراعة بحيث رسخ فى أذهان الكثيرين - الى يومنا هذا - أنه لابد وأن يكون من أصل لبنانى أو سوري !

فى التياترو

فى مجال الفن المسرحى ، برع العديد من الممثلات اليهوديات ، منهن : « ميليا ديان » بطة فرقة سلامة حجازى المسرحية ، التى كانت تقيم فى بيتها بشارع سلامة - خلف مسجد السيدة زينب - تخطوها نظرات. وأعجاب أهل الحى أن هذه الفنانة تسكن بينهم ! .. و « استر شطاح » التى لمعت فى فرقة جورج أبيض .. و « نظله مزراحى » بفرقة الريحانى ، والتى شاركت فى أوبريت درويش « العشرة الطيبة » بطولة روز اليوسف ، وكانت البطولة الغنائية للفنان زكى مراد .. ثم « جميلة قرداحى » و « ابريز استاتى »

و « وردة ميلان » اللاتي شاركن في فرقة منيرة المهدية وفرقة يوسف وهبي « مسرح رمسيس » التي افتتحت أول عروضها في ١٠ مارس عام ١٩٢٣ و « فيكتوريا موسى » التي كانت « فيديت » فرقة عكاشة ولعبت بطولة عشرات المسرحيات ، ثم عملت بفرقة الريحاني ، وآخر عمل شاركت به كان مع الفنان فؤاد المهندس وشويكار في المسرحية الشهيرة « أنا وهو وهي » عام ١٩٦٤ .

فيكتوريا موسى

قصة الحب العظيم . . النى فى جوهرها مأساة اشترك فى اخراجها : مسرح الحياة ومسرح الخشبة والستارة ! . . قصة حب المؤلف المسرحى « عباس علام » لفيكتوريا موسى التي قامت بأدوار البطولة فى رواياته التي كتبها خصيصا لها ! .

فى العقد الثانى من هذا القرن ، صعد نجم فيكتوريا ، النى كانت على قدر من الثقافة والطموح . . وهيام بالفن ، وكان عباس علام مثالا للعاشق المنكوب . . تميز بطهارة القلب وسعة الخيال ، وقد أطلق على معشوقته عدة ألقاب : « فيكتوريا العظيمة » . . « الملكة » . . « ابليس » . . وشاع هذا اللقب حتى أطلق عليه : « عبد ايزيس » !

قال عنها : « انها أقدر ممثل فى مصر » . . رفض أن يقول : أقدر ممثلة ، حتى لا يتوهم أحد أن هناك رجلا يفوقها فى موهبتها ! . . وكتب عباس علام فى مذكراته ، الصفحات الطوال عن نبوغها وعبقريتها ، وقد بدأ تحلقه بها منذ اليوم الأول لعرض مسرحيته « الزوبعة » والتي لعبت بطولتها ، وأشار الى أنها استطاعت أن تؤثر بروحها وفنها على المشاهدين . . وقال : « من ذلك اليوم ، صرت عبدا لفيكتوريا وزوجها عبد الله (عبد الله عكاشة مدير

الفرقة (وأولادهما الأربعة المحروسين) .. وربما وجدت بعض الاعزاز عند خادهم وكلبهم أصلا ! » .

وعندما قامت ببطولة الأوبريت الغنائى « هدى » كتب عنها فى مجلة « الكشكول » فى ٨ يناير ١٩٢٦ مشيدا بأدائها الساحر ، فيقول : « هدى ، رواية من نوع الأوبرا ، غنائية ، كل من فيها يطربون الناس بأصواتهم ، انس وجن ، أشجار وأنهار ، حتى الزمان يغنى ' وحتى الجو والتماثيل .. كأنك فى مجلس فرعون ' وقد جمع السحرة حوله ' فقدم كل منهم سحره ، ولكنك لا تكاد ترى فيكتوريا موسى حتى تدرك أن « بنت موسى » قد فعلت ما فعله أبوها بعصاه من قبل ، فقد ابتلعت الجميع فى جوفها ولم يبق الا هى .. لا سحر الا سحرها ولا جمال الا جمالها ولا فن الا فنها ! .. وتخرج من هدى وقد نسيت سيده درويش وأبناء عكاشة وكل شيء آخر .. ولا صورة انطبعت فى ذهنك ، ولا سحر أثر فى نفسك غير صوت فيكتوريا موسى وجمالها وفنها !!

ومن الروايات التى كتبها عباس علام خصيصا لها : الزوبعة ، ايزيس ، كوثر ، سهام ، زهرة الشاى ، المرأة الكاذبة ، الساحر ، استير .. فى الفترة من فبراير ١٩٢٠ حتى يناير ١٩٢٧ .. وقد أنهى عباس علام مذكراته بقوله : « .. فسلام منى الى فيكتوريا ، سلام يعقوب الى يوسف ، وأرجو أن لا يكون قد أكلها الذئب » !!

نجوى سالم

اسمها الحقيقى « نينات سالم » .. لمعت فى فرقة الريحانى مع العمالقة : مارى منيب ، عادل خيرى ، عباس فارس ، شرفنطخ .. أجادت دور الفتاة اللعوب المثيرة فى قالب من الميوعة والأنوثة الفائرة ، واشتهرت بمط الكلام والضحكة الرنانة المميزة التى تفتن الزاهد ! ..

اكتشفها نجيب الريحانى وهى صغيرة تتسبل الى الكواليس ،
لتشبع رغبتها فى رؤية هؤلاء الفنانين عن قرب ، فتولاها بالرعاية
والتدريب .

كانت أمها « ميرفت جوده » خبيرة تصميم « شباشب حريمى »
بمحلات « شيكوريل » المليونير اليهودى الشهير . . كانت اجمل
الجماليات . . تجسدت فيها الفتنة والاثارة الطاغية ، عشقها وزر
المالية « أمين عثمان باشا » عميل السفارة البريطانية الذى اغتيل
فى قضية شهيرة اتهم فيها أنور السادات الرئيس الراحل وآخرين .

لم تكتفى والدتها بعلاقتها بأمين عثمان باشا ، بل ارتبطت
أيضا وفى الوقت ذاته بعلاقات مع آخرين من الوسط الصحفى
والفنى ! . . وقد اقترنت نجوى سالم بالناقد والصحفى الراحل
عبد الفتاح البارودى نحو عامين .

كان الرئيس السادات قد منح نجوى سالم شهادة تقدير
ومعاشا استثنائيا مدى حياتها . . ويومها صعدت الى منصة التكريم
وهى تزغرد . . مرتدية فستان الزفاف والطرحة ! . . ورحلت عن
دنينا عام ١٩٨٨ .

فى الموسيقى والطرب

يقول أديبنا الراحل « يحيى حقى »

« . . كان الشعب المصرى يجهل كل الجهل سعى الصهيونية
منذ عام ١٨٨٢ . لاقامة دولة اسرائيل فى فلسطين العربية ، ومن يدري
لعل يهود مصر كانوا على علم بهذا السعى ، يؤيدونه فى غفلة منا ،
ولكن لو تطلعنا اليوم الى الصورة كما يراها أهل ذلك العهد فى

يلدنا ، لرأينا صورة تنم عن الخلطة التي لاتعكرها الشوائب البيئية
.. وأتاح هذا الجو لليهود أن يلعبوا دوراً غير قليل في مجالات
الفنون عندنا : البزرى وسهلون فى الأداء الموسيقى ، زكى مراد فى
الغناء والتلحين ، وأستاذهم جميعاً « داود حسنى » الذى أعانته
الدم اليهودى الذى يجرى فى عروقه ، عن التعبير أحر تعبير عن
الموجة والأسى والشجن والحزمان ، هذه المادة الخام لكل غناء شرقى ،
يخيل اليهم أن الموسيقى الشرقية هى التى أرضعته من ثديها أصفى
ألبانها !

داود حسنى

علم من أعلام التلحين ورائد من رواد النغم .. اسمه الحقيقى
« دافيد حاييم ليفى » ولد عام ١٨٧١ ، عاصر فى نهاية القرن
التاسع عشر ، اثنين من أساطين الطرب والتلحين : عبده الحامولى
ومحمد عثمان ، وأخذ عنهما ، وقد بدأ داود حسنى حياته الفنية
مطرباً ثم عكف على التلحين ، فأثرى الموسيقى المصرية بفزارة
عطائه الفنى على مدار خمسين عاماً ، واستوحى من البيئة الشعبية
ألحاناً زاهية تغنى بها الناس فى كل مكان ، منها : « قمر له ليالى »
.. « ليلة فى العمر » وما أجمل وأشجى صوت السلطانة منيرة
المهدية فى هذا الدور .. ثم « على خده ياناس ميت وردة » ..
« أسير العشق ياما يشوف هوان » .. و« طقطوقة » وجننتينى
يابت يا بيضه » و « صيد العصارى » و « يمامة حلوة » و « عصفورى
يامه » .. وغيرها من الأدوار والطاقات التى مازالت حتى اليوم
تتهادى بين أسماع الناس نغماً عذبا شجيا يملك القلوب ويأسر
الآلباب .

ولم يقتصر فن داود حسنى على تلحين الأدوار والطاقات ،
وانما وجه جهوده نحو الموسيقى التعبيرية - موسيقى المسرح - حيث

استطاع أن يلحن أكثر من خمس وعشرين مسرحية غنائية
أوبريت ، منها « معروف الاسكافي » و « صباح » و « ليلة كليوباترا »
التي صاغها شعرا الأديب الموسيقى الرحالة د . حسين فوزى .

وعندما لمس داود اقبال الجماهير على هذا اللون من الغناء
وتذوقها لفن الأوبريت ، قام بتلحين أول أوبرا مصرية كاملة ، هي
أوبرا « شمشون ودليله » فكانت تطورا وطفرة كبيرة للموسيقى
العربية ، وأثبتت للباحثين في علم الموسيقى : أن الموسيقى الشرقية
قادرة على التعبير عن كل معنى من معانى الحياة ، وأن تملأ عالما
بأسره بفيض بالخيال والجمال .

وقد اعتادت مصر أن تحفل بذكرى هذا الفنان المصطفى
اليهودى : فى العاشر من ديسمبر كل عام ، حيث وافته المنية فى
مثل هذا اليوم من عام ١٩٣٧ ، تقديرا لماثره فى عالم الموسيقى
وتكريما لما أبدعه من تراث فنى خالد لوطنه مصر .

ليلي مراد (سندويلا النيل)

فى عالم الغناء والطرب ، بزغ نجم الجميلة الرقيقة ، الفيتارة
« ليلي مراد » . ولدت عام ١٩١٦ بحى العباسية - الذى كان يسكنه
آلاف من اليهود معظمهم من طائفة القرائين - كان والدها
« زكى مراد » من نجوم الطرب والتلحين ، تتلمذ على الفنان
« داود حسنى » . وكان « حزاننا » يؤم الصلوات بالمعبد اليهودى .

أنجب زكى مراد ثلاث بنات هن : ملك ويلي وسسمبحة
(أسلمت) وثلاث أولاد : وإبراهيم وموريس الذى اشتهر باسم
« منير مراد » وأشهر أسلامه عندما اقترن بالفنانة « سهير البابلي »
فى أوائل الستينات . درست ليلي مراد فى مدارس الاتحاد

الاسرائيلي والليسيه وعندما قام والدها برحلة الى اميركا لتكوين
ثروة .. طالت الرحلة .. فاضطرت أن تعمل بالحياكة الى ان عاد
الاب مثلما سافر ! .. نشأت ليلي في جو من الموسيقى والغناء ،
حيث كان محمد القصبجي ورياض السنباطي من اقرب اصديقاء
والدها ، وجلسات الطرب تضمهم جميعا ، فكانت تردد ما تسمع ،
فانبهر القصبجي بصوتها وتعهدا برعايته .. غنت في الاذاعات
الاهلية والحفلات الخاصة .. الى ان منعهها الموسيقار محمد
عبد الوهاب فأعجب برقتها وجمال صوتها ، فتعاقد معها على بطولة
فيلم « يحيا الحب » ١٩٣٨ وتقاضت مبلغ ٣٠٠ جنيه ! .. ثم
تعاقد معها « توجو مزراحي » على بطولة فيلم « ليلي » أمام
حسين صدقي بمبلغ ٨٠٠ جنيه ، ثم وصل أجرها الى ١٥٠٠ جنيه
عندما تعاقد معها مزراحي لمدة ثلاث سنوات ، ليقطع طريق
المفاوضات الذي بدأه معها ستوديو مصر ، ثم ارتفع أجرها الى
١٢ ألف جنيه ؛ أعلى أجر يتقاضاه فنان في ذلك العصر ! ..

بعد فيلم « ليلي في الظلام » أمام الفنان « أنور وجدي » منعد
المواهب خفيف الظل الذي برع في التمثيل والتأليف والخراج
والانتاج ، تعاقد معها على القيام ببطولة فيلم « ليلي بنت الفقراء »
عام ١٩٤٦ ، وفي اليوم الأخير من التصوير ، دعا كل الصحفيين
لمساعدة آخر لقطة في الفيلم « مشهد الزفاف » وبعد الانتهاء من
تصويره ، فاجأ أنور وجدي الجميع بأن هذا المشهد كان حقيقيا
وأنه اقترن بالفنانة ليلي مراد التي أشهت اسلامها !

وحدثت خلافات بينهما وصلت الى حد الطلاق مرتين ، بسبب
رفضه أن تمثل أفلاما من انتاج آخرين ، وأن عملها بالسينما يقتصر
على الأفلام التي تنتجها شركته فقط ! .. وكانت لا تتقاضى أجرا الى
أن فوجئت بالضرائب تطالب بحقوقها ! .. وتدخل يوسف وهبي

وعبد الوهاب في محاولة للصلح - في المرة الثانية - وتمسك كل منهما بموقفه وتم الطلاق ، ويعقد أنور وجدى مؤتمرا صحفيا - كان ذلك عام ١٩٥١ - أوضح فيه أن سبب الطلاق أنه « سمع بأنها ذهبت الى اسرائيل » . ولم تنشر الصحف أنباء هذا المؤتمر . . . غير أن صحيفة « الكفاح العربي » السنورية نشرت الخبر في المانشيت الرئيسي . . . واجتمع مكتب مقاطعة اسرائيل وقرر عدم اذاعة أغانيها وعرض أفلامها . . . وتعود نسخ الأفلام التي تعاقد أنور وجدى على عرضها تجاريا بالبلاد العربية ، لتتقلب المسألة ضده بخسارة جسيمة !

كانت ليلى مراد نجمة حفلات الثورة عقب قيامها ١٩٥٢ ، والتي كانت تقام بحديقة الاندلس ، وأبدى « وجيه أباطه » أحد ضباط الثورة ، استعداده لحل قرار المقاطعة مقابل أن يتزوجها . . . وكان « جمال حماد » المؤرخ العسكري أحد شهود هذا الزواج ، وكان في ذلك العهد ملحقا عسكريا بسفارتنا في دمشق . . . وأفرج بالفعل عن أغانيها وأفلامها بعدما « ثبت عدم مصداقية هذا الاتهام » ! من هذه الزيجة أنجبت ابنها « أشرف » . . . وفي عام ١٩٥٧ ، كان زواجها الثالث من المخرج السينمائي « فطين عبد الوهاب » وأنجبت « زكي » الذي شارك بسرا بطولة فيلم « مرسيدس » . . . واستمر هذا الزواج ١٢ عاما الى أن تم الانفصال .

وكان فيلمها الأشهر « غزل البنات » شهادة تقدير للعقبة التجارية لأنور وجدى ، وأحد معالم تاريخ السينما المصرية والذي حقق نجاحا باهرا ، وكان فيه أشهر دويتو غنائي بينها وبين الفنان نجيب الريحاني « علشانك انت انكوى بالنار » . . . وهو آخر فيلم ظهر فيه عبد الوهاب ، وآخر أمجاد يوسف بك وهبي . . . وانتهى الفيلم بنجيب الريحاني وهو يبكي محبوبته « ليلى مراد »

التي تعلقت بشباب في مثل عمرها ، وعليه أن يكتفى بدور « عاشق الروح » ٠٠ ا ٠٠ احدى روائع عبد الوهاب ، عقب عرض هذا الفيلم : رحل الريحاني ، ثم لحق به سليمان نجيب وأنور وجدي ٠٠ فبدأ الفيلم في مجمله وكأنه « حفل وداع لعصر بأكمله » !!

وكانت ليلى مراد شديدة الاعتزاز بإسلامها ، مواظبة على الصلاة والصيام ، تكثر من قراءة القرآن والاحسان لذوي الحاجة ٠٠ ورحلت في بداية عام ١٩٩٦ والمصحف الشريف على صدرها ٠٠ وشيعت جنازتها من جامع السيدة نفيسة - رضى الله عنها - طبقا لوصيتها !

وليس غريبا ٠٠ ما قيل عن محاولات إسرائيل والجهود السياسية التي بذلت من أجل عودتها الى اليهودية ، حتى أن وزارة الخارجية الاسرائيلية عرضت عليها « المواطنة الشرفية » ٠٠ فرفضتها ، كما رفضت منحها جواز سفر دبلوماسي اسرائيلي ٠٠ بل وكانت ترفض مقابلة أى مسئول اسرائيلي ٠٠ كذلك عرض عليها « شيمون بيريز » عندما كان وزيرا للخارجية أن تكون « سفيرا فوق العادة » ٠٠ فكانت اجابتها أنها : « مصرية ومسلمة وستظل كذلك حتى تموت » ا ٠٠

النشاط السياسي وعمليات التجسس اليهودى فى مصر

يهود مصر .. وعلاقاتهم بالقصر !

ترسخت فى الوعي اليهودى - عبر التاريخ - مشاعر
الاحساس بالضعف والعزلة والخوف والتشكك .. وأنهم بحاجة
دائما الى قوة تحميهم وتزود عنهم . بعدما تخلى الرب عنهم وتركهم
يعانون « قدر اليهودى » اللعن والكراهية والشتات !!

الكاتبة البريطانية « أرتيميس كوبر » التى عاشت فى
مصر خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، ترصد بوعى
وفكر ثاقب الحالة الاجتماعية والوضع السياسى فى المجتمع
القاهرى خلال تلك السنوات العصيبة ، فتقول :

« صفوة اليهود كانت تتمثل فى عائلات : قطاوى ، رولو ،
هرارى ومنشه ، وكانوا من كبار الممولين فى مصر .. يتنقلون
وسط الدوائر الملكية، حرم يوسف باشا قطاوى « أليس سوارس »
وحرم السير روبرت رولو « فالتين رولو » كانتا صديقتين
للملك فؤاد ، كان رولو مديرا للبنك الاهلى المصرى ، ابنة
« سيمون » كانت أذواقه فى الملابس صارخة فيما كان ذوقه فى
النساء راقيا .. زوجته كانت احدى جميلات القاهرة .. »

السير « فيكتور هرارى » باشا ، كان أحد رجال المال
اللامعين ، عمل مع لورد كرومر ثم كرس حياته للتجارة والأعمال
الخيرية . . . وكان دائما يحث ابنه « ماكس » على أن ينتهج سبيلا
أكثر جدية في حياته . « لكن ماكس شأن كثير من شباب العائلات
الثرية بالقاهرة كان يفضل لعب البولو بنادى الجزيرة الرياضى . .
عائلة منشه منحت الأوسمة من إمبراطور النمسا ، وكان البارون
« جورج دى منشه » رجلا تفتابه وساوس ازاء مصافحة الناس ،
ومن ثم كان يرتدى دائما القفازات ! . . ولا يمكن لأحد أن يرى
أصابعه الا اذا عزف على البيانو . . أخوه تشارلز كان فى غاية
الاعتزاز بعائلته ، وكثيرا ما كان يستعرض براءات الأوسمة
الممنوحة من الإمبراطور ، وقد تألفت فوق منصة فخمة فى مدخل
البهو . . !

أما عائلة موصيرى ، فكانت من يهود اليونان ، وقد دأبت
« هيلين » أرملة ايل موصيرى على اقامة حفيت آل موصيرى ،
وكانت صديقة مقربة من الملك فاروق ، وكثيرا ما كانت تقيم حفلات
خاصة للأسرة الملكية . . وقيل أن الملك قد أمر بتركيب خط
تليفونى خاص ، يستطيع من خلاله أن يخبرها فى أى لحظة ليلا
أو نهارا . . !

تمتع يهود مصر بوضع متميز داخل المجتمع المصرى ، نتيجة
علاقاتهم « الخاصة » التى أقاموها مع كل حاكم جديد ارتقى عرش
مصر . .

ففى عهد محمد على باشا ، وحتى قيام ثورة يوليو ، كان
التقارب المتبادل بين يهود مصر - وممثل الاحتلال البريطانى -
والأسرة المالكة ، متوازيا مع حریتهم فى التعبير وممارستهم لكل

الحقوق المدنية ، فتربعت العائلات اليهودية الشهيرة على قمة الهرم الاجتماعي في مصر ، وقد تجمعت بأيديهم كل مصادر القوة والنفوذ الاقتصادي . ووجهة اجتماعية ، مكنتهم من توطيد علاقاتهم بذوى النفوذ السياسى .

شهد يهود مصر نوعا من الازدهار الذى شجع يهود اليونان وشرق أوروبا على الهجرة الى مصر ، ابان عصر محمد على . الذى خفف عنهم الضرائب ، بالغاء الجزية المفروضة عليهم . واستعان بهم فى الأعمال والوظائف ، كما أسس مجاكم مدنية مكنتهم من التقاضى أمامها ، وحين شكل مجالس البلديات ، ضم بين أعضائها عدد من اليهود .

كذلك قرب الخديو عباس حلمى الأول اليه « يعقوب قطاوى » عميد تلك الأسرة الشهيرة فعينه مديرا لمصلحة سكة النقود ، وقد ظل محتفظا بهذا المنصب فى عهد خلفه الخديو سعيد .

وفى عهد الخديو اسماعيل ، عينه فى وظيفة « صراف باشى » أو كبير الصيارفة ، وهو نفس المنصب الذى تولاه بعده البارون « يعقوب منشه » وانضم الاثنان الى حاشية اسماعيل باشا ومعهما آخرون وشاركه قطاوى ومنشه فى بعض الاستقبالات الرسمية ، واستعان بهما فى مفاوضات الحصول على قروض من بيوت المال اليهودى الأوربية : روتشيلد ، واوينسايم وديبييه ديبشار . . . وبتسهيلات من الخديو ، تمكنا من تأسيس عدد من البنوك وشركات الصرافة والتجارة .

فى عهد الخديو توفيق ، كان لعائلات : قطاوى وموصيرى وهرادى وعادة علاقات متميزة بالقصر ، ومنح يعقوب قطاوى عام ١٨٨٠ لقب « بك » كأول يهودى ينال هذا اللقب .

وفي عهد الخديو عباس حلمي الثاني ، كان المحامي والأديب الصحفي « مراد فرج ليشع » ، على علاقة وثيقة بالخديو ، الذي أوكله في قضايا الخاصة ، حتى أصبح محامي الخاصة الخديوية ، ثم رئيسا لقلم قضايا الأوقاف بقصر عابدين . وتفرّب اليه عدد آخر من اليهود ، الذين هيمنوا على استثمارات الخديو ومضارباته المالية !

في عام ١٩١٣ ، أصدر الخديو دستورا عرف باسم « القانون النظامي » تأسست بموجبه « الجمعية التشريعية » . وعين بها أول عضو يهودي في تاريخ البرلمان المصري « يوسف أصلان قطاوي » وكان ذلك في ٢٢ يناير عام ١٩١٤ ، وظلّ عضوا بها حتى تشكل أول مجلس نيابي على غرار المجالس النيابية الأوروبية .

في عهد السلطان حسين كامل ، ازداد « عطف » القصر على اليهود ، وحين طرد الوالي العثماني « جمال باشا » يهود فلسطين عام ١٩١٥ ، نظرا لزيادة النشاط الصهيوني بينهم ، هاجر منهم إلى مصر نحو ١٢ ألفا ، واستقر معظمهم بالاسكندرية وبأمر السلطان بصرف اعانة يومية لهم مقدارها ثمانون جنيها ، زيدت إلى مائة جنيه !

ويصدر السلطان فرمانا بتبرع الحكومة بقطعة أرض لبناء مستشفى للطائفة اليهودية في القاهرة . . . بالإضافة إلى المساهمة في إنشاء عدد من المدارس اليهودية .

وعهد (السلطان) الملك فؤاد ، يعتبر « العصر الذهبي » للعلاقة بين يهود مصر والقصر ، فحين صدر « وعد بلفور » صرح الملك فؤاد بأن مصر « تنظر بعين العطف إلى قضية اليهود وتأمل أن يتحقق أملهم ، وتعلن تحايلها لهم » !!

« يوسف قطاوى » هو أول وآخر - وزير يهودى فى تاريخ مصر الحديث ، عندما كلف الملك فؤاد « أحمد زيوار باشا » بتشكيل حكومة جديدة فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وكان يوسف قطاوى عضوا بحزب « الاتحاد » الذى شكله القصر الملكى فعين وزيرا للمالية وهو أول من أصدر قرارا بسك العملة البرونزية من فنتى المليم ونصف المليم ! ثم أجرى تعديل وزارى ، تولى بمقتضاه وزارة المواصلات فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٥ ، حتى اقالته فى مايو من نفس العام !

ارتبط يوسف قطاوى بصداقة قوية بالملك فؤاد ، كان حريصا على اعلان واثبات ولائه للملك ، كما كانت زوجته - أليس - الوصيعة الأولى للملكة نازلى ، وهى نفس الوظيفة التى شغلتها قبلها « فالنتين ديلى » أول امرأة يهودية تحصل على وسام الكمال !

ويصدر الملك مرسوما ملكيا بتعيينه عضوا بمجلس الشيوخ فى ٣١ يناير عام ١٩٢٧ ، ثم عضوا باللجنة المالية فى ٧ مارس من العام نفسه ، ثم رئيسا لها فى العام التالى ، ويشارك فى عدة وفود رسمية ، لحضور مؤتمرات البرلمانات الدولية فى الفترة من سبتمبر ١٩٢٧ حتى عام ١٩٣٥ ، وقد ظل عضوا بمجلس الشيوخ حتى استقالته فى ٦ يوليو عام ١٩٣٨ م .

هناك أيضا « حاييم تاحوم أفندى » الحاخام الدبلوماسى الذى توثقت علاقاته بالدوائر السياسية فى ولايات الامبراطورية العثمانية ، والولايات المتحدة وفرنسا ، وثق صلاته بالملك فؤاد ، الذى عينه حاخاما كبيرا لمصر والسودان عام ١٩٢٥ ومنحه الجنسية المصرية عام ١٩٢٩ ، وعينه عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٣١ .

كذلك ارتبط أولاد يوسف قطاوى بصداقة قوية بالملك
فؤاد ، وكان أكبرهم « أصلاًب قطاوى » موظفاً بإدارة أملاك الحكومة ،
ثم تدرج فيها حتى تقلد منصب المدير العام سنة ١٩٣١ ، كما عينه
الملك عضواً بمجلس الشيوخ ، وعضواً بمجالس إدارات البنك
الأهلى المصرى وشركة قناة السويس وشركة الملاحة البخارية ، وكان
« أدولف قطاوى » صديقاً للملك منذ أن كان أميراً .

أيضاً رينية فطاوى . . . الذى كان مديراً لشركة وادى
كوم امبو ، ورئيساً لمجلس إدارة شركة السكر والتقطير المصرية ،
عينه الملك فاروق عضواً بالبرلمان عام ١٩٣٨ ، وعين عضواً بالمجلس
الاقتصادى ، وبالمجمع العلمى المصرى وبالجغرافية الملكية .

و « جاك جوهر » كان صديقاً للملك فؤاد ، خلال الحرب
العالمية الأولى كان ضابطاً بالجيش البريطانى برتبة كولونيل ،
تزوج من عائلة « عيسى » واحدة من أغنى العائلات اليهودية فى
مصر . . . عينه الملك فؤاد مشرفاً عاماً على النشاط الرياضى فى
مصر . . . وتوثقت صلته بالملك فاروق ، وصحبه فى عدة رحلات
بالداخل والخارج وكان نائباً لرئيس منظمة «أندية» المكابى
العالمية . . . ونائباً لرئيس نادى السيارات الملكى . . . الذى كان
ملتقى « صفوة المجتمع » والاستقراطية اليهودية من نجوم عائلات
قطاوى وموضيرى ، عيسى ، وشنيكوريل ومزراحى . . . يلتفون حول
الملك ويخسرون له عمداً على موائل القنار . . . تماماً كما كان
« نادى اليخت الملكى » أرقى أندية الاسكندرية ، ملتقى العائلات
اليهودية الشهيرة - صفوة المجتمع لسكندرية - مثل منشه ورولو
أجيون وسوارس .

وقد أغدقت الرتب والألقاب على كثير من اليهود ذوى
العلاقات الوثيقة والمتميزة بالقصر ، فمنهم من أنعم عليه بالباشوية

مثل : يوسف قطاوى ، موسى قطاوى ، فيكتور هرارى ، مزراحى ،
بلوم . . . ومن أنعم عليهم بالبكوية : يعقوب قطاوى ، أدولف
وأصلان ورينيه قطاوى ، مراد ليشع ، جوزيف دى بنشيويتو :
الذى كان عضوا بمجلس النواب ثم مجلس الشيوخ عام ١٩٢٨ ،
سلفاتور شيكوريل ، كليمان شملا ، مارك بيبولوس ، جوزيف
وموسى ديشى ، أبرام عاداه ، رودلف شالوم . .

يقول « حاييم وايزمان » رئيس اللجنة الصهيونية لدراسة
أوضاع اليهود فى فلسطين وأول رئيس لدولة اسرائيل ، فى
رسالة بعث بها من الاسكندرية الى زوجته فى لندن بتاريخ ٢٤
مارس ١٩١٨ ، صورت جانبا من حياة الطبقة اليهودية الثرية فى
مصر .

« . . موقف السلطات رائعا وصريحا ، بالرغم من افتقارها
الى ادراك الأمور . . يوجد هنا العديد من الأسر اليهودية العريقة ،
التي تعد من أقطاب المال فى لاسكندرية وفى مصر كلها ، ولهم نفوذ
فى جميع المجالات ، وهم يشكلون شبه أسرة كبيرة ، بعضهم على
قدر بالغ من الذكاء والقدرة . . هرارى باشا يشغل منصبا مرموقا
فى حكومة البلاد . . معظم أسرة موصيرى من المليونيرات ، تتزايد
ثرواتهم يوما بعد يوم ، أنهم رجال مهذبون ، يستقبلوننا بحرارة
شرقية ، يقدمون لنا جميع أنواع المجاملات ، التى لابد أن نرد عليها
بأدب مناسب . . لكن الوضع كله تمثيل فى تمثيل ولا يزيد عن
ذلك !! . . »

النشاط الصهيوني في مصر

يؤكد سعد يعقوب مالكي . . رئيس تحرير صحيفة اسرائيل - على أهمية الصهيونية ودورها في انقاذ الشباب اليهودي بقوله « من لطف الله بالأمة اليهودية أن قيض لها - وهي على وشك الوقوع في اليأس - من تحسن أحوالها - أن ظهرت الى الوجود الحركة الصهيونية ، التي قدمت المشاء الأعلى للشباب والأمة بأسرها ، ! »

وبإيجاز شديد يمكننا القول بأن الصهيونية العالمية قد استطاعت أن تجعل من مصر - أخطر مراكز نشاطها في الفترة من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٤٨ . . فقد كانت مصر - دون أن تدري أو تريد - معسكر الانتقال للصهيونية العالمية ، والمحطة الرئيسية على الطريق الى فلسطين ولولا جهود زعماء الصهيونية وأعوانها في مصر ، لما استطاعت الصهيونية العالمية تأمين ظهر المستعمرات اليهود في فلسطين ، وضمان حركة التهجير إليها ، وتخفيف حدة التوتر العربي داخل فلسطين وخارجها ثم اعلان قيام دولة اسرائيل !

ونظرا لوجود طائفة يهودية كبيرة وثرية ، يمكنها أن تؤدي دورا مؤثرا في خدمة الأهداف الصهيونية ، فقد أولت الصهيونية العالمية - مصر - اهتماما خاصا .

ولذا فاندنا نلاحظ أن بداية النشاط الصهيوني في مصر واكبت ظهور الصهيونية الحديثة ففي فبراير ١٨٩٧ ، وبعد صدور كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » عام ١٨٩٦ ، أسس جوزيف هاركو باروخ جمعية صهيونية بالقاهرة باسم « جمعية بركوخبا الصهيونية » برئاسة جاك هارملين وعين جوزيف ليبوفيتش سكرتيرا لها ، وقد نجحت الجمعية في أن تؤسس عدة فروع لها في الاسكندرية وبورسعيد والمنصورة وطنطا . .

وقبيل الحرب العالمية الأولى ، تأسس في مدينتي القاهرة والاسكندرية وحدهما نحو ١٤ جمعية صهيونية ، تهدفها الدعوة الى الأفكار والأهداف الصهيونية ، في القاهرة تأسست جمعية أبناء صهيون عام ١٩٠٠ (للأطفال تحت ١٥ سنة) وجمعية الأدب العبري عام ١٩٠٥ ، وجمعية أحباء صهيون عام ١٩٠٦ ولجنة التنسيق الصهيونية عام ١٩٠٩ ، وجمعية أبناء صهيون الى الامام عام ١٩١٠ ، واتحاد أطفال صهيون عام ١٩١١ والدائرة القومية اليهودية ودائرة هرتزل عام ١٩١٢ . .

وفي الاسكندرية أسس شارل بغدادلي أول جمعية صهيونية عام ١٨٩٨ ضم اليها صفوة الأشيكنازيم والسفادزيم ، ثم تحولت هذه الجمعية الى فرع لجمعية بركوخبا عام ١٩٠١ ، ثم تأسست عدة جمعيات أخرى مثل جمعية أمل صهيون ١٩٠٤ ، وجمعية عمان صهيون وجمعية أبناء صهيون عام ١٩٠٦ ، وجمعية شبان صهيون عام ١٩٠٧ ، ثم اندمجت جمعية أبناء صهيون مع جمعية زئيرا صهيون عام ١٩٠٩ .

وقد توحدت هذه الجمعيات عام ١٩١٧ تحت اسم « الاتحاد الصهيوني » ، وكان أن تدفقت على مصر أعداد هائلة من اللاجئين

اليهود عقب نشوب الحرب العالمية الأولى : وهؤلاء أعطوا للنشيطين الصهيونيين في مصر دفعة كبيرة . . . وأقام هؤلاء الفلاحين اليهود في مدينة الإسكندرية ، في معسكرات أطلق عليها « معسكرات التحرير » ! وأشرفت السلطات المصرية والبريطانية على توفير وسائل الراحة والدعم لهم !!

ثم تأسس أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر ، برئاسة جاك موصيري ثم خلفه جوزيف شيكوبيل ورئيس الفرع عام ١٩٢١ وشغل ليون كاسترو منصب سكرتير اللجنة المركزية . في عام ١٩١٨ ، أصدر الفرع « المجلة الصهيونية » باللغة الفرنسية . وانشط كاسترو في ضم الجمعيات الصهيونية وانشاء فروع للمنظمة في المدن الكبرى ، وبث الدعاية للأفكار الصهيونية بين أوساط اليهود . . .

وقد سعى زعماء الصهيونية إلى تكوين كيان صهيوني مستقل ، بهدف تجميع شباب اليهود في منظمة أو تنظيم عسكري يتولى حماية الكيان الصهيوني في فلسطين ، وتزعم هذا المسعى صحفي يهودي روسي هو « فلاديمير جابو تنسكن » وتكونت بالفعل فرقة البغالة أو « كتائب أبناء صهيون » في منطقة برج العرب غرب الاسكندرية عام ١٩١٥ ، التي شاركت تحت لواء القوات البريطانية في الحرب العالمية الأولى .

ثم تكون ما يسمى « الفيلق اليهودي » في الجيش البريطاني وأرسلت الكتيبتان « ٣٨ » و « ٣٩ » إلى مصر في فبراير وأبريل عام ١٩١٨ ، حيث أقيمت لهما استقبالات حافلة في الاسكندرية والقاهرة . وعقب استكمال تدريب كل كتيبة أرسلت إلى فلسطين . . . وافتتحت مكاتب خاصة بتجنيد اليهود في كل من

القاهرة والاسكندرية ، فى اطار حملات مكثفة لبحث يهود مصر على التطوع .. حتى أمكن تشكيل الكتيبة « ٤٠ » من يهود مصر وفلسطين ، ثم أرسلت الى القدس للانضمام الى الجيش البريطانى الذى فتح المدينة بقيادة الجنرال اللنبى ا

وتجدر الاشارة الى أن الجمعيات الخيرية والأندية اليهودية، تحولت الى ساحات للترويج للفكر الصهيونى ، حيث كانت تضم عندها كبيرا من شباب اليهود المتحمسين للصهيونية وحلم الوطن القومى ، وكان عملاء الصهيونية العالمية قد نجحوا فى تجنيد معظم أعضاء هذه الجمعيات ، والأندية .. فحولت من نشاطها الاجتماعى الى النشاط السياسى .. ومن ناحية أخرى سعى الأناج الصهيونية الى اكتساب عطف الحاحامات ، خاصة بعد صدور وعدا بلفور عام ١٩١٧ ، فمنذ ذلك التاريخ ، بدأ الحاحامات اليهود فى القاهرة والاسكندرية يتصدرون احتفالات الصهاينة واجتماعاتهم ويشاركونها ، وكان للحاجام حايم لاحوم دورا بارزا فى تشجيع الفكر الصهيونى ونشاطه فى مصر ..

يهود مصر والتنظيمات الشيوعية

طرح الراحل د. علي شلش فى كتابه « اليهود والماسون فى مصر » عدة تساؤلات عن أسباب قيام النشاط الشيوعى - على أيدي اليهود - فى مصر :

● هل كان هناك صلة بين الشيوعية والصهيونية على أيدي اليهود ؟

● هل كان اليهود الذين نقلوا هذا النشاط من أوروبا ، يريدون صرف أنظار جماهير الشعب فى مصر عن الصهيونية ؟

● هل كان هؤلاء شديدي الاندماج في المجتمع المصري ، بحيث أدركوا أن حل مشكلة الفقر لا سبيل له الا الشيوعية ؟

● هل كان التفكير في الشيوعية عندهم نوعا من الترف النظري ؟ أو بمعنى أوضح : هل كان مجازاة لموضحة التفكير في الشيوعية التي سادت المثقفين في أوروبا الغربية في فترة ما بين الحربين ؟

من واقع التاريخ السياسي لمصر الملكية نجد أن : النشاط الشيوعي كان محظورا تماما ، على عكس النشاط الصهيوني !!

أقدم تنظيم شيوعي في مصر ، هو الذي أسسه « جوزيف روزنتال » بالاسكندرية باسم « الحزب الاشتراكي » وقصر عضويته على اليهود والأجانب بالمدينة ، في بداية العقد الثاني من هذا القرن .

ولفت نشاط الحزب انتباه أربعة من المصريين هم : محمد عبد الله عنان - الذي تخصص فيما بعد في تاريخ العرب بالاندلس ومحاكم الغتيش الشهيرة - والكاتب الصحفي سلامة موسى ، عسنى العرابي وعلى العنالي : هؤلاء كانت أفكارهم تتراوح بين الماركسية والقابية على طريقة برنارد شو . . . وتمت الاتصالات التي أسفرت عن تأسيس « الحزب الاشتراكي المصري » في أغسطس ١٩٢١ ، لكن الحزب أصابه الانشقاق سريعا ، وخرج منه المعتدلون مثل سلامة موسى الذي قال : « لم يتسبغ صبر روزنتال لاعتدالنا » . . .

بعد نحو عام ، تغير اسم الحزب إلى « الشعبية المصرية للدولية الشيوعية » ولم يكده ينتهي عام ١٩٢٢ ، حتى أصاب الحزب تصدع

آخر راح صحبته - روزنتال - نفسه بسبب معارضته للانضمام الى
« الكومنترن الشيوعي » .. وبدأت السلطات الحكومية في مطاردة
أعضاء الحزب ، حتى تم اعتقالهم في ٥ مارس ١٩٢٤ ..

في عام ١٩٣٤ ، أسس « بول جاكو دى كوب » ، « راءول
كوزيل » وشقيقه الأصغر « هنرى كوزيل » جماعة شيوعية من
اليهود باسم « رابطة أنصار السلام » ضمت : مارسيل اسراييل ،
هيليل شوارتز ، سلامونى سيدنى ... وقد أغرى هؤلاء بعض
المثقفين المصريين بالانضمام اليهم مثل : د. عبد الرازق السنهورى
وزهير جرانة .. غير أنهم سرعان ما انفصلوا عنهم ، فاستقل بها
اليهود ، وتغير اسمها الى « جمعية أنصار السلام » ..

في عام ١٩٣٨ ، انشق هنرى كوزيل عن هذه الرابطة أو
الجمعية ، وأسس ما يسمى بـ « النادى الديمقراطي » .. ومن هذه
النادى ، انشق مارسيل اسراييل الذى كون « منظمة تحرير
الشعب » .. ومن هذه المنظمة ، تفرعت عدة جماعات ، مثل :
« جماعة الفن والحرية » التى ضمت من شباب المصريين : جورج
ختمين ، زمسيس يونان ، أنور كامل ، الذين أصبحوا في يناير عام
١٩٤٠ مجلة « التطور » وكانت هذه الجماعة متأثرة بفكر « ليون
تروتسكى » .. وجماعة « الخبز والحرية » التى تأسست عام
١٩٣٩ ..

عقب الحرب العالمية الثانية ، نشأت عدة تنظيمات شيوعية
أسسها يهود ، أهمها : « جماعة الفجر الجديد » التى أصبحت
مجلة بهذا الاسم في ١٦ مايو ١٩٤٥ ، ورأس تحريرها أحمد رشدى
صالح ، وضمت : سيلفاتور بن روفائيل المعروف باسم « أحمد
صادق سعد » وريمون دويك ، شقيق حاييم دويك الذى تولى
منصب الناحام الأكبر بعد وفاة حاييم ناحوم ، ويوسف درويش ..

فيم سبتمبر ١٩٤٦ ، تحولت هذه الجماعة الى تنظيم
« الطليعة الشعبية للتحرر » ثم تغير اسمها الى « طليعة العمل » ثم
الى « حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى » عام ١٩٥٧ .

وكان النادى الديمقراطى الذى أسسه هنرى كوريل ، قد
انقسم بدوره عام ١٩٤٢ الى تنظيمين : « الحركة المصرية للتحرر
الوطنى » بقيادة هنرى ، و « ايسكرا » أو الشرارة بالروسية ،
بقيادة هليل شوارتز . ثم اتحد هذين التنظيمين عام ١٩٤٧
باسم : « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » الذى اشتهر
بالاسم الرمزي « حدتو » . وضمت من شباب المصريين خالد
محيى الدين ، أحمد حمروش ، سعد كامل ، أحمد فؤاد الذى
تولى فيما بعد رئاسة مجلس ادارة بنك مصر . . . وقد ظل كوريل
مسيطر على هذا التنظيم وممولاً له ، حتى تم القبض عليه مع
شوارتز وتم ترحيلهما الى الخارج فى صيف ١٩٥١ . وكان من
أنشط أعضاء هذا التنظيم : « ابراهيم أرنست هرارى » الذى كان
محامياً - آنذاك - ونظراً لخطورته على أمن البلاد ، فقد اعتقل
أكثر من مرة ، الى أن هرب من معتقل الوادى الجديد عام ١٩٦٤ ،
الى باريس ثم مخاطبته الجهات الرسمية للسماح له بالعودة
الى « خدمة وطنه » .

يشير « أحمد مرتضى المزاغنى » وزير الداخلية فى نهاية عهد
الملك فاروق الى أن هنرى كوريل كان فليونيراً « ينفق بسخاء على
منظمته » ، ويعمل تحت ستار التجارة مع ثلاثة إسرائيليين هم :
أرنولد ريشفيلد ، سيمون سيتون ، وروبرت روبنسون ، بتشكيف
من زعماء الحركة الصهيونية فى فلسطين . عام ١٩٤٦ - لامدادهم
بما يحتاجون اليه من معلومات عن مصر . . . بينما ذهب البعض
الى أن كوريل كان يملك مكتبة صغيرة بميدان سوارس « مصطفى

كامل حاليا ، وأشاع عن نفسه أنه مليونير ، حتى يبعد الشبهة عن
الفاقة السخى على النشاط الشيوعي وأهدافه ،

وتجدر الإشارة الى مقال نشرته صحيفة « واشنطن تايمز »
وثيقة الصلة بالمخابرات المركزية الأمريكية « CIA » فى ١٧
أغسطس ١٩٩٤ ، عن دور المخابرات الروسية كـ « جى . بى . فى »
دعم الارهاب الدولى ، جاء فيه « ان السوفييت قد ساعدوا فى اقامة
شبكة لدعم الارهاب الدولى يتولاها « هنرى كوريل » الذى حصل
على الجنسية الفرنسية وكان مقيما فى باريس حتى اغتيل - فى
حادث دموى غامض - عام ١٩٧٨ ، ! »

ويضيف المقال بأن « منظمة كوريل كانت مهمتها تقديم
الجابسورات والوثائق المزورة الى الارهابيين فى أوروبا ، واعدادهم
بالأموال ، وإتاحة أماكن آمنة يلجأون اليها قبل وبعد العمليات
الارهابية ، بالإضافة الى التدريب على استخدام الأسلحة
والفرقعات ، ! »

ويدفع الكاتب الصحفي المعروف ، رفيق كوريل « أحمد
حمروش » عضو اللجنة المركزية لتنظيم « جدتو » ، الاتهام
بالازهاب عن كوريل وأنه « كان يعتمد على النظرية الماركسية التى
اقتنع بها ، والتى لم يكن فى أدبياتها دعوة للارهاب ، وإنما كان
داعيا للثورة الشعبية عن طريق اقناع وتنظيم الجماهير بالفكر
والحوار » ويضيف « فى فرنسا لم تنقطع صلة كوريل بوطنه «
وكانت له صلات بعدد من الشخصيات الوطنية مثل : يوسف حلمى
المحامى ، خالد مخيى الدين ، د. ثروت عكاشة والكاتب الصحفي
سعد كامل « ! »

بقى أن أشير الى أن سفارة جمهورية الجزائر ، بشبارغ حسن
صبرى بالزمالك كانت قصرا رائعا - على طراز العمارة الأوروبية
الكلاسيكية - تمتلكه عائلة كوريل .

التجسس اليهودى فى مصر

أثناء الاحتلال البريطانى لمصر نشطت الوكالة اليهودية فى الدعاية للأهداف الصهيونية واقناع اليهود المصريين بالهجرة الى فلسطين وأنشأت منظمة « ايليا بيت » التى تتولى تهريب المهاجرين اليهود الجدد الى فلسطين من وراء ظهر السلطات البريطانية فرعا مصريا بها يختص بتهجير اليهود المصريين وكان هذا التنظيم يستخدم السفن وعربات النقل بل وحتى الجمال فى تنفيذ عمليات التهريب ، وفى عام ١٩٤٤ قرر رؤساء جهاز المخابرات التابعة للمهاجناة، كبرى المنظمات الصهيونية فى فلسطين أنه قد آن الأوان لتوسيع شبكتهم فى مصر ، وما ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، حتى برزت أهمية مصر أكثر، فقد تزايد الشعور المناهض لليهود فى مصر نتيجة للحركة الوطنية المصرية واحساس المصريين بقضية فلسطين العربية ، وأصبح الأمر يستلزم التسارعة باخراج اليهود منها . ومن ناحية أخرى كان زعماء « الهاجاناة » يتوقون للاستيلاء على المخزون الاحتياطى من أسلحة الحلفاء المكسبة فى مصر ، وعموما كانوا يريدون الحصول على كافة أنواع المعلومات نظرا لأن القاهرة كانت مقرا لقيادة الانجليز فى الشرق الأوسط ، ومن ثم فهى أفضل مكان لمعرفة الخطط التى يضعها الانجليز ازاء المنطقة ، كما كان من الضرورى أيضا التحقق من موقف الزعماء العرب فى المنطقة : ما هى وجهات نظرهم ازاء انشاء دولة يهودية فى فلسطين ؟ وما الذى سيفعلونه حال قيام هذه الدولة ؟ لكل هذه الأسباب برزت القاهرة كمركز بالغ الجذب للمخابرات اليهودية ،

وكان الرجل الذى وقع عليه الاختيار لتنظيم وتنفيذ العملية الموسعة واحدا من كبار العملاء يدعى ليفى ابراهام الفلسطينى المولد ، وقد أرسل الى مصر فى ربيع عام ١٩٤٤ متخفيا فى شخصية ضابط بريطانى ، عندما وصل ليفى ابراهام الى مصر كان أول مكان قام بزيارته منزل احدى عضوات المجتمع المصرى البارزات وتدعى « يولندا جابى » وهى من أسرة موسرة من يهود الاسكندرية . وقد عاشت يولندا فترة فى باريس واكتسبت بعض العادات الغربية ، وعندما عادت الى مصر احتلت مكانها بسرعة فى صفوف المجتمع الأرسقراطى الذى كان يضم خليطا من نبلاء البيت المالک ، والضباط البريطانيين ، والباشوات المصريين .

ولم تكن يولندا جابى صهيونية ، ولكن حياة التجسس كانت تستهويها بما فيها من غموض واثارة وأموال وأضواء ، وكان أكثر ما يهم ليفى فيها ما تمتع به من اتصالات لا حصر لها بكبار الشخصيات العسكرية والسياسية فى مصر .

وعلى وجه السرعة استأجر الاثنان فيلا فى احدى ضواحي الاسكندرية الأنيقة لتكون قاعدة لعمليات التهريب والتجسس ولكنها فى الظاهر مكانا للترفيه عن جنود الحلفاء .

وكالة جرونيرج للسفريات

كان ليفى ابراهام هو العقل المدبر للعمليات تساعده يولندا بشبكة معارفها الواسعة . ولكن كان لابد من ايجاد شخص يقوم بعملية التنفيذ بما فى ذلك تقديم كافة التسهيلات اللازمة لتسيير اليهود الراغبين فى مغادرة مصر ، والذين بدأت أعدادهم تتزايد باطراد . ويشىء من التوفيق استطاع الحصول على الشخص المناسب ، كان شابا يهوديا مصريا « اين بلد » يدعى ايلى كوهين ، تولى ادارة « وكالة جرونيرج للسفريات » التى أنشأها الموساد فى

القاهرة كغطاء لتهريب آلاف اليهود المصريين الى فلسطين عبر الشبكة السرية التى يديرها ليفى ويولندا ، واستطاع ايلي كوهين بما لديه من مواهب متعددة واثقانه لعدة لغات أن يطوى تحت جناحه عشرات المسئولين فى السفارات الأجنبية والسلطات المصرية ، بما يقدمه لهم من رشاوى وخدمات ، فأمدوه بما يطلب من وثائق وتأشيرات وغضوا الطرف عن مراقبته أثناء عمليات التهريب ، بل أصبح لايلي العبد من الأصدقاء المصريين ذوى النفوذ نتيجة لمؤانسته لهم فى النوادى الليلية فى القاهرة والاسكندرية حيث كان ينفق ببذخ ويلنف حوثة دائما كوكبة من أجمل الفتيات .

وقد أدى قيام دولة اسرائيل فى ١٤ مايو عام ١٩٤٨ الى المزيد من المتاعب لليهود فى مصر ، ونشطت بذلك الجهود المبذولة فى عملية الهجرة عن طريق « وكالة جرونيبرج للسفريات » وغيرها من الامكانيات المتاحة ، حتى لم يبق من ال ٧٠ ألف يهودى الذين ظلوا يعيشون فى مصر حتى بداية الحرب فى عام ١٩٤٨ سوى الثلث فى عام ١٩٥١ .

التدريب على التخاطر والتدمير

انتهت أيام ليفى ابراهام ويولندا جابى فاخترى من مصر دون أثر وفى عام ١٩٥١ وصل الى مصر أحد كبار العملاء الاسرائيليين ليملأ فراغهما ، ويباشر عمليات التجسس والهجرة وغيرها من المهام ، وكان يدعى ابراهام دار ولكن كان يعمل تحت اسم مستعار هو « جون دارلنج » ويتخفى تحت جواز سفره البريطانى اذ كان أصلا من اليهود البريطانيين .

ولكن دارلنج لم يكتف بعملية الهجرة والتخاطر ، وانما بدأ مشروعا آخر أكثر طموحا هو تجنيد الشباب المثاليين من اليهود المصريين استعدادا للقيام بما قد يطلب منهم من أعمال خطيرة .

وبطبيعة الحال كان من أوائل هؤلاء المجندين ايلي كوهين الذى كان صهيونيا حتى النخاع ، وكذلك واحدة من بطلات الرياضة فى الأولمبياد ندعى مارسيل نينو ، وتبلغ من العمر ٢٤ عاما ، وكانت على علاقة ودية مع بعض ضباط الجيش المصرى فى أواخر حكم الملك فاروق ، حيث كانت تقابلهم فى الحفلات التى يقيمها أصدقائها الأثرياء ارسلها ايلي كوهين مع غيرها من الشبان المجندين الى اسرائيل حيث تلقوا تدريبات عملية فى أساليب التخاطر والتدمير وبقوا هناك ثلاث شهور فى تدريب ودراسة متواصلة لا يرون فيها سوى معلمهم وموجهيهم فقط ، ثم أعيدوا الى مصر مرة أخرى وعندما عادوا الى مصر عملوا تحت رئاسة أحد العملاء المحنكين ويدعى الكابتن ماكس بنيت ، ولكن المصريين كانوا يعرفونه باسم اميل وايشبان وكان له متجر كبير لبيع الأطراف الصناعية وكان يبيع كميات كبيرة منها للجيش المصرى ، ويتردد عليه كثير من الضباط المصريين الذين عقدوا معه علاقات ود وصداقة نظرا لما لمسوه فيه من انسانية واهتمام بالغ بجرحي الحرب . هؤلاء كانوا يتبسطون معه فى الحديث دون أن يدركوا أن صديقهم هذا ينقل كل ما يقولونه مباشرة الى مقر قيادة الموساد فى تل أبيب .

وفى الوقت الذى كان بنيت ورفاقه يتلقون بين الحين والآخر التهانى من قيادة الموساد على ما يبعثون به من معلومات ثمينة ، سببت تغييرات سياسية مفاجئة فى مصر - بطريق غير مباشر - فى انتهاء عمليات التجسس الناجحة التى يقومون بها ، بل والوصول الى نهاية مؤلمة .

نصف المصالح الأجنبية

فى يوليو من عام ١٩٥٢ قاد اللواء محمد نجيب انقلابا عسكريا ناجحا أطاح بالملك فاروق ، وألغى الملكية ، وأعلن النظام

الجمهورى فى مصر • وبدأت الحكومة المصرية الجديدة ، وفى الحال ، سياسة التشدد فى مواجهة اسرائيل ، فأخذت تضيق الخناق على النشاط اليهودى فى مصر ، وتساعد العمليات الفدائية ضد اسرائيل ، وتفرض حصارا فى قناة السويس على السفن القادمة أو الزاهبة الى اسرائيل •

وفى الوقت نفسه بدأت تطورات على المسرح الدولى تزيد الاسرائيليين قلقا فبعد أن أطاح البكباشى جمال عبد الناصر باللواء نجيب فى شتاء ١٩٥٤ بدأت الحكومتان الأمريكية والبريطانية تتوددان الى مصر ، فوافقت بريطانيا على سحب قواتها من قناة السويس ومعنى هذا أن الحصار المفروض على الملاحة الاسرائيلية فى القناة سيكون حصارا كاملا لا يقبل التحدى ، كما وافقت الحكومة البريطانية على تزويد السلاح الجوى بطائرات جديدة ، أما فى الولايات المتحدة فقد كان جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية يحث الرئيس ايزنهاور على انتهاج سياسة موالية للعرب • وقام دالاس شخصيا بزيارة القاهرة والاجتماع بقيادة الثورة المصرية •

كان يرأس المخابرات العسكرية الاسرائيلية فى ذلك الوقت - وهى غير المخابرات العامة أو الموساد - ضابط يدعى الكولونيل بنيامين جلبى ، اقتنع الكولونيل جلبى بأن التطورات الجديدة فى علاقات مصر مع الدول الغربية تعرض اسرائيل لخطر داهم ، ورأى أن أسلوب التجسس والتخابر الهادى لم يجدى فى مواجهة هذا الخطر ، وقرر أن يتخذ اجراء مباشر لمواجهة هذا الوضع الجديد •

كانت خطته بسيطة وقاسية وتفتقر تماما الى الشرعية •• أن يستغل رجال الموساد فى مصر فى عمليات تدمير للمنشآت الأمريكية البريطانية فى القاهرة والاسكندرية • وبالطبع سوف

تنسب هذه العمليات الى الشيوعيين أو الاخوان المسلمين ، وبالتالي يتولد فى كل من واشنطن ولندن شعور مناهض للمصريين .

وأسر الى كل من موردخاى بن زور وعميل آخر يدعى بول فرانك - وهما ضابطان سابقان فى قوة الدفاع الاسرائيلية - القيام بهذه العملية ، وكان فرانك يعمل فى مصر متخفيا فى شخصية ضابط سابق فى قوات العاصفة النازية ، وقد مثل هذا الدور بنجاح لدرجة أنه كون صداقات وطيدة مع بعض كبار المصريين ومنهم قائد البحرية ووزير الداخلية كما استطاع أن يكسب ثقة النازيين السابقين الذين يعيشون فى مصر ويعملون كمستشارين للحكومة المصرية ، ولكن عندما أخبر فرانك أعضاء فرقة من اليهود المصريين الشبان عن المهمة المكلف بها ، واجه فى بادئ الأمر معارضة شديدة من جانبهم ، فقد كانوا يهودا ومصريين فى نفس الوقت ، وكانت فكرة قتل أبناء بلدهم بلا تمييز تثير غضبهم كما كانوا يخشون أن تكون لهذه العملية ردود فعل سياسية فى اسرائيل .

غير أن الكولونيل بنيامين جلبى فى مكتبة بتسل أيبب لم يتزحزح عن موقفه ، وصمم على تنفيذ خطته ، وأمام هذه الأوامر الحازمة لم يجد أعضاء الشبكة بدا من تنفيذ العملية ، فبدأ عدد من الشبان والشابات اليهود يزرعون القنابل والألغام فى عديد من المنشآت ، ومنها مكتبا هيئة الاستعلامات الأمريكية فى القاهرة والاسكندرية ، وعدة مطاعم فى وسط المدينتين ، كما انفجرت عدة طرود ناسفة فى مكتب البريد العام كانت فى طريقها الى ضحاياها عن طريق البريد - وأحدثت هذه الانفجارات حالة من الذعر العام فى مصر ، علاوة عما سببته من قلق بالغ لدى الحكومة المصرية .

اعتقال ومحاكمة

ولكن العملية التخريبية لم تكن متقنه بما فيه الكفاية ، وسواء كان ذلك لسبب عدم اقتناع الشبان اليهود بشرعية العملية أو عدم وجود خبرة كافية لديهم فى أعمال التخريب فقد ارتكب هذا الفريق من اليهود المصريين خطأ جسيماً أدى الى سقوطهم .

والذى حدث أن شاباً يهودياً يدعى فليب ناثن شوهد وهو يهرب من أحد المسارح ذات ليلة وسترته مشتعلة بالنيران ، فوقع فى أيدي رجال الشرطة الذين طرحوه أرضاً وأخمدوا النار المشتعلة فى ملابسه ، وعندما فتشوه عثروا فى جيب سترته على علبة نظارة مليئة بالفرقعات كانت هى السبب فى هذا الحريق الصغير ، وبتفتيش مسكنه وجدوا مجموعة كبيرة من الوثائق وقنابل مصنوعة يدوياً ، وفى حجرة معتمة داخل بيته عثروا على صور للكبارى والمنشآت العسكرية ، وغيرها من الأهداف المحتمل تخريبها ، ظل ناثن ملتزماً الصمت عدة أيام متمسكاً بقصة التمويه الأصلية المتفق عليها سلفاً فى حالة وقوع أحد أفراد الشبكة فى يد البوليس ، وهى أنه شيوعى يتلقى تعليماته من خلية سرية تضم جواسيس مدربين على أيدي الاتحاد السوفيتى ، ولم يتكلم فى النهاية الا عندما أخبره ضباط مكافحة الجاسوسية المصريين أن أمه محبوسة فى غرفة مجاورة وسوف يطلقون عليها الرصاص . وعندئذ انهار ناثن واعترف بكل شيء .

وبدأت السلطات المصرية بعد أن أصبحت مسلحة بقائمة كاملة لأسماء شركاء ناثن فى القبض على أعضاء الجماعة الآخرين .

وقد ظلت مارسيل نينو بطلة الرياضة الأولمبية مختفية لفترة بفضل اتصالاتها الكثيرة وأصدقائها العديدين ولكنها وقد أصابها

القلق لشعورها بتعقب رجال المباحث المصرية لها لجأت أخيرا الى بيت ماكس بنيث صاحب محل الأطراف الصناعية والمستول الأول الدائم عن عمليات المخابرات الاسرائيلية في مصر ، وقد كان أيضا تحت مراقبة البوليس . وعندما هاجم ضباط مكافحة الجاسوسيه سقة بنيث ألقوا القبض عليه وهو يقوم بتجميع جهاز ارسال استعدادا لتبليغ رسالة الى تل أبيب ، وكانت مارسيل نينو تقف بجواره تساعده .

ولكن ماكس بنيث خلافا لنانان قرر أن يظل صامتا حتى النهاية ، وخوفا من أن ينهار تحت ضغط التعذيب على أيدي المصريين ، استطاع أن يرشوا أحد حراس السجن بنصف دجاجة مشوية بعثت بها اليه زوجته ، وحصل منه على شفرة حلقة جديدة بحجة استخدامها في حلقة ذقنه ، ولكنه قطع بها شريان معصمه فمات في الحال . وتمكن كل من ابراهيم دار « جون دارلنج » وبول فرانك من الهرب من مصر قبل أن يتم القبض عليهما ، أما بقية أعضاء الخلية وعددهم ١١ شخصا من الرجال والنساء فقد سقطوا في يد البوليس المصري ، وجرى استجوابهم في صيف عام ١٩٥٤ ، وحاولت مارسيل نينو الانتحار مرتين أثناء استجوابها ، فشلت في المرة الاولى ، ولكنها في المرة الثانية نجحت في القاء نفسها من النافذة أثناء انشغال مستجوبيها عنها ، غير أن الأطباء تمكنوا من انقاذها وتعرضت للمزيد من العذاب والتعذيب ، وفي النهاية انهار جميع أعضاء الشبكة نفسيا وجسديا واعترفوا بحقيقة نشاطهم ، وأخبروا المصريين كيف قام رجال الموساد ورجال المخابرات العسكرية الاسرائيلية بتجنيدهم وتدريبهم ، وكيف قاموا بالتجسس ضد وطنهم الأصلي مصر منذ أكثر من سنتين ، وأخيرا كيف بدأوا حملة الارهاب والتخريب التي تم تخطيطها لتشويه سمعة مصر في أعين الشعوب الغربية ، وادعو أنهم مصريون حقيقيون ولكنهم آلة صماء في أيدي أسيادهم الاسرائيليين .

وقدم أعضاء الشبكة الى المحاكمة ، وصدر الحكم فى فيليب
نانان وشاب آخر بالسجن المؤبد ، كما حكم على مارسيل نينو وطالب
آخر يدعى روبرت داسا بالسجن خمسة عشرة عاما ، أما بقية الأعضاء
فقد حصلوا على أحكام مخففة .

ولكن اثنين منهم ، وهما صمويل عازر والدكتور موسى مرزوق ،
حكم عليهما بالاعدام شنقا ، ونفذ فيهما الحكم فى العاشر من يناير
عام ١٩٥٥ .

أما ايلي كوهين فقد استطاع بما لديه من دهاء وخبرة أن يقنع
مسنجوبيه بأنه يجهل تماما معرفته بوجود شبكة التجسس
والتهريب ، فما هو الا مدير وكالة سياحة تعمل فى نطاق القانون ،
وأخيرا تم اطلاق سراحه ، وكانت هذه فى الواقع أكبر مفاجأة فى
القضية بالنسبة للعارفين ببواطن الأمور !!

رفعت الجمال وايلي كوهين

« فى مذكراته التى نشرت بصحيفة (الأهرام ٢٦/٣/٩٤)
أشار البطل المصرى رفعت الجمال الشهير بـ « رأفت الهجان » .
الى دوره فى الكشف عن ايلي كوهين ومجموعته . وكانت أولى المهام
الناجحة لبطلنا قبيل سفره الى اسرائيل . فيقول :

بدأت فترة تدريب مكثف . شرحوا لى أهداف الثورة وفروع
علم الاقتصاد وتعلمت سر نجاح الشركات المتعددة الجنسية
وأساليب اخفاء الحقائق بالنسبة لمستحقات الضرائب ووسائل
تهريب الأموال . وتعلمت بالاضافة الى ذلك عادات اليهود
وسلوكياتهم . وتلفيت دروسا مكثفة فى اللغة العبرية كما تعلمت
تاريخ اليهود فى مصر وأصول ديانتهم . وعرفت كيف أمايز بين

اليهود الأشكناز والسفارد والشازيد وحفظت عن ظهر قلب الشعائر اليهودية وعطلاتهم الدينية . وتدربت بعد هذا على جميع عادات الشرطة السرية للعمل بنجاح متخفيا وأخيرا تقمصت شخصيتي الجديدة وأصبحت منذ ذلك التاريخ جاك بيتون المولود في ٢٣ أغسطس عام ١٩١٩ في المنصورة ، من أب فرنسي وأم ايطالية ، وأن أسرتي تعيش الآن في فرنسا بعد رحيلها من مصر وهي أسرة كانت لها مكانتها وميسورة الحال ، وديانتى هي يهودى اشكنازى وتسلمت وثائق تحمل اسمى الجديد والتوارىخ الجديدة .

وخرجت الى العالم بهذه الشخصية الجديدة وبكل ما تعلمته قصدت الاسكندرية مباشرة كنت رسميا فى الرابعة والثلاثين من العمر انذاك وان كنت "بدو أصغر سنا" .

وتسلمت رقم تليفون وتحدد لى موعد للاتصال عن طريقه والافادة بما لدى من معلومات .

وعثرت فى الاسكندرية على شقة صغيرة جميلة فى حي من المدينة يكثر به اليهود وحصلت على وظيفة كاتب فى إحدى شركات التأمين ورويدا رويدا تزايدت ثقتى بنفسى وزايلتنى مخاوفى وبدأت أقتنع بأننى يهودى . وبعد فترة قصيرة قابلت ليفى سلامة الذى زاملته فى زنزانة السجن وقتما كنت نزىلا به فى فترة سابقة باسم دافيد ارونسون ، حيانى كصديق قديم واصطحبني ليقدمنى الى أصدقائه ، وعلى الرغم من حذرى الا اننى كنت على يقين من أنه صدقنى وسلم بأن هذه هي حقيقتى ، وبذا كان مفتاحى الى قلب الطائفة اليهودية وحيث اننى لم أكن قد قلت اسمى قبل ذلك فلم أجد مشكلة فى تقديم نفسى له باسم جاك بيتون . وبعد ثلاثة أيام من لقائنا قابلنى بعد انتهاء العمل وقدمنى الى امرأة شابة تدعى

مارسيل نينو وكان واضحا في ضوء ما تعلمته في السابق ان القصد من اللقاء هو أن نتفحصنى بدقة نيابة عن ليفى سلامة وأصدقائه ، حيث أننى كنت أعرف الهدف جيدا من اللقاء فقد اجتهدت وسارت الأمور على ما يرام . كانت مارسيل امرأة جذابة ومن ثم لغبت عليها وبدأت علاقة معها . جذبت كل الخيوط التى أعرفها وسرعان ما كسبتها الى صفى وقدمتنى لرجل كان يعمل لحساب نفس المجموعة . كان اسمه ايلي كوهين ، أبواه من سوريا ولذا كان يتحدث العربية بلكنة سورية وهو يهودى وعضو له مكانته وسط الطائفة اليهودية فى المدينة أصبحنا صديقين وبدأنا نقضى معا وقتا طويلا وكان سلامه قريبا منا أيضا . وذات يوم قلت له أننى أريد اخراج مبلغ كبير من أموال الأسرة الى خارج البلاد . وثبت صواب شكوكى من أن سلامة متورط مع المسئولين المباشرين عن هذا ، اذ تلقف الكرة على الفور وأتانى بعروض عديدة رفضتها جميعا بحجة أنها غير جادة . وبالطبع كنت أبلغ حسن حسنى بانتظام بكل ما أتوصل اليه من معلومات . حاولت أن أتقرب سلامة لأكتشف قنوات نشاطه وأسلوب عمله . جاهد للتمويه على ، غير اننى فى النهاية ظفرت به . عرفت أن التنظيم يرأسه رجل أعمال انجليزى من سويسرا ، اسمه جون دارلنج ، وتلقيت من حسن حسنى مبلغا كبيرا من المال لأسلمه الى سلامة نجحت الخطة ووضع حسنى ، سلامه ، تحت المراقبة وتم القبض على كل المنظمة متلبسة فى مصر ، لم يكتشف أحد أمرى وقمت بدور الضحية ، اذ بدوت فى صورة شاب خسر ثروته وأصبحنا صديقين بمرور الوقت ، ووثق بى كوهين واثمننى على الكثير من أسرارهِ .

اكتشفت انه نشيط جدا فى مناهضة البريطانيين وانه يساعد اليهود على الهجرة من مصر الى اسرائيل . وعرفت أنه عضو نشيط لحساب مجموعة « العالياه بيت » المسئولة عن تنظيم عمليات الهجرة الى اسرائيل .

وخلال هذه الفترة كانت المخابرات العسكرية السرية الاسرائيلية « أمان » قد بدأت تنشط داخل مصر ، وكان الكولونيل « افراهام دار » على رأس الوحدة الخاصة التي انشأتها في مصر للشروع في سلسلة من الأعمال التخريبية ضد المؤسسات الأجنبية لتبدو الأحداث في صورة أعمال إرهابية يرتكبها الوطنيون المصريون ، وتم تجنيد إيلي ضمن هذه المجموعة . وبناء على أوامر من حسن حسني عمدت إلى اقناع كوهين بضمي إلى هذه المجموعة أيضا وهكذا أصبح دوري الآن أخطر بكثير من السابق . فها أنذا الآن أتعامل مع قضايا عسكرية وليس مع مواطنين عاديين يقتربون جريمة ما ، ثم أن المجموعة التي كنت أتابع حينذاك نشاطها متخفيا لم تكن تتورع عن قتل عدوها ، لا أدري ما الذي حفزني إلى ذلك ، غير أنني كنت مقتنعا تماما بأن أعمل كل ما في وسعي لكي أساعد بلدي . وحضر حسن حسني بنفسه إلى الاسكندرية لكي يسمع مني معلوماتي ، وما أن وصلت إلى النقطة الخاصة بإجتماعنا السري حتى وجدته بصحبة رجل آخر . عرفنا كل منا بالآخر ، كان هذا الرجل هو « علي غالي » المسئول في مصر عن نشاط الجاسوسية والجاسوسية المضادة . وحيث أن مهمتي الآن أصبح لها طابع دولي فقد أصبح غالي مسئولا عني إذ كان حسن حسني مسئولا فقط عن القضايا الداخلية . شكرني حسني على جهودي حتى الآن وتركني مع علي غالي وحدنا . قال لي غالي إنه فخور بجهدى حتى الآن ويريدنى أن أبقى على العهد وأكون عند حسن الظن ، وأخبرنى أن الاستعدادات تجري لتوسيع نشاط جهاز المخابرات المصرى ، وأضاف أنني الآن أصبحت واحدا من عملائه ويتوقع منى أن أستمّر فى عملى مثلما كنت فى السابق ، اختلط على الأمر وإن لم يهن عزمى وأيقنت انى انزلت إلى ميدان الجاسوسية . لم أدرك الفارق وفى عام ١٩٥٣ كنت ضمن مجموعة كولونيل افراهام دار ومعى إيلي كوهين المعروفة باسم « الوحدة ١٣١ » وعندما أعدت هذه المجموعة عدتها للقيام بعمليات

تخريب واسعة أبلغت غالى ، وألقى القبض على ١٤ من أعضائها ،
ومنهم ماكس بينيت مندوب المخابرات العسكرية الاسرائيلية « أمان »
وتم اعدام اثنين منهم » .

فضيحة لافون

أثارت حملة التخريب هذه النى قامت بها الموساد فى مصر
وما نشأ عنها وترتب عليها من أحداث مأساوية فضيحة كبرى فى
اسرائيل ، فقد جاءت بعكس نتائجها تماما ، وبدلا من أن تسيء الى
مصر فى أعين الغرب أساءت الى اسرائيل فكانت كرصاصة انطلقت
فى صدر من أطلقها .

وقد عرفت هذه الفضيحة باسم (فضيحة لافون) نسبة الى
بنحاس لافون وزير الدفاع الاسرائيلى الذى أعلن أنه المسئول عنها
بصفته الرئيس الأعلى للمخابرات العسكرية الاسرائيلية ، وقدم
بالتالى استقالته .

أدت الفضيحة الى تحطيم مستقبل البعض ، وحتى بن جوريون
رئيس وزراء اسرائيل ورجلها القوى تعرض للنقد الشديد .

وازدادت الأمور سوءا وتعقيدا عندما تبين أن بول فرانك
العميل الذى تسبب فى فشل المهمة بسبب سوء توجيهاته كان عميلا
مزدوجا يلعب على الوجهين .

فعندما غادر بول فرانك مصر ، تمت ترقيته فى اسرائيل
وأوفد الى ألمانيا وهناك أصبح واضحاً أنه على اتصال سرى بأحدى
أصدقائه السابقين فى القاهرة يدعى اللواء سليمان ، وذلك على الرغم
من الأوامر التى صدرت اليه بتجنيب الاتصال بأى شخص كان على
صلة به فى مصر .

ولذلك فقد استدعى الى اسرائيل ظاهريا في « مهمة روتينية لتقديم ملخص بما لديه من معلومات » ، ولكن ألفى القبض عليه وحوكم بتهمة الخيانة ، وخلال التضييق عليه في المحاكمة اعترف بأنه كشف للمصريين عن حقيقة مهمته وقبض منهم ٤٠ ألف مارك ألماني ، كما ثبت أنه خلال التحقيق في فضيحة لافون في اسرائيل قدم معلومات مزيفة أدت الى لقاء اللوم بطريقة غير عادية على أكتاف بنحاس لافون وزبر الدفاع مما اضطره الى تقديم استقالته نتيجة لهذا الاعتراف الكاذب .

وحكم على بول فرانك بالسجن لمدة اثنتى عشرة عاما ، وكانت هذه الأيام من أسود الأيام في تاريخ الموساد على الإطلاق .

- أما في مصر فقد أسفرت كارثة عملية التخريب عن شن حملة مجددة ضد اليهود الباقين في مصر وعددهم نحو ٤٥ ألف شخص ، وجرى تهريب معظمهم عن طريق شبكة « جوشين » السرية التي حلت محل وكالة جرونبيرج للسفريات بعد أن أغلقت بصفة رسمية . وكانت هذه الشبكة تتولى تهريب اليهود المصريين الى فرنسا وإيطاليا ومنها الى اسرائيل .

بعد اطلاق سراح ايلي كوهين ذهب للإقامة في الاسكندرية وواصل عمله كجاسوس مقطوع لاسرائيل ، كان لا يزال يمتلك جهاز ارسال أمدته به الشبكة السابقة قبل تدميرها وبواسطة هذا الجهاز أخذ يرسل أى معلومات يستطيع جمعها ولو كانت بسيطة الى تل أبيب .

ولكن ايلي كوهين استطاع أيضا أن يرسل بعض التطورات المثيرة ومنها النفوذ المتزايد للنازيين السابقين - الذين منحوا حق اللجوء في مصر - داخل حكومة عبد الناصر .

بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ نشطت عملية « جوشين » بطريقة محمومة في ترحيل اليهود الموجودين في مصر ، وخلال أسابيع غادر مصر حوالي ١٠ آلاف يهودي في طريقهم الى أوروبا واسرائيل - أما الذين رفضوا الرحيل فكانوا أساسا من كبار السن الذين لم يستطيعوا ترك الوطن الذي ولدوا وعاشوا فيه ، غير أن عدد هؤلاء لم يتجاوز عدة مئات .

وفي نوفمبر ألقى القبض على ايلي كوهين ، فقد كان نشاطه لصالح القضية الصهيونية لسنوات عديدة أكبر من أن يمر بلا اكتشاف خاصة في هذه المرحلة التي احدث فيها مشاعر المصريين ضد اسرائيل . ولكن مرة أخرى استطاع ايلي أن يخرج كالشجرة من العجين ، فقد استطاع أن يقنع مستجوبيه أنه صهيوني بالعقيدة فقط ، ولم يتمكن المحققون من اكتشاف أى دليل يثبت نشاطه الصهيوني أو المعادى للبلاد ، بيد أنهم أبلغوه أنه سيتم طرده من مصر !

وفي ٢٠ ديسمبر ١٩٥٦ وجد ايلي كوهين نفسه على ظهر سفينة لاجئين تابعة للصليب الأحمر الدولي أبحرت من الاسكندرية الى نابولي ، ومن هناك استقل مع عدد كبير من اللاجئين اليهود المجتمعين هناك إحدى الناقلات الإيطالية الى ميناء حيفا .

في نهاية عام ١٩٥٧ ، التحق بقسم مكافحة التجسس بوزارة الدفاع حيث كلف بترجمة الصحف العربية الى العبرية ، وكتابة تقارير تحليلية عن شخصيات صانعي القرارات السياسية العربية . . . وفي أول مارس عام ١٩٦١ بدأ مهمته التجسس في دمشق ، باسم « كامل أمين ثابت » تاجر سوري مهاجر حيث برع في هذه المهمة ، حتى أضفى مصدر ثقة وصداقة لصفوة المجتمع السوري من الشخصيات السياسية والعسكرية ، حتى أنه كان مرشحا لتولي

وزارة الاعلام ، أو وزيراً للدفاع كما اقترح الرئيس أمين الحافظ !!
الى أن اكتشف أمره ، وحكم عليه بالاعدام شنقاً في الثامن من مايو
عام ١٩٦٥ ٠٠ وكان مولده بحى اليهود بالاسكندرية في ١٦ ديسمبر
عام ١٩٢٤ ٠٠

جاسوس الشهبانيسا :

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، نزايده الوجود الألماني
النازى فى مصر، ممثلاً فى عدد من العلماء وضباط الجستابو ورجال
الفيلق الأفريقى ممن عملوا تحت قيادة روميل، حيث منحوا اللجوء
السياسى - خاصة فى عهد عبد الناصر - وانتحل معظمهم أسماء
عربية ، بل ان بعضهم اعتنق الاسلام امعاناً فى اخفاء هويتهم ،
فكان منهم العلماء الذين عملوا فى مجال تطوير صناعة الأسلحة فى
مصر ، بينما تولى بعض ضباط الجستابو السابقين مسئولية إعادة
تنظيم جهاز أمن الدولة .

وعندما اكتشفت اسرائيل فى بداية الستينات ، أن مصر قد
تبنت مشروعاً طموحاً لصناعة وإنتاج صواريخ بعيدة المدى ، فادركت
على ضرب أهداف خارج حدودها ، قررت أن تحطمه دون اللجوء الى
حرب ، فاقترحت على التخريب من قلب المواقع المصرية التى أنيط
بها تصميم وتصنيع هذه الصواريخ - تحت إشراف وزارة الدفاع
المصرية والاستخبارات العسكرية للقوات الجوية بالاستعانة
بمجموعة من هؤلاء العلماء والخبراء الألمان النازيين الذين عملوا فى
بلادهم فى المجال نفسه .

ووضعت الاستخبارات الإسرائيلية خطة لتصفيتهم جسدياً
قبل الشروع فى الإنتاج ، بواسطة الطرود المملوءة بالمرسلة من
الخارج ومن داخل مصر أيضاً ، كما تعقبت واغتالت آخرين فى
أوروبا !

وبدأت الاستخبارات الاسرائيلية بتنفيذ خطتها مع بداية عام ١٩٦٣ ، حيث استعانت بعميل استخبارات الماني سابق هو : « أوتواسنكورزيني » الذي تعاون مع جهاز « الموساد » عن طريق ضابط الاتصالات في باريس آنذاك : اسحق يزرنيتسكي « اسحق شامير » رئيس الحكومة الاسرائيلية الأسبق ، الذي نجح في تجنيد « فولفجانج لوتز » لاتمام هذه المهمة .

اشتهر « فولفجانج لوتز - Wolfgang Lotz » بلقب « جاسوس الشمبانيا The Champagne Spy لولعة المهمل بالشمبانيا وغيرها من أوجه الترف .

ولد في ألمانيا عام ١٩٢١ لأم يهودية وأب غير يهودي . ورغم أنه لم يختن (مما ساعد - وفقا لما ذكره - على التدليل على صئق روايته التي كان يتستر خلفها) ، كما عمل فيما بعد على انقاذ حياته عندما اكتشف أمره ، إلا أنه كان يعتبر وفقا للشريعة اليهودية يهوديا حيث يكتسب الطفل - طبقا لهذه الشريعة - ديانة أمه .

في عام ١٩٣٣ هاجر لوتز الى فلسطين مع أمه . وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية التحق بالجيش البريطاني وأرسل الى مصر حيث اشترك بعد ذلك في تهريب الأسلحة للهاجاة .

تميز لوتز بطول قامته الجرمانى وشعره الأشقر ، هما أسهم في ادعائه بأنه من النازيين الذين يمقتون اليهود . وقبيل وصوله القاهرة ، صدرت اليه التعليمات لاستخدام اسمه الشخصى ، كما استبقى شهادة ميلاده ووثائق هويته مع ازالة أصل أمه اليهودى منها ، ثم قضى فترة التدريب الشاق التى لا بد منها لى ملتحق بالموساد حتى لو كان يتمتع بخبرة سابقة فى عمليات التجسس ،

ثم واصل الى القاهرة مزودا برسائل توصية أمكن الحصول عليها ،
اذ أن رؤساء أجهزة الاستخبارات الغربية الذين تظاهروا بالحياد
التام تجاه اسرائيل ، كانوا ينظرون اليها كحليف سرى ينبغى
مساعدته كلما أمكن ، وبشكل غير رسمى وفى أواخر الخمسينات
تدفقت هذه المساعدات من قبل كل من وكالة الاستخبارات المركزية
الأمريكية « CIA » وهيئة الاستخبارات الألمانية الغربية ، التى قدم
رئيسها الجنرال « جيهلين » Gehlen كافة الضمانات والتسهيلات .

اتخذ لوتز هيئة رجل ثرى مهتم بالخيول ، واستغل المبلغ
الضخم من المال الذى زوجه به الاسرائيليون فى انشاء مدرسة
للفروسية ومزرعة للخيل فى ضاحية الزمالك وقد أمر بأن
« يستلقى » (Lie löw) أو بتعبير آخر أن يبق « نائما »
(To act as sleeper) لمدة عام قبل البدء فى أنشطته التجسسية .

أقام لوتز صداقات مع بعض العلماء الألمان العاملين بمؤسسات
أبحاث الصواريخ والطيران ، كذلك مع العديد من كبار الضباط
فى الجيش المصرى كان على رأسهم اللواء يوسف على غراب رئيس
الشرطة العسكرية ! وبعض الشخصيات وثيقة الصلة بالرئيس
عبد الناصر وبعد توطيد هويته وصلاته فى مصر ، سافر « لوتز »
الى أوزبا لمقابلة رئيسه الاسرائيلى .

زعم لوتز أنه فى ٣ يونيو ١٩٦١ قابل شقراء فائنة فى
قطار ، فوقع فى حبها وتزوجها سريعا وأقنع الاسرائيليين - رغم
شكوكهم - بالسماح لها باصطحابه عند عودته الى مصر ومع ذلك
فهنالك رواية أخرى تؤكد أن خبراء الموساد الاسرائيلى - عند
تحديثهم لأفضل طرق التعمية - كانوا يعتقدون اعتقادا شازما أنه
سوف يساعد لوتز ويضيف الى مصداقية هويته المزعومة أن يتخذ
الزوجة الأوربية النموذجية ان استطاع - لكن كانت هناك عقبة

تتمثل في وجود زوجة له بالفعل ، كانت تـ لسنوات الحظـ نموذجاً شمال أوربي لكنها فتاة اسرائيلية نمطية أنجب منها طفلين ، وضع هذا فان ترتيبات حذره قد نفذت ، وحينما أشير الى أن إجراءات معينة يجب أن تتخذ من أجل « شرف وأمن » إسرائيل ، فان الزوجة الوطنية ذات الولاء قد وافقت أخيراً على الزيجة المقترحة ! ومن ثم وافق زوجها على أن « يتزوج » من الألمانية الشقراء التي كان اسمها « فالتر اود نويمان Wollraud Neumann ».

في القاهرة قابل « لوتز » رجلاً يدعى « هينريش بولتر Bolter Heinrich » وزوجته كارولين Caroline ، كان دكتور بولتر أثرياً ألمانيا ورئيساً لبعثة من جامعة « Yale » مما جعله يقضي شهوراً طويلة في صعيد مصر للبحث والتفتيش ، بينما كانت زوجته وطفلة الصغير يبقيان في القاهرة في فيلا تقع قرب مسكن « لوتز » وكانت الزوجة « كارولين » ، تزعم أنها نصف هولندية ونصف مصرية وتنفي وجود أي علاقة لها بألمانيا رغم أنها كانت تتحدث الألمانية بطلاقة !

وقد ارتأى فيها « لوتز » لأنها كانت تحاول دائماً الحصول على معلومات عن الصواريخ لأنها كانت ، إذا سكرت قليلاً ، تشرع في التحدث بلغة « الينديش » وقد حاولت أيضاً أن تقيم صداقة مع « مارليس كنوبفر Marlis Knupfer » زوجة أحد خبراء الصواريخ الألمان القياديين والتحقت السيدة « بولتر » بنادي هليوبوليس الرياضي ، الذي كان يبعد حوالي ساعة بالسيارة عن منزلها ، ذلك لأن السيدة « كنوبفر » كانت عضواً به ، لكنها السيدة « بولتر » لم تنهب مطلقاً إلى أي من النوادي القريبة من منزلها .

كان مكتب « كارل كنوبفر » Karl Knupfler « يجاور منزله مباشرة ، ومن حجرة نومه كان يمكن للمرء أن يرى إحدى حجرات مكتبه حيث كان يحتفظ برسومات تفصيلية لتصميمات الصواريخ ا

وقد أبقى « كنوبفر » دائما شيش حجرة نومه مغلقا بالمفتاح لكنه كان يترك المفتاح في الكالون ا

وذات ليلة أسر كنوبفر الى لوتز أنه يعتقد أن « كارولين بولتر » جاسوسة اسرائيلية لأنها ، في ذلك اليوم ، كانت قد قابلت زوجته في النادي ، سألتها أن توصلها بالسيارة ، وقد تعلقت بالسيدة « كنوبفر » بطريقة لم تجد الأخيرة معها بدا من أن تدعوها للشراب . وبينما كانت السيدة « كنوبفر » في المطبخ تعطي بعض التعليمات للطاهي الخاص ، اختفت « كارولين بولتر » من غرفة الاستقبال تحيرت السيدة « كنوبفر » وذهبت للبحث عنها فوجدتها في غرفة النوم ، الباب مفتوح والشيش مفتوح ، والأكثر من ذلك أنها كانت تلتقط صورا فوتوغرافية من نافذة غرفة النوم ، وقد اعتذرت متلعثمة بأنها كانت تبحث عن كرة طفلها وقال « كنوبفر » أنه يخوف يبلغ الأمر للسلطات المصرية .

انتهى « لوتز » الى أن المرأة تعمل في الغالب لصالح الاستخبارات الاسرائيلية ، والى أنه يجب أن يحول دون القبض عليها . وهكذا أخبر « كنوبفر » متعللا بأنه مادام لم يأخذ الفيلم من الكاميرا الخاصة بها فهو لا يملك دليلا ومن ثم فإنه سيطلب ممن لهم صلات به في جهاز الأمن المصري وضعها تحت المراقبة الى أن يتم التوصل الى « حبل يكفى لشنقها » ا وافق « كنوبفر » وفي الصباح التالي بعث « لوتز » برسالة لرؤسائه في اسرائيل عبر جهاز ارسال لاسلكي كان يخبئه داخل « تواليت » حمام

شكبه ! قائلا إنه من الواضح أن المرأة تعمل لصالح مؤسسة
ما مقترحا أنها إذا كانت تعمل لصالح الإستخبارات الإسرائيلية
فيجب سببها سريعا !

في ظهر اليوم التالي تلقت السيدة برقية من عمته في ألمانيا
تقول أنها تعاني آلاما قاسية نتيجة مرض خبيث ألم بها ، وترجوها
أن تعود سريعا لتراها قبل أن تفارق الحياة .
غادرت مصر بالفعل مع طفلها في تلك الليلة ا وفى صباح
اليوم التالي تلقى « لوتز » رسالة شكر من إسرائيل !

أخيرا تم ضبط « لوتز » وهو يقوم بارسال معلوماته بعد
أربعين يوما فقط من اكتشاف الجاسوس المحترف « ايلي كوهين »
في سوريا !

وقبض أيضا على زوجة لوتز وبعض وثائق الصلة بهما .
واستمرت المحاكمة من ٢٧ يوليو حتى ٢١ أغسطس ١٩٦٥ نجح
« لوتز » في الإفلات من عقوبة الإعدام بالأصرار على أنه الماني وليس
اسرائيليا . وقد حكم عليه بالسجن المؤبد وعلى زوجته بثلاث
سنوات (عندما أطلق سراحهما ، عام ١٩٦٨ ، ذهبا الى إسرائيل) .
خلال المحاكمة تبين أنه كانت في حوزته كمية من المتفجرات ، وقد
أدين أيضا بـ « التسبب في الأضرار البدني البالغ برعايا أجنبية
يخدمون حكومة الجمهورية العربية المتحدة » والشرع في قتل
رعايا أجنبية يخدمون حكومة الجمهورية العربية المتحدة ومواطنين
من الجمهورية العربية المتحدة بواسطة متفجرات خطرة » .

وخلال المحاكمة شرح « لوتز » أن ضابطا قد « دس لي
المتفجرات التي وجدت في خوزتي ٠٠٠ » وشهد مدير مكتب بريد

« بأنه » قد فقد عينا حينما انفجرت في يده. رسالة موجهة الى أحد العلماء الألمان « ورغم أن الاستخبارات المصرية قد استغرقت بعض الوقت لتتبع جهاز الارسل للوصول الى « لوتز » فان رسائله كلها قد سجلت ، وبعض هذه الرسائل قرئ جها في المحكمة : احداها كانت الرسالة التي تنصح الاسرائيليين باستدعاء « كارولين بولتر » وأخرى يقول : لم تنجح الرسالة التي بعثت الى كزير Kirmeir وانفجرت رسالة أخرى في مكتب بريد المعادي ، وكان لهذا أثر قوى على العلماء الألمان »

وفي رسالة أخرى : « اني واثق باننا نستطيع أن نرغم المزيد من العلماء الألمان على الرحيل بارسال المزيد من الرسائل » في البداية أصر « لوتز » على أن الرسائل الحاوية للمتفجرات كانت مجرد خطابات تهديد ، لكنه في النهاية عندما تذكر أن رسائله التي يطلب فيها المزيد من المتفجرات قد ضبطت ، اعترف بأن بعض الرسائل ربما كانت تحوي متفجرات . وفي المحاكمة ذكر ممثل الادعاء أيضا أن « لوتز » قد حل محل « جون ليون توماس John Leon Thomas » الجاسوس الاسرائيلي الذي أعلم : وقد ضبط في الخامس من يونيو عام ١٩٦١ ووصل « لوتز » مصر بعد ذلك بيومين واثنى بناء وجوده بالسجن التقى « لوتز » بثلاثة جواسيس اسرائيليين آخرين كان محكوما عليهم بالحبس ، وضار صديقا مقربا لهم ، وهم روبرت داسا Robert Dassa و « فيكتور ليفي Victor Levy » وفيليب ناتانسون Philip Natanson كما التقت زوجته ب « مارشيل نينو Marcell Nineo »

فى سجن النساء وهؤلاء الأربعة كانوا شبكة التجسس التى تولت
حملة التخريب والارهاب ضد وطنهم الأصلى مصر والتى اشتهرت
باسم « قضية لافون » عام ١٩٥٤ •

وصدر الحكم بسجن لوتز مدى الحياة ، وثار جدل كبير فى
اسرائيل حول مدى الاستفادة من مثل هذه العمليات الخاسرة
وتكرار فشل مؤسسة « الموساد » فى قضية لافون غير أنه أفرج عن
لوتز مع روبرت داسا وليفى ناتانسون ومارسيل فى عام ١٩٦٨ ،
عقب اتفاق بمبادلتهم بـ ٥ آلاف أسير مصرى ، وقعوا فى الأسر
خلال حرب يونيو ١٩٦٧ •

يهود الاسكندرية

في نهاية القرن السابع عشر ٠٠ دخل مجموعة من الصيادين اليهود ، من رشيد وادكو ، تعثرت بهم سبل العيش ، الى الاسكندرية ، لينضموا الى بضع مئات من اليهود ، كانوا ايضا في حال من البؤس والشقاء ٠٠ اقام هؤلاء الوافدين من رشيد وادكو ، خياما لهم في « حي الأنفوشي » بمحاذاة الشاطئ ، وبشوارع الصيادين بالقرب من سوق السمك القديم ٠٠

فيما بعد أصبحت هذه الخيام أكواخا ٠٠ تحولت بدورها الى منازل ٠٠ مكونة حي اليهود بالاسكندرية ، أو ما يعرف بحارة اليهود ، ممتدة من حوش الدجار وحوش البطان وحوش الحنفى الى ميدان وشارع فرنسا .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كانت الاسكندرية في « عصرها الذهبي » تعرض مشهدا غريبا صارخ الألوان للدينة : جامعة لأجناس وجماليات متعددة ، متباينة في أنماط التفكير الثقافي والاجتماعي ، نتيجة اختلاط الهويات الجماعية ٠٠

فكانت المدينة أشبه بـ « برج بابل » لليهود ، الذين لعبوا دور الوساطة بين هذه الجماليات المختلفة وبين أهل المدينة ٠٠ وفي نهاية القرن التاسع عشر كانت الاسكندرية قد اجتذبت المزيد من يهود القاهرة ، ومن تركيا والمغرب وأسبانيا - نتيجة للطفرة التي

حدثت في التبادل التجاري بين الشرق والعرب ، ومع الانتعاش الاقتصادي للمدينة .. استقر بها نحو عشرة آلاف يهودي ، وفدوا من بلاد حوض البحر المتوسط ، وكانوا في معظمهم ، من المغامرين والمضاربين والأفاكين ، ندفعهم شهرة الكسب ، ويطأوا بأقدامهم قوانين البلاد في ظل حماية القناصل .. !

وتشتهر المدينة .. كمركز لفروع وعمليات البنوك العالمية .. وكبرى بيوتات التجارة والمال .. ويشير البروفيسور « روبرت البير » الى أن « بعض الصائلات الشرية قد جعلت من المدينة - عالم صغير - تحكمه قوانينه الخاصة ، مثل عائلة منشيه والبارون زغيب ، ورولو وشبكة من العائلات تحكمها نظم معقدة ، تتوزع فيما بينها المكاسب والنفوذ » !

خلال الحرب العالمية الأولى ، تصاعد نجم العائلات اليهودية بالاسكندرية وعلى الأخص ، عائلات : دي منشيه ، أجيون ، جوهر ، رولو .. وتمتعت بالثروة والهيبة والنفوذ - كالصفوة اليهودية في القاهرة - وأسرة « دي منشيه » كانت بالطبع هي الأكثر شهرة ، وهم من اليهود السفارديسم ، نزحوا الى مصر عن طريق فلسطين والمغرب ، خلال القرن الثامن عشر ، مثل أسرتي : « قطاوي » و « موصري » .. .

وعبد العائلة « يعقوب دي منشيه » ولد بالقاهرة عام ١٨٠٧ ، وتوفي بالاسكندرية عام ١٨٨٧ ، بدأ حياته بتجارة العملة - صرافا - بحارة اليهود بالقاهرة الى أن أصبح « صراف باشي » - المدير المالي للخاصة الخديوية في عهد إسماعيل باشا .. .

ويعقوب دي منشيه هو أحد رجال المال والاعمال الأوائل - في مصر الحديثة - الذين أدركوا قيمة الاستفادة من التجارة مع

أوروبا ، وأسس مع يعقوب قطاوى بيتا للتجارة والمال . وكان
للعائلة فروع في مانشستر وليفربول ولندن وباريس ومارسيليا
واستانبول .

والبارون « ليفى دى منشة » ولد بالقاهرة عام ١٨٤٠ ، درس
فى إيطاليا وإنجلترا ، عقب عودته الى الاسكندرية ، أسس شركة
للصرافة ، فى عام ١٨٦٨ ، تزوج « لولي بغدادلى » التى أنجبت له
ولدا واحدا « جاك ايلي » وخمس بنات ، هن :

● استير ، تزوجت « الفرد اسمعلوم » .

● لويز ، تزوجت « البرت اسمعلوم » .

● شارلوت ، تزوجت « ايزاك بولاسكو » .

● جان ، تزوجت « فيلكس جرين » .

● ديانا ، تزوجت « موريس قطاوى » .

واستعراض الأسعفاء ، يؤكده شهرة عائلة منشة فى بحريتها
الشديد على الارتباط بالقوى العائلية اليهودية بعلاقات الزواج
وتتبع من الناحية الاجتماعية ، وتدخل من حقيقة الأمر
مضطرب فاضح ، أمكن تجاوز بعض الصعوبات ، اليونس لا البنك
الكمالى المصرى ، عام ١٨٧٢ . وكان لهذا البنك دور بارز فى
عمليات اقراض الخديو - بفوائده باهظة ، : يتمتع بالحماية
النمساوية . وتوفى عام ١٩٠٢ .

أما ولده البارون « جاك ايلي دى منشة » فقد ولد فى ٢٦
أغسطس عام ١٨٧٢ ، تلقى علومه فى فيينا وباريس ، عقب

عودته ، أشركه والده فى إدارة بعض أعماله وممتلكاته ، التى كان من بينها ١٢ ألف فدان مخصصة لزراعة القطن وشركة للعقارات ، ووكالة صحفية باسم « المصريون الأحرار » ، ٠٠ ١ وكان عضوا بارزا بعدد من الجمعيات اليهودية ، واشتهرت عنه هوايته فى تربية خيول السباق ٠٠ تزوج من « جابرييل » ابنة موريس أجيون أحد كبار رجال المال بالاسكندرية ٠٠ فى بداية عام ١٩٠٩ ، حصل على عضوية أدنى الأندية الأرستقراطية « نادى محمد على » ٠٠ وقد لعب دورا هاما فى تنمية التجارة المصرية النمساوية ، لينعم عليه الامبراطور « فرانسيس جوزيف » بلقب البارون ومنحه الجنسية النمساوية .

ويبرز اسم « جاك ييهور دى منشة » ١٨٥٠ - ١٩١٦ ، الذى بدأ نشاطه فى بورصة القطن ، وتجارة السكر ، وكان يمتلك الكثير من الأسهم العقارية فى الدلتا وصعيد مصر ٠٠ وتولى رئاسة مجلس الطائفة بالاسكندرية عام ١٨٩٠ ٠٠

وشقيقه « فيليكس ييهور دى منشة » ١٨٦٥ - ١٩٤٣ ، درس فى فيينا ، وكان أبرز وأنشط مؤيدى الحركة الصهيونية فى مصر ، بتشجيع من زوجته الثانية « روزيت » ٠٠ كما كان صديقا لحايم وايزمان ، ورأس اللجنة الصهيونية المصرية التى تأسست عام ١٩١٨ ، وفى عام ١٩٢٠ كان ممثلا للصهيونية المصرية فى المؤتمر الصهيونى العالمى بلندن ، وكذلك فى مؤتمر كارلسباد عام ١٩٢١ .

وعائلة منشة : ثراء ، عالمية ، ثقافة أوربية ، نفوذ سياسى ، واقتصادى ، أسهمت فى انشاء عدد من المؤسسات الاجتماعية ، منها : جمعية « ازرات احيم » لمساعدة الفقراء ، عام ١٨٨٥ ، ومدرسة للأطفال « اميل تورا » عام ١٨٩٤ ، ومعبد ومدافن منشة ، كلها أسس الاخوان : جاك وفيليكس والفرد ، مستشفى منشة عام

١٨٩٠ ، التي حازت شهرة في خدمة المرضى اليهود ، كما أسست العائلة ، مدرسة مشتركة عام ١٩٠٧ ، وبالتنسيق مع رابطة « بناي بريت » أسست الاتحاد اليهودي للتعليم ، وخلال بضعة سنوات ، افتتحت مدرسة ثانوية وليسية الاتحاد اليهودي بحي محرم بك ، ثم مدرسة « ابن ميمون » الثانوية عام ١٩٤٣ .

وقد سيطرت عائلة منشية على مجلس الطائفة « المنتخب » بالاسكندرية ، واشتهر عن « جاك بيهود دي منشية » الذي رأس الطائفة لأكثر من ربع قرن : تشدده واستبداده وانفراده بالرأي . . . وأعضاء المجلس كانوا ممن ارتبطوا به بعلاقات القربى أو بالزواج أو ينتمون الى دائرة الأصدقاء المقربين . . . حتى أطلق عليه « مجلس العائلة » . . .

وخلفه في رئاسة مجلس الطائفة بالاسكندرية : « ادجار سوارسن » ١٩١٤ - ١٩١٧ و « فيليكس بك طويي » ١٩١٧ - ١٩٢٥ و « الفرد تيلش » ١٩٢٥ - ١٩٢٦ و « فيليكس دي منشية » ١٩٢٦ - ١٩٣٤ و « روبرت رولو » ١٩٣٤ - ١٩٤٨ و « ادوين جوهر » ١٩٤٨ - ١٩٥٦ .

ومن أعضاء المجلس البارزين ، الذين حظوا برضاء عائلة منشية ، وكان لهم نشاط ونفوذ في مجالات التجارة وأعمال البورصة والبنوك والصناعة والمهن الحرة ، خاصة المحاماة والطب : روبرت وابرام وماكس رولو ، رافائيل توريل ، ادوين وباك جوهر ، جوزيف ايلي دي بتشيوتو ، فيليكس بك بادوا أجيون ، تيلش .

— ادوين جوهر : ولد عام ١٨٧٥ ، كان من أهم المصدرين بالاسكندرية كما كان عضوا بمجلس أكثر من شركة لتجارة الأخشاب ، تلقى علومه بسويسرا وتزوج من عائلة « بيجا » . . .

تولّى رئاسة محفل: «الياهو هانبي» وشغل لعدة سنوات منصب نائب رئيس الطائفة، حتى تولى رئاستها بالفعل. في الفترة ١٩٤٨ - ١٩٥٦ .

— جاك جوهر : ولد عام ١٨٨٧، تلقى تعليمه في إيطاليا، وخلال الحرب العالمية الأولى، كان ضابطا بالجيش البريطاني برتبة «كولونيل». اقترن بـ «سيلين عدس». وأسرتها كانت من أشهر وأغنى العائلات اليهودية في مصر. ارتبط بصداقة وطيدة بالملك فؤاد ثم الملك فاروق. كما كان نائبا لرئيس المنظمة اليهودية العالمية و «المكابى». ونائبا لرئيس نادى السيارات الملكى.

— جوزيف ايلي دى بتشويتو : كان عضوا بمجلس الطائفة، كما كان له نشاط سياسى من خلال حزب الوفد، حتى أصبح عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٢٤ رأس محفل «الياهو هانبي» في الفترة من ١٩١٧ - ١٩٢٥، ورأس لجنة المدارس بالاسكندرية، ونائبا لرئيس اللجنة الصهيونية عام ١٩١٨.

— رافائيل توريل : رجل أعمال بارز، انتخب عضوا بمجلس الطائفة، وهو من عائلة تركز نشاطها في تصدير القطن، وكانت تمتلك نحو خمسة آلاف فدان عام ١٩٣٠، وفي نهاية نفس السنة، عمل سكرتيرا متطوعا بمجلس الطائفة. ولاكثر من ثلاثين عاما كان عضوا بالمجلس البلدى لمدينة الاسكندرية.

— ألفرد تسيم كوهين : ولد بتونس عام ١٨٨١، بدأ حياته مدرسا بمدرسة الأليانس الاسرائيلى العالى بالاسكندرية. ثم اتجه الى المضاربة في البورصة، أسس مع : حاييم بيريز، وأوفاديا سالم «شركة التسليفات التجارية» وفروعها بالقاهرة ولندن والسودان.

— حاييم درة : ولد بدمشق عام ١٨٩٨ ، هاجر الى مصر في العشرينيات من هذا القرن ، واستقر بالاسكندرية ، حتى أصبح واحداً من ملوك تجارة المنسوجات .

— ماركو نادلر : من أشهر رجال الصناعة الإثرياء ، وهو صاحب مصانع الحلوى الشهيرة باسمه حتى اليوم .

— د. هيرمان شلزنجر : هاجر الى مصر من رومانيا عام ١٩٠٧ ، اشتهر كطبيب ولفترة طويلة كان عضواً بمجلس الطائفة ، كما أسهم بدور فعال في دعم نشاط الحركة الصهيونية بالاسكندرية .

— موسى بك ديشي : السكرتير المالي بوزارة الداخلية ، ولد ٨ أكتوبر عام ١٨٩١ بالقاهرة ، شغل منصب المراقب العام لمجلس بلدى الاسكندرية ، والمدير العام المساعد لشركة السكر المصرية اقترن بـ « سوزان اسمعلون » مواليد ١٩١٤ . ابنة مائيس اسمعلون ، وكان موسى بك مقيماً في ٢٩ ش صالح أيوب بالزمالك ، ابنه الوحيد « سمير ايلي كلود » . ولد في ٩ يناير ١٩٤٢ ، وأشرف على ولادته « سعادة الدكتور نجيب باشا محفوظ » !

— فيليكس بن زاقين : أشهر محامى يهودى بالاسكندرية ، كان معروفاً بنشاطه الصهيونى ومع ذلك كلفه النقراشى باشا بتشكيل لجنة تمثل يهود مصر ، للسفر الى أمريكا ، والتباحث مع زعماء اليهود حول انشاء « دولة فيدرالية » للعرب واليهود في فلسطين ، لكن زعماء الطائفة في القاهرة والاسكندرية ، نصحوه بعدم التدخل في مثل هذه الموضوعات !

وأشهر من تولوا رئاسة الحاخامخانة بالاسكندرية :

« رافائيل ديلا برجولا » ١٩١٠ — ١٩٣٢ ، و « دافيد براتو » ١٩٢٧ — ١٩٣٦ الذى ولد بفلورنسا و « موسى منتورا » ١٩٣٧ — ١٩٤٨ ، وهو من يهود أزمير . . وقد كان لهؤلاء الثلاثة نشاط بارز في دعم النشاط الصهيونى بالاسكندرية ! . . وتجدر الاشارة الى أن « منتورا » كان وزيراً للأديان والطوائف في أول وزارة اسرائيلية !

وقد تزامن التطور الاجتماعى ليهود الاسكندرية مع التطور التاريخى للمدينة نفسها ، خاصة تلك الفترة التى شهدت — انفتاحاً اقتصادياً — هائلاً بعد الحرب العالمية الثانية ، فكانت ذروة التالى والنشاط للطائفة اليهودية بالاسكندرية ، لم نشهد له مثيلاً منذ العصر اليونانى — الرومانى .

تركزت الطبقة الارستقراطية بوسط المدينة ، بالقرب من شارع النبى دانيال ومحل الياهو هانبى ، وتوسعت املكها في حى الرمل ، الذى زحفت اليه الطبقة المتوسطة في الثلاثينيات من القرن العشرين . . البعض منهم عاشوا داخل القوقعة التى صنعوها لأنفسهم ، منفصلين عما حولهم ، وعن الثقافة التى كان يجسدها الطابع « الكوزموبوليتانى » للمدينة .

وتزايدت الأنشطة التجارية والحرفية وأعمال البنوك ، وسيطر السماسرة وكبار رجال المال على البورصة ، حتى أنها كانت تطلق أبوابها في جميع الأحياء اليهودية . . وانتشرت بوسط المدينة وميناء محمد على : المحلات الكبرى مثل هانو ، بنزيون ومقدس . . محلات المجوهرات ، وشركات التأمين ، وشركات الملاحة اليهودية ، بشوارع شريف وثوفيق وميزوسيسريس وانطونيادس واستانبول . . وسيطر المحامون اليهود على المحاكم

المختلطة .. وشارع فؤاد ، وكانت تنتشر به مكاتب كبار تجار القطن وسماسرة البورصة ، وحلوانى بودرو ، والمكتبة الفرنسية ، وتجار الأدوات والأجهزة الكهربائية ، ومكاتب بعض الصحف والمجلات اليهودية .. وفى شارع سعد زغلول ، انتشرت محلات الأحذية والملابس ولعب الأطفال وبعض المكتبات ..

فى الطرف الآخر من المدينة ، نشط يهود الاسكندرية فى الميناء البحرى ، وكان سماسرة البورصة دائمي الحركة بين بالات القطن وأكياس البصل والأرز المعدة للتصدير .

وكان أبرز نشاط عمرانى شهده ثغر الاسكندرية ، ذلك الذى قام به « جوزيف سموحه » عميد عائلة سموحة ، التى تعود أصولها الى بغداد ، وقد هاجر الى مصر عام ١٩١٧ ، قادما من مدينة مانشستر ، فأسس شركة لتجفيف الأراضى عام ١٩٣٠ ، واشترى منطقة مستنقعات قديمة فى سيدى جابر . وبلغت مساحة الأراضى المجففة سدس مدينة الاسكندرية : ٤٢٥ فدانا ، وشيد فى كل قسم منها فيلات للسكن ، والباقي حدائق للفاكهة ، وسميت « مدينة سموحة » .. وكان جوزيف سموحه معروفا بصداقته للملك فؤاد واشتهر بسخائه فى تمويل مشروعات الخدمات الاجتماعية للطائفة ، وعلى رأسها المستشفى الاسرائيلى بسيدى جابر ، والتى أسهمت فى تأسيسها أيضا عائلات منشبه ، سوارس وعاداه .

وعن ذكرياته بالاسكندرية ، يقول الأديب الاسرائيلى « اسحق جورمزانو » أن يهود الاسكندرية كانوا يقضون قسما من أوقات فراغهم فى مضمار سباق الخيل والسهرة الخاصة ولعب الورق « .. تكلموا لغات كثيرة ، لم تكن لديهم لغة خاصة بهم ، يملكون حسن التصرف .. يأخذون مكانهم وسط الشعوب التى يعيشون بينها بسرعة فائقة » ! ..

وقال أنهم قد وجدوا العمل بسرعة نسبية فى اسرائيل
« وصنعوا المال من العدم ! » بسبب ذكائهم الذى منحته لهم البيئة
وكثرة السفر والتنقل ، وبسبب هذا الذكاء ، وصلوا لأعلى درجات
السلم الاقتصادى . وعند قدومهم لاسرائيل احتفلوا بكل الأعياد
التي يعرفونها ، يهودية كانت أو مسيحية ، حتى أعياد المسلمين
أخذوا منها ! » .

عبد الله . . الشحاذ اليهودى !

بينما كانت العائلات اليهودية الثرية : منشأة ، رولو ،
أجيون ، عاده . . تمثل صفوة المجتمع الارستقراطى بالاسكندرية ،
سماسرة القطن وملوك البورصة ، يرتادون الأماكن الراقية مثل :
نادى اليخت الملكى ، ونادى سبورتنج ، وفندق سيسل ،
وباسترودس ويونيون بار مونسنيور . . كان هناك ، فى قاع المدينة
من هم فى عداد الأحياء وما هم بأحياء ! . . فقراء ضاقت بهم
أرزاقيهم ، وعاطلون ومتشردون ، وشحاذون .

وقد جسد المؤرخ اليهودى « موريس مزراحى » بؤس وشقاء
هذه الفئة فى صورة « سليمان أو عبد الله اليهودى » شحاذ شارع
التتويج بالاسكندرية عام ١٩٤٦ ، فىقول عنه :

« . . العينان أكلتهما التراكوما (الرمد الحبيبي)
والطربوش قد حال لونه بفعل الزمن والعرق والقذارة ، فأصبح
أقرب الى اللون الأسود ، يعتلى رأسا التهمتها لحية كبيرة مشعسة ،
الجلباب بالكاد تبين أنه كان أبيضاً ! . . تغطية بقع الطعام وكل
قذارة المدينة ، يرتدى جاكته كالحبة فوق الجلباب ، وفى قدميه حذاء
كبير بال ، فقد رباطه منذ زمن بعيد . . لا تخطئه عين ، حتى أصبح
من معالم المكان . . أنه سليمان أو عبد الله اليهودى ! » .

وتحت عنوان « حادث يدعو للأسف » ١٠٠ نشرت صحيفة « المنبر اليهودي » الصهيونية الناطقة بالفرنسية ، وأحدى الصحف اليهودية التي كانت تصدر بالقاهرة والاسكندرية في عددها الصادر بتاريخ ٦ ديسمبر عام ١٩٣٩ ، هذا الخبر التالي :

« في غضون الاسبوع الماضي ، وقع حادث يندى له الجبين ، في مقر طائفتنا بالاسكندرية ، حيث تجمهر مجموعة من العاطلين اليهود أمام مقر مجلس الطائفة . وأمام مكاتب بعض أعيان اليهود بالمدينة . . . كانت حالتهم غاية في البؤس ، ويبدو من الصعب إيجاد حل لمشكلتهم ، معظمهم من الشباب الذي يكاد يصرف القراءة والكتابة ولا توجد فرص عمل لهؤلاء العاطلين من حارة اليهود . . . التي تكدر عليهم حياتهم دائما ! » .

المؤسسات الاجتماعية اليهودية بالاسكندرية

شهدت الاسكندرية نشاطا ملحوظا في مجال الخدمات الاجتماعية ، حيث أسهمت العائلات اليهودية في انشاء عدد من المؤسسات الاجتماعية لخدمة أبناء طائفة بالمدينة ، منها :

- الجمعية الخيرية الاسرائيلية ، التي تأسست عام ١٩٨٥ .
- مستشفى « منشة » التي أسسها الاخوان : جساك وفيلكس والفريد دي منشة عام ١٨٩٠ .
- المبرة الاسرائيلية ، التي تأسست عام ١٨٩٤ ، وكانت تعنى بتقديم الوجبات الغذائية والكساء لتلاميذ المدارس المجانية للطائفة بالاسكندرية ، ونظمت برامج لتعليم اللغة العبرية .
- جمعية « بخور هوليم » تأسست عام ١٩١٠ .

- مبرة « حساء المرضى » الاسرائيلية ، تأسست عام ١٩١١ ، وعنيت بتقديم الألبان ، والأغذية للمرضى من فقراء اليهود .
- جمعية « سيدا كاباستسر » تأسست عام ١٩١٣ . وكانت تقدم معونات مادية للأسر الفقيرة من اليهود .
- جمعية رعاية الأمومة الاسرائيلية ، تأسست عام ١٩١٤ ، وتولت رعاية الأمهات الفقيرات فى فترات الحمل والولادة وتقديم العون المادى لهن .
- جمعية « نقطة اللبن » بالاسكندرية تأسست عام ١٩١٧ .
- الجمعية الخيرية لليهود الاشكنازيم ، تأسست عام ١٩٣٠ .
- ملجأ محرم بك للمسنين ، أنشئ عام ١٩٣٠ .
- المستشفى الاسرائيلى : وقد تعاونت فى انشاءه عائلات « منشة » « وقطارى » و « سوارس » عام ١٩٣٢ ، بشارع أبو قير بحى سبورتنج وتولى ادارته : د . « أو بالدو بورجى » .

مدارس الطائفة اليهودية بالاسكندرية

لا جدال فى أهمية دور المدرسة وتأثيرها على حياة الفرد والأمة ، وهو ما أدركه جيداً رؤساء الطائفة اليهودية بالاسكندرية ، فوجهوا جانباً من نشاطهم الى العناية بمدارس الطائفة وتعديل برامج التعليم فيها ، وانشاء مدارس جديدة لمختلف مراحل التعليم تتعهد التلميذ اليهودى بنشأة يهودية خالصة ، تتلاءم مع الأهداف المرجوة منه مستقبلاً . . .

وأولى المدارس التى تأسست بمدينة الاسكندرية : كانت مدارس « أجيون - Las Ecoles Aghion » للبنين والبنات

عام ١٨٧٥ ، وأسس البارون « يعقوب منشة » مدرسة باسمه عام ١٩٨٥ ، كما أسست الطائفة مدرسة للفنون والصنائع في ٢ فبراير عام ١٨٩٧ ، وأسس الاليانس الاسرائيلي A.I.U مدرسة مشتركة عام ١٨٩٥ .

كما أسس مجلس الطائفة بالتعاون مع الحاخاماته الاسرائيلية مدرسة خاصة بأطفال الفقراء من اليهود باسم « مدرسة الماوى » عام ١٩٠٤ ، وتأسست مدرسة « اتزهام » ملحقة بمعبد زراديل عام ١٩١١ ، ومدرسة جمعية « نقطة اللبن » عام ١٩١٧ ومدرسة « ديللا برجولا Della Pergola » عام ١٩١٩ ومدرسة « جان يلاديم Gan Yeladim » عام ١٩٢٣ ، ومدرسة « يهود النهضة Hatehiah » .

وفي عام ١٩٢٥ ، تأسست مدرسة مدام « جابيه Mme Jabes » وليسية « الاتحاد اليهودي للتعليم » ومدرسة « تلمود تورا » للبنين ، ومدرسة « شادي يعزور Chadai Yaazor » للبنات ، وبدا من ذلك العام تشكلت « لجنة المدارس » بالاسكندرية ، برئاسة البارون « دى منشة » والتي تمكنت من جمع حصيلة طيبة من التبرعات ، أقامت بها عددا من المدارس ، منها ليسيه الرمل بحى كامب شيزار ، ليسيه محرم بك ، ليسيه سبورتنج ، ومدرسة بيت الطفولة اليهودية ، ومدرسة ابن ميمون الثانوية .

كذلك أسس الاليانس الاسرائيلي مدرسة بمدينة طنطا عام ١٩٠٥ وفي بورسعيد تأسست مدرسة « زيكرون موشى » . ومدرسة « تلمود تورا » بمدينة المنصورة .

المعابد اليهودية بالاسكندرية

مع تزايد أعداد اليهود الأوربيين الذين هاجروا الى الاسكندرية خلال الحرب العالمية الأولى ، تزايد عدد المعابد اليهودية بالمدينة ، حتى أشارت بعض المصادر الى وجود ٢٩ معبدا خلال القرن التاسع عشر .

● معبد « الياهو هانبي » أقدم معابد الاسكندرية ، والمعبد الرئيسي للطائفة اليهودية بها ، وهو المعبد الوحيد الذى تقام به شعائر الصلاة . . ومقره بشارع النبی دانیال رقم ٦٩ بوسط المدينة .

ويعد هذا المعبد مزارا مقدسا بما يمثله من أهمية دينية وتاريخية ، نتيجة للاعتقاد اليهودى فى أسطورة تذكر أن النبی « الياهو » ظهر - عقب وفاته - لعدد من الحاخامات فى نفس الموقع المشيد عليه المعبد الآن ! . . وقد ورد فى رحلة « فولتيرا Volterra » أن هذا المعبد قد شيد للمرة الأولى عام ١٣٥٤ م ، وتهدم لبناء القديم ابان الحملة الفرنسية ، عندما أمر نابليون بقصفه بالقنابل ، لاقامة حاجز رمايه للمدفعية بين حصن كوم الدكة والبحر ، فى عام ١٨١٥ وبتوجيه من محمد على باشا ، أعيد بناؤه . . ثم هدم وأنشئ المبنى الحالى ، كما تشير اللوحة التذكارية ، فى سنة ٥٦٤١ بالتقويم العبرى / ١٨٨١ م .

وبضم المعبد : مقر الطائفة الاسرائيلية بالاسكندرية ، ومبنى المحكمة اليهودية ، والمعبد على شكل بناء مستطيل (حوالى ٤٠ × ٢٥ م) ويعد من المعابد الفخمة معماريا - على الطراز البازليكى - الطابق الثانى به شرفة السيدات ، والمدخل الرئيسى فى الواجهة الغربية ، تعلوه النجمة السداسية وكتابات عبرية ،

والمبنى من الداخل يتكون من ثلاث أروقة ، تحتوى صفيين من الأعمدة، أكبرها الرواق الأوسط، والهيكل كالمعتاد بالجهة الشرقية مصنوع من الرخام الفاخر ، على جانبيه أعمدة رخامية تحمل عقدا نصف دائرى ، وبجوارها أعمدة معدنية وزخارف معدنية ، وبداخل المقصورة المقدسة : لفائف من الجلد والورق من أسفار التوراه ، أمام الهيكل : المنصة المخصصة للصلاة ، وداخل القاعة صفوف من المقاعد الخشبية ، والسقف تتدلى منه ثريات من الزجاج والفضة .

فى عام ١٩٢٨ ، تأسس بالمعبد قسم خاص لموسيقى الصلوات تحت ادارة « البرتو حمصى » وقد امتد نشاط الجوقة الموسيقية الى الاحتفاء بالأعياد اليهودية ومناسبات الزواج ، ولم يقتصر القسم الموسيقى على التأليف فحسب بل قام بعمل دراسات عن الفولكلور اليهودى الاسبانى ، ودراسات عن الموسيقى الكلاسيكية ليهود مصر .

وقد أعدت مكتبة التراث اليهودى بالمبنى المحلق بالمعبد ، على غرار مكتبة التراث اليهودى بمعبد شعار هاشمايم بالقاهرة .

وقد سجل معبد الياهو هانبى كآثر عام ١٩٨٧ .

● معبد « زاراديل Zaradel » أنشأته عائلة زاراديل عام ١٣٩١ م وظل قائما نحو خمسة قرون ، اذ تداعى بنيائه عام ١٨٨٠ ، فأعيد بناؤه مرة أخرى ، ومقره بشارع عمرام بحارة اليهود ، بسوق السمك القديم ، يحتفظ المعبد بمخطوطتين نادرتين للتوراه بحروف آشورية .

● معبد « منشة » أسسه البارون يعقوب دى منشة عام ١٨٦٠ ، بميدان المنشية أجريت له عملية ترميم وتوسعه عام ١٩١٢ ، والمبنى مستطيل حوالى ٤٠ × ٢٠ م ويتميز بالبساطة فى

طرازه المعماري وزخارفه ، ويتكون من طابقين ، المدخل في الركن الشمالى الغربى والهيكل فى الجهة الشرقية ، مصنوع من الرخام يعلوه نصف قبة ، وعلى جانبيه نوافذ للاضاءة وشرفة السيدات بالطابق الثانى .

● معبد « الياهو حزان » بشمارع فاطمة اليوسف ، بحى سيورتنج ، أنشئ عام ١٩٢٨ ، المبنى مستطيل الشكل ٤٠ × ١٥ م ، المدخل فى منتصف الجدار الغربى ، تعلوه نجمة داود ، والهيكل فى الجهة الشرقية ، تعلوه خمس نوافذ من الزجاج الملون ، والمعبد خال من الأثاث وأسفار التوراة ٠٠ ! وقد شيد المعبد على قطعة أرض وهبتها عائلة « بارسيلون » .

● معبد « غروز » لايعرف تاريخ انشائه على وجه التحديد ، وقد أعيد بناؤه أكثر من مرة ، كان آخرها عام ١٨٥٣ .

● معبد « جرين » شيدته عائلة جرين بحى محرم بك عام ١٩٠١ .

● معبد « يعقوب ساسون » أنشئ عام ١٩١٠ بحى جليمونوبلو .

● معبد « كاسترو » أنشأه « موسى كاسترو » بحى محرم بك عام ١٩٢٠ .

● معبد « نزاح اسرائيل » الاشكنازى تأسس عام ١٩٢٠ .

● معبد « شعار تفيلا » أسسه عائلتا « انزاروت » و « شاربيه » عام ١٩٢٢ ، بحى كامب شيزار .

بـ هذا الى جانب بعض المعابد التى هدمت واندثرت مثل : معبد جوهر ، كنيس المغارية ، معبد جيميلوت حساديم ، معبد بن بورات يوسف ، معبد سلامة ، معبد صافنات بعانيا ، معبد طبول ، معبد حلب .

ازدهار .. وتدهور !

(دراسة تاريخية : اميل جابى ، ليفانا مزراحي)

عقب رحيل الفرنسيون ، عانى الأعيان المصريين من كثرة الخلافات مع الحكومة التركية تارة ، ومع المماليك تارة أخرى ، فاخترارو محمد علي ونصبروه واليا وباشا على مصر فى مايو سنة ١٨٠٥ .

حتى عام ١٨٨٢ ، ظلت البلاد من الناحية القانونية ولاية عثمانية ولكنها اكتسبت بالتدرج استقلالها . الأسرة التى أسسها محمد علي باشا ظلت تحكم مصر حتى سنة ١٩٥٢ م .

حتى عام ١٨٠٧ ظل محمد علي يكرس جهوده للتخلص من المماليك بقتل أكثرهم أهمية ، أما فى الخارج فقد قام بعدة حروب زادت من هيئته فى العالم الاسلامى أما بالداخل بدأت ولادة قرابة نصف قرن — تغيرات جذرية بانشاء ادارة مركزية وانشاء نظام احتكار الدولة لجميع فروع الانشطة الاقتصادية .. حرية اقامة مشروعات فى الفترة من عام ١٨٣٠ الى عام ١٨٤٠ . التجار الذين عملوا فى التجارة الخارجية يمثلوا طبقة غنية من الأجانب يفضلها محمد علي على الوطنيين لانها توفر له مصادر تمويل المنشآت اللازمة للصناعة الناشئة فى مصر . وفى نفس الوقت ، نجح فى الزام المواطنين بكبح جماح كل مظاهر كراهية

الأجانب ، وألغى جميع مظاهر التمييز الدينى ، بالإضافة الى إلغاء الجزية المفروضة على غير المسلمين .

أهم عملاء مصر : حسب ترتيب أهميتهم — النمسا — تركيا — إنجلترا — فرنسا لحماية الصفقات التجارية الأجنبية وانشئت في القاهرة والاسكندرية منذ عام ١٨٢٦ محاكم مختلطة تترافع باللغة الفرنسية (وقد أدت هذه الاحتياطات الى تدفق الكثير من يهود منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط الى مصر . بعض من هؤلاء المهاجرين وكذلك اليهود المقيمين في مصر سيتخذوا جنسيات أجنبية حيث ان النمسا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا حرصا على أن يكون لها أكبر عدد من المواطنين داخل مصر . ستمنحهم هذه الجنسيات بكل يسر .

انتهى حكم محمد على في ١٨٤٨ ومن نتائج سياسته التي قامت على الاستدانة المتزايدة ، تدخل أجنبي متزايد في أحوال البلاد . في ١٨٨٢ ، تحتل إنجلترا مصر احتلالا عسكريا اتخذ — الصفة الشرعية — بعد ذلك باتفاق ثنائي سوف يدوم حتى ١٩٢٢ تحت ضغط الاحتلال الانجليزى — أبطأ خلفاء محمد على التقدم المهنى في مصر — ومع ذلك بدأ في نفس الوقت ادخال الأفكار الجديدة وتنمى النزعة القومية .

تحت حكم محمد على ، تمتع يهود مصر وعددهم ٧٠٠٠ بأكبر قدر من التقدير . ومع تدفق اليهود المهاجرين سيصل عددهم الى ٣٠.٠٠٠ في عام ١٨٨٢ ، ولكنهم لم يكونوا مجموعة متجانسة ، تجمعاتهم كانت حسب فواصل لغوية — اجتماعية وفواصل خاصة بالأصل . نجد في القاهرة ، ثلاث طوائف أساسية : شرقية ، اشكنازية ، وقرائية . . الاتصال بين الريانيين والقرائين كان معدوماً آنذاك اليهود الشرقيون الذين

اختلطوا مع المجتمع المحيط بهم كانوا صفوة المجتمع وهم من أغلبية تتحدث اللغة العربية وأقلية تتحدث لغة اللادينيو الاثكيناز الذى وصلوا فى فترة لاحقة استطاعوا أيضاً الاندماج مع المجتمع الشرقى .

ابتداءً من عام ١٨٨٢ تكونت طبقة يهودية متوسطة ازدادت أهميتها بالتدريج وطبقة أخرى مزدهرة وغنية — اليهودية المصرية لو نظرنا إليها نظرة خارجية تعتبر الأكثر ازدهاراً فى الشرق الأوسط . الارتقاء السريع نسبياً لهذه الطبقة الجديدة من رجال الأعمال والجامعيين تستند على المستوى الثقافى المرتفع لهذه الأوساط . فى واقع الأمر كانت نسبة اليهود الذين يتعلمون فى المدارس عالية جداً . ونالت اللغة الفرنسية شيوعاً قوياً ، وسجلات الحاخامخانة تكتب باللغة الفرنسية منذ بداية القرن العشرين فى القاهرة والاسكندرية .

من الناحية السياسية ناضل اليهود المصريين فى مختلف التنظيمات الوطنية وقد أظهر بعضهم أحساساً شديداً بالوطنية مثل « فيكتور زاراديل صنوا » الشهير بـ « أبو نظارة » الكاتب الصلحفى .

من ١٨٨٢ وحتى ١٩١٤ الموقف القانونى فى مصر لم يتغير ولكنه فى الواقع كان البلد مستقلاً بالنسبة للباب العالى — أثناء حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ التى أدت الى تفكك الامبراطورية العثمانية — بدأت مجموعات وطنية تتكون للمطالبة باستقلال البلاد بزعامة سعد زغلول كونوا حزب الوفد الذى سوف يصبح فيما بعد أهم حزب سياسى فيما بين الحريين . واذا كان أعضاء الوفد نكonnوا من جميع طبقات المجتمع ومن بينهم اليهود الا أن زعماء الحزب كانوا من الأعيان والمثقفين .

في هذه الاثناء تضاعف عدد افراد المجتمع اليهودي من ٣٠.٠٠٠ الى ٦٠.٠٠٠ بين ١٨٩٠ - ١٩١٨ . وواكبت الحياة الاجتماعية تطور البلد ، فقد تضاعفت عدد المعابد اليهودية : ١٥ في الاسكندرية ، ٣٠ في القاهرة ، ٤ في طنطا ، ٢ في المنصورة ، وغالباً واحداً في كل قرية صغيرة في الدلتا بها مجتمع يهودي (١١) .

في ظل العلاقات الاجتماعية ، اقيمت المدارس والمؤسسات الخيرية - المستشفيات المستوصفات - النوادي الرياضية .

في عام ١٩٢٢ اعتبرت انجلترا مصر مملكة مستقلة وفي ١٥ مارس ١٩٢٣ ، لقب السلطان مؤاد بـ « الملك » وتحت ضغط الاحزاب السياسية ، وضع دستور يمنح السلطة التشريعية لمجلسين : مجلس الشيوخ ومجلس النواب ، بينما السلطة التنفيذية ظلت في أيدي الملك ووزرائه .

احرز حزب الوفد تقدماً ، لكن الملك ينشئ حزبا منساقا ليحجم نشاط الوفد عام ١٩٣٠ ثم يلغى المجلسين ، ويوقف العمل بالدستور في الفترة من عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣٥ م وبالرغم من هذه المحاولات ، الا أن الوفد استطاع أن يفوز في الانتخابات التشريعية في ٢ مايو سنة ١٩٣٦ بعد وفاة الملك مؤاد ببضعه ايام ، وقد وقعت مصر التي يحكمها الوفد في مايو ١٩٣٧ اتفاقية « مونثرو » التي انتهت نظام الامتيازات تجاه القوى العظمى الاوربية ، ألغى الوضع القانوني المتميز للأجانب ، كما انتقلت اختصاصات المحاكم المختلطة والتجارية الى المحاكم الوطنية . هذه الاتفاقيات تتعلق بعدد كبير من اليهود المصريين الذين اكتسبوا جنسية اجنبية . . واستمر العمل بقانون الأحوال الشخصية أمام المحاكم الشرعية .

ومن سمات حكم الملك هُؤاد ، مبادلات اقتصادية هامة مع أوروبا وحماس ثقافى كبير ، وقد أسهمت الطائفة اليهودية فى هذه الفترة ، وعلى نطاق واسع فى الازدهار الثقافى والاقتصادى والسياسى للمملكة ، فى مجال الفن والمسرح ، ازدهر المسرح الشعبى المصرى فى الثلاثينات ، مستهدا أصوله من أعمال « جيمس زراديل صنوا » وقد أدخل توجو مزراحى فن السينما الى مصر (١١) وظهرت فى الطائفة اليهودية كتاب يكتبون باللغة الفرنسية مثل : ادمون جابيس ، البرت سدس ، البرت جوزيبو فيشى ، اليان فينبرت ، جورج قطاوى ، روبرت بلوم وكارلو سوارس .

وبدأت الاسكندرية فى ١٩٢٠ تنافس باريس فى الصالونات الأدبية والمسارح العديدة .. كما نشط الاليانس الفرنسى والاتيلىه .. ! ونجد بالاضافة الى الصحف اليهودية باللغة الفرنسية مثل « اسرائيل » او « كاديا » مجلات أدبية مثل « اتينيه » و « رسائل الشرق » يديرها يهود — وقد كان لليهود أيضا مكانتهم فى مؤسسات الدولة فى مجلس الشيوخ ومجلس النواب — هكذا أصبح يوسف أصلان قطاوى باشا رئيس الطائفة اليهودية فى القاهرة نائباً وعضواً بمجلس الشيوخ ثم وزيراً .. وقد نافضوا فى الأحزاب السياسية ، المحامى فيلكس بنزاقين كان مناضلاً بالوفد ، وفى نفس الوقت مناضلاً صهيونياً ! .. و « ليون كاسترو » رئيس المنظمة الصهيونية فى القاهرة كان مستشاراً لسعد زغلول ! ورئيساً لجريدة « الحرية » التى طالبت باستقلال مصر والكاتب « اليان فينبرت » نافضل أيضاً الى جانب سعد زغلول ضد الانجليز وطرد فى النهاية من مصر . وعلى رأس التنظيمات الشيوعية التى تكونت مرة أخرى فى مصر اثناء الحرب العالمية الثانية نجد أعضاء من أصل يهودى مثل : جوزيف روزنتال ، هنرى كوريل وشوارتز حتى منتصف الثلاثينيات

« تتساوى الصهيونية والمد الوطنى فى النضال ضد عدو مشترك : هو انجلترا » (!!) لكن بدأ الموقف يتدهور مع اقتراب الحرب العالمية الثانية ، اذ ان الوطنية الليبرالية ، التى تبناها الوفد ، وشكلت مصر منذ العصر الفرعونى ، وضعا تاريخيا مستقلا ، بدأت تتراجع أمام فكرة « وحدة الوطن العربى » التى اعتبرت امتداداً حديثاً للأمة الاسلامية ، هذا الاتجاه الجديد للنزعة القومية ، كان له تأثير سيئ على الأقليات الغير عربية والغير اسلامية ، خاصة اليهود !

أثناء الحرب العالمية الثانية كانت حاشية الملك فاروق ، الذى حكم بعد الملك فؤاد فى سنة ١٩٣٦ ، موالون للألمان — أما الوفد فكان ضد النازية وبمساندة الانجليز وصل الى الحكم فى ١٩٤٢ ثم طرده الملك مرة أخرى فى ١٩٤٤ . ولم يعلن الملك الحرب على الألمان واليابان الا فى عام ١٩٤٥ — نضال اليهود فى مصر ضد النازية كان فى اطار « الرابطة الدولية ضد مناهضة السامية » نجحت فى عام ١٩٣٣ م ، بفضل جهود : ليون كاسترو وموريس مزراحى فى حملة المقاطعة التجارية للمنتجات الألمانية فى مصر .

بعد ١٩٤٥ م ، كان للقوتر المتزايد فى فلسطين والحروب الاسرائيلية العربية المتعددة ، اثار وخيمة على الطائفة اليهودية فى مصر (!!)

بعد انشاء دولة اسرائيل يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ دخلت الجيوش العربية والمصرية فى حرب ضد الدولة الجديدة ، وفى اضطراب تام أمرت الحكومة المصرية فى عام ١٩٤٨ م — ١٩٤٩ بالقبض على مئات اليهود المتهمين بالصهيونية والشيوعية

لمساندتهم للدولة الاسرائيلية . وكان هذا اول محاكمة ضد اليهود
واول حراسة على املاكهم ، وأول ترحيل .

من شهر يوليو الى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٩ هاجمت
المظاهرات العنيفة الاحياء . . اليهودية في القاهرة والاسكندرية ،
حيث كون السكان مجموعات دفاع ذاتى في القاهرة والاسكندرية ،
وحرق المعبد الاشكينازى بعد هجمات نسبت الى الاخوان المسلمين
كما دمر معبد « منشيه » بالاسكندرية وترك البلاد ١٥٠٠٠ من
٧٠٠٠٠ يهودى الذين احصوا في بداية الحرب العالمية الثانية .

بسقوط الملكية ووصول الضباط الاحرار في ١٩٥٢ ، لم يتغير
كثيراً وضع اليهود في مصر . وقد انبع محمد نجيب في السنتين
التي حكم فيها الدولة سياسة المساواة القانونية لكل المواطنين
المصريين ايا كانت اصولهم . . منذ ١٩٥٤ اتخذ جمال عبد الناصر
اتجاها راديكاليا داعيا الى وحدة العرب ، وعادت من جديد
القضايا السياسية ضد اليهود وخاصة الشيوعيين .

وتبعها عملية طردهم من البلاد . في يوم ٥ من يناير سنة ١٩٥٥
يهوديان مصريان صمويل حزار وموسى مرزوق حكم عليهما بالاعدام
شنقا في سجن القاهرة . كانا مرتبطان بالتنظيم السرى الاسرائيلى
الذى دفعهما الى وضع قنابل في المساكن الامريكية بغرض عرقلة
حصول المصريين على الاسلحة الامريكية (عملية لافون) .

وفي ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ امم جمال عبد الناصر قناة
السويس ، وتوترت العلاقات مع انجلترا ، فرنسا واسرائيل وفي
٢٦ اكتوبر هاجمت اسرائيل سيناء وتبعتها بعد يومين الجيوش
الفرنسية والانجليزية . وانتهى هذا الانتشار للقوى في ٦ نوفمبر
تحت ضغط الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بوقف اطلاق
النار ، ظلت مصر تتحكم في قناة السويس ، وانسحبت اسرائيل

من سيناء ولكنها فتحت ميناء ايلات للملاحة الى البحر الأحمر بينما
ضباط الأمم المتحدة توسطوا المصريين والاسرائيليين .

في مصر تعرض اليهود منذ بدأ العمليات الحربية الى حملة
اعتقالات واسعة ، شملت نوعيات متباينة من أثرياء ، فقراء ،
غير معينى الجنسية ، أجانب . غادر ٣٠.٠٠٠ يهودى البلاد في
بضعة أشهر . ظل منهم ٧٠٠٠ حتى حرب الأيام الستة عام
١٩٦٧ م ، أصبحوا بضع مئات اليوم . ثلث اليهود المصريين ذهبوا
الى اسرائيل . وتفرق الباقي بين فرنسا (١٠.٠٠٠) البرازيل
(١٥.٠٠٠) الولايات المتحدة (٩.٠٠٠) الأرجنتين (٩.٠٠٠)
انجلترا (٤.٠٠٠) ايطاليا واستراليا وكندا وسويسرا وبلجيكا
ومختلف بلاد أمريكا اللاتينية ، وجنوب أفريقيا .

● تعقيب وتصحيح !

في هذه الدراسة ، التى أعدها « اميل جابى » المولود
بالاسكندرية و « ليفانا مزراحى » التى ولدت بالقاهرة .. مجموعة
من الادعاءات والمغالطات — المقصودة — كمادة الباحثين
الاسرائيليين دائماً ! .. نجملها فيما يلى :

- ١ — الادعاء بوجود معبد في كل قرية بالدلتا بها طائفة يهودية !
- ٢ — الادعاء بأن توجو مزراحى « أدخل غن السينما في مصر » !
- ٣ — الادعاء بمساهمة اليهود في النضال السياسى ضد عدو
مشترك ! .. والمغالطة المفسوحة في المساواة بين
الصهيونية والوطنية المصرية !!

٤ - الاشارة بأن الاوضاع فى فلسطين ، والحروب العربية - الاسرائيلية كانت لها آثار وخيمة على الطائفة اليهودية فى مصر !

٥ - الادعاء بقيام السلطات المصرية ، عقب حرب ١٩٥٦ ، بحملات اعتقال واسعة وعمليات طرد لليهود شملت نوعيات متباينة !

● بالنسبة للادعاء الاول ، لم نسمع عن وجود معبد فى كل قرية بالدلتا او بغيرها ، فهو من قبيل الكلام المرسل هكذا دون سند ! .. وبفرض صحته ، فان دل على شىء ، فانما يدل على أن « جغرافية التسامح » طبقاً لتعبير أديبنا الكبير « جمال الغيطانى » كانت على اوسع نطاق ! .. ومدى تمتع يهود مصر بحرية ممارسة عقيدتهم ، وحرية انشاء معابدهم فى مختلف مدن مصر .. بينما اعتداءاتهم وجرائمهم ضد المقدسات الاسلامية فى فلسطين لم يعرفها تاريخ البشرية ، اقلها حصد ارواح الساجدين بالرشاشات !

وبالاضافة الى مجموعة المعابد والمحاغل التى سبق أن ذكرتها ، فى مدينتى القاهرة والاسكندرية ، كان لهم عدة معابد فى بعض المدن التى عاشت بها تجمعات يهودية :

- طنطا : كان بها محفل « أوهيل موسى » وكنيس المغاربة ،

- المنصورة : بها محفل « ماجن دافيد » الذى شيد فى بداية القرن العشرين ، ومعبد « حسون » الذى شيده ابراهيم حسون عام ١٨٩٨ ، ومعبد « كوهين » شيده مخلوف كوهين وزوجنه سيمحا ١٩١٣ .

— المحلة : بها معبد « الاستاذ » الذى شيد بحى خوخة اليهود ، منذ ستة قرون تقريباً ، وأعيد بناؤه وترميمه عدة مرات . وينسب الى الحبر « فضيل بن أبى آوى بن حنانييل الأمشاطى » .

— بورسعيد : كان بها محل « اسرائيل » تأسس عام ١٨٩٨ ، ومعبد « سوكات شالوم » ومعبد « بينان » .

— بالاضافة الى معبد « سوارس » بدمهور ، و « هارون جبای » بالزقازيق ، و « كليمان باردو » بهيت غمر .

● « توجو مزراحى » والاكذوبة بأنه « أدخل فن السينما فى مصر » ! والأصوب أنه « أدخل التجارة على فن السينما » ! فهو صاحب المقولة الشهيرة ، والتي كان يرددها دائماً ، بأنه « ليس هناك من يستطيع أن يدخل السينما بدون تذكرة » !

الحقيقة التاريخية التى تغافل عنها الباحثان اليهوديان : أن مصر كانت من أولى بلاد العالم التى عرفت فن السينما ، فأول عرض سينمائى تجارى فى العالم ، كان فى ٢٨ ديسمبر ١٨٩٥ فى الصالون الهندى بمقهى « جران كافيه » بشارع كابوسين بباريس ، بعد أسبوع واحد ، فى يناير ١٨٩٦ ، شهدت مصر أول عرض سينمائى ، بمقهى « زوانى » بالاسكندرية ، أما أول عرض بالقاهرة ، فكان فى ٢٨ يناير ١٨٩٦ ، بسينما سانتى بالقرب من فندق شبرد القديم بشارع الجمهورية حالياً ، أى « قبل مولد توجو مزراحى نفسه بسنوات عديدة » !

● الادعاء بـ « النضال السياسى » ضد « عدو مشترك » ! . فى الوقت الذى كان فيه الاحتلال البريطانى — حليفاً رئيسياً — للصهيونية فى مصر ! . . ومنح لزعمائها تسهيلات هائلة من أجل

دعم نشاطهم ، كما كان للامتيازات الأجنبية الفضل في فتح مجالات الثراء والنفوذ لزعماء الطائفة .

وهذا الادعاء ، مكشوف الهدف ، وهو اصفاء صفات القومية والوطنية على الحركة الصهيونية ، وهو أيضاً ما سمعت اليه الصحف اليهودية في مصر ، مع جهل المسئولين بالأهداف والنوايا الخبيثة للاتجاهات الصهيونية . . وانتماء بعض الكتاب والصحفيين اليهود لحزب الوفد — حزب الأغلبية آنذاك — كان الهدف منه ، الظهور بمظهر الولاء للوطن الذي يعيشون فيه ، دون الدخول في خصومة سياسية ، بتأييد مطلق لسياسة القصر ورئيس الحكومة والجميع على السواء ! . . والترحيب والاشادة بكل رئيس حكومة جديد . » بعد أن طالت فترة انتظار الأمة الى حكومة ترضى عنها « !!

و « ليون كاسترو » مؤسس المنظمة الصهيونية في مصر ، لم يكن « مستشاراً لسعد زغلول » وعندما انضم الى وفد المفاوضات ، لم يكن دوره يتعدى دور المترجم من العربية الى الفرنسية والعكس ، فزعيم الأمة عندما رفع شعار الوحدة الوطنية واسقاط عامل السدين في التفرقة بين أبناء الشعب ، استفاد اليهود كثيراً من هذا الاتجاه ، فبادروا بالانضمام الى حزب الوفد ، كما استفادت الحركة الصهيونية من اكتساب « كاسترو » ثقة سعد زغلول ، ليعطوا انطباعاً بعدم تعارض النشاط الصهيوني مع النضال الوطني المصري ، باعتبار أن كليهما موجه ضد بريطانيا . واصفاء المظهر الوطني على يهود مصر ، ودرء شبه عدم انتماءهم لهذا الوطن ، في محاولة لكسب تأييد الرأي العام المصري ، واكتساب صداقة الحكام ، وعدم اغضاب أي هيئة أو حزب ، باتباع سياسة الحياد وعدم

الخوض في المشاكل ، أحيانا ، أو اتباع سياسة النفاق ،
كثيراً .. !

● أما عن الادعاء بأن الحرب العربية — الاسرائيلية كانت
لها آثار وخيمة على الطائفة اليهودية في مصر .. وقيام السلطات
المصرية بحملات اعتقال وعمليات طرد لليهود ..

فعند نشوب حرب ١٩٤٨ ، التي كشفت القناع عن الوجه
القيح للصهيونية ، عاشت الطائفة اليهودية في مصر ، فترة
عصيبة من القلق والترقب ، تحسباً لحدوث موجة من الانتقام ،
لكن شيئاً من ذلك لم يحدث .. واستمر اليهود في ممارسة
حياتهم اليومية بشكل عادى تماماً ، كما استمر أقطاب العائلات
اليهودية في نشاطهم وعلاقاتهم القوية بالقصر ومراكز النفوذ
السياسى والاقتصادى .. واستمر كذلك اقبال الأهالى على
متاجر اليهود : سيكوريل ، عدس ، جاتينيرو ، بونتريمولى ...
وعلى أطبائهم ومحاميتهم دون تمييز أو تعصب .

وفى أغسطس ١٩٤٩ ، صدر قرار الحكومة المصرية ،
بالغاء شرط الحصول على جواز سفر خاص للخروج من مصر ،
وبدأت هجرة بعض اليهود الذين تأثروا بالدعاية الصهيونية .
ولم تتخذ حكومة الثورة أية اجراءات جماعية ضد اليهود ، سواء
عقب قيامها أو خلال حرب ١٩٥٦ ، سوى اعتقال بعض المشتبه
في خطورتهم على أمن الدولة ، وبعض ممن قاموا بنشاط تخريبى
(فضيحة لافون) ولم يمنع اليهود من الهجرة الى اسرائيل ،
بتوجيه من وكالة الهجرة اليهودية ، الى كل يهود العالم — خاصة
العناصر الشابّة — فى اطار مخطط منظم لم تنتبه له السلطات
المصرية والحكومات العربية فى ذلك الوقت .

بعد ذلك لم تعتقل الحكومة أحداً من اليهود ، فقط كانت تكتفى بقرارات ابعاد أو ترحيل للبعض منهم ، أى لم تكن هناك « حملات اعتقال واسعة » أو حتى ضيقة ! .. وطبقاً لتصريح د. حاتم وزير الاعلام (الاهرام فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٦) أن : عدد اليهود غير المعينى الجنسية نحو ٧ آلاف ، و ٣٥ ألفاً يحملون الجنسية المصرية ، و « طلبت الحكومة الى ٢٨٠ شخصاً منهم مغادرة البلاد » .. أى أن عدد اليهود فى مصر حتى نهاية عام ١٩٥٥ كان نحو ٤٢ ألفاً . وفى ٣٠ يوليو ١٩٦٢ ، أسقطت الجنسية عن ٢٤٨ يهودياً غادروا البلاد ولم يعودوا ، وقد أنذرتهم وزارة الداخلية بالعودة خلال ثلاثة شهور . فالأمر لم يتجاوز حالات فردية ولم يصل الى حد « عمليات طرد » !

لقد صورت الدعاية الصهيونية « الهجرات اليهودية التى تم تدبيرها باحكام » بأنها عملية اضطهاد لكل اليهود ، بغض النظر عن تكوينهم الاجتماعى أو الطبقي ، وأنه لا مجال لدفع هذا الاضطهاد أو لتعايش اليهود واندماجهم فى المجتمعات الأخرى ، ماداموا مشنتين ويفتقدون الهوية القومية ، التى لا يمكن أن تتحقق الا بتأسيس وطن أو دولة يهودية . وأصبحت محاربة اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها جوهر عمل الحركة الصهيونية وهدف رئيسى ، وقد أكد « ناحوم جولدمان » رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، على حرص الصهيونية وحذرهما من اندماج اليهود فى شعوب العالم ، فى خطاب القاه فى ١٦ مارس ١٩٦٣ بقوله :

« ان الاندماج هو الخطر الأكبر الذى يهددنا منذ اللحظة التى خرجنا فيها من الجيتو » !

أخيراً ، كنت أتمنى أن يحدثنا « أميل » و « ليفانا » عن :
اليهود المصريين الذين رحلوا الى الدولة اليهودية .. فلم نسمع
عن أحد منهم واصل صعوده في عالم المال والاقتصاد والسياسة
والشهرة .. مثلما تحقق لهم في مصر ، وجعلهم صفوة المجتمع
المصرى ! .. لم يكن لأحد منهم شأن في قيادة المجتمع الاسرائيلى ،
وفقدوا بريق النفوذ الاقتصادى والسياسى .. وهم الذين وصفهم
« حايم كوهين » في كتابه عن يهود الشرق الأوسط :

« ان يهود مصر ، كانوا في منتصف القرن العشرين ، أغنى
الطوائف اليهودية في الشرق الأوسط وأكثرها استقراراً » .

هربوا بأموالهم الى هناك ، وعاشوا بلا قيمة ! .. كأنهم
عبيد للسلادة من يهود أوروبا وأميركا !!

أوهام غزو التاريخ (★) !!

الفكر الصهيونى : مغرق فى عدائه للتاريخ .. وتزييفه
وتسخيره لخدمة الرؤية والأهداف الصهيونية ! ..

ليس أدل على ذلك من المحاولات اليائسة لزعماء دولة
الارهاب ومؤرخيها ، لحو الشعب الفلسطينى بكامله من القراءة
الصهيونية للتاريخ !!

وليصبح الفلسطينيون من « الجوييم » .. ويهود الشتات
« أرقى الشعوب » فى التاريخ قديماً وحديثاً . وفلسطين العربية
هى « أرض الميعاد » .. و « أرض الحليب والعسل » و .. الوطن
الأسهى !!

وعقد معاهدة سلام بين الكيان الصهيونى والحكومة
المصرية ، أوحى لكثير من الباحثين والمؤرخين الاسرائيليين ؛ بالبحث
والاستقصاء — بأساليب ملتوية — لاختلاق علاقات وهمية بين
المصريين وما يسمى بـ « يهود اسرائيل » عبر العصور المختلفة !

ولنستعرض معا ، ونتأمل ، كيف يكتب التاريخ من وجهة نظر
اسرائيلية .. !!

(١) مجلة القاهرة - مارس - ١٩٩٥ ، لهيئة المصرية العامة للكتاب .

ففى دراسة للبروفيسور « شيمون شامير » (١) السفير
الاسرائيلى الاسبق بالقاهرة ، نشرت بمجلة المركز الاكاديمى
الاسرائيلى — ١٩٩٢ ، بعنوان : « العلاقات بين المجتمع المصرى
والييشوف اليهودى فى فلسطين قبل ١٩٤٨ » (٢) . قال فيها :

« .. لقد اثار تطور العلاقات بين المجتمع المصرى والمجتمع
الاسرائيلى ، التى كان لى شرف متابعتها عن كثب ، فى خطواتها
الاولى ، آثار لدى حب الاستطلاع حول السؤال ، هل كانت هناك
خلال هذا القرن الذى نعيشه ، روابط من التعاون بين المجتمعين ،
قبل بدء النزاع المسلح بينهما عام ١٩٤٨ ؟ وان كان الرد ايجابياً
فما هو مداها ومميزاتها ؟! » .

ولهذه الغاية — النبيلة — قصد شامير ارشيف عدة مراكز
علمية ، ودور واقسام الوثائق فى المؤسسات السياسية ، والجامعة
العبرية ، وجمعيات رياضية وشركات ومؤسسات ثقافية وفنية ،
وبعد رحلة بحث مضية ، وجد اجابة سؤاله !

واتضح له « .. كانت هناك بالفعل ، علاقات متشعبة
ومتعددة الضروب والاشكال وبصورة لم تخطر لى على بال » !

وقال بأن « جميع زعماء المجتمع اليهودى فى فلسطين » خلال
فترة الانتداب البريطانى ، قد قاموا بزيارات لمصر .. « اذ كانت
مصر بالنسبة لهذا المجتمع ، الذى نطلق عليه الييشوف : المركز
الرئيسى للمنطقة ، ونقطة انطلاق نحو آفاق الدنيا الواسعة » !

وأشار الى مرور زعماء الييشوف عبر مصر ، فى طريقهم الى
دول الغرب ، وفى طريق عودتهم منها ، وجولاتهم بمصر ،

و . . « كانت بالطبع الزيارات الخاصة لمصر ، ذات أهمية أكثر ،
والغاية منها مقابلة زعماء الطائفة اليهودية في القاهرة
والاسكندرية ، ومقابلة سياسيين مصريين وممثلى السلطات
البريطانية » !

ويضيف : « . . كذلك وفد زعماء مصريون الى — الديار
المقدسة — لزيارتها ، وقابلوا أبناء المجتمع اليهودى ، وبإمكاننا
أن نشير — على سبيل المثال — الى السيدين مصطفى النحاس
وسيد مرعى » !!

وفى اشارة واضحة — لا تخلو من مأرب خبيث — يؤكد شامير
على وجود « اتصالات سرية » بين زعماء اليهود والسياسيين
المصريين ، فيقول :

« . . ومن الناحية التاريخية ، فقد تمت الاتصالات السياسية
— السرية — بين ممثلى اليشوف وسياسيين مصريين ، وكانت
على جانب كبير من الاهمية ، استهدفت ايجاد حلول وسط للنزاع
بين اليهود والفلسطينيين ، من شأنها الحيلولة دون الوقوع او
نشوب المواجهة المسلحة بينهما » !

وحول هذا الموضوع ، يشير الى وجود مسندات ووثائق
بدور الحفظ بالقدس ولندن ، ومن بين السياسيين المصريين الذين
شاركوا فى هذه الاتصالات ، طبقاً لمزاعمه : رئيسان للوزراء هما
اسماعيل صدقى وعلى ماهر ، والوزير محمد على علوبة ، ورئيس
مجلس الشيوخ محمد حسين هيكل ، والأمين العام للجامعة
العربية ، عبد الرحمن عزام !!

وقد تمت المباحثات بين الجانبين ، فى مختلف امكانات الحل
كالتقسيم أو الاتحاد الكونفدرالى ! .

ويقول انه — بإمكانه — أن يعرب عن أسفه « على أن هذه
المحادثات لم تؤد الى نتائج عملية ملموسة ، وعلى أن هؤلاء
السياسيين لم يتمكنوا من منع الأحداث التراجيدية التى حدثت
فيما بعد فى الأراضى المقدسة » !!

ويؤكد شامير على أن السنوات التى كانت فيها العلاقات
بين « الشعبين » أكثر متانة ووثوقاً ، هى سنوات ما بين الحربين
العالميتين !

ففى الحرب العالمية الأولى ، قامت السلطات العثمانية
بطرده نحو أحد عشر ألف « مواطن » . . كانت مصر لهم ملجأ ،
وحظوا بمساعدة يهود القاهرة والاسكندرية والسلطات المصرية ،
أما فى الحرب الثانية ، فقد ازداد زوار مصر ، و « . . نمت حركة
نشطة بين البلدين » ! وكذلك « تزايد النشاط التجارى بين
البلدين » ! . . وذلك لأن ظروف الحرب قد فرضت فى مصر ،
ازدياد الطلب كثيراً على مختلف السلع الاستهلاكية التى كان
« . . فى مقدور الصناعة والزراعة لدى اليشوف تجهيزها بها » !!

بعد الحرب العالمية الأولى ، تأسست الجامعة العبرية
بالقدس ، وبالرغم من أن التعاون بينها وبين جامعة فؤاد الأول
(القاهرة) لم يكن آنذاك رسمياً ودائماً ، إلا أن علاقات مختلفة
كانت تربط بينهما :

« . . ففى حفل افتتاح الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٢٥ ،
شارك من مصر : أحمد لطفى السيد ، رئيس جامعة القاهرة ،

والذى أصبح بعد ثلاثة أعوام من هذا التاريخ ، وزيراً للمعارف المصرية « !

ثم تحدث عن استضافة الجامعة العبرية لشخصيات مصرية بارزة ، ففي عام ١٩٤٣ ، استضاف البروفيسور « ماجنيس » رئيس الجامعة العبرية ، عدداً من الأدباء المصريين ، كان على رأسهم : طه حسين وحسين فوزى !

ويشير شامير الى زيارات الباحثين بالجامعة العبرية ، الى مصر ، الذين تخصصوا في دراسة : الحضارتين الفرعونية ، والاسلامية ، والعصر الهيليني ، واللغات الشرقية وآدابها ، وانهم شاركوا بالكتابة في المجلات المصرية ، كما كانوا يتلقون دعوات للاشتراك في مؤتمرات وجمعيات علمية مصرية ، منهم على سبيل المثال « ابراهام براهر » عميد الجغرافيين الاسرائيليين ، الذى تلقى عدة دعوات في العشرينيات والثلاثينيات ، من الجمعية الجغرافية المصرية ، والذى « .. استضاف فى بيته عديداً من علماء الجغرافية المصريين » !

واذا كان شامير قد حاول أن يذكرنا بـ « الكرم اليهودى » الشائع والمألوف !! .. الا أنه تناسى أن الجمعية الجغرافية المصرية فى تلك الفترة ، كان يرأسها اليهودى « فوكار » وسكرتيرها العام « أدولف قضاوى » أحد أقطاب عائلة قضاوى اليهودية الشهيرة !

ويشير أيضاً الى « اسرائيل ولفنسون » أستاذ اللغات البسامية بكلية دار العلوم بالقاهرة ، ودوره الخاص فى « تطويع هذه العلاقات » ومبادرته الى تنظيم الاحتفالات بذكرى مرور ٨٠٠ عام على مولد « ابن ميمون » فى أوائل عام ١٩٣٥ ، وهراسلاته

بهذا الشأن مع شيخ الأزهر ووزير المعارف اللذين « أبديا اهتماماً
جماً بهذا النشاط الثقافي .. والتعاون الحضارى فى مصر بين
اليهود والمسلمين » !

وكان بين أعضاء اللجنة التنظيمية للاحتفالات : الأمير عمر
طوسون وحسين صبرى باشا .

ثم تحدث عن العلاقات الرياضية بين « الشعب العبرى »
والشعب المصرى ، والدور المهم الذى لعبته بهذا الصدد ، منظمة
الرياضة اليهودية العالمية « مكابى » .. مختتماً هذه الدراسة
بتعليق احدى صحف تل أبيب ، على المباريات التى أجريت بين
« منتخبى البلدين » عام ١٩٣٨ :

« فلتنتقل هذه الروح الودية القائمة فى حقول الرياضة ، الى
حقول الحياة أيضاً ، لما فى ذلك سعادة وفرحة للشعبين الشقيقين ،
ولفرحة كل من يطمح للسلام ، ولاكتمال الأخوة والزمالة بين
الشعوب » !

وفى هذا الاتجاه أيضاً ، نجتزئ بعضاً مما ورد فى محاضرة
بعنوان : « الجوانب الاقتصادية للعلاقات بين يهود مصر ويهود
أرض إسرائيل (٣) » القاها امراهام دافيد أستاذ التاريخ اليهودى ،
بالجامعة العبرية بالقدس ، قال :

« .. لقد كان البلدان واقعين — لفترة طويلة — تحت حكم
سياسى واحد ، وفى عصر حكم الماليسك ، ازداد ارتباط أرض
إسرائيل بمصر سياسياً واقتصادياً ، نتيجة لوجود الحكم المركزى
فيها » ..

« .. ويستطيع كل من يطلع على المجموعة الكبيرة من الرسائل الخاصة والعامة ، التي تبودلت بين يهود مصر ويهود — أرض اسرائيل — في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، معرفة مدى العلاقة التي كانت قائمة بين البلدين » .. !!

و .. « يتضح من المصادر اليهودية المختلفة ، التي عثر عليها في وثائق الجنيزة ، أن علاقات تجارية واسعة كانت تربط بين البلدين » !

وفي إحدى مطبوعات السفارة الاسرائيلية بالقاهرة ، الصادرة عن مكتب المستشار الاعلامي ، بعنوان « اسرائيل القديمة المتجددة » ! .. تتوالى الاكاذيب المفسوخة .. ونقرأ :

« ... وهناك على سطح هذه المعورة ، أبناء شعبين فقط أحياء يرزقون ، بإمكانهم مخاطبة بعضهم بعضاً قائلين : ان علاقاتنا الحضارية والثقافية التجارية وغيرها ، يرجع تاريخها الى اربعة آلاف عام ، هذان الشعبان هما : الشعب المصري والشعب الاسرائيلي . هذه هي الأبعاد التي تقف من وراء العلاقات المتجددة ، بما فيها من علاقات اقتصادية وتجارية وتبادل تكنولوجيا العصر ، والتي بدأت هي أيضاً مع إبرام معاهدة السلام » !!

وفي إحدى نشرات مركز الاعلام الاسرائيلي بالقدس (٤) ، بعنوان : « اسرائيل اليوم » .. تبدأ بالتعريف بدولة اسرائيل — الشرق الأوسطية — وموقعها ، ومساحتها الأقل « من مساحة محافظة الاسكندرية » ! .. ونشأة — الشعب الاسرائيلي — في هذه الرقعة قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ! و .. « الذكريات التاريخية المشتركة بين الدولتين المتجاورتين » !!

ويمضى صناع هذه المطبوعة في ترهاتهم ، وحديثهم عن
التفاعل العربى الاسرائيلى « . . هو بمثابة تفاعل مقومات عربية
شرقية أصيلة مع محيط اسرائيلى معاصر حضارياً وفنياً وعلمياً ،
حصيلة هذا التفاعل قد تشكل همزة وصل ، وجسراً للتفاهم ،
وتوثيق عرى السلام بين الدول العربية واسرائيل !

و . . « هكذا يمكننا القول — بفخر واعتزاز — أن شعبى
اسرائيل ومصر يمكنهما مخاطبة بعضهما بعضاً ، ليؤكدوا أنهما
الشعبان الوحيدان فى العالم ، اللذان كانت تربطهما علاقات تاريخية
وحضارية وانسانية منذ آلاف السنين !!

وتستمر القرصنة التاريخية لحساب الأيديولوجية العنصرية
الصهيونية ، فى عبارات مسمومة ودعاوى زائفة ، لامتعال تاريخ
لما يسمى بـ « الشعب الاسرائيلى » واصطناع حضارة اسرائيلية —
فأحلام «الصهاينة المدمرة التوسعية الاجرامية . . تتلازم مع أحلامهم
فى غزو التاريخ . . !!

الهوامش

(١) البروفيسور « شيمون شامير » .

كان ثالث سفير لإسرائيل في القاهرة (١٩٨٨ - ١٩٩٠) وهو مؤسس المركز الأكاديمي الإسرائيلي وأول مدير له (١٩٨٢ - ١٩٨٤) ولد في رومانيا في ١٥ ديسمبر ١٩٣٣ ، وهاجر مع أسرته إلى فلسطين ١٩٤٠ ، درس الاستشراق بالجامعة العبرية بالقدس ، ونال درجة الدكتوراه من جامعة برينستون الأمريكية ، شغل منصب أستاذ التاريخ الحديث للشرق الأوسط ورئيسا لقسم « كابلان » لتاريخ مصر وإسرائيل بجامعة تل أبيب . .

أهم مؤلفاته : « التاريخ المعاصر للعرب في الشرق الأوسط ، ١٩٦٥ بالعبرية ؛ و « مصر تحت حكم السادات » ١٩٧٨ بالعبرية ، و « الرؤية الذاتية من خلال البعد التاريخي في مصر وإسرائيل » ١٩٨١ بالانجليزية ، و « اليهود في مصر : مجتمع شرق - أوسطي في العصر الحديث » بالانجليزية ، ١٩٨٧ ، وله العديد من الأبحاث والدراسات التي تناولت تاريخ مصر المعاصر ، ولطوائف اليهودية ، والتيارات الفكرية التي سادت عصر الدولة العثمانية ، وأبحاثا ميدانية عن المجتمع الفلسطيني ، ويشغل حاليا مدير معهد دراسات السلام بجامعة تل أبيب .

Sh. Shamir : « Relations between Egyptian Society (٢)
and the Jewish Yishuv of Palestine before 1948 » B.I.A.C.C.
no 16, May 1992, pp. 5-9.

A. David : « New Sources in the History of the Jews (٣)
of Egypt and Their Ties with the Land of Israel » B.I.A.C.C.
no 13, July 1990, pp. 10-15.

(٤) تعتمد السياسة الاعلامية الإسرائيلية - الخاضعة لاشراف وزارة الخارجية - على عدة محاور أساسية : ١ - تعزيز مكانة إسرائيل في المجتمع العالي وخلق المناخ الضامن لاستمرارها . ب - ضمان أمن إسرائيل .

ج - التذكير المتواصل بأن إسرائيل هي تحقيق لنبوءة دينية • د - التذكير المتواصل بالكارثة النازية واضطهاد اليهود عبر التاريخ • هـ - التأكيد على التطور الحضارى والمعجزات التى حققتها إسرائيل فى أرض الميعاد • و - تحريف كل الحقائق التاريخية وإعادة صياغتها لتناسب التوجهات الصهيونية • ويمكننا استخلاص هذه المحاور بوضوح ، فى مطبوعات « مركز الاعلام الاسرائيلى ، بالقدس » ، وأهم إصداراته : نشرة « إسرائيل اليوم » بالعربية والانجليزية ، وسلسلة « حقائق عن إسرائيل » .

مصطلحات يهودية

أب بيت دين : رئيس محكمة شرعية يهودية .

اشكنازيم : كلمة « اشكناز » في الأصل : اسم لأحد أحفاد نوح ، وقد أطلقت على الشعوب التي ورد ذكرها في سفر التكوين « ١٠ - ٣ » وفي مصادر القرون الوسطى ، كانت تطلق على المانيا ؛ ثم أطلقت كلمة اشكنازيم على اليهود الألمان بشكل خاص ، ثم على يهود أوروبا الغربية بشكل أعم ويتميز الاشكنازيون عن السفرديين بمحافظتهم على لغتهم « اليبديش » التي تطورت من الألمانية ودخلتها كلمات عبرية . كما يتميز اشكنازيو أوروبا الشرقية عن اشكنازيي أوروبا الغربية ، بتمسكهم الحرفي بنصوص التوراة والتزمتم في الطقوس الدينية وفي نمط الحياة . ويعتبر الاشكنازيم المؤسسين للحركة الصهيونية، وحتى أوائل الخمسينيات كانوا يشكلون الغالبية العظمى من اليهود في فلسطين، ويشغلوا الآن المراكز السياسية والاقتصادية والإدارية في الكيان الصهيوني ، وقد حافظوا على أسلوب معيشتهم الأوربي ، ومازلوا ينظرون باستعلاء إلى السفرديم ، وبقي لهم حاخام أكبر مستقل وعدد آخر من الحاخامات للشئون الدينية .

السوف : لقب رئيس الطائفة في العصور الوسطى ، كما كان يطلق على القضاة الشرعيين لليهود في مصر والعراق .

باروخيت : ستار من القطيفة أو من الحرير ، مطرز بفخامة بخيوط فضية أو ذهبية ، يوضع على التابوت المحتوى لأسفار التوراة ، وتحمل هذه القطعة عادة اسم صاحب الهبة ، تخليدا لذكراه .

بصح : الفصح اليهودى .

بسلانة : خادمة الحمام ، وهى التى تتولى القيام بطقوس الحمام الدينى .

بنى بريث : تنظيم ماسونى يهودى ، أسسه الصهيونى هنرى جونس عام ١٨٤٣ فى نيويورك ، وأول رئيس له هو ديتنهوفر ، وتعنى « أبناء العهد » وهى أكبر وأقدم التنظيمات الصهيونية ، وكان أهدافه توحيد اليهود ونشر التراث اليهودى وتحقيق فكرة « أرض اسرائيل » وتقديم كل العون لليهود الشتات والدفاع عن حقوقهم ، وقد وضع هذا التنظيم نفسه فى خدمة الحركة الصهيونية ثم السياسة الاسرائيلية ، ويعقد مؤتمر العام كل ثلاث سنوات . . وقد أسس هذا التنظيم محفل القاهرة الأول « ابن ميمون » بأغلبية مصرية عام ١٩١١ ، وكانت الندوات والمحاضرات تعقد بلغة الييدش .

بوريم : عيد الفوز ، وهو من الأعياد المستحدثة والتى اختص بها يهود مصر ، مكان يقال « بوريم القاهرة » ويبدأ بـ

يسمى « صوم استير » فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس (آذار) .

بيت دين : محكمة شرعية يهودية تفصل فى القانون المدنى والأحوال الشخصية .

برايشة : الجزء من أسفار موسى الخمس ، يقرأ بالمعبد فى صباح السبت من كل أسبوع .

تترا جرام : يرمز لها بالحروف الأربعة : (I.H.V.H.) وهى بالعبرية يود — هى — فاف — هى ، غير منغمة ، وتشير الى كل ما يتعلق بالذات الالهية فى التراتيل .

تلمود : شروح حاخامية مقننة للتوراة ، وتلمود تعنى فى العبرية تعليم ، ويتضمن مجموعة القوانين والأحكام والوصايا الدينية والسياسية ، مع التفسيرات التى كان يتداولها الحاخامات وأتباعهم فى بادئ الأمر ، حتى أطلق عليه « التوراة الشفهية » وبعد أن اتسع نطاق هذه التفسيرات بالاضافات المتلاحقة لها ، بات متعذراً الاعتماد على « المشاهدة » فقام مجموعة من الأخبار بتدوينها ، لتصبح « دستوراً » ينظم للجماعات اليهودية حياتها بعيداً عن أى مؤثرات خارجية . والتلمود اثنان : ١ — التلمود الأورشليمى ، نسبة الى بيت المقدس . ٢ — التلمود البابلى ، نسبة الى مدينة بابل وهو الأكثر انتشاراً بين اليهود ويتكون التلمود من ستة أقسام ، تحتوى على ٦٣ مبحثاً ، تقع فى ٥٢٤

فصلاً وقد قسم التلمود الى قسمين : الأول مجموعة قوانين المشنا والجمارا ، والثانى الاجاده « الأخيار » وهى مجموعة أمثال وقصص وأساطير . ويمثل التلمود تراثاً يهودياً دينياً ، وكان له التأثير الأقوى فى بروز ظاهرة « التعصب القومى » لدى اليهود الذين يفضلون قراءته والايمان به عن التوراة . ويتضمن التلمود كما هائلا من المغالطات والافتراءات ، بالتركيز على أن اليهود هم « شعب الله المختار » وأن روح اليهود هى جزء من روح الله ! وأن الجنة لن يدخلها غير اليهود ! والنار ماثوى لكل من عداهم من المسلمين والمسيحيين ، والتلمود يتضمن طعناً صريحاً فى المسيح والمسيحية وفى السيدة العذراء ! ونعتهم جميعاً بالكفر وأحط الصفات ثم تنبهوا لخطورة مثل هذه العبارات — لأغراض سياسية ، فقاموا بحذفها وترك مكانها فراغاً ، واتفق على تلقينها مضافاً لتلاميذ المدارس الدينية ! ويزعم التلمود أن الله لا عمل له فى الليل سوى « قراءة التلمود مع الملائكة » !! والاعلان عن شدة ندمه ، عندما « تغاضى » عن هدم هيكل القدس !!

تويشبا : اليوم الخامس عشر من شهر شباط « فبراير » : اليوم الأول من بداية سنة الأشجار وتشمل طقوس الوليمة : ٢٦ صنفاً من الفواكه الجافة أو الطازجة .

تسوراة : كتاب اليهود المقدس ، ويتضمن تاريخهم وشرائعهم وعقائدهم ، وكلمة التوراة تعنى فى العبرية : الارشاد أو الهداية . وتتألف من خمسة أسفار : ١ — سفر

التكوين : ويشمل . ٥ فصلا وكل فصل يسمى « اصحاح » وكل اصحاح مقسم الى آيات ، ويتضمن قصة بدء الخلق وتاريخ سيدنا آدم ، ونوح والطوفان ، حتى مجيء النبي يعقوب الى مصر . ٢ - سفر الخروج : ويشمل . ٤ اصحاح تحكى قصة خروج بنى اسرائيل من مصر ونزول الوصايا العشر على النبي موسى ، وتمرد الشعب اليهودى عليه . ٣ - سفر اللاويين : ويشمل ٢٧ اصحاح ، ويسمى أيضاً فى الأخبار ، ويتضمن الطقوس والواجبات الدينية . ٤ - سفر العدد : ويشمل ٣٦ اصحاح ، ويتضمن الاحصاءات الشرعية التى كان يقوم بها الحاخامات تاهبا للحروب . ٥ - سفر التثنية : وهو سرد للاحكام الدينية ، التى تعلق بالكيان السياسى والاجتماعى والقضائى لليهود وتشير المصادر الى أن أقدم قراءة للتوراة كانت عام ٤٤٤ ق.م عندما دعا النبي عزرا ، الجماعات اليهودية الى سماع بعض منها ، وبمسد الانتهاء . أقسم المجتمعون على اطاعة ما جاء فيها . . وتذكر أن موسى بعد تلقيه أوامر الرب على جبل سيناء ، كتب هذه الأوامر وسلمها الى « اللاويين » لحفظها فى تابوت العهد فى « شيلوه » وأمر بقراءتها أمام كل بنى اسرائيل بعد سبع سنوات فى عيد « المظال » وقام يشوع - خليفته - بتنفيذ هذه الوصية ، ثم فقدت هذه الأسفار خلال حربهم من الفلسطينيين ، وبعد تدمير بيت المقدس بسبعين عاماً ، خرج المدعو عزرا زاعماً عثوره على تلك الأسفار ! ولما كان عدد من روايات الأسفار قد انتقل مشافهة ، فان معظم المؤرخين

يرجحون تعرضها ، خلال جيل أو أكثر ، لما تتعرض له عادة ، الأقوال المنقولة شفاهة ، فنشأ كثير من التناقض والشك في صحة كثير من الآيات والكثير من الإضافات مما يؤكد أن التوراة المعاصرة ، ليست هي التوراة الأصلية .

تيفلين : هو نوع من التمايم ، عبارة عن سيور من الجلد ، بداخلها آيات من التوراة ، تعلق على الجبهة ، مقصد الكوع الأيسر ، ويطلق عليه يهود أوربا : « بارميتزفا — Barmitzva » وهذا الطقس الدينى يحتفل به في المعبد ، لمن بلغ سن الثالثة عشرة من الذكور ، حيث يبدأ في تلقى أسرار التعاليم اليهودية وكان هذا الاحتفال في مصر ، يعقد في يومى الاثنين والخميس .

تيكون حاسوت : احتفال خاص بالقباليين أو المخلصين — في الشرق — والهدف منه : « ارضاء الذات الالهية التى أضيرت بعملية الخلق » ! فكان المؤمنون يستيقظون في الفجر ، ويتلاقون بالمعبد ، ثم يجلسون الى الأرض ، ذاكرين حزن « الوالدين راشيل وليثا » المحزونتين بسبب الاضطهاد الذى عانتته ذريتهما !

سفرحاتان : سفر في البيراشة ، يقرأه في المعبد المتزوج حديثاً ، في أول يوم سبت بعد زواجه .

حاخام : وتعنى حكيم ، والحاخام الأكبر هو الرئيس الدينى للطائفة ، ويتمتع بسلطات غير محدودة ، وهو ممثل الطائفة أمام النظام الحاكم .

حارة اليهود : الحى اليهودى الشهير بالقاهرة ، وكان يمثل اكبر تجمع يهودى فى مصر — حتى بداية الخمسينيات — ومنه خرجت أشهر العائلات اليهودية المصرية وكان به الكثير من المعابد والمدارس والجمعيات اليهودية ولم يتبق منها سوى ثلاث معابد — أعيد ترميمها — ويتميز هذا المجتمع بقربه من مناجر حى الموسيقى ووسط القاهرة ، ومازالت شوارع الحى تحمل نفس الاسماء ، منها : شارع كنيسة القرائين ، شارع قطاوى ، شارع الصقالبة ، حارة قاعة الفضة ، حوش الصوف ، شارع سوق الفراخ ، حارة زمردة . . . كما كان بمدينة الاسكندرية ، حارة لليهود بسوق السمك القديم ، فى وسطها معبد زراديل .

حاليصة : وتعنى الخلاص برفض الرجل زواج امرأة أخيه المنوفى، وفى هذه الحال ، ترمى المرأة بالنعل أو الحذاء فى وجه الأخ وتبصق عليه ، اعلاناً برفضه الزواج منها !

حبيرة : غطاء نسائى للرأس ، كان شائعاً بمصر حتى الثلاثينيات من هذا القرن ، وكان من الأصل خاصاً باليهود وأقباط مصر .

حدير : ترادف معنى كلمة « كنان » وهو نوع من التعليم الابتدائى ، يشرف عليه معلمون عينهم مجلس الطائفة، ويتركز على تعليم الكتابة والقراءة والحساب ، ومعرفة قواعد الصلاة فى الكنس ، وبعض تعاليم التلمود ، وكان الأثرياء يتكفلون بمصروفات الأيتام وأبناء الفقراء .

حزان : الكاهن الذى يؤم الصلوات بالمعبد والاتراف على
حفل القداس ، كما يقوم بالوعظ والخطابة ، ويشترط
فيه الالمام بأحكام التلمود .

حلة : قطعة من خبز يابس ، اثنتا عشر قطعة من الخبز تعد
على المائدة ، فى مساء يوم الجمعة ، ثمانية لصباح يوم
السبت ، وأربعة لبعء الظهر منه .

جاؤن : رئيس المعهد الدينى ، ومرسوم نعيينه فى هذا المنصب
يؤكد حقوقاً تأسلت فى تقاليد الطائفة اليهودية ، اذ
يتمتع بالسلطة الدينية العليا ، وحق تفسير التوراة فى
الخطبة الدينية . والاشراف على السلوك الدينى
والاخلاقى لليهود ، وشئون الزواج والطلاق ، وتعيين
أو اقالة الخطباء والحزانين والجزارين الشرعيين ،
وحق فرض الحرمان « حريم » ومراتبه أعمال المحاكم
الشرعية وتحديد صلاحيات القضاة الشرعيين ، وكانت
قراراته فى الأمور الدينية والادارية نافذة لا رجعة
فيها .

جباى : مدير المعبد .

جمارا : مجموعة تفاسير وتعليقات تبسط قواعد المشنا ،
ومطابقتها على حالات واقعية أو افتراضية لم يعالجها
الحاخامات ومصحوبة بأمثلة وقصص وأخبار .

جنيزة : طبقا للتقاليد اليهودية ، تطلق هذه الكلمة على
مستودع الأوراق المالية البالية من الكتابات اليهودية

المقدسة التى لا يجوز ابادتها ، ولما يفترض من وجود اسم الله فى ثناياها ، وقد جرت العادة على تخزين هذه الأوراق فى مكان مخصص بالكنيس — بصفة مؤقتة — ومن وقت لآخر ، يتم تفريغ « غرفة الجنيزة » وتنقل محتويات المقبرة ، حيث تدفن نهائياً ، وبفضل هذا التقليد اليهودى أمكن الاحتفاظ بكفر هائل من هذه المخطوطات « بمعبد ابن عزرا » منذ العصور الوسطى حتى اكتشافها فى التاسع عشر ، وتنقسم هذه المخطوطات الى نوعين مصادر وثائقية ومصادر أدبية .

داروش : مجموعة شروح تفسيرية للتوراة .

درور : منظمة صهيونية عمالية ، أساسها «الطاعة الرهبانية» وكان لها نشاط بمصر الى ان انجلت فى مارس ١٩٥٣ ، حيث أصدر موجهوها — أبرزهم هنرى كوريل توصية الى أعضائها بالانضمام — حسب اختيارهم الى الحزب الشيوعى الفرنسى (Parti Communiste Francais) أو الحزب الشيوعى الاسرائيلى Maki « حدثو » الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى المصرى .

ديان : بمعنى : قاض ، وهى اختصار لكلمة « أب بيت دين » ويساعده فى مهمته اثنان من الشيوخ للتوقيع على الأحكام ، ويتولى النظر فى الأحكام القضائية وعقود الزواج والطلاق ، وتعيين الحزانين والاشراف على الخدمات الاجتماعية ، ولابد أن يكون عالماً بأحكام التلمود وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى : كان رئيس معهد اورشليم هو الذى يعين قضاة الطائفة بمصر وبتصديق من الحكومة الفاطمية .

ديروشم : دروس دينية مطبوعة توزع بالمعابد ، بعد الظهر من
ايام السبت .

ديسيزويونير : حاخام عالم بالاحكام التلمودية ، ويتمتع بثقافة
رفيعة ، وله اجتهاداته الخاصة في الشروح ، فتصبح
فتاواه في مختلف الامور الدينية والاجتماعية لها قوة
القانون .

راب : يحمل هذا اللقب كبار رجال الدين اليهودي ، وبفضل
سعة علمهم ، يصدرن الاحكام الدينية والاجابة عن
الاسئلة الموجهة اليهم ، وهؤلاء في المجتمع اليهودي
يمثل دورهم : وظيفة المستشار القضائي في
الامبراطورية الرومانية ، والمفتي في دول الاسلام .
ويمكن اعتبار من يحملون لقب « راب » . . هيئة او
سلطة قضائية خارجة عن نطاق القضاء المنظم .

الرابعة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية : منظمة مصرية شبه علنية
معادية للصهيونية ، اقتضت عضويتها على اليهود
الشيوعيين في مصر . ومع تنامي الخطر الصهيوني
في الاربعينيات ، نضجت في مصر فكرة
تكوين تنظيم يؤكد الاختلاف بين اليهودية كدين ،
والصهيونية كحركة سياسية موالية للاستعمار
ومعادية للحركة الوطنية المصرية ، وتأسس هذا
التنظيم في صيف عام ١٩٤٦ ، واستمر نشاطه اقل
من عامين . وكان مؤسسو هذه الرابطة من يهود
منظمة « ايسكرا » الماركسية المصرية السريسة ،
وضمت اللجنة التأسيسية : عزرا هراري ، مارسيل
اسرائيل ، ادوارد متالون ، هانزين كاسفلت ،

وادوارد ليفى . وقد وجه سكرتير الرابطة عزرا
هرارى بياناً نشر في جريدة « صوت الأمة » الوفدية
في ٦ أكتوبر ١٩٤٦ ، جاء فيه : « انها ترمى الى
محاربة العنصرية ومكافحة الاستعمار وربيبته
الصهيونية » .

وأدانت الرابطة سياسة الهجرة الى فلسطين ،
وأشارت في بياناتها الى اعتبار الصهيونية « أخطر
حركة ظهرت في تاريخ اليهود وعقبة في طريق حل
المشكلة اليهودية » ! وأعلنت في بيان صدر في يونيو
عام ١٩٤٧ عن أهم أهدافها وهو : الكفاح ضد
الدعاية الصهيونية التى تتعارض مع مصالح كل من
اليهود والعرب ، ونددت بالارهاب الصهيونى في
فلسطين ، وواصلت حملاتها ضد ما أسمته : « أوكار
الصهيونية في مصر » كما كشفت الرابطة في صراعها
مع اليهود الصهاينة ، عن استخدام المدارس والأندية
اليهودية في النشاط الصهيونى ، وحفلات جمع الأموال
للمساعدة في تهريب اليهود الى فلسطين . في منتصف
يونيو عام ١٩٤٧ ، أبلغت وزارة الشؤون الاجتماعية
— سكرتير الرابطة — عدم الموافقة على تكوين
الرابطة لأسباب « تتعلق بالأمن » ! وفي منتصف
مارس عام ١٩٤٨ ، ألقت أجهزة الأمن المصرية
القبض على أعضاء اللجنة التأسيسية للرابطة —
الذين أدوا دوراً في مكافحة الصهيونية — وأمرت
بترحيل معظمهم الى خارج البلاد !!

ربانيت ، ربانيون : أكبر طائفة يهودية عدداً وانتشاراً ، في التاريخ
القديم والحديث ، واسم الطائفة مشتق من كلمة

« رابى » بمعنى حبر ، فيطلق عليهم أيضا « الحاخاميون »
و « الربيون » وهم يؤمنون بأسفار موسى والتلمود
وشروحه وكانت الحكومة المصرية تتخسر — رئيس
الطائفة — من الربانيين ، ليكون ممثلا رسمياً عن
الطوائف اليهودية في مصر .

روش هاشناه : عيد رأس السنة العبرية « سبتمبر الى أكتوبر »
ويحتفل به أيضاً تخليداً لذكرى خروج بنى اسرائيل من
مصر ، وخلصهم من عبودية وعذاب فرعون ، وهناك
بعض الخلاف في مظاهر الاحتفال بهذا العيد ، بين كل
من القرائين والربانيين .

روش هقها : لقب في العبرية القديمة ، ويعنى : رئيس الجماعة
و « روش هقهيلوت » رئيس الجماعات ، وينطوى
هذا اللقب على ازدواجية في الدلالة ، حيث يرى
« اشترو » أن : روش هقها كان رئيساً على
الحاخامات أما « جويتين » فيذهب الى أن هذا اللقب،
قد استبدل باللقب القديم « روش هاكنيست » أى
رئيس الكنيس ، وهو لقب فخرى لا ينطوى على أية
مسئولية ادارية .

روش هوديش : اليوم الأول من الشهر العبرى ويعتبر — نصف
عطلة — وكان الاتقياء من يهود مصر يصومونه بدءاً
من مغرب اليوم السابق له .

روش يشيفا : رئيس مدرسة تلمودية .

زوهار : كتاب « الاثراق » في التصوف اليهودي ، ينسب الى
الحاخام شيمون بار يوحاي ، وقد شكل التصوف
الاسلامى — فى العصور الوسطى — تأثيراً قوياً فى
الحياة الفكرية لليهود . وقد اعتبرها البعض نوع من
محاولات التكيف لدى يهود مصر ، وبازدهار الطرق
الصوفية برعاية السلاطين ، تشكلت حلقات صوفية
يهودية فى القاهرة والاسكندرية ، ضمت عدداً من
الحاخامات والاطباء والقضاة . . على رأسهم « ابراهيم
ابن ميمون » فى العصر الأيوبي ، والذي اتهم بمحاولته
ادخال « البدع » الى الديانة اليهودية ! وقد أصدر
كتاباً باللغة العربية فى التصوف اليهودي أسماه
« كفاية العابدين » .

سامريون : طائفة يهودية اشتق اسمها من السامرة — عاصمة
مملكة اسرائيل القديمة — الى الشمال من نابلس ،
وهناك هوة عميقة من الخلافات الدينية تفصل
السامريين « شمرونيم » عن بقية الطوائف اليهودية ،
وهم لا يؤمنون الا بأسفار موسى الخمسة وقد يضاف
اليها سفر يوشع بن نون ، ولا يعترفون بالأنبياء
ولا بالكتب السماوية الأخرى بل ويعتبرونها من صنع
البشر ! ويحرم القانون اليهودي الاختلاط بالسامريين
والزواج بهم ، ولا يعترف هؤلاء بقدسية جبل صهيون
وانما جبلهم المقدس هو « جبل جرزيم » أو الطور ،
حيث أقام أجدادهم هيكلهم الخاص ، ويقولون بأنهم
والزواج بهم ، ولا يعترف هؤلاء بقدسية جبل صهيون ،
ينحدرون من قبيلتي : منشية وافرايم . وعددهم الآن
نحو خمسمائة يقطن أكثرهم فى نابلس ويستعمرة
حولون بتل أبيت ، ويرأسهم كبير الكهنة « كوهـير

جداول « ويستخدمون العبرية في صلواتهم ، والعربية في أحاديثهم ويؤمنون بالمسيح المخلص الذي سيعود الى جبل جرزيم ، حيث يقدمون قرابينهم الفصحية !

سفسر : كتاب ، ومخطوط لأحد أسفار التوراة ، منسوخ على ورق ويحفظ في علب اسطوانية من الخشب ، مغطاة بالفضة أو النحاس أو القطيفة ، ويوجد بمعبد بن عزرا ، علية من هذا النوع محفوظ بها أقدم مخطوط للتوراة في مصر ، وعند الربانيين : لا يحمل المخطوط أى علامات ترقيم أو علامات موسيقية .

سفرديم : السفرديون ، هم أصلاً يهود أسبانيا وحوض البحر المتوسط ، ويطلق هذا التعبير الآن على كل اليهود الشرقيين ، والطقوس الدينية للسفرديم هي استمرار للتقاليد الدينية التي نشأت وتطورت في بابل ، واللغة العبرية للسفرديم متأثرة باللغة العربية ، وبالنسبة لليهود العرب ، فاللغة العربية هي لغة التخاطب ومصطلح «يهودى» كان يعنى بالنسبة لزعماء الحركة الصهيونية وبشكل محدد : اليهودى الأشكنازى حتى أن — آرثر روبين — عالم الاجتماع الصهيونى ، أشار في دراساته الى أنه من الصعب اعتبار السفرديم يهوداً ! ويعانى هؤلاء في الكيان الصهيونى كل مظاهر التفرقة العنصرية !

سوفير : كاتب ، وهو موظف مساعد في جهاز المحكمة الشرعية ، ويقوم بتحرير الصكوك والعقود والبراءات ونسخ عقود الزواج والطلاق وتسجيل الشهادات القضائية .

سوكة : كابينة تعد قبل بدء « عيد المظال » أو المظلة في اليوم الخامس بعد يوم « كيپور » يوضع فوقها سعف النخيل الأخضر وأغصان الزيتون ، تذكراً للغمام الذى أظلمهم به الله فى سنوات التيه ، ويمضى اليهود الثمانية أيام — مدة العيد — معتكفين داخل هذه الكبائن .

سيذر : حفل دينى عائلى أو جماعى ، يعقد فى الليلة الأولى والثانية من عيد الفصح اليهودى وتذكر فيها : قصة الخروج من مصر فى أدق تفاصيلها !

سيذر التوحيد : حفل دينى يعقد فى ليلة أول نيسان — رأس السنة العبرية فى عصر ما قبل النفى — اختص به يهود مصر ، وتلى فيه مزامير وأناشيد بالعبرية والعربية ، ومقدمة نص مكتوب بالعربية ، على غرار الابتهاالات الصوفية. ويذكر فيه الـ ٩٩ صفة الالهية ، منسوب الى ابراهيم بن ميمون .

سيمحت تورا : وتعنى سرور أو بهجة التورا ، وهو عيد يختتم به دورة أعياد شهر تشرين « سبتمبر — أكتوبر » ويحتفل به فى المعابد بالرقصات والأغاني .

شمشاش : احدى الوظائف الدينية ، وهو المشرف المباشر على المعبد ويعرف بـ « خادم الكنيس » وكان له نفوذ كبير باعتباره مشرفاً على أهم منشأة عامة لدى أبناء الطائفة وقد يقوم — أحياناً — بمساعدة القضاى الشرعى ، خاصة فى العصور الوسطى ، حيث كانت جلسات المحكمة تعقد بالمعبد .

شوحيط : جزار شرعى ، يمارس عمله طبقاً لأرشادات دينية محددة .

شوفار : بوق على هيئة قرن كبش ، وتستخدم « التروعاة » أى النفخ فى البوق ، فى بعض المناسبات الاحتفالية بالمعبد ، خاصة فى عيد رأس السنة العبرية وفى نهاية يوم كيبور . وقديماً كان يستخدم للإعلان عن بدء الأعياد والصوم والحروب ، وتكريس الملك الجديد ، وقد أعيد هذا التقليد الدينى القديم فينفخ فى الشوفار ، حين يؤدى رئيس دولة إسرائيل اليمين الدستورية !

شومير : بمعنى الحارس ، وهو الذى يتولى مراقبة الصلاحية الشرعية للمأكـل « الكشروت » فى المطاعم والمجازر والمخابز ومنتجات الألبان ، والمعروض منها للبيع ، ومدى مطابقتها للمواصفات والشروط الدينية .

صدوقيم : الصدوقيون ، فرقة من اليهود ينتسبون الى « صادق » الكاهن الأعظم فى زمن الملك سليمان ، وظهرت هذه الفرقة فى عهد المكابيين ، وكانت تضم كبار الكهنة فى القدس وبعض الكتاب المسالمين للرومان ، وكانوا محافظين من الوجهة الدينية ويتمسكون بأسفار موسى ويرفضون الروايات الشفهية وينكرون الأنبياء وفكرة البعث والقيامة ، حريصون على امتيازاتهم ونظامهم الطبقي ، وكانوا يؤلفون تكتلاً قوياً فى مجلس « السنهدريم » أعلى سلطة دينية وسياسية فى المجتمع اليهودى .

طبيسة : قمبر بوسط المعبد ، يجلس اليه الحاخام أو الحزان .
هيسداه : الصلاة الرئيسية بالمعبد ،

سرناس : وظيفة تطوعية ، اذ يتخير زعماء الطائفة ، واحد
من أبناء الطبقة الثرية ، موضع ثقة ومشتهر لسنه
بالاستقامة ، حيث يتولى رعاية شئون الفقراء
والمحتاجين وتوفير الخدمات الاجتماعية لهم ، وإدارة
ممتلكات الأوقاف وحسابات الطائفة ، وفي العصور
الوسطى ، كان هذا اللقب يطلق في أوروبا على رئيس
الطائفة اليهودية .

قدمونينهم : وتعنى : القدماء أو الأقدم لغوياً ، والمقصود :
مخطوطان للتوراة يرجع تاريخهما إلى عام ١٣٦٤ م ،
كُتِبَهما « داغيد هاكوهين كوتينا » وكانا محفوظين في
تابوت خاص لقداستهما بمعبد « زراديل » بالاسكندرية
منذ عام ١٥٢٥ م ، وكانا يطاف بهما في موكب المعبد ،
خلال الأزمات وفي عيد « سيمحت تورا » . . ولكن
تم تهريبهما عقب « معاهدة السلام » حيث توجسد
واحدة الآن في القدس ، والأخرى في نيويورك . . !

سدوش : احتفال يفصل بين الدنيوي والمقدس ، ويتم عميل
هذا « التبريك » على النبيذ أو عصير العنب ، خلال
وجبات يوم السبت وفي الأعياد .

سدش : صلاة كانت تدعو إلى « الخلاص » وتتضمن الدعاء
لرئيس الطائفة أو الحاخام الأكبر ، مؤكداً الولاء له
وأن يتم الخلاص في عهده ، تماماً مثلما كانت - خطبة

الجمعة — تتضمن الدعاء لخليفة المسلمين ، وتمثيل واحدة من تأثيرات البيئة الإسلامية في فكر الجماعات اليهودية .

قراؤون : تأتي هذه الطائفة في المرتبة الثانية ، بعد طائفة الريانيون ، ولكنهم أكثر ثراء ، ويطلق عليهم : أصحاب الدعوة و « بنى همكراه » أبناء القراءة الخاصة بالتوراة ، التي يؤمنون بها فقط ، رافضين القانون التبعي : التلمود وشروحه ويتمسكون بنصوص الكتب الأربعة والعشرين للتوراة « تاناخ » وهذا الانشقاق التاريخي حول التلمود والمشنا على يد « عنان بن داود هاناسي » في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي ، وكان لهم بمصر طائفة ومنزلة كبيرة ، وكانت لهم مناهة ماثقة بعلوم اللغة والفلسفة والفقه . وهناك بعض الخلافات الفقهية بينهم وبين الريانيين مثل حرمة السبت والخمر والقصاص والمواريث ، وفي قواعد الصلاة : حيث القراؤون يركعون ويسجدون ، بينما الريانيون ينحنون قليلا دون ركوع أو سجود .

مهسال : جماعة المصلون في الكنيس .

كتوبسة : عقد زواج يحرر باللغة الآرامية ، ولدى القراعين باللغة العبرية ، ويحمل تاريخ الزواج واسم الزوجان وقيمة الدوطة .

كندر جارتن : روضة أطفال ، أسلوب تربوي نشأ في ألمانيا ثم انتشر في أوروبا وفي مصر مع بداية القرن العشرين .

كنيس : واحد من خمس تعبيرات أو مصطلحات ، كانت معروفة في مصر ، وأطلقت على المكان المخصص لعبادة اليهود : كنيس ، كنيسة ، كاهال ، معبد ، سيناجوج طبقاً للوسط الاجتماعي اللغوي أو الأصول الثقافية .

كولنيدر : لفظة آرامية الأصل وتعني : كل الأمنيات أو النذور ، تلاوة تبدأ بها صلوات ليلة « كيور » تحل اليهود من كل النذور ، التي تعهدوا أو الزموا أنفسهم بها « دون وعى أو ادراك » !! خلال ما مضى من العام . . وكانت تلفظ في مصر : كال نيدر « كل نذره » .

ماسورا : منهج صوتيات في العبرية — التي يغلب عليها الحروف الصامتة — أعده ابن آشير وابن تفتالي من مدرسة طبرية ، في القرن التاسع الميلادي ، ويوجد واحد من أسفار موسى الخمسة ، أعده ابن آشير طبقاً لهذا المنهج ، بالمعبد الكبير للقرائين بالعباسية .

مدراش : تفسير للتوراة ، كما تستخدم بمعنى : مدرسة دينية لتعليم التلمود .

مزراح : وتعني « شرق » نص توراتي مزخرف ، يعلق على الحائط الشرقي للمعابد والمساكن ، ييسر تحديد اتجاه المصلي أثناء تأدية صلاته .

ماز الطوف : وتعني : إشارة طيبة أو دليل خير ، عبارة تصاحب الأحداث السعيدة عادة ، وفي مصر ، كان معظم اليهود يستخدمون تعبير « سيمانتيب » التي تؤدي نفس المعنى .

مزاميريم : أعضاء جوقة موسيقية « كورس » غالباً ما تكون من الأطفال الصغار .

مفنباه : القسم الأساسي من التلمود ، وهي مجموعة قوانين دينية وسياسية واجتماعية في إطار مبادئ عامة تنقسم الى ستة أقسام :

١ - البذور ، ويتضمن الزراعة مسبقة بقواعد تمديدية .

٢ - الفصول ، بحث في الأعياد اليهودية .

٣ - النساء ، قوانين الزواج والطلاق والوصايا والنذور .

٤ - العقوبات ، وتشمل التشريعات المدنية والإدارية والجزاءات :

٥ - الشئون المقدسة ، وتتضمن الحديث من هيكل بيت المقدس والقرابين والإضحيات .

٦ - الطهارة ، ويشمل كل ما يتعلق ببنود الطهارة والنجاسة .

مكناه : حمام ديني ، يؤديه - طبقاً لطقوس خاصة - الرجال من اليهود في ليلة السبت من كل أسبوع وفي الأعياد ومناسبة الزواج ، وكذلك يقمن به السيدات في اليوم الثاني عشر من بدء الدورة الشهرية ، وقبل الزواج .

غلمان بيت هادين : أميين محكمة شرمية ، والمسئول عن أموال الودائع ، ويتولى الحجز على ممتلكات المدينين ، ودفع النفقات للمطلقات لاعالة أنفسهن وأولادهن الصغار ، ومنع القروض للمحتاجين من الودائع .

ناجند : لقب أطلق على رئيس الجماعة اليهودية في مصر ، وطبقاً لوثائق الجنيزة ، فإنه لم يعتمد كلقب رسمي للسلطة المركزية على يهود الدولة الفاطمية الا في نهاية القرن الحادى عشر ، وظل مستخدماً حتى الغي هذا المنصب عقب الاحتلال العثمانى لمصر عام ١٥١٧م ويعرف فى المصادر العربية — « رئيس اليهود » وكانت له سلطات دينية وادارية وقضائية واسعة على الطوائف اليهودية جميعها ، وهو المسئول عن تنظيم علاقاتها بالدولة ، وكان له حق تعيين وكلاء محليين لادارة شئون الجماعة اليهودية .

هاجاداه : نص يروى قصة الخروج من مصر ، مترجماً الى اللغة المحلية ، يقرأ فى مساء عيد الفصح .

هاداساه : شجرة الآس ، منظمة صهيونية نسائية ، تأسست فى اميركا عام ١٩١٢ ، اقامت عدداً من المؤسسات الصحية فى فلسطين ، أصبحت فيما بعد تحت ادارة السلطات الاسرائيلية ، وشاركت الجامعة العبرية فى تأسيس كلية العلوم عام ١٩٢٥ كما أسست مركز هاداساه الطبى بالجامعة العبرية عام ١٩٣٦ ، وخصصت ٤٠٪ من ميزانيتها السنوية ، لتأهيل وتهجير شباب اليهود من اوربا واميركا الى فلسطين كما شاركت منذ عام ١٩٢٥ فى نشاطات الصندوق القومى اليهودى « كيرين كايमित » وأشرفت على اصلاح أكثر من ١٥٠ ألف فدان فى وادى عربية والجليل الاوسط ولها نحو ١٤٠٠ فرع فى مختلف ارجاء العالم ، وتوجه اهتماماتها الى تنمية الأبحاث

الطبية ، وتشجيع دراسة التاريخ والتراث اليهودي
واللغة العبرية . وكان للهadasاة فرمان بالمستشفى
الاسرائيلى بالقاهرة والاسكندرية .

هالاخاه : التشريع القانونى للديانة اليهودية او « الشريعة
اليهودية » .

هقديش : الأوقاف من البيوت والعقارات ، وهو ما يماثل نظام
الوقف الاسلامى ، وكان يمثل مصدراً هاماً ليرادات
الطائفة ، والمحكمة الشرعية هى التى تتولى ادارته
بصفة رسمية ، ويجدر بالذكر ، أن « الهقديش » فى
فترة الجنيزة ، كان يطلق عليه أيضاً ، نفس مصطلح
البيئة الاسلامية : « الوقف » أو « الجبس » ج :
أحباس .

هيكل : تقويمه أو تابوت مقدس بداخل المعابد ، يحتوى على
لوائف التوراة ، ويسمى أيضاً : أرون كوديش .

يشيفا ؛ يشيفوت : مدرسة تلمودية عالية « معهد تلمودى » كان
منها فى مصر نحو ١٧ مدرسة ، حتى نهاية الاربعينيات ،
حيث كانت تلفظ : يشيبا .

يوم كيبور : عيد الغفران ، اليوم العاشر من تشرى ، ووجب صومه
على الرجال والنساء والاولاد فى سن الثالثة عشر ،
والفتيات فى سن الحادية عشر ، بالرغم من أن أسفار
موسى لم تذكر شيئاً عن الصوم ، ولكن اعتبر اليهود
كلمة « تذلل نفسك » بمعنى الصوم ! وفى هذا اليوم

يحرم العمل وايقاد النار والاغتسال والتطيب وممارسة الجنس ، بالاضافة الى الامتناع عن الطعام والشراب ، ويجب التضحية بكبش أو ثور وتوزع الصدقات ، والذهاب الى المعابد حفاة الأقدام واعلان التوبة والندم ! واذا وافق مجيئه يوم السبت ، يسمى « السبت الكبير » وهو اليوم الذى يدخل فيه الحاخام الأكبر الى « قدس الأقداس » غرفة مظلمة بالمعبد الكبير ! وهو اليوم الوحيد الذى يذهب فيه جميع اليهود — بدون استثناء — للصلاة فى المعابد ، وتبدأ الصلاة فى مغرب اليوم السابق بتلاوة « كل نذره » يتحللون بها من كل ما تعهدوا بوفائه !!

مصادر دراسة تاريخ يهود مصر

في القرن التاسع عشر

تشكل مصادر دراسة تاريخ يهود مصر في القرن التاسع عشر أهمية خاصة — تتباين مع التوظيف السياسي — للمؤلفات اليهودية الحديثة .

وذلك في مجالين رئيسيين :

فالأول : يخص مجهوع مظاهر تاريخ اليهود المصريين في هذا العصر ، فمن الطبيعي أن يشكل جزءاً كاملاً من التاريخ المعاصر لمصر .

وأما الثاني : فيضم بعض المظاهر الأخرى من تاريخ مصر في هذا الوقت ، إلا أنه أقل إيضاحاً ، ومؤرخو مصر الحديثة — في مصر وفي الخارج — قد استخدموا هذه المصادر استخدماً محدوداً .

ويبدو أن السبب في ذلك ، أن هؤلاء المؤرخين قد اكتفوا بالماديات الأكثر قبولا والتي تخص مصر الحديثة .

حينئذ ، فالمصادر اليهودية توافق جيداً المجالين السابق ذكرهما ، ومن الأهمية أن نشر إليها وأن نتفحص الماديات

الصالحة ، وأن نقيم فوائدها من خلال البحث والتنقيب للمصادر التالية : وثائق ، رسائل ، مذكرات ، أسفار ، والكتابات الحاخامية ، وأيضاً الصحف ، والدراسات الاحادية .

١ - الوثائق اليهودية :

تعتبر الوثائق اليهودية قليلة الأهمية ، كمصدر لدراسة تاريخ مصر في القرن التاسع عشر ، عن المصادر الرسمية التاريخية أو القانونية ، في مصر أو مجتمعات أخرى (١) .

من بين المجموعات اليهودية ، التي تحتوى على معلومات مفيدة ، أربعة مجموعات تجدر الإشارة إليها : - الأولى : من الوثائق الخاصة ، أما الثلاثة الأخرى فهي عامة .

مجموعة وثائق « سير موزيس مونتيفيور - Moses Montefiore » (١٧٨٩ - ١٨٨٥) وهو أحد الشخصيات اللمعة لليهودية البريطانية في القرن التاسع عشر :

وكتالوج هذه المجموعة ، الذي يوجد في رامسجات Ramsgate (جزء لا بأس به قد انتقل في سنة ١٨٩٩ ، الى الكلية اليهودية - Jews' college بجامعة لندن) تتضمن ٥٨٠٠ باب ، يحتوى عدد كبير منها على كثير من الوثائق .

زار مونتيفيور فلسطين سبع مرات ، وفيها بين عامي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ جاء الى مصر وتبادل الحديث مع محمد علي عن وضع اليهود في مصر ، وفي فلسطين ، وفي سوريا .

وتحتوى مجموعة مونتيفيور على عدد من الرسائل ، ووثائق أخرى ، قادمة من مصر تختص بأعمال مصرية ، وتستحق البحث بدقة .

ومن بين الوثائق العامة ، توجد وثائق : الرابطة الانجليزية
Anglo Jewish Association والتحالف الاسرائيلي الدولي
Alliance Israelite Universelle وارشيف المراكز الصهيونية .

فالأولى والثانية ، كانت منظمات تزعم ان هدفها هو :
« العمل في سبيل الانسانية » . ورفع المستوى الثقافي عند
اليهود في بلاد الاسلام ، وايضاً مساعدتهم تحت أى ظرف اذا
ما تعرض أمنهم للتهديد (٢) .

وكان تركيز التحالف الاسرائيلي العالمى هو عمل دراسات في
مختلف الموضوعات بالاضافة الى ذلك ، فقد نشر « بول ديومنت —
Paul Dumont » دراسة جيدة في هذا الموضوع (٣) ، تناول في
جزء منها : مصر في القرن التاسع عشر . .

وعدد لا بأس به من نتائج هذه الدراسات قد طبقته الرابطة
اليهودية الانجليزية في أعمالها في مصر ، وفي دول أخرى في الشرق
الأوسط !

وقد نشرت بعض التقارير الثقافية عن هذه الدول في أجهزة
الصحافة التابعة لهذه المنظمات : التقرير السنوى للجمعية
الانجليزية اليهودية ، ونشرات التحالف الاسرائيلي وقد ظل جزء
كبير « دون طباعة » في ارشيف لندن وباريس !!

كثير من هذه الوثائق ، يسهم في دراسة التاريخ العام لليهود
مصر ، خاصة في مجال الثقافة ، والتعليم العام ، وايضاً في المجال
الاجتماعى — الاقتصادى الذى يشكل مجالى نشاط هذه المنظمات .

وهذا مثال من بين أمثلة أخرى ، بعض التقارير الصادرة من مصر بمعرفة هاتين المنظمتين ، تتناول المدارس اليهودية التي أسستها ، ومنها تستقى بعض معلومات لا بأس بها عن التعليم الغير يهودى ، خاصة فيما يختص بنشاط المجموعات المختلفة للارساليات المسيحية !

وقد اجتذبت الارساليات بنجاح الطلبة اليهود ، وذلك كسان احد الأسباب التي حثت المنظمات اليهودية على إقامة مدارس يهودية في مصر وفي بلاد غيرها .

وطبعى كان هناك حالات تشغل هذه المنظمات ، ولهذا فان الباحث سيجد في هذه التقارير كمية من المعلومات الغير مباشرة عن نشاط الارساليات في مصر (٤) .

وتحتوى « الوثائق الصهيونية المركزية » فى القدس على مواد هامة جداً عن بداية الحركة الصهيونية فى مصر فى نهاية القرن التاسع عشر .

فى الحقيقة أن معظم هذه الملفات يرجع الى نشاط المنظمات الصهيونية ، بيد أن العديد من الوثائق قد اشار بمشاكل ادارية ، التي تعكس بطريقة معبرة ، الصعوبات المحلية للتنظيم عند اليهود أكثر منها عند غير اليهود (٥) .

وبإيجاز . . فان ظاهرة « عدم التجانس » بين الطوائف اليهودية فى مصر ، جعل منها طبقة متصلة : اشكناز ، وسفارديم ، ويمينيين ، ومغاربة ، ومستوطنين ، ومهاجرين جدد .

تناقضات اجتماعية حادة الى حد ما ، كبرج- بابل للغات !
وبالمثل أيضاً ، تذكر هذه التقارير الصعوبات المريضة التي
ترتبط بكل محاولة لتنظيم اليهود في مصر .

أيضاً الى جانب — المشاكل اليهودية الخاصة — تشير الى
ظواهر التكاسل والتراخ ، وعدم القدرة على التنظيم ، دون أى
مبادرة ادارية عليا ، مشاكل وراثية تقريباً ، بالنسبة الى المجتمع
المصرى في هذا الوقت .

٢ — الرسائل :

تعتبر الرسائل مصدراً هاماً أيضاً للمعلومات لا يمكن إغفاله ،
من قديم الزمان ، وتلك « عادة يهودية هزمنة » هي أن تكتب
بدقة .

هذا الاتجاه صار ضرورة ، فقديمها ، عندها كانوا مهتتين
في انحاء الأرض ، لجأ اليهود الى هذه الوسيلة الخاصة للاتصال ،
لأسباب عائلية أو عملية . كثير من الرسائل مرسلة من الشرق
الأوسط ، عاشت ، بعضها طبع ، والبعض الآخر ظل على حالته
اليديوية .

وعلى سبيل المثال ، تم اختيار ثلاثة وتسعون رسالة ،
جمعها : « يا عارى (٦) — Ya'ari » أحد هواة جمع الكتب ،
كان يعمل في المكتبة الوطنية في القدس والذي نشر أيضاً دراسات :
عن تاريخ المطبعة العبرية في الامبراطورية العثمانية . في كتابه
« رسائل من فلسطين » يتضمن رسائل صادرة من فلسطين في
عام ١٨٣٠ ، ويستقى منها شواهد ثقافية عن الادارة المصرية
في فلسطين ، والثورات التي قامت في هذا البلد .

وحتماً سوف تجرى أبحاث مستقبلية وقد تكتشف أيضاً رسائل صادرة من مصر نفسها .

٣ - المذكرات :

والمذكرات يمكنها أيضاً أن تقدم عوناً كمصادر ومع ذلك يبدو أن بعض من هذه المذكرات قد دونت في مصر القرن التاسع عشر ، والبعض الآخر الذي يعود الى القرن العشرين ، لا ريب أنها قد سجلت مواد تنسب الى القرن التاسع عشر . (مصر بلدى — Mon Egypte) (٧) بقلم « راشيل مكابى » يمكن أن تفيدنا على سبيل المثال .

هذا الكتاب يحتوى على معلومات مفيدة جداً كان يتبادلها أفراد أسرة المؤلفة ، تختص بنشاط الوالدين في بلدية الاسكندرية ، وعادات اليهود وغير اليهود في مصر ، وكذلك علاقاتهم الاجتماعية . وتفصيلات أخرى من نفس النوع نجدها في طبعة أخرى ، باللغة الفرنسية منشور تحت اسم مستعار « يهودية مصرية — Une Juive Egyptienne » (٨) .

وتنصب ملاحظتنا على الجزء الخاص بالقرن التاسع عشر ، بينما مذكرات المؤلفة تتناول في معظمها أحداثاً وقعت في القرن العشرين .

كتب أحد المعينين في المدارس العبرية بالاسكندرية ويدعى « تاراغان — Taragan » بحماس مدعم بخبرته الشخصية في هذه المذبة حوالى نهاية القرن التاسع عشر .

وقد صدر كتابه باللغة الفرنسية تحت عنوان : « الطوائف الاسرائيلية في الاسكندرية » ويفيد كذلك جزئياً في التاريخ العام لمصر

فى القرن التاسع عشر — والأكثر أهمية من هذه الأعمال هى « الفتاوى — Responsa » التى كتبها الحاخامات وتشمل الاجابات عن المسائل القانونية وعن أسئلة مرسله اليهم .

وكان البروفيسور « برنارد لويس » من أوائل من لفت الأنظار الى أهمية هذا المصدر (١٤) — كما يحاول «يعقوب لاندائو» إبراز أهمية أدب الـ Responsa فى دراسة التاريخ الاجتماعى — الاقتصادى للإمبراطورية العثمانية من وجهة النظر الاسرائيلية !

ومن الملاحظ أن أدب الفتاوى ، الجزء الخاص بمصر فى القرن التاسع عشر : الاجابات ذات طبيعة قانونية ، كانت مخصصة أساساً لتفسير القانون المكتوب . ومع ذلك كان مضمونها يتعدى دائماً هذا المظهر .. وفى الواقع كانت الأسئلة الموجهة الى الحاخامات تختص بكل نواحي الحياة اليومية ، ومن خلال الاجابات على هذه المشاكل ، يستطيع المؤرخ أن يجد منجماً من المعلومات ، وترجع قيمتها الى العناصر الآتية :

(أ) الرئيسبونزا مصدر متنوع ، يتناول موضوعات ذات أهمية خاصة لأصحاب الأسئلة ، ولكنها تمثل طبيعة عامة بالنسبة لجمهور عريض .

(ب) بما أن هذه المواد لم تكن مخصصة للتعميم ، لكنها تطلعنا بصفة خاصة على العديد من التفاصيل المباشرة .

(ج) بفضل الصفة القانونية للأسئلة والاجوبة ، هذا الأدب مصاغ بدقة ووضوح ، وذلك ما يرفع من قيمته .

وفى أعمال حاخامات الامبراطورية العثمانية وبعض السدول الاوربية نجد أن بعضهم قد دون كثيراً من الفتاوى ليهود مصر ولعدة قرون .

أضف الى ذلك ، سلسلة من الكتب شديدة الشبه بالفتاوى
جميعها « موشى باردو — Moche Pardo » ، المولود في القدس ،
وتولى العمل في الاسكندرية كحاخام اكبر من عام ١٨٧١ الى عام
١٨٨٣ ، ونشر في هذه الفترة مؤلفاً بعنوان « اسمه موسى (١٦) —
Son nom est Moïse » والذي يتضمن فتاوى حررها هو
بنفسه مع آخرين من الحاخامات . في هذا المجلد المكون من ٤٤٠
صفحة من القطع الكبيرة ، وكان من الطبيعي أن يركز باردو على
الموضوعات القانونية التي تخص اليهود ، ولكن بإمكاننا استخراج
كثير من المعلومات تحت مظاهر أخرى غير قانونية .

ومن كل النواحي ، يتميز هذا الكتاب بأهمية خاصة عندما
نناقش — ليس فقط المشاكل التي ولدت الانعكاس الثقافي
للحاخامات طوال أجيال — ولكن أيضاً عندما يتناول المسائل التي
أثارها التحديث ، منها على سبيل المثال مما إذا كان مسبوحي
اليهود أن يركبوا القطار يوم السبت (١٧) ! جزء كبير من الاجابات
يتناول العلاقات بين اليهود وغير اليهود ، مشكلة ملحة في مجتمع
مختلط مثل مصر في القرن التاسع عشر . مثال مميز يوجد في احدى
الفتاوى والذي يجب أن يقرر ما إذا كان اليهود يستطيعوا ان
يستخدموا غير اليهود ليعزفوا الموسيقى يوم السبت (١٨) ! ربما
تكون الفتاوى الأكثر ملاءمة من الناحية التاريخية ، تلك التي تهتم
بالنزاع بين اليهود وغير اليهود ، سواء امام المحكمة الحاخامية أو
امام اي محكمة أخرى .

وكان الحاخامات يفضلون دائماً أن يعرض النزاع على المحاكم
الحاخامية ، ولكن الحياة في مصر كانت تقرر دائماً خلاف ذلك !

وكانت لمحكمة كل طائفة دينية سلطات واضحة التحديد —
قد تكون قاصرة في بعض حالات المشاكل الشخصية ، ولكن بصفة
عامة كانت المنازعات اليهودية وغير اليهودية تنظر أمام المحاكم
غير اليهودية . وكان مما يثير حنق الحاخامات أن بعض اليهود ،
كانوا يتقاضون اخوانهم في الدين أمام المحاكم الغير طائفية . ويذكر
منها « باردو » بعض الأمثلة التي تتعلق بالأعمال والعقود
التجارية !

ولا تشكل الفتاوى الا جانباً من النشاط الثقافي للحاخامات
في مصر في القرن التاسع عشر ، وسنوضح بعض الأمثلة عن
نشاطهم في مجالات أخرى ، كمصدر تاريخي في هذه الفترة .

تشير بعض الكتابات الى عادات اليهود المصريين وخاصة
مظاهرها المميزة . فمن المؤكد ، أن المقدمات المنطقية للحاخامات
تظل دائماً قانونية — لاهوتية ، لذلك يجب البحث فيها اذا كانت
هذه العادات تتفق مع القواعد الدينية .

ومع ذلك نجد في مداولاتها مادة فكرية تهم الباحثين بمثلاً
« يوم طوف إسرائيل - Yom Tov Yisrael » كان كبير الحاخامات
في القاهرة من عام ١٨٦٦ الى ١٨٩٠ ، قد نشر في سنة ١٨٧٣ كتيباً
بعنوان « عادات مصر » .

فالباحث في تاريخ المجتمع المصري سيلاحظ — دون عناء —
التأثير الكبير للعادات الشعبية على اليهود (١٩) . ومن بين الأمثلة
التي ذكرها في كتابه : « يوم طوف إسرائيل » .

لنجدده يسرد بالتفصيل عادة شرب القهوة ، وعادة قص الشعر الأسبوعية . . وفي نصوص : « بيخور الياهو حازان - Bekhor Elyyaho Hazzan » (٢٠) الذى شمل أعمال الحاخام الكبير فى الاسكندرية من ١٨٨٨ حتى ١٩٠٨ ، كتب مؤلفاً عن عادات اليهود فى مصر ثم يأتى : « رافائيل آهارون بن شيمون » ، كبير الحاخامات فى القاهرة من عام ١٨٩١ حتى ١٩٢٠ ، ليصدر فى نفس الموضوع كتاباً بعنوان « النهر المصرى » « أو : نهر القاهرة » ونشر عام ١٩٠٨ (٢١) . ومجموعة أخرى من الأعمال الحاخامية تخص أسماء اليهود . ويرجع السبب فى هذه الأعمال الى المراقبة الجادة للقانون الدينى ، فى هذه الحالة ، يتعلق الأمر بمعتقد طلاق وبصلاحية أى عقد ، ليس فقط بالنص الذى كان معياراً ، ولكن على وجه الخصوص بالتفصيلات ، التى من بينها الأشخاص المشار اليهم .

ونتعرف على كتابين من هذا النوع ، سجلت فيها العديد من أسماء الرجال والنساء مرتبة أبجدياً . الأول كتاب : « قرار المحكمة » لموشى باردو (٢٢) ، ثم كتاب « الياهو » مستوحى من مؤلف « بيخور الياهو حازان » تحت عنوان « أسرار القلب » (٢٣) .

ويتضمن الكتابان قوائم بمئات الأسماء ، وبعض النصوص القانونية والأدبية وشروح فقهية ولغوية .

ينتمى جزء من هذه الأسماء الى أصول عبرية ، غير أن الجزء الأكبر منها يرد الى أصول عبرية ، لاتينية « يهودى - إسباني » أو عربية .

ويترتب على ذلك ، أن هذه الأعمال يمكن الافادة منها كمصدر هام لامداد أبحاث عن أسماء اليهود فى مصر ودراسة الأصول التى انحدرت منها هذه الأسماء .

بعض حاخامات مصر تركز اهتمامهم على الكتابات القانونية المطلوبة للجمعيات الدينية التابعة للطوائف اليهودية .

ويبدو أن الأكثر شيوعاً ، هو كتاب « سالومو هزان » ، كبير حاخامات الاسكندرية في عام ١٨٣٢ حتى عام ١٨٥٦ . بعنوان : مرتقى سالومون « أو : فضائل سالومون » (٢٤) . هذا المؤلف عبارة عن سجل مفسر لأعمال كتبها حاخامات معاصرون ومن أجيال سالفه . وأهميتها لا تكمن فقط في الموضوع ذاته ، ولكن أيضاً في أنها تعتبر وثيقة لتاريخ الطباعة بصفة عامة .

ثم أمد الحاخام « رافائيل آهارون بن شيمون » دراسة عن الحاخامات الذين عملوا بمصر في عهود سابقة ، تحت عنوان : « صلاح مصر » أو « ثروة مصر » (٢٥) يعتبر كتاباً مفصلاً عن الحاخامات ، حياتهم وكتاباتهم وأعمالهم وأوضاع الطائفة اليهودية في عهودهم ، وجانب من هذه المعلومات قد يكون مفيداً في دراسة تاريخية عن مصر .

بالإضافة الى ما سبق فإن هذا الكتاب يحتوى أيضاً على مقدمة تناولت المعابد اليهودية القديمة والحديثة ، في القاهرة في عصر « بن شيمون » . . الى جانب اشارات عن حياة المدينة في نهاية القرن التاسع عشر .

تناولت المصادر الحاخامية بكثير من التوسع وصلتها الوثيقة بالموضوع . لأنها تمثل الكم الأكبر من المعلومات عن يهود مصر في القرن التاسع عشر . وفي هذا الصدد ، تجدر الإشارة الى المشاكل اللغوية عند يهود مصر في ذلك العصر ، والتعددية اللغوية - حتى لو كانت هامة بالنسبة الى أعمالهم ، فإنها مثلت مشكلة لليهود مصر على الصعيد الثقافي والتعليم العام . وترتبط جميع الأقليات

العرقية في مصر بلغة مشتركة ، فيما عدا اليهود . والغالبية من اليونانيين والايطاليين والأرمن ، وحتى ولو كانوا على دراية بلغات أخرى ، يتحدثون بلهجتهم القومية . أما اليهود على العكس من ذلك ليس لديهم لغة اجتماعية . البعض يعرفون العبرية ، والعربية ، واليهودية والأسبانية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والروسية ، والرومانية ، أو الألمانية ولكن ليست هناك لهجة جماعية مشتركة بينهم .

وكان من نتيجة هذا الموقف الشاذ الاضرار بكل ما كتب ونشر اليهود ، طالما أن جزء صغير فقط هو الذي يستطيع أن يقرأ باللغة التي نشرت بها هذه المؤلفات ، هذه الحالة قد حددت القراء ، وبالتالي المشترون ؟

٦ - الصحافة

أحدى نتائج هذا الوضع ، كان عدم وجود صحافة خاصة بيهود مصر في القرن التاسع عشر ، على النقيض من الانتاج الأدبي لليهود في مجالات أخرى . فالدورية الأولى « نشرة » اليهودية التي ظهرت في مصر كانت « المبعوث الصهيوني » « باللغة الفرنسية » نشرت منذ ١٩٠٢ ، ثم « مصراييم » « باللغة اليهودية - الأسبانية » والعربية ، وعربي « بالحروف العبرية » منذ ١٩٠٤ ، وتبعتها أخريات باللغة اليهودية الأسبانية وخاصة « الفارا - Lavara » في ١٩٠٥ - ١٩٠٨ . هذه المطبوعات الدورية تقدم أيضاً معلومات عن يهود مصر ، وخاصة في فترة نهاية القرن التاسع عشر . وعلاوة على ذلك فالنصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان بعض اليهود المصريين يرسلون بانتظام تقارير في شكل « خطابات القراء » الى عدد من الدوريات اليهودية التي تصدر بالخارج : منذ ١٨٤٠ منها : *Allgemeine Zeit Des*

« Judenthums نشرت في برلين منذ ١٨٣٧ » « الوقائع اليهودية
The Jewish Chronicle » لندن منذ ١٨٥٠ « ها - مجيد » باللغة
العبرية « Lyck منذ ١٨٥٦ » ، ها - ليفانوف « بالعبرية » ، باريس
ثم ماينس منذ ١٨٦٤ « و Die Welt » ميينا منذ ١٨٩٧ .

وقد اشترت هنا الى الدوريات الأكثر أهمية فحسب وتساهدنا
التقارير المكتوبة على اتساع نطاق معرفتنا عن يهود مصر . وكذلك
عن علاقاتهم مع غير اليهود ، وتمدنا بكثير من المعلومات من الحالة
العامة في مصر في هذا الزمان . خاصة على الصعيد الاقتصادي ،
وايضاً على الصعيد السياسى ، والصحة العامة والكثافة السكانية ،
وكل المعلومات مقدمة من وجهة نظر لها قيمتها للمراقب الداخلى !

٧ - الدراسات الاحادية :

اعد بعض اليهود المصريين دراسات متفوهة على مستويين
مختلفين عن اوضاع يهود مصر ، بصفة عامة في القرن التاسع
عشر ، منها :

كتاب : « موريس هارجيون » بعنوان « اليهود في مصر - منذ
اقدم العصور حتى يومنا هذا » (٢٦) تاريخ عام متبوعاً بللمحة
وثائقية خصص عدد كبير من الصفحات لمصر في القرن التاسع
عشر ، ويمثل هذا الكتاب أهمية خاصة بسبب تحليله المفصل من
تطور العديد من المدن الصغيرة والمعلومات الاحصائية التى تتعلق
بهذه المدن . وكتاب آخر لنفس المؤلف ، « أطباء ومحامون يهود
في خدمة مصر » (٢٧) ومع مجموعة السير الذاتية التى كتبها
بالتفصيل ، تساعد على عمل الدراسات عن هاتين المهنتين في
القرن التاسع عشر ، والعشرون .

توفيق سليمان أبو هيف « الاسم المستعار لمشيرو فارجيون »
أعد دراسة بعنوان : « العلاقات بين مصريين ويهود » (٢٨)
تضمنت كمًا هائلًا من المعلومات عن هذا الموضوع . والدراسات
الأحادية التي قام بها نوري فرحى ، بعنوان : « الطائفة اليهودية
بالاسكندرية القديمة حتى يومنا هذا » (٢٩) واهتم بصفة خاصة
بالقرن التاسع عشر ، وفضلا عن ذلك تحتوى على بعض الوثائق
الهامة .

بنسيون تارجان ، سبق ذكره ، كتب أيضاً كتاب عنوانه :
« أريغون عاماً من اليهودية السكندرية » (٣٠) عام ١٩٠٦ إلى
١٩٤٦ .

تناول الفصل الأول القرن التاسع عشر ، ويتضمن معلومات
عن الطائفة اليهودية بالاسكندرية ومعابدها ومؤسساتها
الاجتماعية .

ومؤلف موريس مزراحى ، بعنوان : « مصر ويهودها - الزمن
التام » (٣١) .

تناول مصر في القرن العشرين « حيث عاش المؤلف خمس
وخمسون عاماً » ، بيد أن الكتاب لا يجهل القرن التاسع عشر
ويهوده ، خاصة العلاقات بينهم وبين غير اليهود ، في مختلف
المجالات .

أحد الأمور الطريفة أنه لم يهتم فقط بالمجالات المعروفة
للاقتصاد ، والثقافة ولكنه لم يتردد في أن يطرق مجالات أخرى
كالأنشطة الرياضية .

ولدينا فيما عدا ذلك الدراسات الحديثة ، بالعبرية ، مثل كتاب « مارتن سيليجر » بعنوان « سياسة أوريسا في الشرق الأوسط : وبلورة هذه السياسة في إطار محدد في عصر محمد علي ، ثم مؤلفات جبريل بيرعن « التاريخ الاجتماعي لمصر » .

ثم دراسة للباحثة : إيرين جندزيل بجامعة كمبريدج ، عن « يعقوب صنوع » كواحد من اليهود القلائل الذين انغمسوا في الحياة السياسية في مصر .

وآخر المصادر الحديثة ، كتاب البروفيسور « شيمون شامير » أول مدير للمركز الأكاديمي الإسرائيلي والسفير الإسرائيلي الأسبق بالقاهرة ، بعنوان « يهود مصر » (٣٢) ، هذه المصادر القديمة والحديثة أسهمت في تشكيل صورة عامة عن يهود مصر في القرن التاسع عشر في المجالات القانونية والقضائية ، والاقتصادية ، والتجارية والتعليمية وكذلك في مجال العلاقات بين مختلف الجامعات العرقية .

BIBLIOGRAPHIE

1. André Raymond, « Les documents du Mahkama comme source pour l'histoire économique et sociale de l'Egypte au XVIII^e siècle » dans Les Arabes par leurs archives (XVI^e - XX^e siècle), Paris, CNRS, 1976, pp. 125-129 ;
2. Narcisse Levin, Cinquante ans d'histoire : L'Alliance Israelite universelle (1860-1910), 2 tomes, Paris, Alcan, 1911-1920.
3. Paul Dumont, « Jewish communities of Turkey during the last decades of the nineteenth century in the light of archives of the Alliance Israelite universelle », préparé pour la « Princeton Millet Conference » de Juin 1978.
4. J. M. Landau, Jews in nineteenth century Egypt, New York University Press 1969, pp. 159-160, 272-274, 310-311.
5. Ibid, pp. 191-194, 239-241, 312-314, 322-326.
6. A. Ya'ari, Iguerot Erets-Israel. Tel Aviv, Gazit, 1943 ; 2^e edition, 1950.
7. En Hébreu : R. Makkabi, Mitsrayim chelli, Merkhavya, Sifriyyat, Poalim, 1968.
8. Genève, Editions de l'Avenir 1971.

9. Alexandrie, Editions Juives d'Egypte, 1932.
10. Michel Levy, Cinq année de voyages en Orient, 1846-1851, Paris, 1856.
11. J. J. Benjamin, Acht jahre in Asien und Afrika von 1846 bis 1955.
Hannover, publié par l'auteur, 1858
12. Ibid, pp. 311-322.
13. En Hébreu : E. Deunard, Massa be-efets ha-qedem, Preeburg, Levy et Alcalay, 1882/3.
14. Bernard Lewis, « Sources for the 'economic history of the middle east » dans MA, Cook, éd., studies in the economic history of the middle east from the rise of Islam to the present day., Londres, Oxford. University Press 1970, particulièrement, p. 91.
15. Der Islam, tome 54, no. 2, 1977, pp. 205 ff.
16. En hébreu : Sefer W-chemo Moche, Smyrne, Imprimerie Ben Sion Benjamin, 1874.
17. Ibid pp. 21 verso ff.
18. Ibid, pp. 32 ff.
19. En hébreu : Yom-Tov Yisra'el, Sefer Minhoguey Mitsrayim, Jérusalem, Imprimerie Yo'el Moche, 1873.
20. En hébreu : Eliyyahu Hazzan, Sefer Kaveh Chalom, Alexandre, Imprimerie Farag Hayyim Mizrahi, 1894 :
2 édition, Alexandrie.

21. En hébreu : Ref'el Aharon Ben Chim'on, Nehar Mitsrayim, Alexandrie, Imprimerie Farag Hayyim Mizrahi, 1908.
22. En hébreu : Moche Pardo, Sefer hora'a de-veyt din, Smyrne, Imprimerie Ben Sion Benyamin, 1872.
23. En hébreu : Eliyyahu Hazzan, Sefer devar Eliyyahu, Alexandrie, Imprimerie Farag Hayyim Mizrahi, 1900.
24. En hébreu : Chelomo Hazzan, Sefer ha-ma'alot li-chelomo, Alexandrie, Imprimerie Farag Hayyim Mizrahi, 1894.
25. En hébreu : Aharon Ben Chim'on' Sefer tuv Mitsrayim, Jerusalem, Imprimerie Zuckerman, 1908.
26. Le Caire, Maurice Sananès Editeur, Imprimerie Paul Barbey, 1938.
27. Le Caire, Imprimerie Lencioni, 1939 Cet ouvrage fut publié, paraît - il, en deux tomes, desquels j'ai pu consulté seulement celui sur les medecins.
28. T. S. Abu Heif, « M. Fargeon » : Les relations entre Egyptiens et Juifs, Alex. imprimerie Salah El Dine, 1939.
29. Noury Farhi : La communauté Juive d'Alexandrie de l'Antiquité à nos jours, Alex. 1945.

30. Ben Sion Taragen : Quarante ans du Judaïsme Alexandrin, Alex. impr. Palombo 1947.
31. M. Mizrahi : L'Egypte et ses Juifs, le temps sévôlu, Lausanne, 1977.
32. Shimon Shamir : The Jews of Egypt - A mediter-ranean society in modern times, London, 1988.

الأيام الأخيرة

وبعد أن انقضى « العصر الذهبى » لليهود مصر .. كيف يعيش ما تبقى منهم « أيامهم الأخيرة » .. بعد ما شهدته الطائفة من ازدهار اقتصادى واجتماعى فى أحضان مصر ؟

بدءاً من ١٢ نوفمبر عام ١٩٥٦ بدأت أوسع هجرة لليهود من مصر ، وكان ذلك أمراً متوقعاً بعد شن إنجلترا وفرنسا وإسرائيل حرباً على مصر فى أكتوبر من العام نفسه ، وفى أول نوفمبر عام ١٩٥٦ صدر أمر عسكرى يخول للحارس العام على ممتلكات المتغيبيين عن البلاد . الاشراف على ممتلكات المسجونين السياسيين بل وبيعها ، وبعد أيام قلائل أعلن عن اعتقال مئات من اليهود وتحويل ممتلكاتهم الى الحارس العام ، وكان من بين المعتقلين بعض من أغنى رجال الطائفة اليهودية ، ونتج من هذا أن ألغوا من اليهود غادروا البلاد نجاة دون مال ، وخلال الأيام الأولى من نوفمبر صدرت أوامر لليهود بتحريم جانب صغير من ممتلكاتهم ومغادرة البلاد خلال بضعة أيام ولم يسمح لآى منهم بأخذ أى شئ من ممتلكاتهم سوى ٣٠ جنيهاً مصرية نقداً ، وما يساوى ١٤٠ جنيهاً من المجوهرات ، وما لأحد له من البضائع المصرية مثل الملابس والأحذية ، وخلال الفترة من منتصف نوفمبر ١٩٥٦ وحتى سبتمبر ١٩٥٧ أبعد بهذه الطريقة أكثر من ٢١ ألف يهودى ، واستمرت عملية الترحيل ببطء فى السنوات التالية وغادر البلاد كثيرون من اليهود بقاء على رغبتهم بعد أن سدت سبل العيش فى وجوههم .

وفي عام ١٩٥٧ صدر القانون رقم ٢٤ الذى قضى بوقف نشاطات الوكالات التجارية ، وكان ذلك أحد العوامل المساعدة على دفع أغنياء اليهود للهجرة من مصر ، وفيما بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٠ اتضح ان عدد اليهود الذين خرجوا من مصر قد وصل الى أكثر من ٦٥ ألف يهودى حيث بين احصاء عام ١٩٦٠ ان عددهم في مصر قد تجاوز الثمانية آلاف ، ومن بين هؤلاء جميعاً وخلال الفترة نفسها وصل الى إسرائيل ٢٥ ألف مهاجر يهودى مصرى فقط ، أما الباقى والذي يصل الى أكثر من ٤٠ ألف مهاجر فقد ذهبوا الى بلدان أوروبا والأمريكتين ، وحتى من تبقى من اليهود في مصر بعد كل هذه الاجراءات لمقد تعرض بدوره للمصادرة والتأميم بعد القرارات الاشتراكية بين عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ويقدر عدد من خضعت أموالهم للمصادرات في هذه الفترة بحوالى خمسة آلاف يهودى ، وتذكر الموسوعة اليهودية ان معظم الجمعيات اليهودية والمدارس قد أغلقت في أعقاب الهجرة الجماعية لليهود عام ١٩٥٧ ولم يعد لهم تجمعات طائفية ، وأصبح رئيس حاخامات القاهرة هو رئيس الطائفة اليهودية في مصر كلها .

كان من الواضح اذن ان المراحل الأخيرة لتاريخ اليهود في مصر قد بدأت منذ اوائل الستينات ، وفى احصاء عام ١٩٦٠ كان عدد اليهود في مصر ٨٥٦١ شخصاً موزعين على محافظات مصر .

وتذكر الموسوعة اليهودية ان عدد من بقى من اليهود في مصر عام ١٩٦٠ من الاثكناز لا يزيد عن ٥٠ شخصاً أما الباقى من السفارديم ، ومن بين العدد الكلى لليهود والبالغ ٨٥٦١ شخصاً في هذا الاحصاء كان عدد الحاصلين على الجنسية المصرية ٣١٣٥ شخصاً والباقى ٥٤٢٦ اجنبياً بدون جنسية ومن الواضح ان اليهود الذين كانوا يعيشون في مصر والذين حرموا من العمل في المؤسسات العامة ، كانوا يعملون في الاعمال الحرة كتجار ، ولان طائفة اليهود

لقرائين هي التي عملت في هذه المهن (تجارة الذهب والفضة والملابس) فيبدو أن الغالب على اليهود المصريين آنذاك أنهم كانوا ينتمون لطائفة القرائين ، أما الأجانب منهم فلا يعرف شيء عن انتمائهم المذهبي . ومن المهم إبراز حقيقة أن معظم من هاجروا من مصر لم يذهبوا الى اسرائيل ، وتشير الاحصاءات الاسرائيلية الى هذه الحقيقة بوضوح فبين عام ١٩٤٨ ، وعام ١٩٨٧ بلغ عدد اليهود الاسرائيليين من ذوى الأصول المصرية والسودانية ٣٠١٠٢ ، أى أن عدد من ذهب الى اسرائيل من بين قرابة ٧٥ ألف يهودى عاشوا في مصر حتى عام ١٩٤٧ لا يزيد عن ٤٠٪ ، وقد شكل هؤلاء نسبة ١٦٨٪ من المجموع العام للمهاجرين اليهود في الفترة نفسها من شتى انحاء العالم .

وعندما وقعت هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ كان عدد اليهود في مصر يتراوح ما بين ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ شخص ، أما الاحصاء الرسمي فقد قدرهم عام ١٩٦٨ بـ ٢٥٠٠ شخص ، وقبل ذلك بأربع سنوات وفي ٢٤ فبراير عام ١٩٦٤ نشرت مجلة المصور مقابلة مع وكيل الحاخام حاييم دويك ، جاء فيها أن عدد اليهود وقتها بلغ خمسة آلاف نسمة ، أما الاحصاء الرسمي الصادر عام ١٩٦٦ فقد قدر عدد اليهود بـ ٢٤٨٤ شخصاً . وقد تسببت حرب عام ١٩٦٧ في القاء القبض على عدد من اليهود لأسباب تتعلق بأمن الدولة ، وفيها قدرهم حاييم دويك حاخام اليهود آنذاك بحوالى ٤٠٠ معتقل ، صرح وزير الداخلية المصرى في ١٩٦٧/١/٢٢ بأن عدد المعتقلين من اليهود بلغ ٢٥٧ شخصاً من جملة ٣٥٠٠ يهودى مصرى .

والواضح ان الأرقام متضاربة سواء في تقدير عدد اليهود الذين كانوا يعيشون في مصر حتى ذلك الوقت ، أو بعد المعتقلين في اوساطهم لأسباب أمنية ، وعلى أية حال فقد أفرج عن معظم

المعتقلين اليهود عام ١٩٧٠ . واستمرت حركة الهجرة بين شباب اليهود ولم يعد يعيش في مصر سوى العجائز وكبار السن، وتختلف التقديرات اختلافاً كبيراً في هذا الشأن ففي ١٩٧٧/٧/٢١ نشرت جريدة الجمهورية مقابلة مع رئيس مجلس الطائفة في مصر ، « فيلكس سامباتورى » ، جاء فيها أن عدد اليهود في مصر ٣٠٠ شخص ، منهم ١٤ فقط كانوا يعيشون في حارة اليهود !

وبصفة عامة ، لم يعد هناك اليوم سوى عدد من كبار السن يزيد قليلاً عن مائة شخص يعيشون أما على بيع ممتلكاتهم أو ممتلكات الطائفة ، بالإضافة إلى المساعدات التي يتلقونها من منظمة « الجيونت » وهي منظمة دولية يهودية تتولى تقديم العون لكل الطوائف اليهودية بالعالم ، كما يوجد بعض اليهود الذين يحصلون على « معاشات » من الجهات التي كانوا يعملون بها قبل بلوغهم سن المعاش ! .

وفي لقاء مع « كارمن ونشتاين » رئيس الطائفة الربانية بالقاهرة (تقرير الحالة الدينية في مصر — الأهرام — ١٩٩٨) وكانت الجمعية العمومية للطائفة بالقاهرة قد قررت في نهاية عام ١٩٩٥ اقالة رئيسها : « أميل روسو » بسبب سوء ادارته لأموال الطائفة وتسببه في ضياع بعض ممتلكاتها ، أو بيعها بثمن أقل من قيمتها الحقيقية ، واستخدمت قضية بيعه لمعبد بورسعيد كسبب رئيسي للإقالة ، وقد اختارت الطائفة الربانية مدام « ونشتاين » . التي ترفض إجراء أى مقابلات مع الباحثين . لتحل محل أميل روسو ولكن نظراً لكبر سنها فإن ابنتها كارمن ونشتاين تولت إدارة الطائفة بالإنابة عنها .

تقول « كارمن » كانت الحياة الدينية لليهود تسير على خير ما يرام معظم الأحيان ، وكان هناك ٣٤ معبداً بالقاهرة وحدها ،

١٢ معبدًا في حارة اليهود ، ولم يكن المصريون يتعرضون لليهود في ممارسة شعائرهم الدينية وحتى عندما احرق بعض المتطرفين معبدًا للطائفة الاسكنازية عام ١٩٤٧ عرضت الحكومة المصرية اعادة بنائه على نفقاتها الخاصة ولكن في مكان آخر (لم تذكر كارمن مكان هذا المعبد المحرق) ، الا ان رئيس الطائفة رفض وقامت الطائفة باصلاح المعبد على نفقتها في المكان نفسه . ومسح مرور الوقت ومع اضطراد هجرة اليهود خارج مصر أهملت هذه المعابد وأصبح معبد موسى بن ميمون مهددا بالانهيار بسبب زيادة منسوب المياه الجوفية أسفلهُ .

وبالنسبة للأطعمة اليهودية الخاصة أو طعام « الكوشير » أى المجهز على الطريقة الشرعية وفق التقاليد الدينية اليهودية فتقول كارمن ان الطائفة كانت تقيم مخابز خاصة بها لانتاج الخبز والفطائر الملائمة لكل الاعياد الدينية اليهودية وكان هناك مخبز في ميت فمر ينتج « الماتسا » وهو خبز غير مخمر كان يتناوله اليهود المتدينون طيلة الوقت ، أما اليهود غير المتدينين فكانوا يستعملونه فقط في الأعياد الخاصة بذلك وخاصة في عيد الفصح أو « البيسح » ، كما كان هناك مرن آخر أيضا في حارة اليهود لخدمة ما يزيد على سبعة آلاف يهودى هم سكان الحارة والطعام « الكوشير » لا يقتصر فقط على الخبز بل يتعداه الى اللحوم حيث لم يكن مسموح لليهودى بتناول لحوم مذبوحة على غير الطريقة اليهودية ، وكان احد الحاخامات يتولى الاشراف على هذه الذبائح للتأكد من مطابقتها للشريعة اليهودية ، ويحرم اليهود أكل الخنزير والجمال والأرانب والسماك غير المغطى بالقشر وأنواعا معينة من السمك مثل سمك الثعبان .

أما عن طقوس الصلاة فتقول كارمن : ان عدداً قليلا من اليهود كان ملتزماً بالفعل بهذه الطقوس ، ويؤدى اليهود الصلاة

مرتين في الصباح والمغرب ويمكن تأديتها في المنزل ، ولكن الصلاة الجماعية تتم فقط يوم السبت ويلزمها عشرة رجال على الأقل لتصبح مقبولة شرعاً ، وقد توقفت هذه الصلوات الجماعية منذ ما يزيد على عشر سنوات ، أما بسبب كبر سن معظم من بقى من اليهود وصعوبة انتقالهم من الأحياء التي يعيشون فيها الى مكان واحد داخل القاهرة لأداء الصلاة ، وأما لعدم حرص بقايا الطائفة على هذه الطقوس بسبب انتشار الأفكار العلمانية بينهم ، ومع ذلك فإن الاحتفال بالأعياد اليهودية يظل آخر العلامات الباقية على وجود الطائفة اليهودية ، حيث يأتي أحد الحاخامات من إسرائيل كل عام في عيد رأس السنة اليهودية لإقامة الصلاة الخاصة بهذا اليوم ويتم استكمال العدد القانوني من اليهود اللازمين لإقامة الصلاة الجماعية بالاستعانة بالسياح الاسرائيليين الذين يتواجدون في مصر في ذلك الوقت والفرق الأساسي بين صلوات الاشكناز والسفارديم ان الاشكناز يصلون باللغة اليديشية ، والسفارديم يصلون باللغة العبرية .

وتضيف كارمن : حتى أواسط الخمسينات كانت رئاسة الطائفة بالانتخاب ولكن مع نزوح اعداد كبيرة من اليهود خارج مصر أصبحت رئاسة الطائفة تتم عبر ترشيح شخص واحد للاستفتاء عليه ، وعادة ما كان يتم اختياره على أسس مستوى التعليم والمكانة المهنية والاجتماعية وبعد سفر معظم الاشكناز وهجرتهم من مصر أصبحت رئاسة الطائفة في السفارديم ، ويتولى رئيس الطائفة عملية ادارة المصالح المالية والممتلكات الباقية للطائفة وكذلك الجمعية الوحيدة التي مازالت قائمة وهي جمعية « قطرة اللبن » التي تأسست عام ١٩٢٠ ، وتقوم هذه الجمعية بمساعدة المحتاجين والفقراء من أبناء الطائفة ، والجمعية مسجلة في الشؤون الاجتماعية وتخضع لقانون الجمعيات الأهلية .

ورغم أن المراجع التاريخية تشير الى أن الاشكناز والسفارديم التابعين للطائفة الربانية قد توحدوا عام ١٩٤٧ وأصبحت لهم إدارة واحدة ، إلا أن كارمن وينشتاين تنفى ذلك وتقول أن ما كان حادثاً بالفعل هو انفصال الطائفتين بدليل أنه في أعقاب عام ١٩٦٧ هاجر عدد كبير من الاشكناز الباقين ولم يعد هناك سوى بضع عشرات منهم فأعلنوا انضمامهم للسفارديم ، كما تبرع الاشكناز الذين هاجروا بما تبقى لهم من ممتلكات الى السفارديم ، وهذا يؤكد أن الطائفتين كانتا منفصلتين حتى عام ١٩٦٧ ، وكان لكل منهما حاخامها الخاص ورئيسها الخاص أيضاً ، وتؤكد كارمن على أن احتكار الاشكناز لرئاسة الطائفة لسنوات طويلة جاء لأسباب عديدة كان أهمها أن الاشكناز كانوا أكثر رقابة من السفارديم ، وكانت الأنشطة الفكرية والثقافية للطائفة اليهودية محصورة — إلا باستثناءات قليلة — في أوساط الاشكناز وحدهم دون السفارديم والقرئين ، وعن الانفصال الذى قام بين الربانيين — بمن فيهم الاشكناز والسفارديم — وبين القرائين ، تقول كارمن : أن العامل الحاسم في نظر الربانيين الى القرائين على أنهم غير يهود أو أنهم خارجون على الملة اليهودية هو كتابات موسى بن ميمون التى أدانتهم وأوضحت مدى خطأ معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم !! .

وفي حديث أجرى مع السيدة « فينيست » رئيس الطائفة اليهودية السابقة في القاهرة في شهر أكتوبر عام ١٩٨٧ قالت أن عدد اليهود في مصر الآن لا يزيد عن ١٢٠ شخصاً أغلبهم من كبسار السن وهم أفراد متناثرون بمعنى الكلمة إذ أن الأسر تكاد تكون غير موجودة باستثناء أسرتين أو ثلاث ، هؤلاء الـ ١٢٠ يعيشون على بيع بعض ممتلكاتهم أو على الامانة التى خصصتها أحد المنظمات اليهودية الدولية وهى لا تتعدى ٥ جنيهات مصرية لكل فرد ، وعن حياتهم في مصر قالت فينيست : « نحن نعيش في مصر كأي فرد من أفراد الشعب ونختلط بجيراننا المسلمين والمسيحيين ولنا صداقات

كثيرة ، ولا نشعر بتفرقة من أى نوع ، والمشكلة الوحيدة التى نعانيها اننا أصبحنا طائفة على وشك الانقراض فلا توجد أسر لكى تتناسل وتعوض من يموتون ، وحتى المعابد الباقية وعددهم ١٢ معبداً أصبحت معابد مهجورة وأحياناً ما تقام الصلاة فى معبدتين أو ثلاثة من هذه المعابد .. وحتى المعابد لا تفتح فى أيام السبت لأن الصلوات الجماعية تشترط عدداً من الرجال لا يقل عن عشرة أفراد أو اثنى عشر عند طوائف أخرى ، هذا العدد يصعب استكماله فى مواعيد الصلاة الأسبوعية نظراً لأن عدد الرجال فى الطائفة قليل بالنسبة لعدد النساء ، كما أن الحالة الصحية لمعظمهم لا تسمح لهم بالذهاب لأقامة الصلوات !!

ويقول « روبير نحمان » سكرتير الطائفة اليهودية بالقاهرة ، والذى يقوم أيضاً بمهمة رعاية الشئون الدينية - حيث لا يوجد حالياً حاخام للطائفة - فقط فى المناسبات الدينية الكبرى يحضر حاخام من إسرائيل ! يقول « الخواجه روبير » أن بالقاهرة ١٩٤ امرأة يهودية و ٤ رجال فقط ، أما عددهم فى الاسكندرية فلا يزيد عن ١٥ يهودياً ! ...

ولا يوجد شباب يهودى فى مصر فى سن الثلاثين أو حتى الخمسين ومنذ ٣٥ عام شهدت القاهرة آخر حفل زواج يهودى ، كل الرجال اليهود سافروا خارج مصر حتى يؤمنون مستقبل أولادهم .

ولا يوجد حاخام لليهود القاهرة وكان آخر حاخام منذ ٢٥ عاماً ، وأقوم بدوره لو كانت هناك صلاة جماعية ، وفى أغلب المناسبات والاحتفالات الدينية اليهودية يحضر إلينا حاخام من إسرائيل مرتين أو أكثر فى السنة وبرفقتة بعض اليهود حتى يكتمل العدد عشرة أشخاص لأقامة صلاة الجماعة ويصلى يهود القاهرة

صلاة فردية عادية في معظم الأوقات . ولم نحتفل منذ أربعين عاماً
بعيد ميلاد فليس لدينا أطفال يهود صغار .

ومعظم اليهوديات متزوجات من مسلمين أو أقباط وبعضهن
مازلن على الديانة اليهودية . وتساعدن الطائفة مادياً ومعنوياً
ولدينا ست سيدات اعتنقن الاسلام والمسيحية .

وليست لنا مطالب من الدولة فنعدنا بسيط ولا نعمل في
السياسة والطائفة غنية وتنفق علينا . . أنا شخصياً اتلقى ٢٥٠
جنيها شهرياً اعانة من الطائفة ، أما السيدات اللواتي لا يعملن
أغلبهن يحصلن على مساعدة مالية قدرها ٢٠٠ جنيه كل شهر . .

وغير صحيح اننا — كطائفة — طالبنا وزارة الثقافة بإنشاء
معبد أو متحف جديد أو حائط مبكى في القاهرة كما ردد البعض في
الآونة الأخيرة كيف نطلب هذا بينما لا يوجد في القاهرة رجال يهود
سوى أربعة فقط . . أنا واحد منهم ! لم نطلب شيئاً من أى جهة
رسمية على الإطلاق ! . .

ومعظم العاملين بالمركز الاكاديمى الاسرائيلى وبالسفارة
الاسرائيلية يحضرون للصلاة في المعبد اليهودى بشارع عدلى والسفير
الامريكى دانيال كيتزر يأتى مع زوجته في المناسبات الدينية الكبيرة
وكذلك السفير الاسرائيلى ولكن كل بمفرده .

المركز الاكاديمى الاسرائيلى يمنحنا في الأعياد الدينية التى
تستمر ثمانية أيام عيش الكاثير ورقاقا ولحوماً وعلباً غذائية
يهودية معينة تأتى إلينا من اسرائيل ، قبل ذلك كنا نأخذ تلك
المعونات من الولايات المتحدة الامريكية ثم من فرنسا .

كل الأدوية وأجور العلاج لليهود بالمستشفيات تدفعها إسرائيل من طريق الأصدقاء القادمين من الولايات المتحدة الأمريكية من منظمة يهود أمريكا ، أنا شخصياً أتسلم من ٥٠ الى ٦٠ جنيهاً شهرياً كأدوية نظراً لصابتي بالقلب .

بالمناسبة السيدة هيلارى كليتتون فى زيارتها للقاهرة منحت الأقباط عدة ملايين من الدولارات رغم أننا كيهود نحتاج أكثر منهم ! ولكن مدام كارمن لم تتحدث معها فى هذا الأمر !!

معبد القربى بمصر الجديدة لا نقوم بأداء الشعائر والصلوات فيه ، نصلى فى معبد المعادى الذى قامت الطائفة باصلاحه وترميمه على نفقتها الخاصة .

بطلنا ندفن موتى اليهود فى مقابر الطور بسبب مشكلة المياه الجوفية هناك الآن ندفن فى مقابر اليهود بالبساتين التى اشتريناها بـ ٢ مليون للمتر منذ سنوات طويلة شوف دلوقت المتر هنا بكام ! نحن لا نبيع أو نشترى فيها ... هناك يهود خارج اطار الطائفة عددهم من ٢٠ الى ٣٠ لبست لهم علاقة بالطائفة .

لم ار السيدة « ليا » زوجة د. بطرس غالى مرة واحدة فى المعبد فهى لا تاتى للصلاة عندنا !!

ويعتقد «جو هرارى» رئيس الطائفة اليهودية بالاسكندرية :

.. ان من كتبوا عن معاناة اليهود فى مصر خلال السنوات الأخيرة من الأربعينيات وحتى نهاية الستينيات قد بالغوا كثيراً فى تصوير هذه المعاناة وخلطوا بين معاملة الدولة لليهود الأجانب وبين معاملتها لليهود المصريين . ويقول هرارى الذى ولد فى ١٣ ابريل عام

١٩١٢ فى حى وكالة اللىمون اءء أقر أءاء الاسكندرية ، انه عاش طيلة أءاءه فى مصر ءون مشاكل ، وءى كونه من أسرة سورىة نزءت لمصر فى منءصف القرن التاسع عشر ولم ءحصل على الجنسفة المصرفة وهذا لم ىءلق له مشكلة حقففة ، فعنءما بلغ سن ءءنفة ءفع ما كان ىسمى « بالءءل » وقفمءه عشرون ءنفها ءفى لا ىسم ءءنفءه ، وهو ءقلفء كان شائءاً فى مصر قبل ءوقفع معاهءة عام ١٩٣٦ ، وقد اسءءءم ءو هرارى وثفقة البءل لكى ىءبء ءنسفة المصرفة ، وعنءما ءعرض الفوء الأءانب أو الءفن صنفوا على انهم بءون ءنسفة للطرء بعء حرب عام ١٩٥٦ لم ىسر هذا الأءراء على هرارى الءى ظل فعمل فى الءكان الءى فملكه والمءءصص فى ءءارة أءواء الءفائة .

ولا فءءكر هرارى أنه ءعرض لآى نوع من المضافاء من ءفرانه ءفى فى أءلك الأوقات ءاصة بعء هزفمة فونفو عام ١٩٦٧ ، وعن وصوله لمنصب رففس الطائفة الفوءفة بالاسكندرففة رغم أنه أمى لا فقرأ ولا فءكب وان كان فءءء العربفة والفرففسفة فقول هرارى : « لقد ظللء عضاوا بالءمفة الفوءفة — الاسم الءى اسءءمه بءلا من الطائفة — لءة أربعفن عاماً ، وءلال هذه السنفاء كانت أءاء الفوء فى مصر ءءناقص بسبب الهءراء الكبرة للشباب الفوءى فى مصر وكءلك بسبب معءل الوففساء الطففى ، ولا ءعرف الطائفة منذ عام ١٩٥٦ أى نظام انءخابى لاءفار رففس الطائفة بل ففم اءفار اءء الأشخاص الءفن فءظون بقبول معظم الفوء ، ففقول هرارى أن موء أغلب رجال الطائفة من اصءاب المهن المرموقة مثل الأطباء والمهندسفن والمءاسبفن قد مكفه فى النفاة من الوصول لمنصب رئاسة الطائفة رغم أنه لم فلق أى نوع من ءءلفم !

وحاليا لم يعد هناك سوى ٥٠ يهودياً في الاسكندرية منهم ٤٥ امرأة وخمسة رجال ، ولان الشريعة اليهودية تشترط اقامة صلوات السبت في وجود عشرة رجال على الاقل فان اليهود الذين مازالوا على قيد الحياة لا يؤدون صلوات جماعية ويقوم كل منهم بالصلاة بمفرده ورغم ذلك يقول هرارى انه لم يكن متديناً طيلة حياته ولم يتزوج ايضاً ويعتقد ان الصلاة اليهودية الآن تقتصر على الاعياد والمناسبات الدينية ، ويقوم حاخام اسرائيلي اسمه « البير شيرازى » بالحضور الى مصر في عيد رأس السنة العبرية وعيد الفصح لاقامة شعائر الاحتفال حيث لا يوجد بالاسكندرية أى شخص يمكن أن يتولى منصب الحاخامية . وتدلل سكرتيرة الطائفة لنا متاتيا ، وهى من أسرة يونانية سكنت الاسكندرية منذ القرن الماضى على عدم اعتناء اليهود بالمسائل الدينية بقولها : اننا نأكل اكل الطريق ، أى اكلا عادياً في مقابل الطعام « الكوشير » أى المحلل دينياً والذي يجب أن تجرى عليه طقوس دينية خاصة بالنسبة للحوم والخبز » ويقول هرارى : « نحن نعيش كمصريين مسلمين أو مسيحيين ونأكل من أكل السوق شأن أى أسرة مصرية والطعام « الكوشير » نتناوله مرة أو مرتين في السنة عندما يأتى الحاخام شيرازى من اسرائيل لاقامة الصلوات في الأعياد » .

عن الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية للطائفة ، يقول هرارى : لم يعد لليهود في الاسكندرية أى نشاط يذكر فقد اغلقت كل النوادى والجمعيات اليهودية بل والمستشفيات والمدارس ايضاً منذ أوائل الستينيات ، وحاليا أصبح جميع أفرادها من كبار السن وبعضهم فقير تقوم الطائفة بالاتفاق عليه وعلاجه وبعضهم دخل بيوت المسنين ليعيش فيها أيامه الأخيرة نظراً لعجزه عن خدمة نفسه . وتتلقى الطائفة معونات من بعض المؤسسات اليهودية الخيرية الى جانب الدخل الذى تحصل عليه من املاكها وهى عبارة عن بعض العمارات التى تؤجرها الطائفة منذ سنوات طويلة

لسكان لا يدفعون سوى ايجارات قليلة وهناك بعض اليهود أيضا يتلقون معاشات من الأعمال التي كانوا ملتحقين بها سواء في القطاع العام أو الخاص .

وعن علاقة الطائفة بالاسكندرية بنظيرتها في القاهرة ، قال هرارى : « ليست هناك علاقات بين الطائفتين ، هناك زيارات كان رئيس الطائفة القرائية في القاهرة يوسف القدسي يقوم بها من حين لآخر للاسكندرية ، ولكنه لم يكن يقبل الصلاة في معابد الطائفة التي تنتمي للربانيين وقبل وفاة القدسي عام ١٩٩٦ حضر الى الاسكندرية وتحدث عن مشكلة مقابر اليهود في القاهرة والتي قامت الدولة بنقل بعضها حتى لا تعترض الطريق الدائري الجديد للقاهرة ، ويقول هرارى : ان الطائفة بالاسكندرية لا تعاني هذه المشكلة حيث تمتلك الطائفة ثلاث مقابر ، واحدة في الازاريطسة والأخريات في الشاطبي ، ومعبد في المنشية غير مستغل على الإطلاق ، ويخشى هرارى أن يموت اليهود الباقون جميعا ، ويتسائل كيهودى يؤمن بضرورة الحفاظ على عظام الموتى كاملة على مر الزمان « ما هو مصير مظاهنا بعد أن تنتهى الطائفة بالكامل » !! »

BIBLIOGRAPHIE

1. Bulletin of the Israeli Academic Center in Cairo.
2. Cohen, Mark : « Jewish Life in Medieval Egypt 641-1382 » Tel Aviv Univ., 1987.
3. Fargeon, Maurice : Les Juifs d'Egypte, Depuis les origines Jusqu'à Ce Jour, le Caire, imprmerie paul Barbey, 1938.
4. Farhi, Noury : La communauté Juive d'Alexandrie à nos Jours, Conférences à l'ouvroir des Ecoles de la Communauté Israelite d'Alexandrie, 1945.
5. Goitein S. D. : A Mediterranean Society, the Jewish communities as Portayed in the Documents of the Cairo Geniza, Univ. of California press - Los Angeles London, 1967 - 1983.
6. Hassoun, Jacques : « a Mosaïques Egyptiennes » in combat pour la Diaspora, n 3, 1980.
7. Hassoun, Jacques : « Juifs d'Egypte, Images . et textes » contributions de Zivie A., Morabia A., Stam-bouli J., Gabbai E., Krämer G., Harari E., 1984.
8. Hayyim Cohen : Jews of the Middle East, Jerusalem, 1973.
9. Landau Jacob : Jews in nineteenth century Egypt, New York Univ. Press, 1969.

10. Lewis, Bernard : The Jews of Islam, Princeton, 1984.
11. Lilienthal, Alfred : What price Israel ? Chicago, 1953.
12. Mann, Jacob : Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, London, 1970.
13. Masri, Jean : le Judaïsme Egyptien, Vol 1 : La communauté d'Alexandrie, Alexandrie, 1948.
14. Memmi, Albert : Juifs et Arabes, Paris, 1975.
15. Mizrahi, Maurice : l'Egypte et ses Juifs, Le temps revolu xixè et xxè siècles, Geneve, 1977.
16. Najar, Albert : Rapport sur l'Egypte Presented to the President of the Aillance Israélite Universelle, 1901.
17. Memoy, Leon : A modern Egyptian Manual of the Karaite Faith, Jewish Quarterly Rev. 62, 1971-72.
18. Owen E., Roger J. : Cotton and the Egyptian Economy 1820-1914, A study in trade and development, Oxford 1969.
19. Peretz, Don : Egyptian Jews Today, London, 1981.
20. Prato, David : Cinque annidi Rabbinate, Alexandria, 1933.
21. Roumani, Maurice : The case of the Jews from Arab countries, A Neglected Issue, Tel Aviv, 1978.
22. Samuel, Sydney : Jewish life in the East, London, 1881.

23. Shamir, Shimon : The Jews of Egypt : A Mediterranean society in modern times, Boulder, 1987.
24. Taragan, Bension : Les Communautés israélites d'Alexandrie, A percú historique, depuis les temps des ptolémées Jusqu'à nos Jours. Alexandrie, 1932.
25. Woolfson, Marion : Prophets in Babylon : Jews in the Arab World, London, 1980.

المراجع العربية

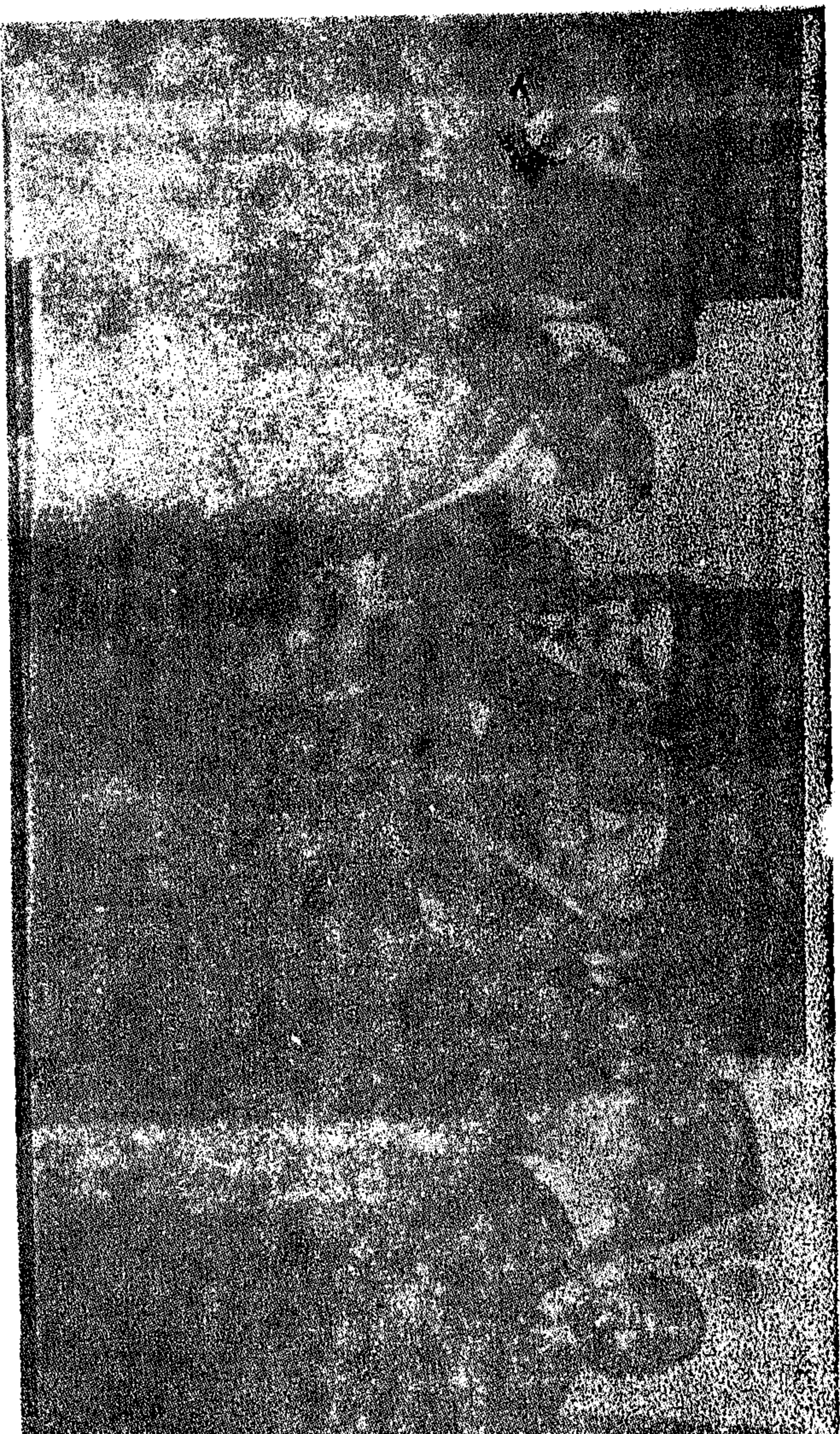
- ١ — د. رشاد الشامي : الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية — سلسلة « عالم المعرفة » عدد ١٠٢ ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب — الكويت .
- ٢ — سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجالاتهم عن رسالة ماجستير قدمتها بعنوان « صحافة اليهود العربية في مصر » عام ١٩٧٤ .
- ٣ — د. على شلتس : اليهود والماسون في مصر — دراسة تاريخية ، كتاب الزهراء ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- ٤ — عرفة عبده على : دراسات منشورة بمجلة « الهلال » :
 - « المحافل والمعابد اليهودية في مصر » نوفمبر ١٩٨٩ .
 - « مقابر اليهود وتهريب وثائق الجنيزه » فبراير ١٩٩٠ .
 - « يهود مصر من الاندماج الى الهجرة » مايو ١٩٩٠ .
 - « حكاية وثائق جنيزة القاهرة واهميتها التاريخية » أغسطس ١٩٩٠ .
 - « اك الثقافة العربية في ثقافات الجماعات اليهودية » مارس ١٩٩١ .

— « يهود في تاريخ الفن المصرى » مجلة (المجلة) عدد
٦٤٤ ، لندن ، ١٠ ، ١٦ يونيو ١٩٩٢ .

— « يهود مصر في العصر الحديث — منذ عصر محمد
على باشا حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ » (١٠ حلقات)
١٣ سبتمبر — ٦ نوفمبر ١٩٩٣ بجريدة « الشرق »
القطرية .

الأشكال

النجاس باشا رئيس الوزراء يحيى « شلومولير طوق » قائد الاوركسترا
وبينهما فرّاد سراج الدين باشا وزير الداخلية وسكرتير حزب الوفد





الملك فاروق ورئيس « مكابي مصر » (١٩٤٠)

العدد ١٧٢ القاهرة في ١٣ شعبان سنة ١٣٧٢ هـ - أول نوفمبر سنة ١٩٥٢ (السنة الثامنة)

8 me Année

No 172

الكليم

الاشتراكات

٥ فرنقا عرسية

الإدارة

١٥ شارع طوبسي

القاهرة - مصر

مناصب الامتياز

السيد الاسرائيلي

الفراتين

رئيس التحرير

يوسف كمال

(AL-KALIM Revue Israelite Caraime)

16, Rue Torsina - Le Caire - Egypte

الرئيس اللواء محمد نجيب يزور كنيسة طائفة الكليم



حديث ردي بين الرئيس القائد والمخاض الأكبر في غرفة الاستقبال

رئيس زل به سيدة داود

مصور السيد طاهر

زيارة الرئيس الراحل محمد نجيب الى معهد طائفة القرائين « موسى الدرعي »

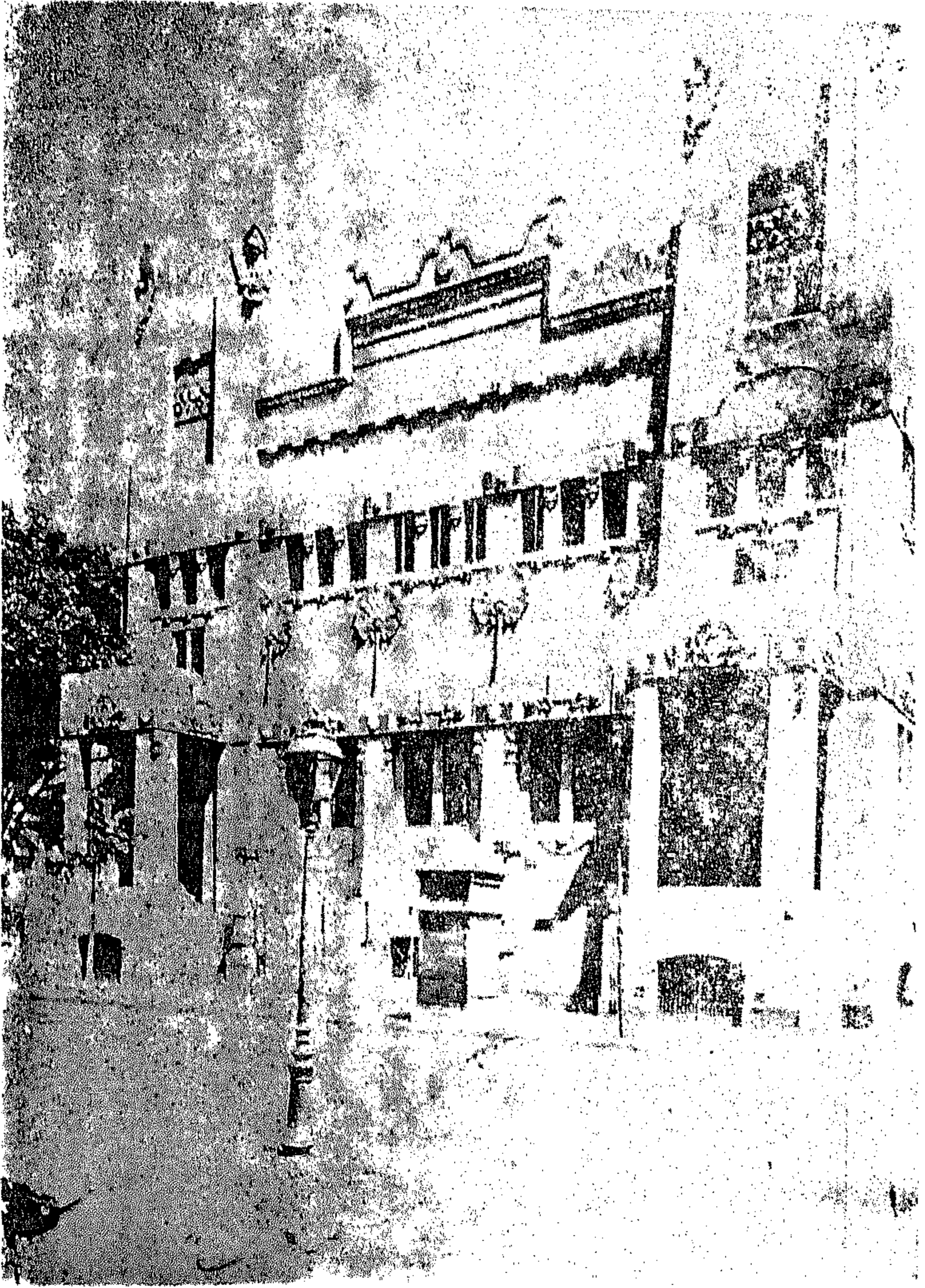
تتصدر غلاف مجلة « الكليم »



يعقوب صنوا « ابو نصاره »



١٠ - أحمد الحكيم، الحاكم الأكبر وعضو مجمع اللغة العربية



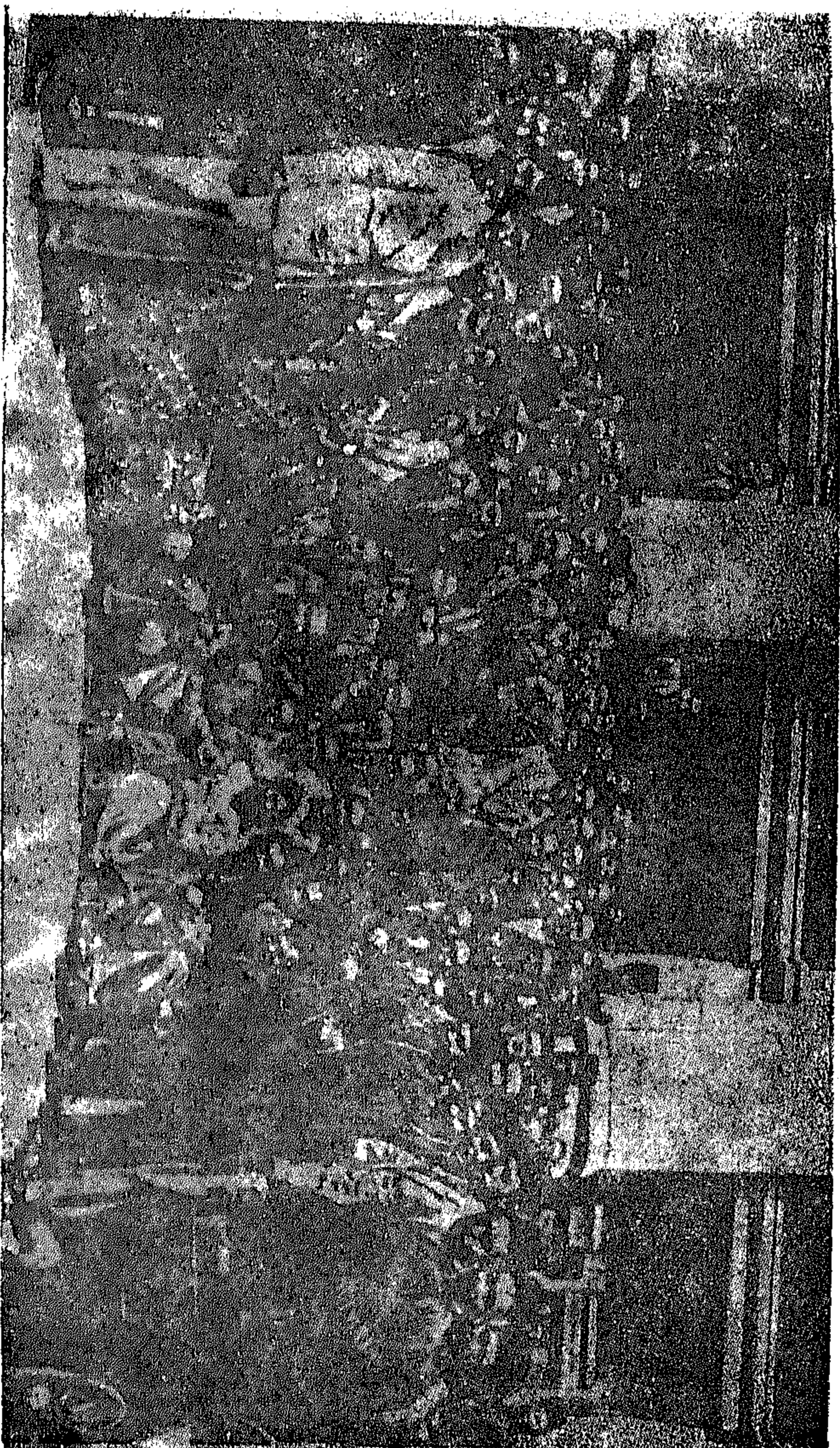
صورة نادرة لمبنى شارع هاشاميم (أبواب السماء) بشارع عدلي عام ١٩٢٠

يهود من الطبقة الثرية بالاسكندرية في يوم الاحتفال بعيد « اليهوديم »



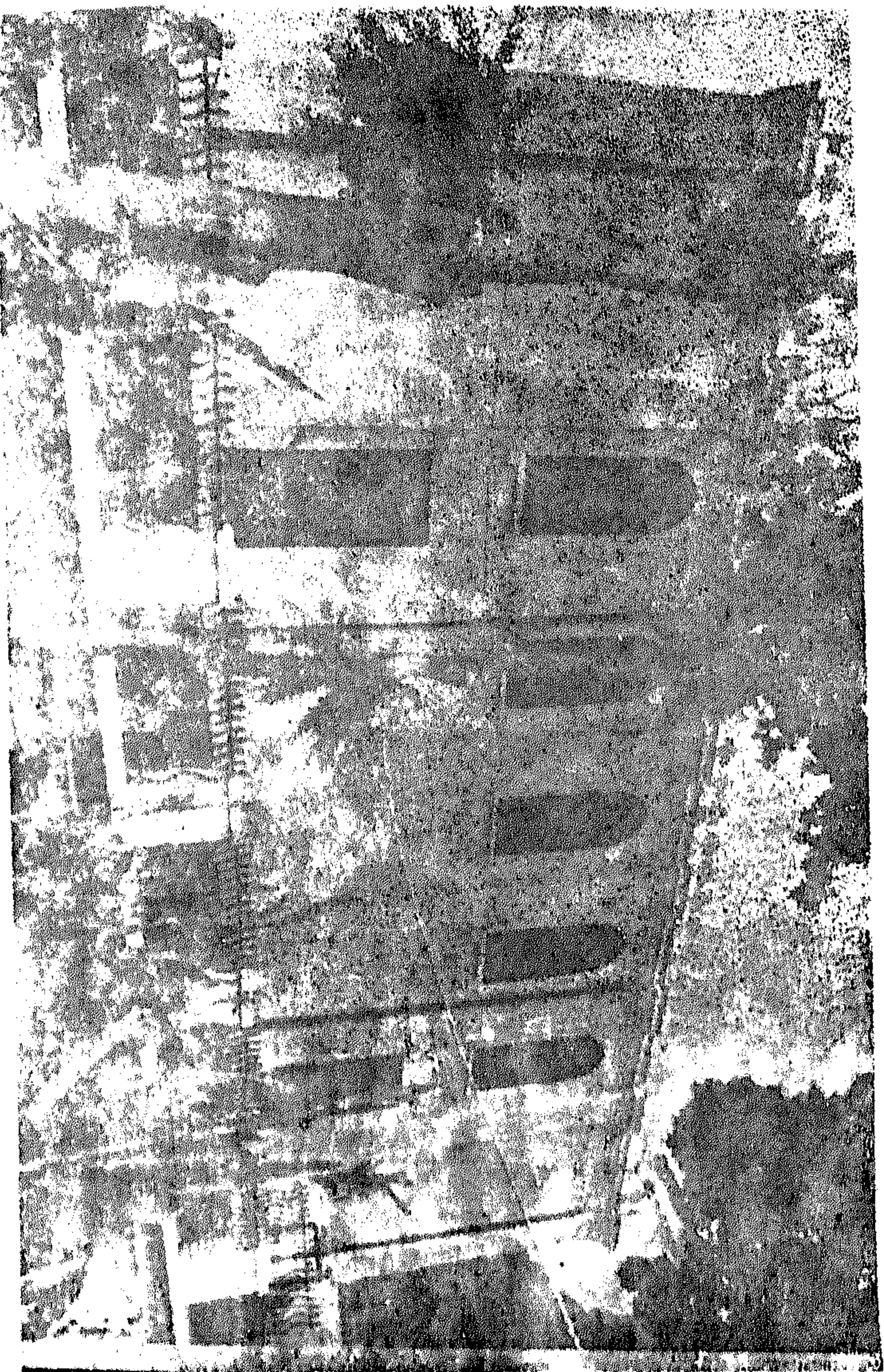
مہجد الہارون د دی منشہ ہ بجی معرم ہک

واجهه ميبد با حاد استقي



«
طام ١٩٣٥ أساتذة من الجامعة العربية وأساتذة وطالب مصريون في الاحتفال بمرور ٨٠٠ عام على ميلاد «
يتوسطهم أحمد نقي السيد رئيس الجامعة المصرية

واجهة مسجد بن عزرا بعض القديمة





عروس عقب الحمام الديني



معبد اليهود القرائين



داخل معبد « زاراديل » بحارة اليهود بسوق السمك القديم بالاسكندرية



حاييم موسى دويك الحاخام الاكبر بالقاهرة (١٩٦٠ - ١٩٧٢)



حاييم موسى دويكنا الداخام الاكبر بالقاهرة (١٩٦٠ - ١٩٧٣)



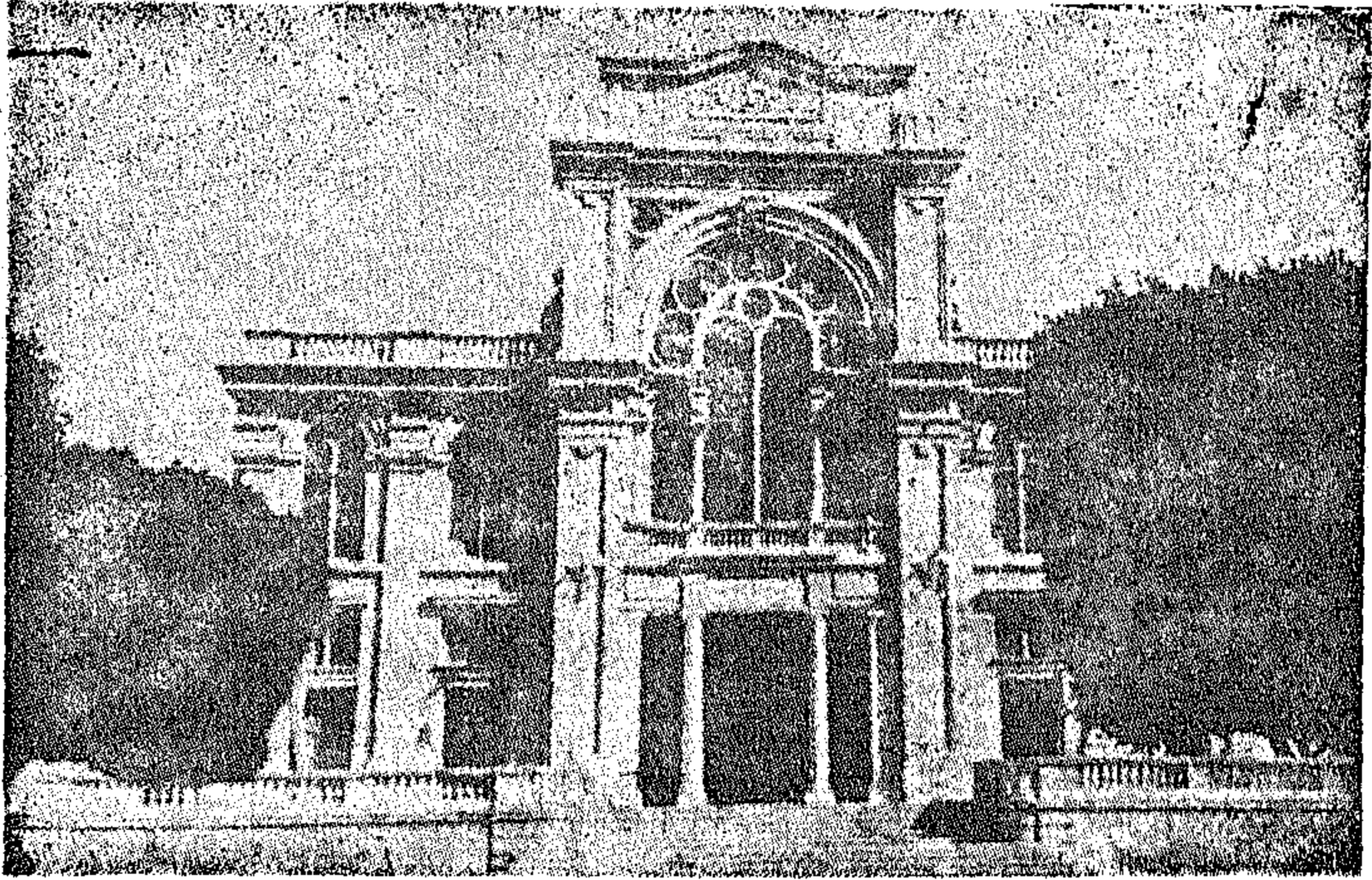
اليهو اسراييل الحاخام الأكبر بالقاهرة (١٨٤٧ - ١٨٦٦) وقد تقلد ابنه
« يوم طوق اسراييل » هذا المنصب في الفترة (١٨٦٩ - ١٨٩٠)



موشى باردو : الحاكم الأكبر لاسكندرية (١٨٧٣ - ١٨٨٨)



الحاخام ابراهام أبو خضير رئيس محكمة اليهود الربانيين بالاسكندرية



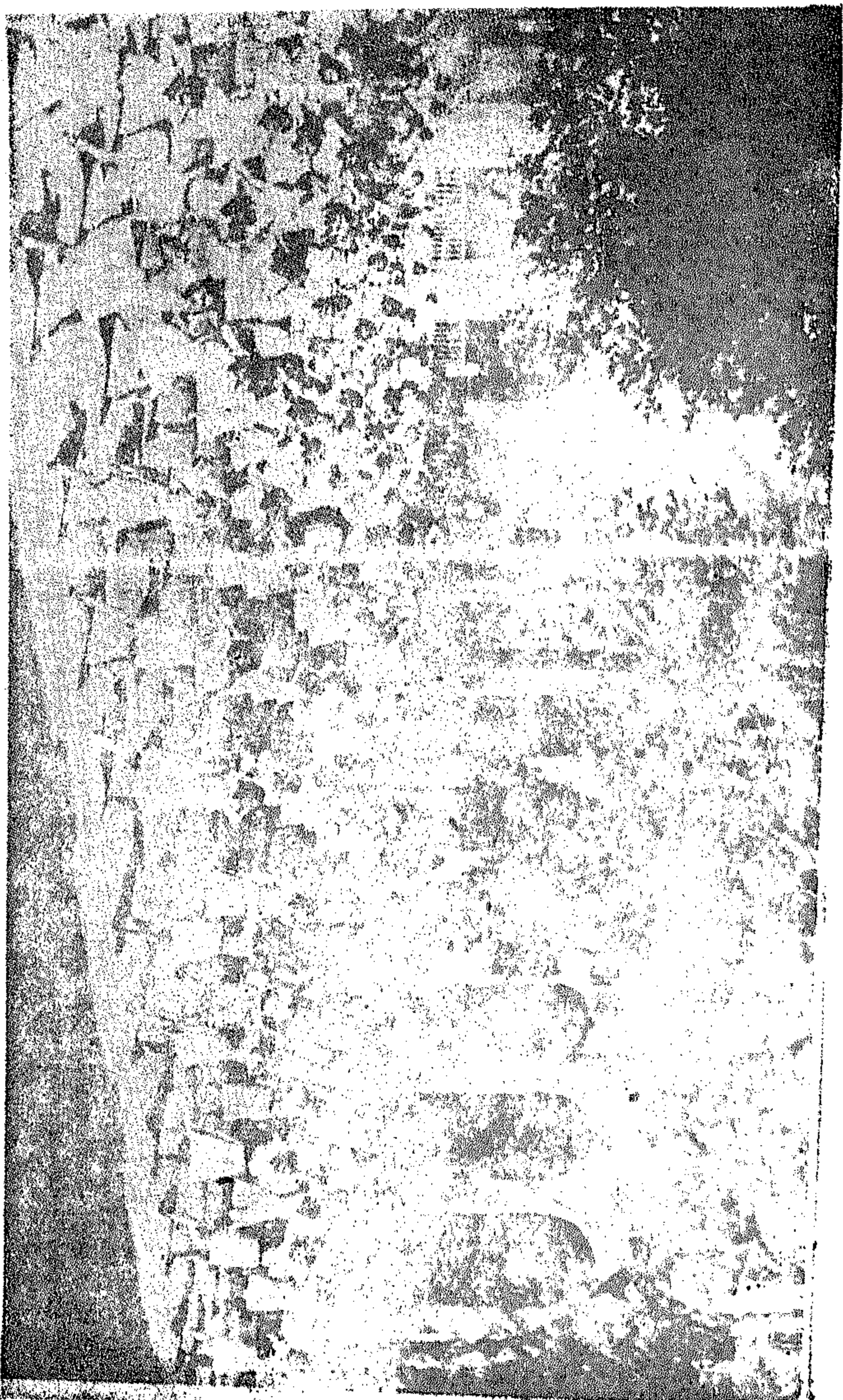
محفل « الياهو هانبي » بالاسكندرية



عرض اسفار التوراه بمعبد
الياهو هانبي بالاسكندرية

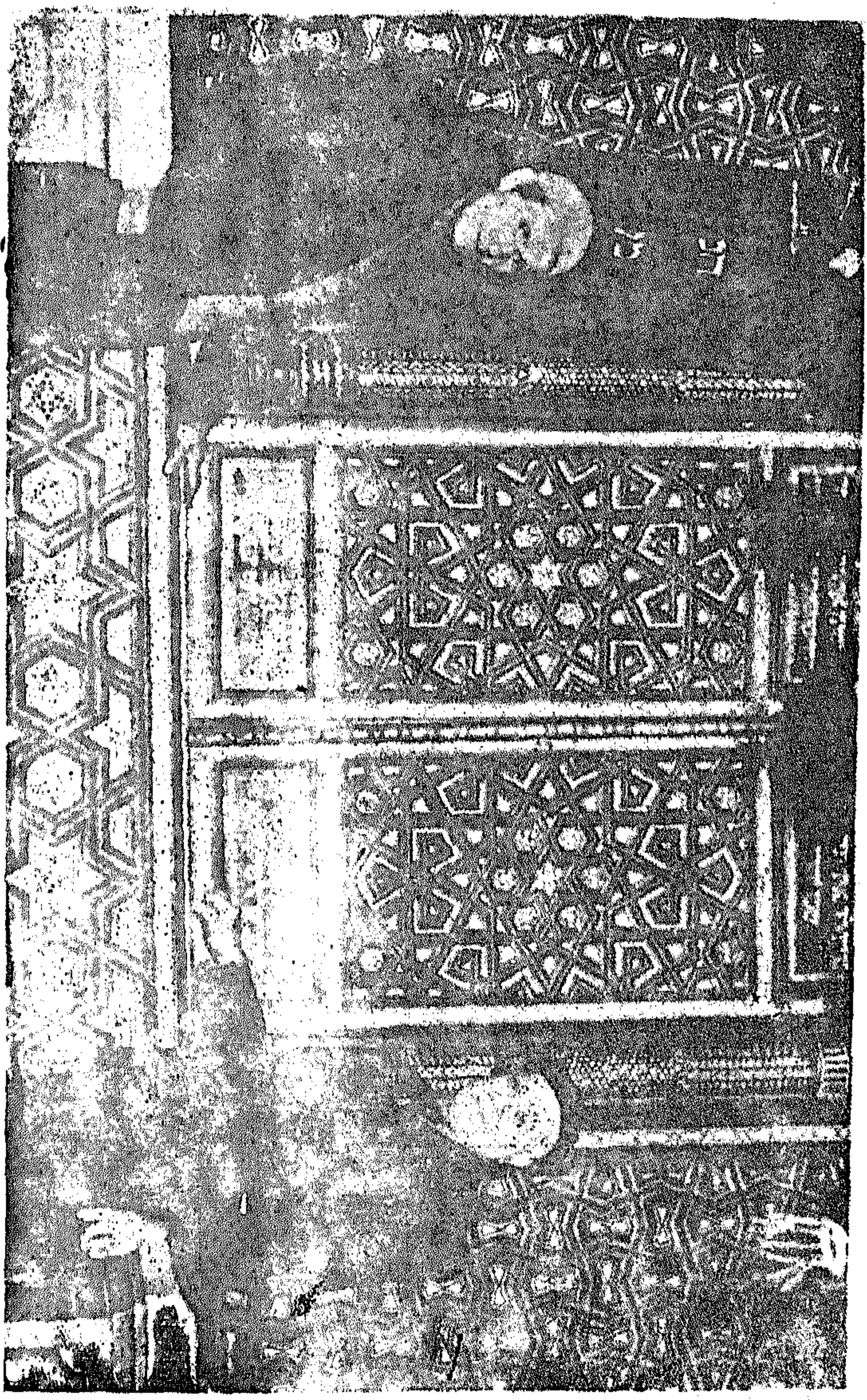


خندان طفل یهودی

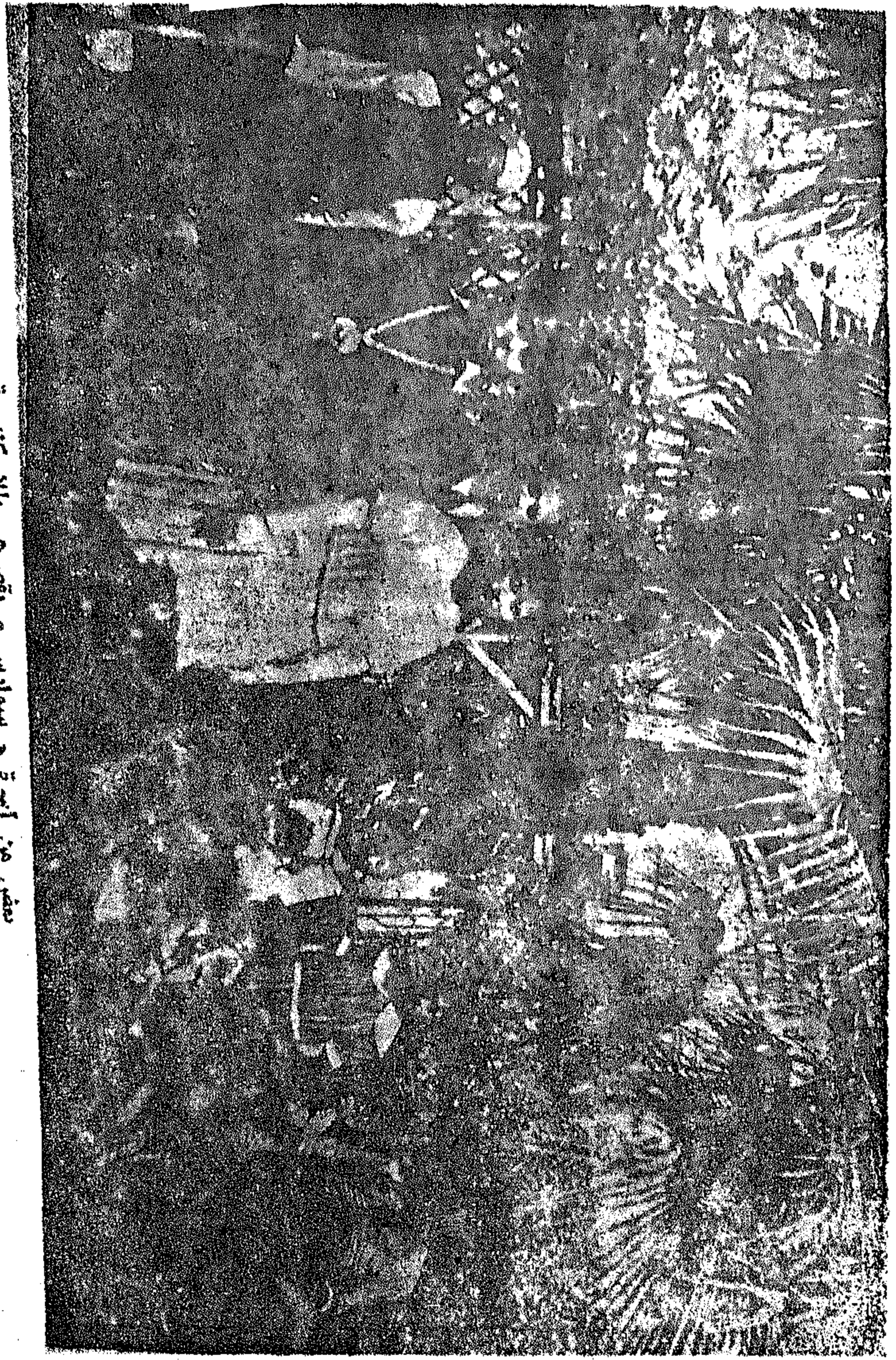


في كيسييه الاتحاد اليهودي للبحات عام ١٩٤٢

امام الغيبي القاسم بن عزرا بهمن القرطبي

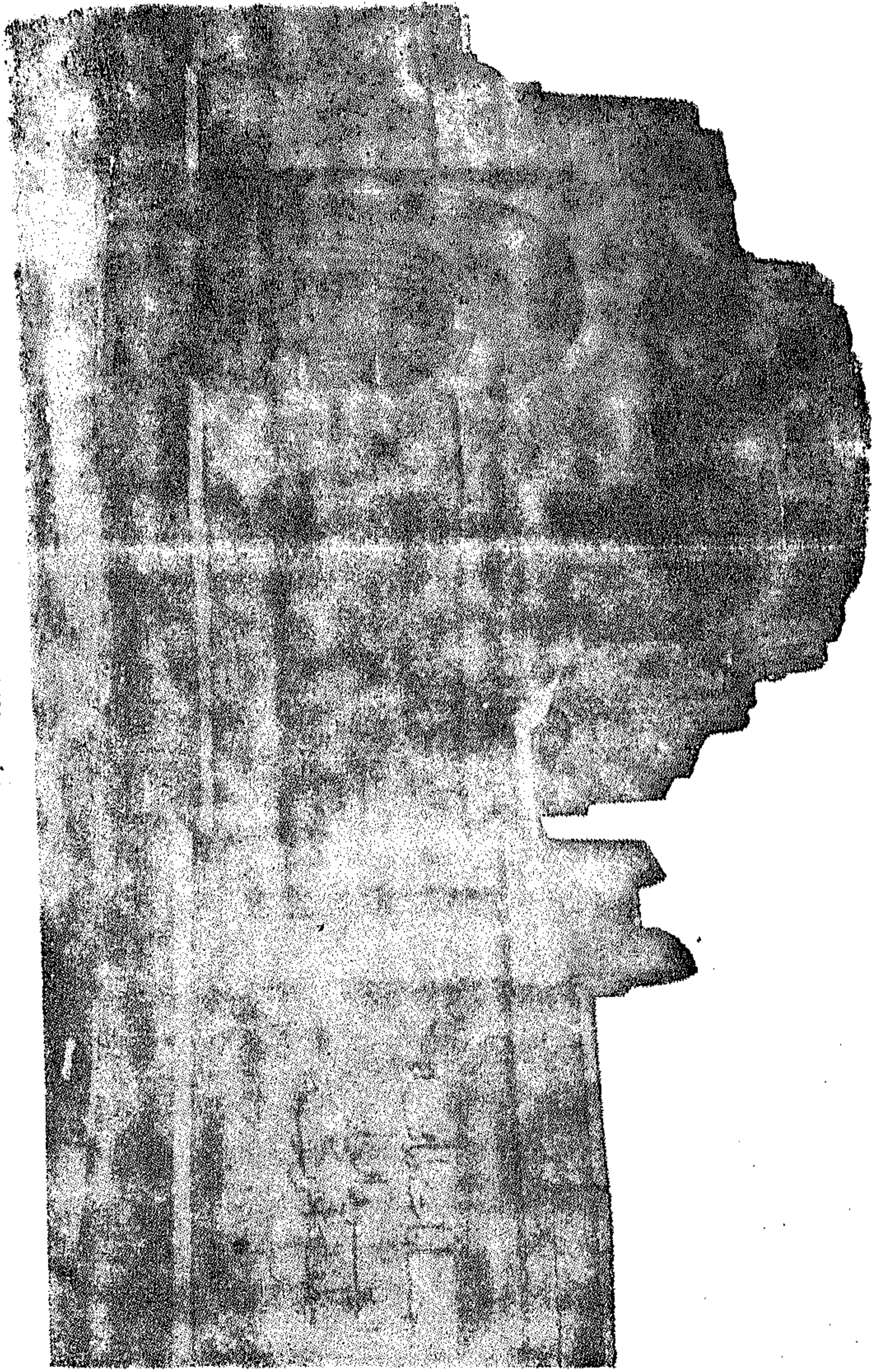


بعض من أسيرة سوارس « بقصرهم بالاسكندرية



منفق النخام والأكبر لمطابقة اليهودية » حاييم ناحوم أفندي «

مجلس علماء



فهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
مقدمة	٧
اليهود في مصر الفرعونية	٢١
حادثة الخروج .. والقرصنة التاريخية	٣٤
الهوامش	٤٢
يهود مصر في عصر البطالة	٤٥
الهوامش	٦٠
ليهود في مصر الرومانية	٦٣
الهوامش	٩٥
يهود مصر الاسلامية	٩٩
اثر الثقافة العربية في ثقافة الجماعات اليهودية	١٣٩
وثائق جنيزة القاهرة	١٤٩
الهوامش	١٥٩
يهود مصر الحديثة	١٦٣

٢٠٣	مؤسسات الرعاية الاجتماعية والرياضية والثقافية بالقاهرة
٢٠٨	المدارس . . اعداد شباب اسرائيلى متعصب . . .
٢١٢	المحافل والمعابد اليهودية فى القاهرة
٢٣٣	الزواج والتقاليد الخاصة والأعياد
٢٥١	كول نيدريه . . . والتحلل من جميع العهود والمواثيق . .
٢٥٩	الهوامش
٢٦١	ادواردلين . . ويهود مصر
٢٦٧	عصر الهيمنة اليهودية على الاقتصاد المصرى . . .
٣٠١	الحياة الثقافية ليهود مصر
	جمعية « المباحث »
٣١٣	الأبحاث التاريخية الاسرائيلية المصرية
٣١٧	يهود . . فى تاريخ الفن المصرى
٣٣٧	النشاط السياسى وعمليات التجسس اليهودى فى مصر .
٣٤٥	النشاط الصهيونى فى مصر
٣٥٣	التجسس اليهودى فى مصر
٣٧٧	يهود الاسكدرية
٣٩٣	ازدهار . . وتدهور !
٤٠٧	أوهام غزو التاريخ

الموضوع	الصفحة
الهوامش	٤١٥
مصطلحات يهودية	٤١٧
مصادر دراسة تاريخ يهود مصر في القرن التاسع عشر	٤٤١
الأيام الأخيرة	٤٦١
المراجع العربية	٤٧٩
الأشكال	٤٨١

صدر في هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ،
د. عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٢ - علي ماهر،
رفوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة،
د. محمد نسيان جلال، ١٩٨٧.
- ٥ - ضارات أوروبا على الشواطير المصرية
في العصور الوسطى،
د. عطية عبد المسيح الجنزوري، ١٩٨٧.
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج ١،
أحمد مصطفى، ١٩٨٧.
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي،
د. عبد السلام ماجد، ١٩٨٧.
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية،
د. علي بركات، ١٩٨٧.
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د. محمد أنيس، ١٩٨٧.
- ١٠ - توفيق دياب ملحة الصحافة الحزبية،
محمود فوزي، ١٩٨٧.
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكري القاسبي، ١٩٨٧.
- ١٢ - هادي شعراوي وعصر التنوير،
د. نبيل راجب، ١٩٨٨.
- ١٣ - أكاذيب الاستعمار المصري للعودان: رؤية
تاريخية،
د. عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.
- ١٤ - مصر في عصر الولاة، من الفتح العربي
إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الإسلامي،
د. علي حسني الخريوطي، ١٩٨٨.
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الإصلاح
الاجتماعي في مصر: دراسة عن دور
الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د. حلمي أحمد شابي، ١٩٨٨.
- ١٧ - القضاء الفرعي في مصر في العصر
العثماني،
د. محمد نور فرحات، ١٩٨٨.
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية،
د. علي السيد محمود، ١٩٨٨.
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د. أحمد محمود صابر، ١٩٨٨.
- ٢٠ - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩،
المراسلات السرية بين سعد زغلول
وعبد الرحمن فهمي،
د. محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.
- ٢١ - التصوف في مصر إبان العصر العثماني
ج ١،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر، جمال بدوي، ١٩٨٨
- ٢٣ - التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج٢، إمام التصوف في مصر: الشعراي، د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.
- ٢٤ - الصحافة الوطنية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦)، د. نجوى كامل، ١٩٨٩.
- ٢٥ - المجتمع الإسلامي والقرب، تأليف: هاملتون بوبين، وأروالد بوبين، ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة، د. سعيد إسماعيل علي، ١٩٨٩.
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج١، تأليف: ألفريد ج. بيلر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج٢، تأليف: ألفريد ج. بيلر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
- ٢٩ - مصر في عهد الإخشيديين، د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.
- ٣٠ - الموقلون في مصر في عهد محمد علي، د. حسي أحمد شلبي، ١٩٨٠.
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية، شكرى القاسى، ١٩٨٩.
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج٢، لحنى سليمى، ١٩٨٩.
- ٣٣ - مصر وأضايا الجنوب الأفريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية، د. خالد مسعود لكرى، ١٩٨٩.
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المصرية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، د. يوانا لبيب رلى، محمد مزين، ١٩٩٠.
- ٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة، عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٠.
- ٣٦ - المجتمع الإسلامى والقرب ج٢، تأليف: هاملتون بوبين، ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
- ٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المزيد: تاريخ الحرية الوطنية في ربع قرن، تأليف: د. سليمان صالح، ١٩٩٠.
- ٣٨ - أصول من تاريخ مصر الاقتصادية والاجتماعى في العصر العثماني، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ١٩٩٠.
- ٣٩ - قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)، د. جميل حبيب، ١٩٩٠.
- ٤٠ - الأسلحة القاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨، د. عبدالمعص النبوى لحيى، ١٩٩٠.
- ٤١ - محمد فريد المواقف والأساسة، رؤية مصرية، د. رافت السيد، ١٩٩١.
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور، محمد شفيق غريال، ط٢، ١٩٩٠.
- ٤٣ - رحلة في حقول مصرية، إبراهيم عبد الحزى، ١٩٩٠.
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر، في العصر العثماني، د. محمد عطوى، ١٩٩١.
- ٤٥ - الحروب الصليبية ج١، تأليف: وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د. حسن حبشى، ١٩٩١.
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩: ١٩٥٧)، ترجمة: د. عبدالرزاق أحمد صبرى، ١٩٩١.

- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث،
د. خليفة محمد سالم، ١٩٩١.
- ٤٨ - الفلاح المصري بين العصر القبطي
والعصر الإسلامي،
د. زبيدة عطا، ١٩٩١.
- ٤٩ - العلاقات المصرية الإسرائيلية
(١٩٤٨-١٩٧٩)،
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
(١٩٤٦-١٩٥٤)،
د. مهيير اسكندر، ١٩٩٣.
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار
بالمجلس الأعلى للثقافة، في إبريل ١٩٩١)،
أعدتها للنشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والكتايل
الفراسيين في القرن الثامن عشر،
د. إلهام محمد علي زمللي، ١٩٩٢.
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة
المماليك الجراكسة،
د. محمد كمال الدين عز الدين علي، ١٩٩٢.
- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني،
د. محمد عفيفي، ١٩٩٢.
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢،
تأليف: وايم الصوري ترجمة وتعليق: د.
حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي:
دراسة عن إقليم المتولوية،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٢.
- ٥٧ - مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢.
- ٥٨ - أحمد حلمي مجيب الحرية والصحافة،
د. إبراهيم عبدالله السلي، ١٩٩٣.
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر، من
التمصير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١)،
د. عبد السلام عبدالعظيم عامر، ١٩٩٣.
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكي، ١٩٩٣.
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث،
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٣،
أحمد الطيبي، ١٩٩٣.
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ
مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين
سري، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أهدا للنشر:
د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٤ - مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة
والافتراء: دراسة وثائقية،
د. محمد نعمان جلال، ١٩٩٣.
- ٦٥ - مواقف الصحافة المصرية من الصهيونية
(١٨٩٧-١٩١٧)،
د. سهام نصار، ١٩٩٣.
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي،
د. لريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣.
- ٦٧ - مساهمى السلام العربية الإسرائيلية:
الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار
بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشراف مع قسم
التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، في
أبريل ١٩٩٣)، أهدا للنشر: د. عبدالعظيم
رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٨ - الحروب الصليبية ج ٣،
تأليف: وايم الصوري
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ١٩٩٣.
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية
(١٨٨٦-١٩٥١)،
د. محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤.

- ٧٠ - أهل الأمة في الإسلام ،
تأليف : أ. س. تراجون
ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ط ٢ ، ١٩٩٤
٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٢٤-١٩٤٦) ،
إعداد : تريفور إيفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف ،
أحمد حورو ، ١٩٩٤ .
٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين لأحوال الحياة والاقتصادية
في العصر الفاطمي (٣٥٦٧-٤٠٠ هـ) ،
د. أمينة أحمد إمام ، ١٩٩٤ .
٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
٧٤ - تاريخ الطب والسبلة المصرية ، د. ي. ، في
العصر الفاطمي ،
د. م. م. يحيى جمال ، ١٩٩٤ .
٧٥ - أهل الأمة في مصر ، في العصر الفاطمي
الاول ،
د. سلام شامس محمد ، ١٩٩٥ .
٧٦ - دور التنظيم المصري في الفضل الوطني
(من الإحتلال البريطاني) ،
د. محمد إسماعيل عني ، ١٩٩٥ .
٧٧ - الحروب الصليبية ج ١ ،
تأليف : راييم المصري ، ترجمة وتعليق : د.
حسن حبشي ، ١٩٩٤ .
٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٩٩-١٩٠٣) ،
أعداد أحمد حورو ، ١٩٩٥ .
٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في
القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد د. ، ترجمة : عبد الحميد
فهمي جمال ، ١٩٩٠ .
٨٠ - كتاب السويدي والكنايس الاستعمارية
الأولى (١٨٨٢-١٩٠٤) ،
د. السيد حسين ج. ، ١٩٩٥ .
٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية من
هزيمة ياندر إلى عصر الأنوار ،
د. رمزي مبختيل ، ١٩٩٥ .

- ٨٢ - مدني في فجر الإسلام ، من التاريخ العربي
إلى قبا ، دراسة : د. توفيق ،
د. محمد إ. ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ج ١ ،
أ. ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
٨٤ - د. ، في نصف قرن ج ١ - القسم
الأول ،
أحمد شوقي ، ط ٢ ، ١٩٩٥ .
٨٥ - تاريخ الإذاعة المصرية : دراسة تاريخية
(١٩٢٤-١٩٥٢) ،
د. ، أحمد شوقي ، ١٩٩٥ .
٨٦ - تاريخ التجار المصرية في عصر الحرية
الاقتصادية (١٩٠٠-١٩٢٤) ،
د. أحمد الشوقي ، ١٩٩٥ .
٨٧ - مذكرات اللورد كليرن ، ج ٢ ، (١٩٢٤-
١٩٤٦) ،
إعداد : تريفور إيفانز ، ترجمة وتعليق : د.
عبد الرؤوف أحمد حورو ، ١٩٩٥ .
٨٨ - التاريخ الموسيقي والتاريخ الموسيقي
المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥ .
٨٩ - تاريخ المواهب المصرية في العصر
الفاطمي ،
د. عبد الحميد حامد سلطان ، ١٩٩٥ .
٩٠ - مساهمة فيس المسلمين في الدولة
الإسلامية ،
د. زكي ، عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦ .
٩١ - تاريخ مصر القديمة والتاريخ الأوسط ،
تأليف : د. م. م. ، ترجمة : عبد الحميد فهمي
جمال ، ١٩٩٦ .
٩٢ - الصحافة العربية والاضحايا الوطنية
(١٩٢٦-١٩٢٩) ،
ج ٢ ، د. نجوى كامل ، ١٩٩٦ .

- ٩٢ - قضايا عربية في البرلمان المصري
(١٩٢٤ - ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومي عبدالله، ١٩٩٦.
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
(١٩٤٦ - ١٩٥٤)،
د. سهر إسكندر، ١٩٩٦.
- ٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات
الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ
والآثار بالجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع
معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة
القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبدالناصر والحرب العربية الباردة
(١٩٥٨ - ١٩٧٠)،
تأليف: مكرم كبر، ترجمة د. عبدالرؤف أحمد
عزرو.
- ٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصري
في النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.
- ٩٩ - تاريخ الطب والصيادلة المصرية
(العصر اليوناني - الروماني) ج. ١،
د. سمير يحيى جمال
- ١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر هير العصور:
تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار،
أ. د. محمد إبراهيم بكر، أ. د. إبراهيم نصحي،
أ. د. فاروق القاضي، أعدتها للنشر: أ. د.
عبد العظيم رمضان
- ١٠١ - ثورة يوليو والحركة القومية،
للواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/
عبدالمجيد كفاوي،
اللواء/ سعد عبدالمعطي، السفير/ جمال منصور
- ١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في
مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة
- ١٠٣ - رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره
د. علي بركات
- ١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين في مصر
(١٩١٤ - ١٩٥٢)
د. فاطمة حلم الدين عبد الواحد
- ١٠٥ - السلطة السياسية في مصر والقضية
الديموقراطية ١٨٠٥ - ١٩٨٧ .
د. أحمد فارس عبد المنعم
- ١٠٦ - التسويخ على يوسف وجريدة الثورة
(تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن).
د. سليمان صالح
- ١٠٧ - الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليوب هير، ترجمة: عبدالمجيد فهمي
الجمال.
- ١٠٨ - مصر للمصريين ج. ٤ .
سلام النقاش
- ١٠٩ - مصر للمصريين ج. ٥ .
سلام النقاش
- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية
(عصر سلاطين المماليك) ج. ١ .
د. البيومي اسماعيل الشربيني.
- ١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية
(عصر سلاطين المماليك) ج. ٢ .
د. البيومي اسماعيل الشربيني.
- ١١٢ - اسماعيل باشا صدقي
د. محمد محمد الجواندي.
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في
عصر الحكم المصري)
د. عز الدين اسماعيل.
- ١١٤ - دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي
تأليف أحمد رشدي صالح

١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ج ٢ .

أحمد شفيق باشا .

١١٦ - أديب اسمعق (هاشق الحرية)

علاء الدين وحيد

١١٧ - تاريخ القضاء في مصر العثمانية

(١٥١٧ - ١٧٩٨)

عبد الرزاق إبراهيم عيسى

١١٨ - النظم المالية في مصر والشام

د. الليثي اسماعيل الشربيني

١١٩ - النقابات في مصر الرومانية

حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ - برديات من التاريخ المصري الحديث

أوليس جرجس

١٢١ - الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤)

د. محمد عبد الحمود الطاوي

١٢٢ - مصر للمصريين ج ١

طارق خليل النقاش

١٢٣ - السيد أحمد الليثي

د. سعد عبد الفتاح حشور

١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية في

نصف قرن

د. محمد نعيان جلال

١٢٥ - مصر للمصريين ج ٢

طارق خليل النقاش

١٢٦ - مصر للمصريين ج ٨

طارق خليل النقاش

١٢٧ - ملاحظات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ -

١٩٥٨)

إبراهيم محمد محمد إبراهيم .

١٢٨ - طارق صحنه ،

طارق جمال بدوي .

١٢٩ - الدين العلم (وقره في تطور الدين المصري)

(١٨٧٦ - ١٩٤٣)

د. يحيى محمد محمود

١٣٠ - تاريخ القساعات الفخائف في مصر

(١٩٨٧ - ١٩٩٧)

سمير فريد .

١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ م .

ترجمة / د. عبدالرؤف أحمد عمر .

١٣٢ - فار المندوب السامي في مصر ج ١ .

د. ماجدة محمد حمود .

١٣٣ - فار المندوب السامي في مصر ج ٢ .

د. ماجدة محمد حمود .

١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط

عثماني للباروندي .

بقلم / عزت حسن أفندي لندوندي

ترجمة / جمال سعيد عبد الفتاح .

١٣٥ - اليهود في مصر المملوكة

(في ضوء وثائق الجيزة)

(١٢٤٨ - ١٢٢٣ هـ / ١٧٥٠ - ١٥١٧ م) د. محاسن

محمد الوقاد

١٣٦ - أوراق يوسف صديق

تقديم / أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ - تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي

د. محمد عبد الفتاح الأشقر

١٣٨ - الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني

والإرهاب في مصر

لمسيد يوسف

١٣٩ - موسوعة الفناء المصري في القرن العشرين

بقلم محمد قاييل

١٤٠ - سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول

من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥ هـ /

١٨١١ - ١٨٤٨ م .

طارق عبد الحاملي خليل بدوي

١٤١ - وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك

طارق أحمد نصار

١٤٢ - مذكراتي في نصف قرن ج ٢

أحمد شفيق باشا ط ٢ ، ١٩٩٩ .

١٤٣ - دبلوماسية البطالة في القرنين الثاني والأول ق م

د. منيرة محمد الهمشري

١٤٤ - كشف مصر الأفريقية في عهد الخديوي

اسماعيل

د. عبدالعليم خلف

١٤٥ - النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد

مقديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م)

د. منيرة محمد الهمشري

١٤٦ - المرأة في مصر المملوكية

د. أحمد عبدالرازق

١٤٧ - حسن البنا متى . كيف .. ولماذا؟

د. رفعت السيد

١٤٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة

الاسكندرية

تأليف / د. سمير فوزي

ترجمة / فسيم مجلى

١٤٩ - العلاقات المصرية الحجازية

في القرن الثامن عشر

حسام محمد عبد الصلى

١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)

د. سمير يحيى الجمال

١٥١ - جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة

السيد يوسف

١٥٢ - الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية

(١٤٨ - ١٢٣ هـ / ١٥١٧ - ١٢٥٠ م)

د. محاسن محمد الوفاة

١٥٣ - الحروب الصليبية (المقدمة السياسية)

د. حاية عبد السميع الجوزي

١٥٤ - هجمات الروم البحرية على سواحل مصر

الإسلامية في العصور الوسطى

د. حاية عبد السميع الجوزي

١٥٥ - عصر محمد علي ولهجة مصر في القرن التاسع

عشر

(١٨٠٥ - ١٨٨٣ م)

د. عبد الحميد البطريق

١٥٦ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية

الجزء الثالث

في العصر الإسلامي

د. سمير يحيى الجمال

١٥٧ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية

الجزء الرابع

في العصر الإسلامي والحديث

د. سمير يحيى الجمال

١٥٨ - نائب السلطنة المملوكية في مصر

(١٤٨ - ١٢٣ هـ / ١٥١٧ - ١٢٥٠ م)

د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٥٩ - حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)

الجزء الأول

د. محمد فريد حشيش

١٦٠ - حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)

الجزء الثاني

د. محمد فريد حشيش

١٦١ - السيف والنار في السودان

تأليف / سلاطين باشا

١٦٢ - السباسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ -

١٩٥٣ م)

د. تمام تمام تمام

١٦٣ - مصر والحركة القومية

المستشار / محمد سعيد التهامي

١٦٤ - الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ

(أعمال ندوة لجنة للتاريخ والآثار بالمجلس الأعلى

للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات

الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ ديسمبر

١٩٩٧.

إعداد / د. عبدالعليم رمضان

١٦٥ - التعليم والتغير الاجتماعي في مصر

(في القرن التاسع عشر)

سامي سليمان محمد السهم

١٦٦- مذكرات معقل سياسي (مصححة من تاريخ مصر)

لقه بد يوسف

١٦٧- الحركة العلمية والأدبية في المصطفى منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الأيوبية

د. سليم على محمد حيدلله

١٦٨- مؤرخون مصريون من عصر المماليك وسرى عبد الفتاح

١٦٩- مؤرخ مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ - ٥٦٧ هـ / ٦٤٧ - ١١٧١ م)

د. سليم على محمد عبد الله

١٧٠- القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

مجدى عبد الرشيد بحر

١٧١- تاريخ الجالية الأرمنية في مصر للقرن التاسع عشر

تأليف / محمد رفعت

١٧٢- تاريخ أهل النوبة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) الجزء الأول

تأليف / فاطمة مصطفى هاجر

١٧٣- تاريخ أهل النوبة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) الجزء الثاني

تأليف / فاطمة مصطفى هاجر

١٧٤- مصر ولبنان فيما بين القرنين السابع والثامن

ق. م

د. أحمد عبد الحليم دراز

١٧٥- محمد توفيق نسيم باشا ومروءة في السياسة

عادل إبراهيم الطويل

١٧٦- الملاحة النيلية في مصر العثمانية ١٥١٧ - ١٧٦٨ م

د. عبد الحميد حامد سليمان

١٧٧- سياسة مصر العسكرية

إيزاب حروب الشرق الأوسط

لواء دكتور / صلاح سالم

١٧٨- العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى

في القرنين الثامن عشر

د. سمير على حنفي

١٧٩- دور الحماية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤ - ١٦٠٩ م)

د. حبيب محمد لايد العبد

١٨٠- الحقيقة التاريخية حول قرار تأسيس شركة قناة السويس

بكرم / د. عبد الصمد رمضان

١٨١- الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وحمزة)

ترجمة وتحقيق وإعطاء / أ. د. حسن حبشي

١٨٢- الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وحمزة)

ترجمة وتحقيق وإعطاء / أ. د. حسن حبشي

١٨٣- شاهد على العصر

مذكرات محمد لطفي حجة

١٨٤- المذوق في القرن الثامن عشر

يوسف

ياسر عبد المنعم محاريق

١٨٥- تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري

د. أحمد أحمد سيد أحمد

١٨٨ - نيابة حلب في عصر سلاطين

المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

٦٤٨ - ٩٢٣ هـ (ج ٢)

د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٦ - العقائد الدينية في مصر

الإسلامية (بين الإسلام

والتصوف)

د. أحمد صبحي منصور

١٨٩ - يهود مصر منذ عصر

الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م

عرفه عبده على

١٨٧ - نيابة حلب في عصر سلاطين

المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

٦٤٨ - ٩٢٣ هـ (ج ١)

د. عادل عبد الحافظ حمزة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

**هذا الكتاب إهداء من
مكتبة يوسف درويش**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٩٢٦ / ٢٠٠٠

ISBN — 977 — 01 — 6814 — 9

هذا الكتاب «يهود مصر منذ عصر الفراعنة» يتتبع حياة اليهود في مصر عبر العصور التاريخية، فيبدأ باليهود في مصر الفرعونية، ويتعرض لحادثة الخروج وأهميتها في التاريخ اليهودي، وينتقل إلى عصر البطالمة فالعصر الروماني، ثم الإسلامي.

كذلك تناول الكتاب أثر الثقافة العربية في ثقافة الجماعات اليهودية، وتحدث عن وثائق جنيزة القاهرة، وانتقل إلى يهود مصر الحديثة، وعصر الهيمنة اليهودية على الاقتصاد المصري، وكذلك تناول نشاطهم السياسي، ودورهم في الصحافة والأدب والفن.

كما تعرض للنشاط الصهيوني في مصر، وتنظيماتهم الشيوعية، ومنظمات التجسس وفضيحة لافون، وتناول يهود الاسكندرية، ومؤسساتهم الاجتماعية، ومعابدهم، ودورهم في الفن.

واختتم الكتاب يبحث عن المصطلحات اليهودية، وعن مصادر دراسة تاريخ يهود مصر في القرن التاسع عشر.

Bibliotheca Alexandrina



0570498